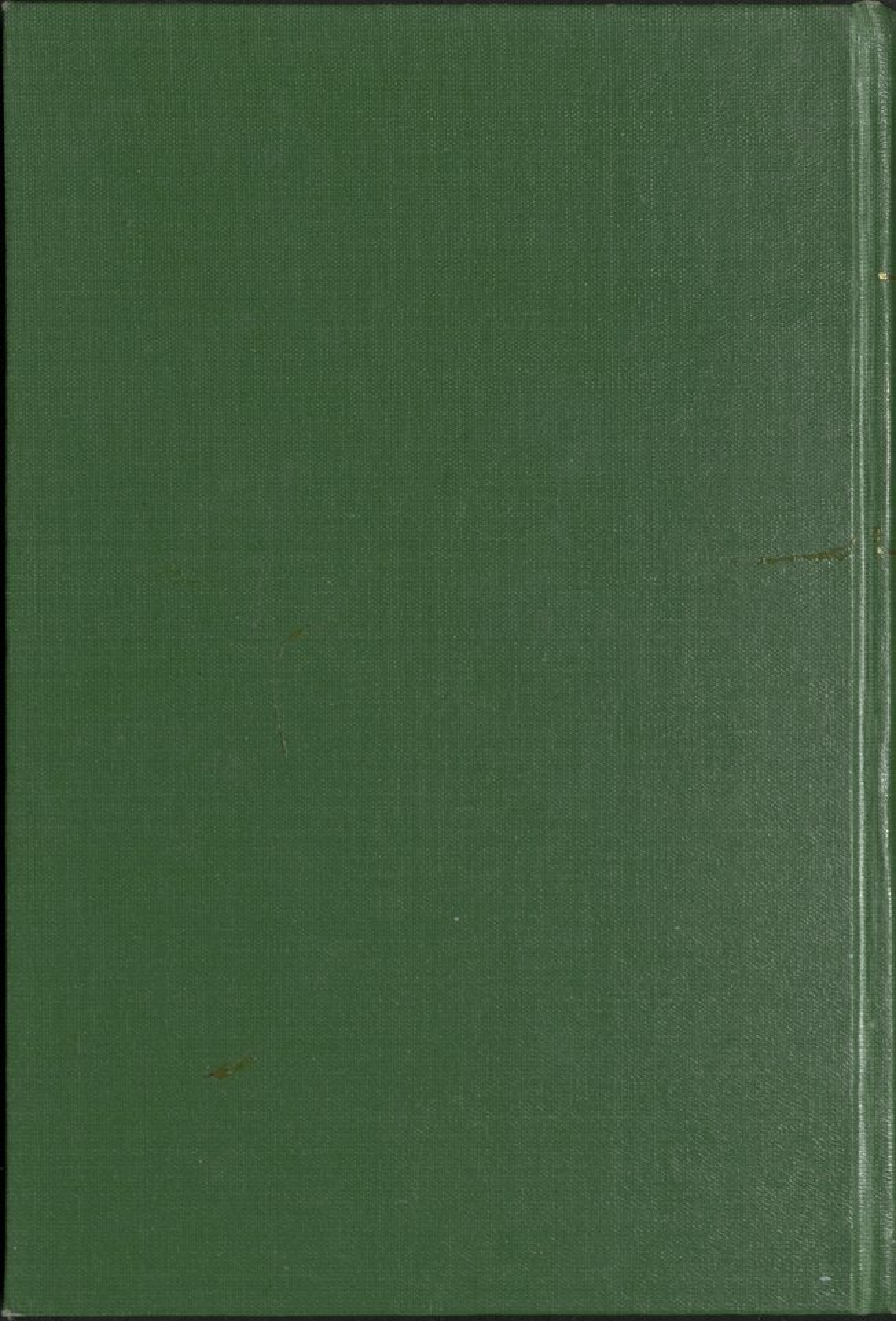
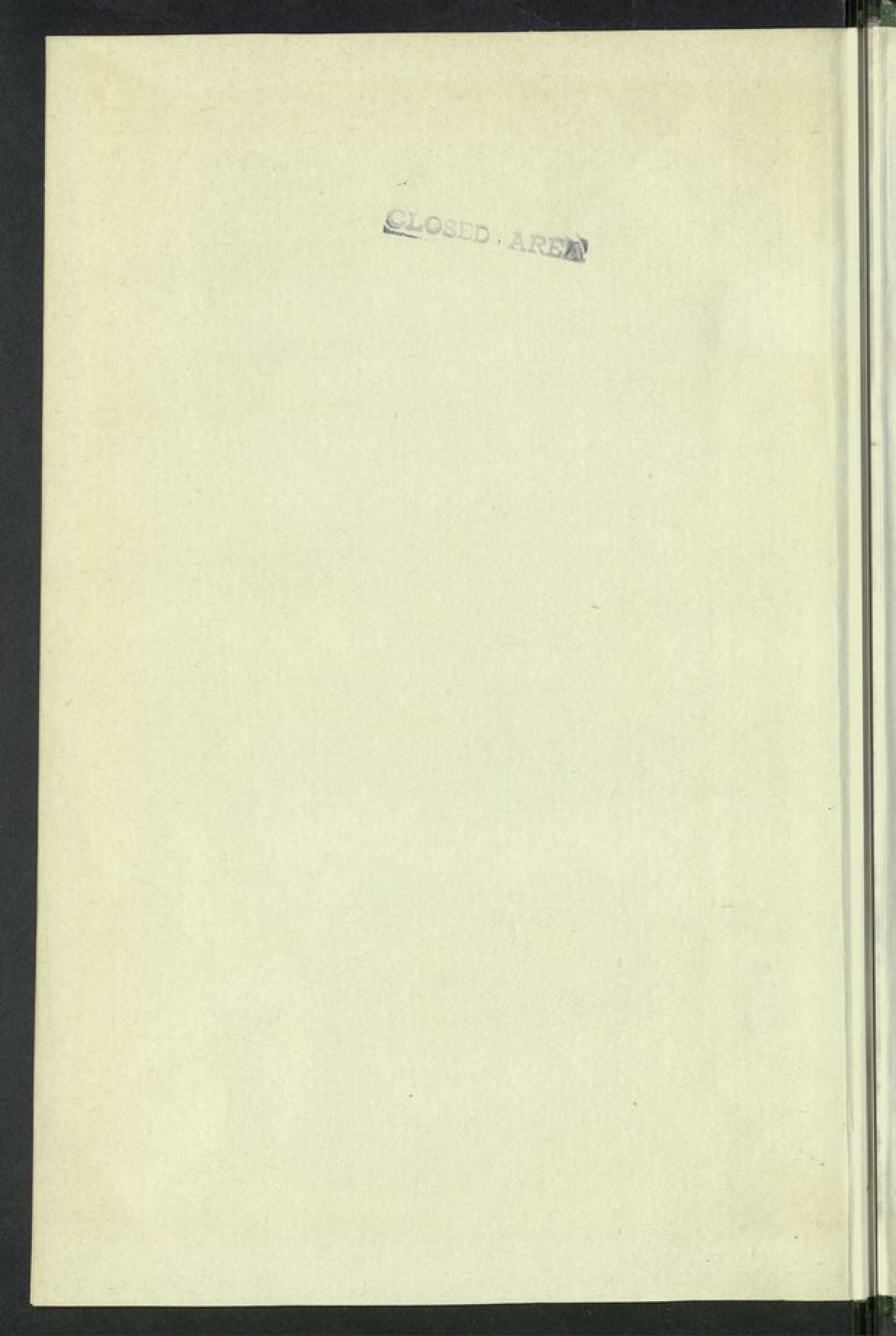
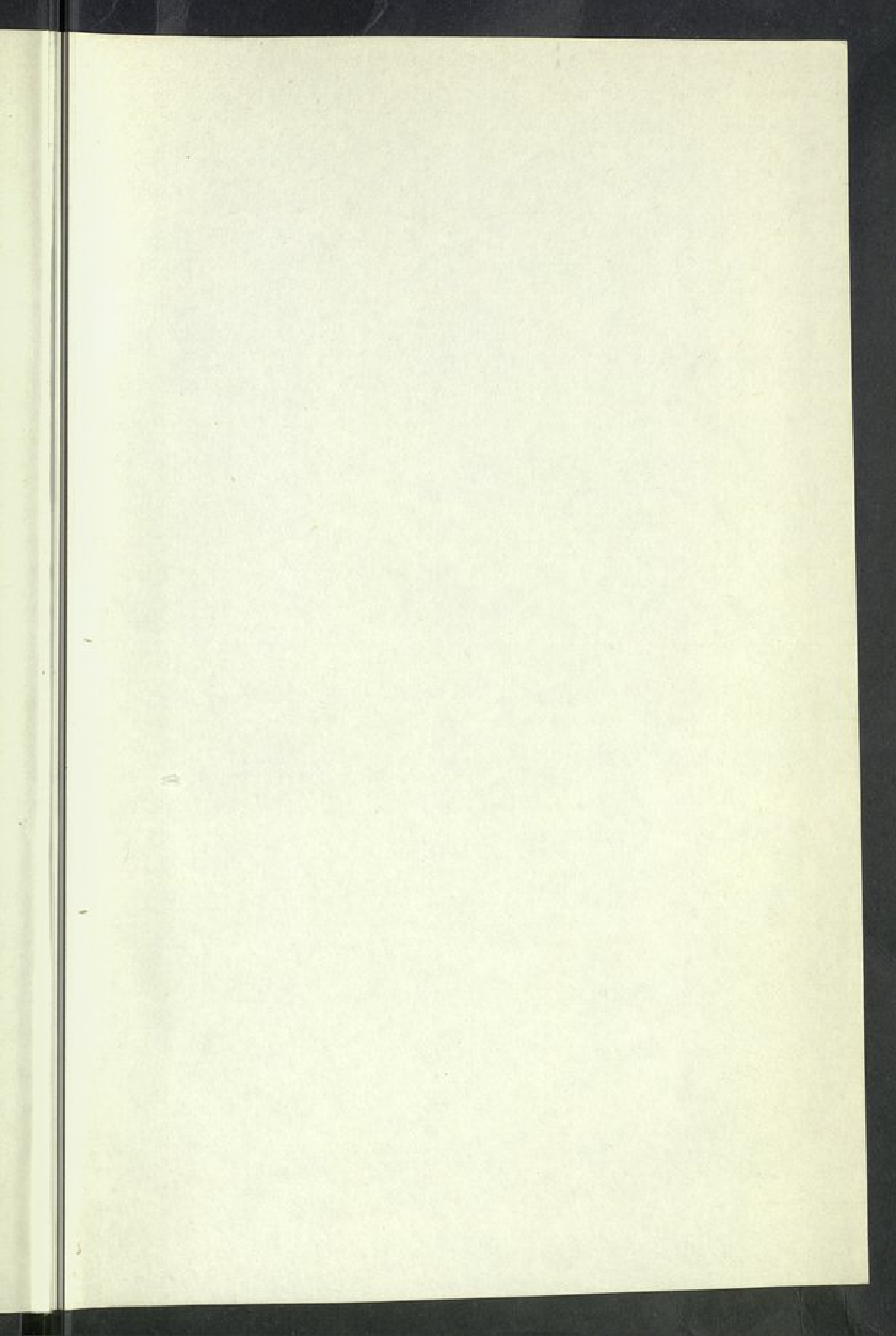
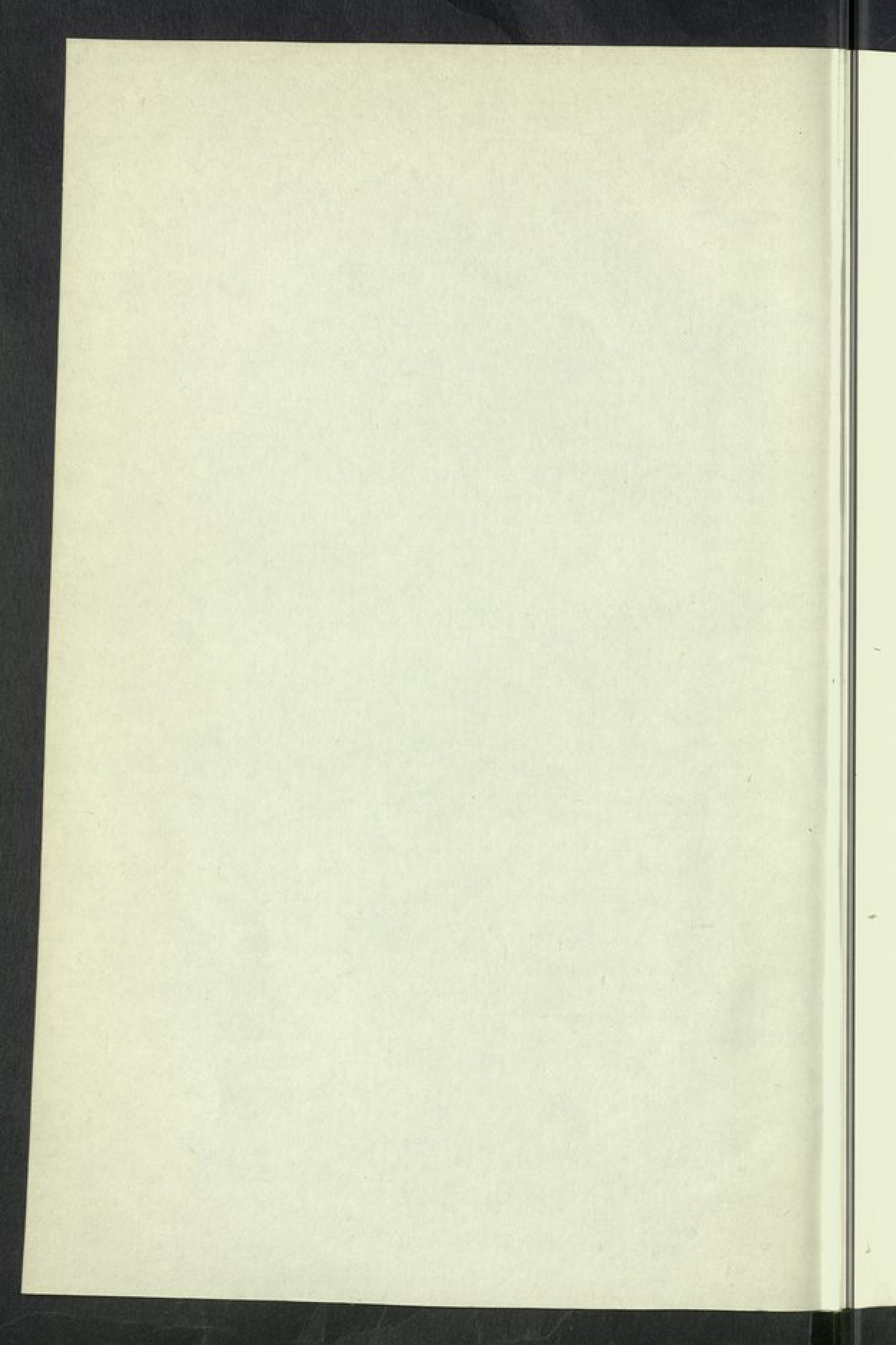


A.U.B. LIBRARY
CLOSED AREA



CLOSED AREA





.9
1+A

CA
956.9
A961tA
c.1

تقدمة وفاء وتقدير الى حضرة
الدكتور نقولا زيادة المحترم
المخلص لكم والذي لن ينسى فضلكم
عصام خليفة
١٥/ ٧/ ١٩٧٠

تاريخ ولاية

سليمان باشا

العادل

يشتمل على تاريخ

فلسطين ولبنان ومدنه وبلاد العلويين والشام

تأليف

المرحوم المعلم ابراهيم العورة

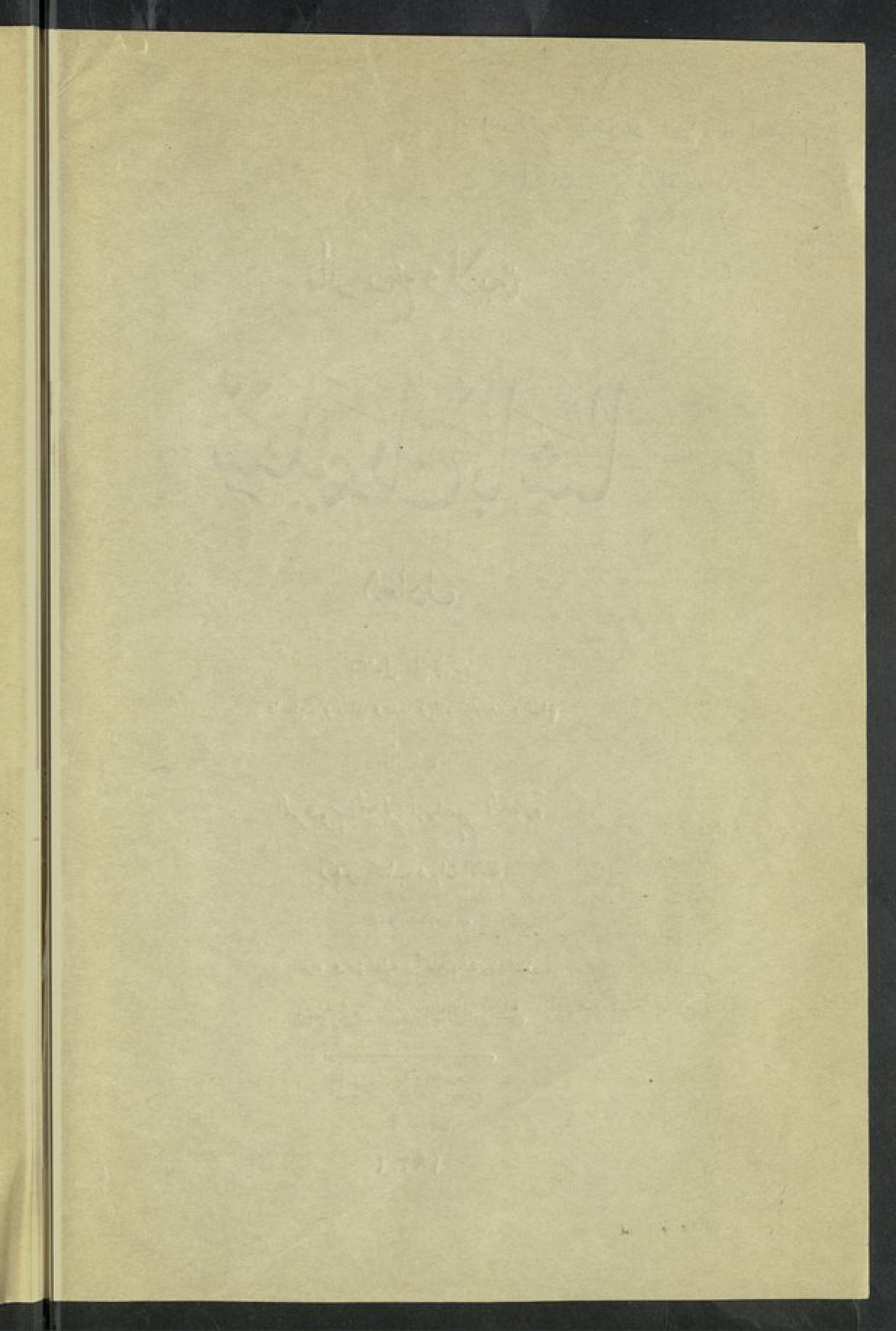
رئيس كتاب ديوان الايالة

نشره وعلق عليه وألحقه بعدة سندات

الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

مطبعة دير المخلص
صيدا لبنان

١٩٣٦



نوطة

لناشر الكتاب

طالعت لاول مرة هذا التاريخ في مخطوطة المكتبة الشرقية خاصة الاباء اليسوعيين في بيروت فاعجبني مضمونه ولا سيما بسطه البسط الوافي لحوادث كثيرة مهمة من تاريخ بلادنا تكاد تكون مجهولة . ولم يصدني عن تمام مطالعته ما وقع في هذه النسخة من التحريف والتشويه برسم بعض الحروف فيها على غير ما ينبغي من الناسخ .

واذ سألت المرحوم الاب لويس شيخو عن الاصل الذي نُقلت عنه هذه النسخة قال لي : نُقلت عن الاصل المكتوب بيد المؤلف نفسه . وهو محفوظ بحرص في دار ابنه حنا افندي العورة من اعيان طائفتكم .

وكنت اعرف المشار اليه وكان شيخاً جليلاً تقياً فاضلاً وقل من كان لا يعرفه في بيروت من الاكليروس الكاثوليكي وكذلك كنت على صلة ولاء وصداقة مع ابنه الاكبر ابراهيم افندي رحم الله الاثنين فما لبثت ان قصدته في داره وطلبت الوقوف على هذا التاريخ . ولما طالعت شيئاً منه وجدته افضل كثيراً من النسخة السابق ذكرها وقد خلا من كل معايبها اذ كتبه المؤلف لنفسه بخطه الجميل الدقيق بالقلم النسخي ، ثم استاذنته باستعارة الكتاب لمدة شهرين او ثلاثة لانقل عنه نسخة فسمح لي به بدون تردد ولا شرط مما يجب علي ذكره له بالشكر . وبعد ان نقلت عنه نسخة بمساعدة حضرة اخينا الاب يوحنا السكاف ب.م المعروف بملاحة الخط ودقة النقل قابلنا مخطوطتنا على الاصل واصلحنا ما وجب اصلاحه فيها طبقاً للاصل المذكور وارجعناه الى اصحابه مع واجب الشكر .

واذ لم يكن لي قصد حينئذٍ بنقل هـذا الكتاب سوى الاستفادة بمضمونه عند الحاجة اليه اهملت نقل عنوان فصوله للسرعة بانجاز نقله واعادة الاصل الى اصحابه في الاجل المضروب بدون تأخير . ولكن عندما شاع وتحقق امر فقدان هذا الاصل رغب الي بعض الاصحاب من اهل العلم من محبي التاريخ ان انشر هذه النسخة بالطبع بعد مقابلتها عـلى نسخة المكتبة الشرقية فنزلت عند رغبتهم وقابلت نسختي عليها ونقلت عنوان فصولها التي كنت قد اهملت نقلها سابقاً ولم اجد في هذه النسخة لدى المقابلة شيئاً خلت منه نسختنا غير هذا .

ولا يجهل احد من اهـل البحث قلة الاصول التاريخية عندنا في لغتنا العربية فيما يخص تاريخ بلادنا الشرقية بالاجمال وخاصة تاريخ العصور المتأخرة القريبة الينا مما هو صادر عن كاتب ثقة وشاهـد عيان نظير التاريخ الذي نزفه اليوم مطبوعاً الى ابناء الوطن ومحبي التاريخ فانه يعد تاريخاً رسمياً للبنان الكبير بمدنـه الساحلية ولبلاد فلسطين واللاذقية لان مؤلفه من كبار كتاب ديوان ايالة صيدا التي كانت لذلك العهد تشتمل على كل هذه المقاطعات . وعمدته فيه سجلات ديوان الايالة التي كانت في يده وقد قضى معظم حياته بين دفاترها واوراقها منذ كان فتى صغيراً الى ان صار شيخاً كبيراً . وقد شهد بذاته اكثر هـذه الحوادث التي ذكرها في تاريخه وكان له فيها يد وشأن مع اصحابها وقد استوضحها كما استوضح ما لم يقف عليه سابقاً من ابيه وخاله اللذين كانا قبله في ديوان الايالة ومن سليمان باشا نفسه بما كان يمليه عليه من المراسيم والاوامر التي كان عليه ان يكتبها لاصحابها . وقصارى الكلام ان المؤلف وقف على جلية امر كل هذه الحوادث التي ذكرها في تاريخه وعرف اصحابهـا ومقاصدهم فيها واسرارها واسبابها بكل اطرافها . ولذلك تبسط في شرحها وايضاحها البسط الوافي ووصفها وصف عيان كانك امام شيخ حكيم ذي منزلة عالية يروي لك مفصلاً ما جرى له من الحوادث المهمة والوقائع الخطيرة التي شهدها بنفسه ويوضح اسبابها واسرارها ومقاصد اصحابها وعواقبها لافادتك بما فيها من العبر الجليلة والفكاهات الحلوة والنوادر الشائقة . ولذلك تناول تاريخه اموراً كثيرة من تاريخ اعمال الجزار التي كانت مقدمات واسباباً

لحوادث جمة مهمة وقعت في عهد سليمان باشا تحت نظره مما لم يتعرض لذكر شيء منها احد من الذين حاولوا كتابة تاريخ الجزار.

ولتحري المؤلف الدقة واليقين في تاريخه لم يتعرض لذكر ما كان يقع لذلك العهد من عظائم الامور في دار السلطنة العثمانية وغيرها مما لا بد ان يكون قد بلغه شيء من اخبارها ولم يكن له سبيل الى اليقين المحقق منها مثل قيام العساكر الانكشارية على السلاطين وخلعهم وقتلهم حتى اوقع بهم اخيراً السلطان محمود الثاني ولاشاهم وافناهم من السلطنة العثمانية كلها وغير ذلك من الحوادث البعيدة التي لم يكن له الى تحقيقها سبيل ولذلك لم يتعرض لذكرها.

ولا يخفى على المطالع اللبيب ان سليمان باشا المشار اليه كرجي الاصل وقد اشتهر اول امره في هذه البلاد بلقب الجزاري نسبة الى مولاه احمد باشا الجزار اذ كان احد مماليكه. ثم غلب عليه فيما بعد لقب العادل لعدله وحلمه ورفقه برعيته عندما تولى حكم ايالة صيدا بعد الجزار بخلاف ما كان سلفه المذكور المشهور بظلمه وبخلاف ما كان خلفه عبد الله باشا . فهو اذاً يستحق لا محالة ان يخلد التاريخ الصادق اسمه وفعاله في هذه البلاد التي تولى امرها واحسن الى اهلها احساناً جماً لم يعهدوه من حكام الاتراك الا نادراً او اقل من النادر.

ثم ان هذا التاريخ — بما تضمن من التفصيل والدقة عن اعمال سليمان باشا المعروف بعدله وعن اعمال رجال دولته الذين كانوا تحت يده وعن اعمال سلفه الجزار المشهور — يصح ان يكون مرآة جلية صافية ذات صفحتين مختلفتين ارتسمت في كل صفحة منها صورة صادقة لكل فريق من حكام الاتراك ونموذجاً تاماً كاملاً لتاريخ العادلين والظالمين. ويصح ان نستدل من ذلك انه لم يكن فيهم حاكم عادل حتى يكون معهماية ظالم او اكثر او كما قال الشاعر:

طُبع الناس على الظلم فما سلم امر لامريءٍ الا بغى

واذ كان هذا التاريخ خاصاً بما يتعلق بولاية سليمان باشا كما يدل على ذلك عنوانه تناول ايضاً تاريخ سوريا او ايالة الشام التي تولى امرها غير مرة بالاصالة والوكالة الحاقاً

بايالة صيدا . وبالتالي يتناول تاريخ كبار رجال دولته في الايالتين من الحكام والقواد والضباط والكتاب حتى صغار المستخدمين ويجد المطالع اللبناني فيه مثلاً عن الامير بشير والشيخ بشير ومصطفى اغا بربر وعلي بك الاسعد والمشايخ بني علي الصغير وغيرهم من زعماء وكبار رجال لبنان اموراً مهمة لم يذكرها لهم التاريخ من قبلُ ولا من بعدُ . وكذلك يجد فيه الفلسطيني ذكراً جميلاً لآل طوقان وجرار وعبد الهادي والبرقاوي والتاجي وغيرهم من امثالهم .

وكذلك من يقف على ما ورد فيه عن اعمال المعلم حييم فارحي اليهودي صراف سليمان باشا ومستشاره ياخذه العجب من وفور عقل هذا الرجل وحسن ادارته وغريب دهائه في حل المشاكل مهما تعسرت وتعذر حلها . ويرى كلام المؤلف فيه لا يخرج عن الصواب خالياً من الميل مع الهوى لا تعصب فيه .

ولعل بعض المتحذلقين يعيبون هذا التاريخ بان لغته ليست عربية صحيحة وفصيحة بمفرداتها ولا يراعي المؤلف دائماً احكام علم الصرف والنحو . وحقيقة الواقع ان لغة المؤلف في كتابه هـذا لا تخرج عن لغة اصحاب دواوين الحكومة الخاصة بهم في كل عصر ومصر فانهم يتوخون دائماً في كتابتهم ايضاح المعاني بدون غموض ولا تعقيد ولا يبالون بمخالفة احكام الصرف والنحو اذا كانت لا تخل ولا تضر بالمعاني المقصود بيانها . واذا كانت هذه المخالفة تعد عيباً في كتب الادب واللغة فلا تخل بالتاريخ ولا تضره . واذا راجعنا تاريخ الامير حيدر شهاب فلا نجده خالياً من هـذا العيب . وكذلك اذا راجعنا تاريخ عبد الرحمان الجبرتي الذي كان معاصراً للمؤلف وهو من كبـار ايمة علماء الازهر فانه لا يخلو من هذا العيب .

وقد كان من الواجب ان نصدر هذا التاريخ بترجمة حياة المؤلف لايضاح ما كان له من الشأن بالحوادث التي ذكرها في تاريخه . الا انه كفانا مؤونة ذلك كافاه الله خيراً بما كتبه في تنبيه مطول بهذا الشان جعله في اخر كتابه في صفحة ٤٨٢ وبما ذكره في مواضع كثيرة من تاريخه عند ذكره الحوادث التي كان له فيها يد وشان مع اصحابها . فاذا راجعنا الصفحات التي ذكر اسمـه فيها حسب الفهرس الثاني تبين لنا ما كان له من المنزلة الممتازة في ديوان الايالة وما كان له من الحظوي عند سليمان باشا وعند كاخيته

وخلفه عبدالله باشا الذي جعله رئيس كتاب ديوان الايالة او باش كاتب خلفاً لابيه عندما استقل عبدالله باشا بامر الايالة .

واما الطريقة التي جرينا عليها في طبع هذا الكتاب فاننا حافظنا على نص مخطوطتنا المنقولة بدقة عن الاصل المكتوب بيد المؤلف كما تقدم بدون حذف شيء الا ما اشرنا اليه في محله مع ايضاح سبب ذلك وبدون زيادة شيء الا ما جعلناه بين هلالين او في حاشية ايضاحاً للنص هناك . وربما بدّلنا بعض الاحيان حرفاً من حروف الجر باخر اوجبه المعنى المقصود من المؤلف ظاهراً كما يستدل على ذلك ظاهراً بقرائن الحال من نفس النص .

وكذلك اقتضى الحال في بعض المواضع ان نقدّم بعض اجزاء الجملة الواحدة على الاخر لاقتضاء المعنى لذلك اي ليكون المعنى المقصود من المؤلف سهلاً واضحاً وخالياً من التعقيد البارز الحاصل من تشويش الترتيب في تاليف الجملة مما فات المؤلف اصلاحه باعادة النظر في كتابه كما اشار الى ذلك في اخر الكتاب .

ومن ذلك ايضاً انه استدرك في اواخر كتابه وفي اثنائه بعض حوادث فاته ذكرها في محلها الذي يجب ان تكون فيه بقوله « سهي عن بالنا ذكر ما ياتي في سنة كذا نذكره هنا » فقد وضعنا هذه المستدركات في محلها الذي اشار اليه المؤلف . وقد فاتنا مع هذا منها شيء بقي في محله حيث جعله المؤلف بين مستدركاته (انظر صفحة ١٤٣ و٢٥٢ و٣٢٤ و٣٢٥ و٣٢٩)

وقبل ختام هذه الكلمة يجب علينا ان نسجل هنا عبارات الشكر الخالص لكل الذين اخذوا بيدنا وساعدونا على انجاز طبع هذا التاريخ الشائق النادر كما ينبغي خدمة لنشر المعارف المفيدة وحباً بانتشار تاريخ الوطن ورجاله بين اهله وتخليد ذكرهم فيه بين اعقابهم واحفادهم الى ما شاء الله تعالى والسلام

الخوري قسطنطين الباشا ب . م

دير المخلص قرب صيدا (لبنان) في ١٢ ايار سنة ١٩٣٦

تاريخ
ولاية سليمان باشا
العادل

باسم الله الحي الازلي السرمدي وبه ثقتي وعليه اعتمادي وتوكلي

نبتدي بعنايته وتوفيقه تعالى بكتابة بعض اشياء مقتطفة من التواريخ القديمة من سنة ١١٠٠ لحد سنة ١٢١٩ بوجه الاختصار . ومنها وصاعداً تاريخ سليمان باشا والي ايالة صيدا الذي حكم بعد الجزار لحين وفاته وما جرى في ايام حكومتهِ من اول سنة ولايته الى وفاته وبالله المستعان .

سنة ١١٠٠ (مسيحية) حاصر الافرنج مدينة أرسوف التي هي حيفا قبالة عكا وتملكوها

سنة ١١٠٢ م حاصروا عكا وتملكوها وكان واليها زهر الدولة الجيوشي المصري

سنة ١١٢٩ م حاصروا مدينة صور وتملكوها بكل قوة واستباحوا كل ما وجدوا فيها

سنة ١١٠٩ ﻫ [1] اول حكم الامير بشير شهاب (الاول) في دير القمر بعد انقراض دولة بني معن

سنة ١١١٧ ﻫ [2] وفاة الامير المذكور في صفد واول حكم الامير حيدر شهاب

سنة ١١٤٤ ﻫ [3] وفاة الامير حيدر وحكم الامير ملحم ابنه عوضه

---

(١) جرى المؤلف في كتابه على حساب تاريخ الهجرة جرياً على عادة اهل زمانه ولا سيما اصحاب دواوين الحكومة وقلما ذكر التاريخ المسيحي واذا ذكره فانه يعتمد على الحساب اليولي المعروف بالشرقي والقديم الذي كان جارياً في الشرق لذلك العهد . واتماماً للفائدة سنذكر بعد تاريخ السنة الهجرية السنة التي تقابلها من التاريخ المسيحي بين هلالين او في حاشية في اسفل الصفحة ذاتها او في رأسها . فان اول سنة ١١٠٩ هجرية تبتدي في ٢٠ تموز من سنة ١٦٩٧ مسيحية . ونجعل بعد تاريخ الهجرة حرف الهاء مقتطعاً من لفظة الهجرة ونجعل بعد التاريخ المسيحي حرف الميم مقتطعاً من لفظة المسيحي

(٢) تبتدي في ٢٥ نيسان من سنة ١٧٠٥ م

(٣) تبتدي في ٦ تموز من سنة ١٧٣١ م على ان تاريخ الامير حيدر شهاب يذكر موت جده في سنة ١١٤٣ ﻫ اي قبل سنة

سنة ١١٥٦ هـ[1] شر (موقعة قرية) نصـار من اقليم الشومر الذي صار مع اهالي الجبل (الدروز وبين المتاولة)

سنة ١١٦٩ هـ[2] حكم الاميرين احمد ومنصور (ابني الامير حيدر)

سنة ١١٧٣ هـ[3] الطاعون المنسوب الى الامير قاسم

سنة ١١٧٤ هـ[4] وفاة الامير ملحم

سنة ١١٧٦ هـ[5] الهزات القوية المشهورة

سنة ١١٧٧ هـ[6] حكم الامير يوسف لبلاد جبيل (والبترون)

سنة ١١٧٨ هـ[7] وقعة (قلعة) سانور وحصارها من محمد باشا العظم

---

(١) تبتدي في ٢٥ شباط من سنة ١٧٤٣ م

(٢) تبتدي في ٧ تشرين الاول من سنة ١٧٥٥م . وتاريخ الامير حيدر يذكر هذا في سنة ١١٦٧ هـ وهو الارجح

(٣) تبتدي في ٢٥ اب من سنة ١٧٥٩ م

(٤) تبتدي في ١٣ اب من سنة ١٧٦٠م . وتاريخ الامير حيدر يذكر موت عمه الامير ملحم في سنة ١١٧٣ هـ قبل سنة

(٥) تبتدي في ٢٣ تموز سنة ١٧٦٢م. الا ان المقرر تاريخياً ان هذه الهزات الهائلة وقعت الاولى منها في ١٩ تشرين الاول بالحساب الشرقي والثانية في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٥٩ وقد طالت واستقامت كل منها نحو عشر دقائق ونتج عنها خراب عظيم في طول البلاد وعرضها وسقط قسم كبير من قلعة بعلبك، ومدينة بعلبك عمها الخراب حتى كادت تخلو من السكان بعد ان كان فيها نحو سبعة الاف . راجع تاريخ القس روفائيل كرامة صفحة ٢٢ وتاريخ الشام للخوري مخائيل بريك صفحة ٦٨

(٦) تبتدي في ١٢ تموز من سنة ١٧٦٣ م

(٧) تبتدي في ١ تموز سنة ١٧٦٤ م والمقرر انه كان والياً على دمشق عثمان باشا الصادق والد محمد باشا والي طرابلس ودرويش باشا والي صيدا على ما في تاريخ الامير حيدر

سنة ١١٨١ هـ[1] وفاة الامير قاسم في غزير (والد الامير بشير الشهابي الكبير)

سنة ١١٨٤[2] حضور (محمد بك) ابي الذهب (من مصر القاهرة) وأخذه الشام (باسم علي بك الكبير)

سنة ١١٨٤ حكم الامير يوسف شهاب في بلاد الدروز

سنة ١١٨٥[3] شر (موقعة) النبطية من بلاد الشقيف بين اهل الجبل (وبين المتاولة والصفدية)

سنة ١١٨٦ هـ[4] حضور مراكب المسكوب الى بيروت اول مرة

سنة ١١٨٧[5] حضورها اليها (ثاني مرة) لمحاصرة احمد بك الجزار قبل ان صار وزيراً وقبل ولايته لعكا

سنة ١١٨٨ وفاة الامير منصور شهاب في بيروت الذي عمَّر القيسارية فيها

---

(١) تبتدي في ١٨ ايار من سنة ١٧٦٨ م . مات الامير قاسم والد الامير بشير الكبير في ١٨ نيسان من هذه السنة في غزير

(٢) تبتدي في ٢٧ نيسان من سنة ١٧٧٠م

(٣) تبتدي في ١٦ نيسان من سنة ١٧٧١م

(٤) تبتدي في ٤ نيسان من سنة ١٧٧٢م . كانت بيروت حينئذ تحت ولاية الامير يوسف شهاب وكان مستلماً لها من قبله احمد بك الجزار واذ اراد العصاوة فيها على الامير وابى الخروج منها استعان الامير يوسف باميرال البحر المسكوبي بواسطة الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا فحاصر الاميرال بيروت الى ان فتح في اسوارها ثغرة بمدافع اسطوله اول مرة . واذ تعذر الدخول اليها والاستيلاء عليها من رجال الامير يوسف عاد اليها مرة ثانية اميرال البحر حتى خرج منها الجزار بحماية الشيخ ظاهر

(٥) تبتدي في ٢٥ اذار سنة ١٧٧٣م

سنة ١١٨٨ هـ حضور حسن باشا قبودان باشي وصحبته الدونانما وحصاره عكا بضرب المدافع القوية وقتله ظاهر العمر

سنة ١١٨٨ هـ [1] حضور (محمد باشا) ابي الذهب الى يافا وعكا وموته من مار الياس النبي على باب عكا اذ كان استحضر جميع مشايخ البلاد لكي يغدر بهم ويقتلهم ويستولي على بلادهم

سنة ١١٨٩ هـ [2] وزارة احمد باشا الجزار على عكا

سنة ١١٩٢ هـ [3] شر (موقعة) اميون (من كورة طرابلس)

سنة ١١٩٢ هـ [4] خراب دير بكركي

سنة ١١٩٢ هـ قتل علي الظاهر ابن ظاهر العمر بالغدر

سنة ١١٩٢ هـ قتل (بل مات موتاً) الشيخ علي جنبلاط (الكبير)

سنة ١١٩٢ الثلجة القوية المشهورة

سنة ١١٩٤ هـ [5] قتل الامير فندي (شهاب) من اخيه الامير يوسف

---

(١) تبتدىء في ١٤ اذار من سنة ١٧٧٤م والدونانما باللغة التركية الاسطول

(٢) تبتدىء في ٤ اذار من سنة ١٧٧٥م

(٣) تبتدىء في ٣٠ كانون الثاني من سنة ١٧٧٨م فقد ذكر هذه الموقعة تاريخ الامير حيدر في سنة ١١٩١ هـ في صفحة ١٣٣ من طبعة مصر سنة ١٩٠٠ وقد خلت منها طبعة الجديدة البلاوتية

(٤) بموجب مرسوم البابا بيوس السادس في تاريخ ١٧ تموز سنة ١٧٧٩ بابعاد رئيسته الراهبة هندية الشهيرة وتوزيع راهباته على اديرة الراهبات في كسروان والغاء هذه الرهبانية بتاتاً

(٥) تبتدىء في ٨ كانون الثاني من سنة ١٧٨٠م . وقد ذكر تاريخ الامير حيدر قتل الامير فندي في اول محرم سنة ١١٩٥هـ . وهو لا يخرج عن سنة ١٧٨٠م كما لا يخفى

سنة ١١٩٨ هـ[1] حكم الامير اسماعيل (شهاب من حاصبيا) بدل الامير يوسف (في لبنان)

سنة ١٢٠٣ هـ[2] وفاة الامير اسماعيل قيدبيه ابي اللمع

سنة ١٢٠٣ هـ موت الشيخ كليب ابي نكد

سنة ١٢٠٤ هـ[3] اول حكم الامير بشير قاسم (المشهور بالكبير)

سنة ١٢٠٥ هـ[4] موت الشيخ عبد السلام عماد

سنة ١٢٠٦ هـ[5] حبس نصارى بيروت من الجزار

سنة ١٢٠٧ هـ[6] حكم الاميرين حيدر وقعدان شهاب

سنة ١٢٠٧ هـ قتل الامير يوسف والشيخ غندور الخودي من الجزار في عكا شنقاً

سنة ١٢٠٧ هـ قتل الامير قاسم الحرفوش

---

(١) تبتدىء في ٢٦ تشرين الثاني من سنة ١٧٨٣م

(٢) تبتدىء في ٢ تشرين الاول من سنة ١٧٨٨م

(٣) تبتدىء في ٢١ ايلول من سنة ١٧٨٩م. وتاريخ الامير حيدر يذكر ذلك في سنة ١٢٠٣ التي توافق باكثرها سنة ١٧٨٨م

(٤) تبتدىء في ١٠ ايلول من سنة ١٧٩٠م. الا ان تاريخ الامير حيدر يذكر موت الشيخ عبد السلام عماد رئيس الحزب اليزبكي في ١٤ آب من سنة ١٢٠٦ التي اولها في ٣١ آب ومن ثم يكون موته في آخر سنة ١٢٠٥هـ

(٥) تبتدىء في ٣١ آب من سنة ١٧٩١ على ان تاريخ الامير حيدر يذكر ذلك في سنة ٢٠٥ هـ

(٦) تبتدىء في ١٩ آب من سنة ١٧٩٢ على ان تاريخ الامير حيدر يذكر حكم الاميرين في سنة ١٢٠٥هـ وكذلك ذكر قتل الامير يوسف والشيخ غندور السعد في سنة ١٢٠٥

سنة ١٢٠٨ هـ [1] اول حكم اولاد الامير يوسف

سنة ١٢٠٨ هـ ثاني حكومة الامير بشير

سنة ١٢٠٩ هـ [2] حدوث الغلا والطاعون

سنة ١٢١١ هـ حضور الجراد الكثير

سنة ١٢١٣ هـ [3] ثاني حكومة اولاد الامير يوسف

سنة ١٢١٣ هـ [4] قومة العامية (الثورة) ورجوع الامير بشير

سنة ١٢١٣ هـ [5] شر الشويفات

سنة ١٢١٣ هـ حضور الفرنساوية من مصر الى يافا واخذها وحصار عكا (بقيادة بونابرت)

سنة ١٢١٥ هـ حكم الامير عباس (شهاب) الوجيز

سنة ١٢١٩ هـ [6] وفاة احمد باشا الجزار في عكا

سنة ١٢١٩ هـ حكومة اسماعيل باشا بعده في عكا برأي ضباط العسكر وحصار عكا

---

(١) تبتدىء في ٩ آب من سنة ١٧٩٣م

(٢) تبتدىء في ٢٩ تموز من سنة ١٧٩٤م

(٣) تبتدىء في ١٥ حزيران من سنة ١٧٩٨

(٤) تبتدىء في ١٥ حزيران من سنة ١٧٩٨م وتاريخ الامير حيدر يذكر قومة العامية ضد ابناء الامير يوسف لرجوع ولاية الامير بشير في سنة ١٢١٥هـ التي اولها في ٢٥ أيار سنة ١٨٠٠م

(٥) ذكر تاريخ الامير حيدر وقعة الشويفات في سنة ١٢١٥ هـ وقد جرت بين عساكر الجزار ورجال ابناء الامير يوسف وبين رجال الامير بشير واهل البلاد

(٦) وفاة احمد باشا الجزار وقعت في ٢٧ محرم سنة ١٢١٩هـ الموافق ٢٤ نيسان سنة ١٨٠٤ على الحساب الشرقي

ولاية

سليمان باشا

سنة ١٢١٩ ﻫ كانت ولاية سليمان باشا على عكا بعد محاصرته لها بمدة اقامة اسماعيل باشا فيها وهربه منها اذ كان سليمان باشا وضع الاوردي أولًا في الناصرة ثم انتقل الى كردانة وهناك انعزل ابرهيم باشا قطراغاسي الذي كان حضر بامر الدولة العليَّة ليكون والياً مكان الجزار ويكون سليمان بمعيته .

فابرهيم باشا حضر من حلب الى الشام . وكان بوقتها سليمان باشا امير الحاج بالوكالة عن الجزار . فلما توجه خبر وفاة الجزار للدولة العلية من ضباط العساكر الذين في عكا والتمسوا قيام اسماعيل باشا القدسي المذكور الذي كان الجزار قد وضعه في الحبس اخرجوه وحكموه بقصد ان يسلبوا اموال الجزار وموجوداته بهذه الواسطة اذ لا يمكنه مخالفتهم . وهكذا تمّ لانهم بمدة تسكيرهم ابواب عكا بوجه ابرهيم باشا وسليمان باشا اخذوا كل اموال الجزار وبدّدوا سائر موجوداته من غلال وحيوانات وذخائر وقنيات وجواهر وسائر الاشياء الثمينة . ولما فرغوا سائر الخزائن من موجوداتها ارسلوا قدّموا الطاعة وكان بوقتها قد مضى نحو سنة من موت الجزار وحضرت

الدونانما [١] الهمايونية من الاستانة الى عكا لاجل تطييبها وضبط موجودات الجزار صحبة راغب افندي من رجال الدولة لضبط المخلفات وأرست في ميناء حيفا . ونزل راغب افندي منها في حيفا الى عند ابرهيم باشا وسليمان باشا وقابلهما ورجع الى الدونانما وبعد يومين حضر ليلًا بالسر عند سليمان باشا واختلى معه . وصار الاتفاق بينهم ان يقدموا معروضات الاستدعاء للباب العالي بطلب المنصب لسليمان باشا . وقُبل الالتماس وصدرت الاوامر السلطانية بتوجيه الايالة الى سليمان باشا وعزل ابرهيم باشا ورجوعه الى الشام . وبموجب الاوامر قام من الاوردي [٢] وتوجه الى الشام وبقي سليمان باشا وحده

﴿ اصل سليمان باشا ﴾

وهذا سليمان باشا (كان) من جملة مماليك الجزار . ولما صارت واقعة سليم باشا كتخدا الجزار المشهورة وكان الجزار ارسل سليم باشا بعساكره لمحاربة الجبل ارسل سليمان المذكور وعلي اغا (والد عبدالله باشا الذي صار خليفة سليمان باشا) بمعيته . ولما افسد الجزار العساكر (الذين كانوا قاصدين قتال الجزار) على باب عكا تركوا سليم باشا ودخلوا عكا . فسليم باشا وسليمان باشا مع من كان يتبعهم هربوا ومعهم علي اغا وغير مماليك وابرهيم ابو قالوش الذي كان كتخدا سليم باشا . فسليم باشا بقي

---

(١) الدونانما والدونما تركية بمعنى الاسطول

(٢) الاوردي تركية الاصل ويكتبها الاتراك أوردو ويكتبها بعض كتاب العرب عرضي ومعناها المخيّم ومخيّم العسكر ويراد بها العسكر والجيش نفسه

هارباً الى الاستانة العلية وهناك نظراً لفروسيته وجماله وعقله صار له قبول عظيم وتقدم حتى صار ركبدار عند السلطان سليم (من رجال المعية) وبعد مدة توفي هناك. وحرمه وابنته وكل قنيته بقوا عند الجزار[1]

(١) لا ريب بان هذه الحادثة قد أثرت كثيراً في نفس الجزار وافقدته الصواب حتى عقبها فظائع كثيرة افسدت عليه مجرى سلوكه وسياسته مع رجال دولته والمقربين اليه وغيرهم. فلا بد لنا من تلخيصها عن تواريخ الامير حيدر ومراسلات المعاصرين للجزار من اهل عكاء فيما يأتي

في ٣ ايار سنة ١٢٠٣هـ ثار مماليك الجزار واطلقوا عليه اربع رصاصات وجرح جرحاً سليماً وهربوا الى دار سليم باشا رئيسهم الذي كان كاخية الجزار. وكان السبب لذلك ان الجزار بلغه ان بين المماليك وسراريه خنا في داره فعزم على قتل الجميع وترقب الى ان دخل بعضهم الى دار الحريم من باب السر فهجم عليهم يريد قتلهم فأطلقوا عليه الرصاص وخرجوا الى دار سليم باشا. وكان قد خرج سليم باشا بامر الجزار بالمماليك وسائر اغوات العسكر ورجالهم من الهوارة والمغاربة والارناووط لمحاربة الامير يوسف في لبنان وانضم اليه سليمان باشا متسلم صيدا وعلي اغا خزندار الجزار وكان معهم ابرهيم ابو قالوش كاخية سليم باشا. فاتفقوا كلهم وقرروا الخروج على الجزار ومحاربته وان يكون سليم باشا مكانه في عكا. ومن ثم سار سليم باشا وسليمان باشا الى صور واستولوا عليها وضبطوا جميع ايالات الجزار وحضر اليهم رؤساء عشائر المتاولة والصفدية وسلموهم امر بلادهم. وارسل سليم باشا الخلع الى الامير يوسف وطلبوا اليه ان يسير معهم على حرب الجزار فاستبشر الناس بذلك وتوقعوا انقراض دولة الجزار. ثم سار سليم باشا بالعساكر على عكاء واقام الحصار عليها. وفي ٢٨ ايار جمع الجزار كل من كان عنده من العساكر واضاف اليهم البنائين والفعلة والمحابيس واقامهم على السور وعول على النزول ليلاً في البحر والتوجه الى مصر. وكان عنده في ذلك الوقت الشيخ محمد القاضي الذي فقأ عينيه الامير يوسف وقطع لسانه وصار يستطيع

واما ابرهيم ابو قالوش فهرب مع علي اغا . فألحق الجزار الاوامر بقتلهم وعلي اغا حضر الى قصبة جبلة الادهمية من اعمال اللاذقية واختفى هناك وتزوج ابنة الشيخ نور الله من اهاليها وسلم من القتل [1] .

الكلام فاشار عليه ان يخرج الرجال الذين عنده ليلًا بالمدافع وآلات الحرب ويكبس عسكر المماليك ويتأهب للسفر فان ظفر بهم اغناه الله . والا فالسفر لا يفوته . فقبل الجزار رأيه . وأمر العسكر الذي عنده والبنائين والفعلة والحابيس بالخروج ليلًا واخرج معهم المدافع على العجلات ولما قربوا من عسكر سليم باشا اطلقوا المدافع فانتبه العسكر مذعوراً ولم يجد له سبيلًا غير الفرار فانكسروا وقتل منهم مقتلة عظيمة اكثرها من قتل بعضهم البعض . لانهم لم يفرقوا بين الصاحب والعدو وهرب سليم باشا الى دمشق وسليمان باشا الى دير القمر . ومعهم ابرهيم ابو قالوش ونفر قليل من حاشيته . فأمن الجزار بعد قتل جميع السراري والمماليك الذين بقوا في عكاء.

(١) ابرهيم قالوش او ابو قالوش دمشقي الاصل من طائفة الروم الكاثوليك هاجر مع اهله الى عكاء ودخل في خدمة الشيخ ظاهر العمر الزيداني تحت يد المقدسي ابرهيم الصباغ وزير الشيخ وصرافه. ولما تولى الجزار ايالة عكا مكان الشيخ صار ابرهيم قالوش يتسلم من قبله بعض المقاطعات من البلاد ثم جعله الجزار عمدته ورئيس كتاب ديوانه في عكاء . وكان يزاحمه على وظيفته هذه اولاد السكروج بحجة انه من طائفة وصنيعة ابرهيم الصباغ لكن كان يتغلب على هذه التهم بعقله وقوة حجته وكرمه . ولما أرسل الجزار سليم باشا الصغير لمحاربة الامير يوسف شهاب في لبنان التمس سليم باشا ان يكون ابرهيم قالوش كاخية له وان يكون معهما علي اغا الخزندار وان ينجده سليمان باشا من صيدا بعسكره . وكان ابرهيم قالوش مع شدة ذكائه وبأسه بارعاً بالانشاء والحساب وحسن الخط بكل اصنافه . فكان يسير في ركابه اربعماية فارس تحت امره مما ندر ان يكون لسواه من النصارى في ذلك العهد لا عند الجزار ولا سواه كما جاء في كتاب اقتراح الاحباب للمعلم مخائيل مشاقة المخطوط . ولما فر ابرهيم قالوش والتجى في قلعة الحصن (لا قلعة مصياف كما ذكر

وابو قالوش توجه الى قلعة مصياف من اعمال حماة . ومشايخها (بنو الحنا من الروم) سلموه بالخيانة وارادوا ان يعملوا صداقة مع الجزار فخانوا وقيعهم وقطعوا رأسه وقبلوا على نفوسهم اللعنات .

واما سليمان باشا فضاق به الفضاء خوفاً من الجزار وبقي هارباً من مكان الى مكان . وباع جميع ما كان يملك حتى ملبوسه حتى صار يمشي

المؤلف) اقام فيها مدة مع اهله . ولما تولى الجزار ايالة الشام اوعز الى بني موسى الحنا مشايخ وحكام بلاد الحصن من طائفة الروم بواسطة بني السكروج بالقبض على ابرهيم قالوش او بقتله فاخذوا يترقبونه لذلك الى ان ساروا معه الى الصيد في وادي راويل هناك فغدروا به وقتلوه وارسلوا رأسه الى الجزار مع انه كان في حماهم وذمتهم معاً في ذلك من العار عليهم . وكان الناس من اهل تلك البلاد يتغنون بهذه الاغنية لشجب خيانة بني الموسى :

دوسي يا بنتي دوسي	على لحية حنا الموسي
يحرق حنا وجدوده	اللي سلّم قالوشي

ولما تولى سليمان باشا مكان الجزار في عكا احضر اولاد ابرهيم قالوش فاقاموا في صور بخدمة حكومته فيها ورتب لهم معاشاً وافياً كما ذكر هذا المعلم مخائيل مشاقة الذي كان يعرف بعضهم في صور ودمشق . وممن كان يعرفهم في دمشق اسعد قالوش جد الارشمندريت ديتري قالوش وكيل بطركخانة الروم الكاثوليك اليوم في الاسكندرية وهو ابن حبيب قالوش . واشتهر من هذا البيت المرحوم اخوه نجيب بن اسعد المذكور بوجاهته وخدمته للحكومة في صور وبلاد الحصن واللاذقية وقد توفاه الله سنة ١٩٣٤ . وابنه يوسف اليوم رئيس خزينة حكومة اللاذقية وابنه الثاني حنا محاسب مالية طرسوس وابنه الثالث وديع خريج مدرسة الحقوق في بيروت يمارس المحاماة في اللاذقية . ولهم اقارب في فلسطين ومصر فيهم اصحاب وجاهة وثروة ممتازة . واكثرهم في الناصرة .

علی اقدامه حافیاً عریاناً مکشوف الرأس كما اخبر عن نفسه · — وانا الحقير محرر هذا الشرح سمعته من فمه — الى ان دخل الى بلاد المسكوب ومنها نزل الى بغداد بكل تعب ومشقة وجوع وقلة · وخدم عند سليمان باشا العادل والي بغداد حينئذٍ · وقام مدة هناك وما طابت له الاقامة ·[١]

واخيراً عزم ان يحضر الى عكا لعند الجزار بحال المخاطرة · فقام وحضر وبوصوله جرأ نفسه ودخل على الجزار بثياب رثة للغاية لابساً على رأسه قاووقاً مهرياً من سائر فتائله ولفته مهرية · واذ تمثل امام الجزار

---

(١) كان عند الجزار مملوكان باسم سليم الاول منهما يقال له الكبير أتى به مولاه من مصر من اول حضوره الى لبنان · ولما تولى الجزار ايالة صيدا جعله كاخية له او كتخدا في عكا · وجلب له من الدولة رتبة الوزارة مع لقب باشا · ومات سليم المذكور في الطاعون سنة ١١٩٩ هـ وحزن عليه الجزار حزناً شديداً لم يحزنه على انسان · والثاني منهما يقال له سليم الصغير اهداه الى الجزار ابرهيم بك الكبير المشهور متولي بلاد مصر ومعه مملوكان اخران فدعا الاول سليماً لشدة مشابهته لسليم باشا الاول وجلب له من الدولة رتبة الوزارة مع لقب باشا على سنجقية صيدا وجعله كتخدا له في عكا · مكان سليم باشا الكبير وكذلك دعا المملوك الثاني سليمان لقرب مشابهته له بجمال شكله وباسه وشجاعته وجلب له رتبة الوزارة مع لقب باشا وجعله متسلماً لمدينة صيدا الى ان وقعت حادثة المماليك مع سراري الجزار · وكان الاثنان مرتبطين بصداقة وحب خاص مع المملوك الثالث الذي هو علي اغا وان كان دونهما قوةً وبأساً وعافية وقد جعله الجزار لعقله ورصانته خزندار له اي صاحب الخزنة · ويظهر ان الثلاثة كانوا من بلاد الكرج · واشتهر سليمان باشا لذلك بلقب الكرجي كما اشتهر ايضاً بلقب الجزاري نسبة الى مولاه الجزار كما اشتهر ايضاً بلقب العادل لعدله نظراً الى سلفه الجزار والى خلفه عبدالله باشا كما سيأتي

بحال الذل قاطعاً الامل من الحياة فالجزار اذ نظره هكذا تحول قلبه حالّا الى الرحمة نحوه (بخلاف المعتاد) وسأله قائلًا انت هو سليمان . اجابه نعم انا عبدك . وسجد امامه . فحالاً نهض له الجزار واقفاً وقال له اهلًا وسهلًا في ابني سليمان . تعال يا ابني . تعال يا حبيبي . فتقدم سليمان وقبل ذيله فاعتنقه الجزار وجعل يبكي ويترحب به واجلسه عن جانبه . وصار يسأله عن حاله ويتلاوم عليه كيف يترك اباه كل تلك المدة . ثم امر حالًا باخذه الى الحمام بوقار الوزارة (لانه وزير) ولما ذهب للحمام دخل الجزار الى دار الحريم واخرج له بدلتين كاملتين من بدلاته ومع كل بدلة شالين كشمير وفي جيب كل غنباز خمسمائة ربعية ذهب (من العملة الدارجة في ذلك العهد) وهكذا حضر من الحمام . فامر له بفتح قوناق مخصوص (منزلًا للاقامة) ورتّب له المعاش والخروجة الكافية . ورتب له خداماً لخدمته .

وثاني يوم امره ان يدور يتفرج على عكا والورشة التي كان فاتحها بعمل السور الثاني لعكا . وطم (ردم) الخندق ما بين السورين بعد قيام الفرنساوية عن عكا . وابصر تلك المظالم التي كان يجريها الجزار على عباد الله بسحبهم من سائر البلدان للشغل في الورشة بالجبر حتى نفس اهالي عكا من سائر الاجناس (الملل) رجال واولاد ويشغلهم فيها يومياً . وكان واضعاً وقافة ونظاراً على الورشة اناساً اشراراً قساة نظيره لا يرحموا ولا يشفقوا على احد . الامر الذي جعل سليمان باشا ان يقول كما سمعت منه اني لما توجهت طائعاً للامر لاجل ان اتفرج عمي قلبي وصرت ابكي من شدة ما نالني من الغم عند نظري المظالم العظيمة

الواقعة على عباد الله وهذه القساوة البربرية . ولما رجعت لعنده صار يسألني فصرت امدحه وادعو له وانما قلبي يدعي عليه سائلاً الله ان يخلص الناس من شره .

وبعد مدة وجّه عليه متسلمية صيدا فتوجه واقام فيها مدة وتزوج ابنة ظافر وولد له ولدان ماتا في صيدا . ثم بعد ان عزله من صيدا وجّه عليه متسلمية طبريا فحضر اليها واقام مدة هناك وتزوج واحدة من اعيانها وماتت هناك .

﴿ ولاية الجزار على الشام وظلمه فيها ﴾

وسنة ١٢١٩ (١٨٠٤ م) ارسله الجزار والياً على الحاج مكانه اذ كانت ايالة الشام توجهت عليه باوامر سلطانية . وحالما توجهت عليه ارسل متسلماً على الشام من قبله رجلاً ظالماً قاسياً اسمه كنج احمد قلبه كقلبه . وامره باشعال نار الظلم في الشام . وارسل معه كم واحد من الاكراد او المجوس القساة جماعة الشيخ طاها الذي كان مرتبهم عنده لعذاب المخلوقات بالحريق والتقطيع وصنوف العذابات . وبوصوله استخدم رجلاً كردياً من عشيرة الديوانية كان مقيماً في الشام واشعلوا الظلم والعدوان على عباد الله . واخذوا يظلمون بقدر جهدهم ومكنتهم ويسلبون اموال وارواح المخلوقات . ومسكوا (محمد) الصواف (وامين) القباقيبي من خواص اعيان الشام وقتلوهم . واخذوا كل اموالهم وموجوداتهم وخربوا بيوتهم . وما ابقوا لاولادهم وعيالهم شيئاً من غناهم ومسكوا محمد عقيل وارسلوه بالجنزير الى عكا .

وبوصوله قتله الجزار . وامر بضبط سائر املاكه . وفعلوا في الشام افعالاً ما سبق مثلها . وفي هذه الاثناء توجه سليمان باشا والياً على الحج كما قدمنا . وفي غيابه سمح الله القادر بموت الجزار وتشتيت شمل اولئك البغاة الفجار فهربوا خفية من الشام تحت جناح الظلام في الليل .

﴿ خبر موت الجزار في الشام وقتل العواني علي الشماع ﴾

واما الشماع الكردي المقدم ذكره فما صار له علم حين حضور خبر موت الجزار الى الشام ليلاً لانه كان ساكناً في حارة العبارة وكان من عادته ان يقوم باكراً جداً وينزل يجلس في قهوة السلطاني التي قبال الحارة المذكورة يشرب القهوة والاركيلة بدون ثمن وحتى يترقب لمن يمر من الاولاد ليأخذ ما تهواه نفسه الشقية منهم غصباً وقهراً عن والديهم حتى ان من عمله هذا التزمت جماعة النصارى ان لا يدعوا اولادهم يمرون من تلك الارض ومنعوهم رأساً (تماماً) عن ذلك كل تلك المدة وكان من جملة عوائده الردية انه اذا نظر ولداً وطلبه وما حضر لبيته حالاً فيسأل عن والده ويطلبه منه فان تأخر الوالد عن ارساله في تلك الليلة يفقد حياته من كل بد . ولا يقبل فدى عن ذلك مطلقاً وقد قتل جملة اناس من الشام هكذا . وله ايضاً عادة ملعونة انه بعد ما يمتلئ من شرب الاركيلة والقهوة يقوم يتمشى في اسواق الشام فاذا مر على باب دكان والتفت اليها وتمايز فيها فاذا صاحب الدكان ما عمل له رزمة من خاص ما في دكانه من قماش وحرير ومقاصب وامتعة وارسلها له

(١) حارة العبارة لا يسكنها اليوم غير النصارى

في تلك الليلة يقتل صاحب الدكان وينهب ماله . وهكذا فعل باناس كثيرين من اهل الشام . حتى انهم من الكبير حتى الصغير لما كانوا ينظرون اليه كأنَّ الواحد منهم قد شاهد غضب الله بعينه بسبب ما اتعب قلوبهم

فهذا الردي لما حان اخذ انتقام منه على سوء اعماله فصباح اليوم التالي لحضور خبر موت الجزار قام كعادته ونزل الى القهوة وجلس على الكرسي ومسك الاركيلة بيده مع فنجان القهوة وكان يعلم من قبل بتشويش الجزار فقط . والخلق من شدة رعبها ما كان لهم جسارة ان تشيع ثقل حاله حتى ان الطبيب الافرنجي الذي احضروه عنده اخر حياته لينظره وبعد دخوله اليه فارقت نفسه الشقية جسده الخبيث جس يده وما عرف انه مات وطمنهم قائلاً انه طيِّب وان علامات الصحة مترجحة عن الاول . وخرج مرتعداً وجلاً من نظره اليه . وبعد مفارقته بقي اكثر من عشرين ساعة لا يجسر احد ان يدخل عليه لخوفهم منه . وبعد ما تحققوا موته فبكل سرعة ارسلوا اخبروا كنج احمد والاكراد الذين في الشام حتى يهربوا قبل ان يشيع الخبر . لكن لسبب فقدانهم الوعي ولشدة دهشتهم هربوا ولم يعوا ان يخبروا هذا المنكود الحظ . وبقي معتمداً على ان الجزار مشوش الصحة فقط . ولذلك نزل حسب عادته غير مفتكر بما اعده له المنتقم العادل . فبعد هرب المذكورين شاع الخبر في حارة القنوات بموت الجزار وابدت الناس الافراح والتهاني . والمخدرات رفعن اصواتها بالفرح . وصار المسلمون يرتلون (مع النصارى) مزمور داود النبي « هذا هو اليوم الذي صنعه الرب

نفرح ونتهلل به[١] . وخرج المختبئون في بيوتهم وغيرها بسبب المظالم التي كانت حايقة بهم وحالاً تسلم البعض منهم وخاصة الذين ادركتهم اذايا الشماع واخذوا يتجمعون ليحضروا يقتلوه . وقبل حضورهم الى بيته بمقدار نصف ساعة اذ كان مطمئناً في قهوة السلطاني كعادته كما قدمنا حضر ولد من الشاغور[٢] ومرَّ بالقهوة وهو يقول : مات الجزار . هلك الجزار . الله لا يرحم له يد . وهو يردد هذه الامثولة بصوت عالٍ . فالشماع من مجرد سماعه له ادرك حالاً ان الولد لا يقول هذا الكلام الا لكون الخبر لا شك فيه . ولا يجسر احد على اشاعته ان كان غير صحيح تماماً نظراً للاحوال الجارية ولشدة رعب الناس معما عنده من الخبر عن تشويش الجزار . فحالاً من دون توقف وبدون ان يدع احداً يشعر به سند الاركيلة على الكرسي ووضع فنجان القهوة امامها وسار بسرعة الى بيته . وبدخوله صرخ لاخته زلفا قائلاً : يا اختي اليوم يومك فالجزار مات . فاذا لم تجتهدي وتساعديني نموت قتلاً انا وانتِ . ثم تناول اربع بندقيات وزوجين طبنجات وملأهم واعطى اخته جبخانة من بارود ورصاص . وقال لها دكّي وناوليني . ونزل حالاً وقفل باب الدار بسرعة ومكنه بالحجارة وبالاشياء الثقيلة الكبيرة من ورائه . وصعد الى الاوضة في اعلى داره . ومسك بارودة بيده ووضع البقية امامه واستعد للحرب . واذ هو هكذا حضرت اليه الجموع وهجموا على

(١) لانه اتفق موته في ٢٤ نيسان صباح عيد الفصح فكان ذلك اليوم العيد الكبير عند النصارى والمسلمين

(٢) حارة الشاغور قريبة من حارة العبارة

داره . واذ وجدوها مقفلة محفوظة حاصروه فيها فاخذ يضربهم بالرصاص وهم يضربونه . ومتى فرغ سلاحه كانت اخته تعبية وتناوله اياه من الصباح الى قرب الظهر . فاحضروا سلالم ونصبوها على الدار من ناحية اخرى حيث ما امكنه محافظتها من هذه الجهة وهجموا عليه ومسكوه ورموه من شباك بيته للحارة . فاندقت رقبته وهلك . ثم ربطوه من رجليه بحبل وصاروا يسحبونه كالكلب الميت . ويصرخون قائلين : هذا هو اليوم الذي صنعه الرب نفرح الخ وكان ذلك يوم الاثنين ثاني عيد الفصح وهكذا لبثوا يسحبونه في اسواق الشام وحاراتها . والرجال والاولاد تصرخ متهللة ويرمون عليه الاقذار ويتحفونه بانواع الشتائم الى الساعة الحادية عشر من النهار . فاذ تمموا زياح جثته الملعونة ذهبوا به الى باب شرقي ودفنوه في نهر قليط المشهور [1] . ورجعوا فرحين الى بيوتهم وانتهت عنهم تلك الايام المنحوسة [2] .

---

(١) قليط نهر مشهور في دمشق تلقى فيه الاقذار وتنصب فيه كل مياه البلاليع الوسخة . راجع تاريخ مخائيل الدمشقي ص ١٤ .

(٢) كان موت الجزار يوم فرح عام شامل لكل اهل البلاد . وقد نظم كثيرون من شعراء ذلك العصر مقطعات وقصائد شائقة تاريخاً له تتضمن شيئاً من مظالمه والفرح بهلاكه . وقد ذكر منها شيئاً الامير حيدر شهاب في تاريخه المعروف مما بلغه من هذا الباب . فمن احب الوقوف عليها وعلى اعمال الجزار فليراجع تاريخه المطبوع وتاريخه الخاص للجزار وهو غير مطبوع ص ٤٠٩

﴿ ولاية ابرهيم باشا قطراغاسي على الشام وصيدا ﴾

ولما وصل خبر موت الجزار الى الباب العالي صدر الامر السلطاني الى ابرهيم باشا قطراغاسي اذ كان والياً على حلب بان يحضر الى الشام ومنها الى عكا حتى يتولى عليها ويُخرج اسماعيل باشا الذي حكم فيها بدون امر الدولة العلية . وصدر الامر السلطاني ايضاً الى سليمان باشا بان يحضر بمحمل الحج الى الشام حسب العادة . وان يكون بمعية ابرهيم باشا بمامورية عكا . فابرهيم باشا حضر بسرعة الى الشام . وقام فيها ليتجهز للقيام الى عكا . وبهذه الاثناء حضر سليمان باشا بموكب الحج الى الشام وتقابلا فيها . وبعد كم يوم قاموا بالعساكر التي كانت معهم والتي عينوها من جديد وحضروا الى عكا عن طريق جبل نابلس وفي طريقهم تعارضهم اهالي جبل نابلس وضايقوهم جداً[1] . ومن ذلك حصل لهم مشقة وشدة حيث ان عكا تسكرت ابوابها منذ قيامهم اليها واعتمد الذين

---

(١) يظهر من تاريخ الامير حيدر وتاريخ مخائيل الدمشقي ان ابرهيم باشا سار بعسكره من دمشق الى عكا بطريق حاصبيا وصيدا وصور لا بطريق نابلس كما ذكر المؤلف . وكان سليمان باشا برفقته الا انه فارقه في صيدا وسار الى عكا بحراً لاقناع اسماعيل باشا بفتح عكا وتسليمها لابرهيم باشا دون قتال . والثقلة التي نالها العسكر من اهل نابلس كانت بعد المباشرة بحصار عكا من ابرهيم باشا عند ما سار بقسم من عسكره لتحصيل مال الدورة او مال الميري من بلاد نابلس فوقع حينئذ تعديات كثيرة من قبل العسكر على اهل البلاد نقابلوهم عليها بالمثل بعد ما تحققوا انهم عجزوا عن فتح عكا كما اشار المؤلف الى ذلك بعد هذا

فيها على الحصار . فقويت عليهم بسبب ذلك عيون اهل الديرة والجوار واحتملوا منهم ثقلة شديدة . ثم جاؤوا وعسكروا على كردانه وحضرت حينئذ الدونما الهمايونية كما قلنا وانعزل ابرهيم باشا وتوجهت الايالة على سليمان باشا

وما كان ابرهيم باشا بمدة ولايته يرحم بشأن التحصيلات والمطالب الباهظة من البلاد فالديرة بما انها بوقت موت الجزار كانت على حال التالف الكلي من الظلم والجور الذي احاق بها مدة ولايته بنهبه اموالها وارزاقها وضبطه املاكها وقتل وجوهها وغالب اهاليها حتى صارت بحال يرثى لها . فالذين من اهاليها ووجوهها قُتلوا انضبط مالهم ورزقهم والذين بقوا احياء نغالبهم من الجور منهوبة اموالهم ومضبوطة ارزاقهم ، والذين امكنهم الهرب هربوا لديرة الشام وتوطنوا في جبل نابلس والقدس وعجلون والقنيطرة والكرك وغيرها من تلك النواحي[١] . وما بقي غير الفقير العاجز من المائة عشرة . فهؤلاء الضعفاء حط عليهم ابرهيم باشا بمطالبه الشاقة وما قام وابقى في الديرة رمق . بل سلب منها كل العافية حتى ان اعظم من يكون فيها لا يقدر على عشا ليلة وهكذا بقي سليمان باشا وحده محاصراً عكا بحال الفقر والضيق الكلي والعساكر مضيقة عليه بطلب علائفها كل الضيق حتى بلغ العساكر الذين في عكا غايتهم تماماً باخذ اموال الجزار وتبديد موجوداته كلها . ولما تحققوا انه لا فائدة لهم من الحصار بل يورثهم الخسارة تداخلوا مع علي اغا الخزندار والد عبدالله باشا .

(١) هذا هو السبب لتسمية اسر كثيرة باسم العكاوي لا صلة قرابة بينها .

﴿ علي اغا الخزندار ﴾

فهذا كان كما ذكرنا من مماليك الجزار وهرب مع الذين هربوا بعد واقعة سليم باشا واختفى في جبلة وتزوج هناك ابنة الشيخ نور الله . وبقي هناك مدة بحال الفقر الكلي . ولما لم يجد له طاقة على هذه العيشة التي ما اعتاد عليها التزم بان يرمي نفسه بالخطر . فقام من جبلة وحضر الى عكا وجرأ نفسه على مقابلة الجزار . وهكذا طلع بثياب رثة وبحالة الفقر الكلي . فاذ نظره الجزار عرفه وتحنن عليه وانعطف نحوه بالكلام اللين وأمر باستخدامه عنده ورتّب له معاشاً . وبما انه كان نحيف الجسم منخفض الصوت ذا طبع هادىء حاز منه تمام الرضى . وبعد مدة جعله خزندار عنده[1] واستحضر حريمه من جبلة وتوطن عكا ومات الجزار وهو فيها . ولما عصت الضباط والعساكر فيها وحكموا اسماعيل باشا لم يكن يستطيع ان يتكلم او يعمل شيئاً بل كان يقيم في بيته خوفاً منهم . ومع هذا عزموا على اعدامه . ولكن تصدى لهم ومنعهم واحد منهم اسمه بكر اغا بشناق كان من رؤساء الضباط حماه واخذه خاصته .

---

(١) الخزندار يراد بها في لغة الاتراك صاحب الخزنة الامين عليها من قبل الوزير . وهذه الوظيفة كانت في نظام الحكومة التركية القديم في ذلك العهد من اهم الوظائف بعد الكتخدا او الكاخية . وصاحبها له شأن عظيم وكلمة نافذة لا ترد . ولهذا السبب غلب على علي باشا المذكور وعلى ابنه عبد الله باشا لقب الخزندار .

﴿ المعلم حييم كيف كان وكيف حضر لعكا ﴾

وكان معه المعلم حييم الصراف الذي كان قد استحضره الجزار من الشام . فهو من بيت فارحي وابوه يسمى شحادة فارحي . وقد اذاه الجزار جداً وقاسى منه اشد الشدائد اذ قطع منخاره وقلع عينه اليسرى وما اطلقه من خدمته اذ كان عاقلاً من اعقل اهل زمانه . وبرهان وفور عقله انه تصرف مع الجزار كل مدة حكمه وسلم من القتل[1] مع كونه ما احد خدمه وسلم من القتل سوى الشيخ طاها الكردي وجماعته على ما قدمنا ذكرهم . وهؤلاء حصلوا على العناية الخاصة من الجزار لرداوة اعمالهم . فاذ مات الجزار تحرك ضدهم غضب الله . وفي نهار قتل الشماع في الشام اجتمع الضباط عساكر عكا بعد دفن الجزار ومسكوا الشيخ طاها المذكور وقتلوه شر قتلة[2] مع كم واحد من رؤساء الاكراد المنافقين

---

(١) اكبر برهان على وفور عقله المنزلة العالية التي حازها عند كل وزراء عكا والوظيفة السامية التي تولى امرها في عكا كل مدة ولاية سليمان باشا حتى كان شريكه بالرأي في اكثر امور الايالة . بل كان هو وكل رجال دولته اذا تعذر عليهم مشكل صعب رجعوا اليه والى دهائه طوعاً او كرهاً فكان يحله على غاية ما يرام كما سنرى في سياق هذا التاريخ مع انه كان له حساد واضداد كثيرون من كبار رجال حكومة سليمان باشا واخصهم علي باشا . والبعض يكتبون هذا الاسم حايين والاصح ما جرى عليه المؤلف الذي لا بد وقف مراراً على امضاء صاحبه بخط يده

(٢) اتفق كبار عساكر اسماعيل باشا وقتلوا الشيخ طاها وولده وجملة من اتباعه الاكراد بسبب انه اختلس جانباً من اموال الجزار وارسلها في مراكب صحبة اولاد عمه قبض عليهم مصطفى بربر متسلم طرابلس واستوسق عليها وشاعت الاخبار في عكا ان الشيخ طاها عازم على الهرب فقبضوا عليه وقتلوه .

ودفنوه بالرمل قبال باب عكا وباقي الاكراد هربوا وتشتت شملهم وباد ذكرهم .

«المخابرة بتسليم عكا»

لنرجع الى خبر سليمان باشا فضباط العساكر لما عرفوا انه ما عاد لهم امل بشيء . وحصارهم في عكا يعود عليهم بالخسارة خصوصاً عندما نظروا الدونتما الهمايونية وتحققوا انهم ان اصروا لا يقدروا ان يصبروا على الغضب السلطاني فتداخلوا مع علي اغا الخزندار وحرروا عرض حال الى سليمان باشا يتضمن تقديم الطاعة له وللدولة العلية وهربوا اسماعيل باشا من عكا[1] . فعلي اغا اذ وجد الامر هكذا اتخذ فرصة

(١) روى الامير حيدر ما ملخصه بانه بعد توجه ابرهيم باشا الى الحاج كثر عسكر سليمان باشا في الناصرة بمن اتى اليه من دمشق فقام اغاوات العسكر الذين في عكا على اسماعيل باشا ان يخرج بهم لمحاربة سليمان باشا فخرج بهم الى شفا عمر وكان حينئذ في قرية صفورية وهي قريبة من الناصرة الف ارناووط من عسكر سليمان باشا كبسهم اسماعيل باشا وكسرهم . ولما بلغ الخبر سليمان باشا انجدهم بعسكر عظيم فرجعوا وكسروا اسماعيل باشا حتى قتلوا من عسكره نحو الف قتيل ورجع الى شفا عمر . واذ تحقق خيانة اغاوات عسكره وميلهم الى سليمان باشا هرب من شفا عمر بزي احد الدلاتية وفي مروره بقرية هناك عرفه شيخها وكان سابقاً محبوساً معه في سجن عكا فقبض عليه واسلمه الى سليمان باشا فارسله هذا مقيداً الى الاستانة فقيل حينئذ شعر تاريخاً لقتل الثلاث

ما خلت يا حول حتى نلتُ فيك منى	قصدي واشفيت قلباً كان موجوعا
واهلك الله فيك الظالمين ولم	يعد الى الجور والعدوان تمكينا
فتكت في ذلك الجزار ثم لقد	الحقت فيه رجيماً كان ملعونا
ذاك اليزيدي طاها من طغا وبغا	أرّخ واضحى بك اسماعيل مسجونا

مناسبة لصالحه اذ لاحظ ان الضباط صاروا مضطرين لتقديم الطاعة ونظراً لصداقته مع سليمان باشا ووحدة حاله معه لان الاثنين من مماليك الجزار جعلوه واسطة . وغير ممكن وجود واسطة افضل منه ولاحظ من وجه آخر ان سليمان باشا صار بغاية المضايقة من ضيق المعاش وخراب البلاد بوجهه . وباكثر من ذلك لمضايقة عساكره له بطلب علايفهم وعدم امكانه وفاء شيء منها . فارتبط علي اغا مع العساكر بوعده لهم ان يبقوا في وظائفهم ورتبهم وان يسألوا وفور الانعام ويحرّروا الى سليمان باشا عرض حال بتقديم الطاعة ويلتمسوا ان يكون علي اغا في عكا بوظيفة كتخدا له وهو اي سليمان باشا يقيم في صيدا كرسي المنصب . وبهذا الوجه يقدمون له الطاعة ويسلمون له عكا . ثم ان علي اغا حرَّر اعراض منه لسليمان باشا وابان فيه انه احتمل اتعاباً ومشقات كثيرة اياماً طويلة حتى استطاع على تليين عريكة العساكر وجعلهم بجال الطاعة . والوجه الذي توفق معه بعد الجهد قدّم فيه عرض حال عمومي ولا يتم خلافه . وجعل له جملة وجوه صعبة حتى يلزم سليمان باشا بالقبول لهذا الرأي وانه يشتغل في عكا بهذا الشأن بكل غيرة حتى يكون سليمان باشا تحت جميله .

فلما وصلت الاعراضات الى سليمان باشا جاوب بان هذا غير ممكن ابداً . وخلاصة الجواب اني انا وزير السلطان . والسلطان منة منه وجه علي منصب ايالة صيدا . وامرني باخذ عكا والاقامة فيها . وعكا قلعة السلطان وليست هي قلعة العساكر حتى يفعلوا فيها ما يريدوا . وكفاهم اذا حصلوا على الامان بعد ما فعلوه . فان كان مرادهم الطاعة والخلاص

من غضب السلطان والعفو عما مضى يجب ان يتركوا هذه الاعمال المنافية شروط الخادم لمخدومه والعبد لمولاه . واذا كانوا لا يريدون الا البقاء على حالهم فالسلطان بعونه تعالى قادر على استخلاص قلعته منهم وقصاصهم بما يستحقون على اعمالهم . وانا مقيم على باب عكا لا اتحوّل عنها ما لم افتحها بعونه تعالى رغماً عنهم واستقيم فيها بحسب الامر السلطاني والسلام

﴿ مقابلة علي اغا اسليمان باشا ﴾

فلما وصل لهم الجواب ضعفت عزائمهم وباستصواب رأي المعلم حييم قدموا عرض حال ثانياً باستعطاف خاطر له وحوّلوا معانيه لوجوه غيرها وابقوا الطلب نظير الاول . لكن جعلوه موقتاً . وانه فيما بعد على كل حال سعادته صاحب المنصب فالمحل الذي يستحسن الاقامة فيه فالامر له . فجاوبهم كالاول جزماً بعدم سماع مثل هذه الاقوال . فحينئذ علي اغا تدارك القضية خوفاً من ان تذهب من يده الفرصة وينكشف قصده فقام وذهب الى سليمان باشا بشفا عمر التي هي بعيدة عن عكا نحو ثلاث ساعات وقابله هناك وجعل انه لولا زيادة مساعيه ما تم الامر . ثم استأذن منه بالعودة بحجة ان لا تتغيّر ارآء الضباط بغيابه واراد ان ينزل حالاً الى عكا ليوطدهم ومتى تم له الامر يعرض لسعادته حتى ينزل الى عكا . وهكذا نزل علي اغا الى عكا . وثاني يوم طلع المعلم حييم وقابل سليمان باشا . ولما نظر زيادة مضايقة العساكر له وشدة حتمها بطلب العلائف ووضعها بلوكباشية من قبلها على جادر

(صيوان) الوزير لئلا يهرب ووضعها سبعة عشر بلو كباشي من عند كل ضابط واحد يحافظوا على المعلم حنا العورة كاتب العربي عند سليمان باشا خاف جداً وعمل صنوف الحيل وبخفة الرجل استأذن ورجع الى عكا . والعساكر عملوا يومئذ كل شناعة بالمضايقة على الوزير وكاتب العربي المذكور . وكانوا قد تحركوا قبلاً بشدة وطلبوا علائفهم وعزموا ان يقتلوا الوزير وينهبوا ماله . ولما قاموا ليتمموا عزمهم بلغ ذلك كنج يوسف اغا الذي كان سر الهوارة وكان من كبار ضباط العساكر المذكورين نهض حالا من جادره مجرداً سيفه وحضر مع ضباطه وتعرض للقاصدين قتل واذية الوزير وكاتبه بالشتائم والكلام القاسي قائلاً لهم باقسامات غليظة كل من تقدم او تفوه بكلمة فانا خصمه . من انتم يا كلاب حتى تتعرضوا لوزير السلطان وتتجاسروا عليه . فقالوا له بدنا علائفنا . فقال لهم لما تفتح عكا وتتم المأمورية اطلبوا حقوقكم . وجافاهم بالكلام حتى خافوا ورجعوا . انما وضعوا حفظة على الباشا وكاتبه كما قدمنا وبقوا هكذا يتفاخرون بالمضايقة الى ما بعد رجوع المعلم حيم بيومين

﴿ فتح عكا ودخوله اليها ﴾

حضر عرض حال من ضباط عكا ومن علي اغا الخزندار يلتمسون به من سليمان باشا ان يشرف الى مقر حكومته وارسلوه له ليلاً وبوصوله استعد للقيام مع دائرته . وانما احتساباً من ان يعرف الضباط ويمنعوه ويتطلبوا منه حقوقهم كتم الامر بينه وبين كاتبه المعلم حنا ثم

قام الباشا مع كم واحد من دائرته وكاتبه وجعلوا ذواتهم كانهم يريدون الكزدرة في ناحية كردانة وابقوا الخيام بما فيها وصيوان الوزير وضمنه صناديق الخزينة لكن فارغة . فالمحافظون على الخيام اذ نظروا قيام الوزير وحده بدون ان ياخذ معه شيئاً ظنوا انها شمة هواء كالعادة فما تعرضوا ولا سألوا . ولما خرج الوزير ومن معه ليلاً من الخيام استعملوا السرعة الكلية . ومع شروق الشمس وصلوا الى باب عكا وفتحوا لهم ابوابها ودخلوها وصعد الوزير حالاً الى ديوان الحكم وجلس فيه .

﴿ اول ما فعل بعد الفتح ﴾

واذ حضر ضباط العسكر الذين في عكا وقبلوا اذياله امرهم بالاقامة في محلات محافظتهم ثم اعطى الامر الى الضباط الموكلين بحفظ الاسوار التي فوق البوابة ان يمنعوا دخول اي كان من الاوردي . ثم امر البوابين ان يقفلوا باب القلعة ويفتحوا باب الخوخة فقط[1] ولا يدعوا أحداً يدخل سوى الفلاحين الذين يحضرون لبيع الخضر والاشياء اللازمة للاكل لبيعها في عكا . وما عداهم لا يمكنوا احداً من الدخول . ثم امر حالاً بتحرير قائمة فيها اسماء ضباط عسكر الاوردي وقائمة اخرى فيها اسماء الضباط الواجب طردهم اذا حضروا الى باب عكا بدون ماندا[2]

---

(١) المراد بباب القلعة باب مدينة عكا لان عكا كانت تعتبر قلعة . والخوخة مدخل صغير في الباب الكبير يعبر فيه الافراد دون ان يفتح الباب كله .

(٢) حوالة مالية لقبض المعاش المرتب للجند مستعملة عند الاتراك من الايطاليان او الافرنج تعريب (Mandat)

ولا علائف . واذا ارادوا ان يستعملوا العسف يضربوهم ويعدموهم . وقائمة باسماء الذين يجب ان يعطى لهم نصف علائف وقائمة باسماء البعض منهم الذين يجب ان يعطى لهم ربع علائف . وقائمة باسماء البعض الذين يجب ان يعطى لهم علائف كاملة . وقائمة باسماء البعض الذين يسمح لهم بالدخول الى عكا والاقامة فيها . وقائمة باسماء البعض الذين لهم اذن بالدخول الى عكا ليأخذوا منا لوازمهم ويخرجوا ولا يسمح لهم ان يبيتوا فيها . بل يجب ان يرجعوا الى معسكرهم . ثم امر بان تتحول العلائف للذين امر لهم بالعلائف سواء كانت كاملة بالكامل او بالنصف او بالربع على البلاد من اموال الميرة الباقية عندهم . وامر باصدار مراسيم خصوصية الى البلاد التي تحول عليها ان يدفعوا المطلوب بحسب مكنتهم واقتدارهم . واذا ما قبل العساكر معهم بذلك يطردونهم الى الموسم . واذا بدا منهم ادنى ثقلة يسمح للاهالي ان يضربوهم ويطردوهم من الديرة . ثم ارسل اوامر لسائر الديرة يخبرهم باسماء الضباط المطرودين ليطردوهم اينما توجهوا ولا يدعوهم يقيمون في محل واعطاهم نفساً تاماً عليهم .

وبعد ان رتب ذلك جميعه كما قدمنا امر باطلاق مدافع القلعة معلنة البشارة (بحكمه) فانضربت المدافع من سائر اطراف القلعة .

﴿ ما جرى في المعسكر ﴾

واذ سمع ذلك ضباط الاوردي نهضوا من نومهم وسألوا عن الوزير . فقال لهم المحافظون منهم عليه انه توجه ليلاً مع بضعة انفار

للنزهة وما اخذ معه شيئاً وباقي الدائرة بعد توجه الوزير من الاوردي صاروا يتسرقون واحداً واحداً واثنين اثنين وثلاثة ثلاثة ويحضروا الى عكا ماشين بدون ان يدعوا احداً يشعر بهم حسبما اوعز اليهم . فضباط العساكر لما سمعوا هذا الجواب مع المدافع عرفوا ان الوزير توجه خفية الى عكا وتأسفوا جداً . فهجموا بغضب شديد على صيوان الوزير وفتحوا صناديق (صحاحير) الخزينة حتى يضبطوا الاموال والتحف فوجدوها مقفولة على سجادات عتيقة بليانة وشقف بسط نظيرها وقطع لباد وما شاكل ذلك . فاخذوا يلعنون بعضهم بعضاً وكل منهم يلقي الذنب واللوم على رفيقه . ثم تجمهروا حالاً وركبوا خيلهم وذهبوا غارة على عكا قاصدين ان يهجموا عليها لينالوا مأربهم من الوزير حسبما صورت لهم خسافة عقولهم .

﴿ طرد العساكر عن باب عكا ﴾

وبوصولهم وجدوا الابواب مقفولة في وجههم . فلما تقدموا الى باب القلعة ليدخلوا عنوة صرخ بهم العساكر من على الاسوار وامروهم ان يرجعوا . فاجابوا نحن عبيد افندينا ونريد ندخل نهني . سعادته بالنصر وبالمنصب . وقد احتملنا معه تعباً ومشقة زائدة ونظير هذه الاقوال . فاجابوهم لا يسمح لاحد منكم ان يدخل الان . وقد امر افندينا ان ترجعوا لخيامكم الى حين يصدر لكم الامر . وان ما رجعتم بالهين وبرضاكم ترجعوا غصباً . وان عاسفتم فنحن مأمورون ان نضربكم بالرصاص . واذا ما فعل معكم الرصاص فنحن مأمورون ان نضربكم

بالمدافع . وان لم تصدقوا كلامنا فبعد دقيقتين ان تعوقتم نضربكم بهذا الرصاص . واشهروا عليهم البواريد . فاذ نظروا وتحققوا ذلك رجعوا بحالة الخزي والحيرة غير عارفين كيف يتصرفوا . فالذين كانوا قد تظاهروا بالجسارة والقباحات على الوزير تحققوا ان هذا جزاء ما قدمت ايديهم . وتحيروا كيف يعملوا لان اعمالهم سدت في وجوههم ابواب الفرج . وما وجدوا طريقة سوى الالتجاء الى بعض الضباط رفاقهم الذين ماتظاهروا بالقباحة نظيرهم وكان لهم عند الوزير ميل وقبول في الاوردي مفتكرين ان بواسطة اتحادهم معهم ينالوا نعمة الرضى . لكن هؤلاء وان كان لهم نوع من الامل لذلك فلم يخلوا من ذنب باتحادهم مع اولئك الاشقياء اما خوفاً من شرهم واما رغبة بأخذ ما لهم من العلائف . ولما نظروا ان التنبيه واقع على الجميع ارتدوا كلهم عن باب عكا بالقوة . واخذا يلومونهم لعدم ادراكهم شر عواقب اعمالهم . ولبثوا هكذا ثلاثة ايام في خيامهم . وفي اليوم الرابع حضر البعض منهم الى عكا . ولما ارادوا الدخول منعوا عن الدخول . وصاروا يسألونهم كلاً بمفرده . من انت فيقول فلان . فان كان من المسموح لهم بالدخول والاقامة في عكا يتركوه يدخل . وان كان من المطرودين يفهموه ان يأخذ جماعته ويذهب في سبيله بدون ان يمر على قرية من قرى ايالة صيدا . ويفهموه انه صدرت اوامر بحقهم لكل البلاد بانهم اي محل دخلوا اليه يشتموهم ويقتلوهم ويأخذوا موجوداتهم ويطردوهم . واذ كثير منهم لم يسمعوا هذا التنبيه ودخلوا بعض القري وارادوا ان يثقلوا علي الاهالي بطلب الاكل والشرب كانهم لم

يزالوا معيَّنين بخدمة الباب اكلوا من القتل شيئاً كثيراً حتى تهرّت جلودهم وشلحوهم وطردوهم . والذين عرفوا ذنبهم وساروا بدون ان يمروا على قرية من قرى الايالة سلموا . ومع ذلك فان الاهالي بسبب ما ذاقوا منهم من الثقلة بمدة الاوردي اذا نظروا عسكري ليس بيده امر لم يسلم منهم . واما الذين امر لهم بالعلائف فبوصولهم الى باب القلعة يسألونهم عن اساميهم ويعرفونهم فيعطوهم مراسيم التحويل ويفهموهم كيفية صدور الاوامر بحقهم ويصرفوهم . حتى انصرف هكذا كل العساكر التي بالاوردي وخرب واحضروا خيامه وموجوداته الى عكا . واستراح بال سليمان باشا من هذا القبيل وتوطد في منصبه .

﴿ نشر مناشير الامان وبشاير العدل ﴾

واذ توطد في منصبه وزال قلق باله امر باطلاق المناداة بالامان والامن والعدل وامر باصدار اوامر التبشير لسائر محلات الايالة ونشر بيارق العدل على جميع العباد واطلق المحبوسين وسد ابواب المظالم التي كان فاتحها الجزار . ثم صار يرسل اوامر الامان لكل الراحلين من البلاد ويلزم مشايخها بالمعروف بجلب النزاح ويرسل لهم الكتابة اللازمة لتطمينهم وبذل غاية جهده في هذا السبيل حتى انه اصدر اوامر الى جبل نابلس وسنجق جبل عجلون وغيرها بجوار ايالة صيدا من الذين حصلوا بضيقات كلية بسبب الحروب التي كان يفتحها عليهم الجزار وكذلك وطد الامير بشير الشهابي في حكومة جبل لبنان كله وفتح له سبيل الامان وانتركين لكي يستريح فكره ويقدر بواسطته ان

يؤمن غيره ويستجلب الهاربين ويرد النازحين من بلادهم الى اوطانهم بالامن والراحة . وكان جلوسه في تخت حكومة عكا وايالة صيدا في اواخر سنة ١٢١٩ واول سنة ١٢٢٠ هجرية[1]

﴿ تأمين مشايخ المتاولة ﴾

في هذه السنة اخذ يتعاطى استجلاب المشايخ المتاولة وتامينهم وهم فارس الناصيف واخوته وسائر مشايخ بيت علي الصغير الذين قتل الجزار والدهم ناصيف ومشايخ المناكرة والصعبية واخذ منهم حكم البلاد بالسيف وطردهم منها ووضع فيها متسلمين من قبله . فالمشايخ المذكورون بسبب ما جرى على والدهم وبلادهم واملاكهم هربوا واختفوا بعضهم في بلاد بعلبك وبعضهم في جبل عكار واستقاموا مدة طويلة بحالة الاختفاء . ثم تجمعوا وحضروا الى ديرتهم واستعملوا الطياحة وصار اسمهم طياح اي قطاع الطرقات فدخلوا بلادهم واختبأوا وصاروا يطلبون من البلاد مال ميري وذخائر . والقرية التي تقدم لهم مطلوبهم بالسهولة والكتمان بدون ان يعرف احد بذلك تسلم من شرهم والتي تتردد عن اجابة مطلوبهم او يعرف احدهم عن محل وجودهم ومكمنهم في تلك الليلة يحضروا اليها وينهبوها ويقتلوا مشايخها ويتوجهوا لمحل كمينهم . ولبثوا هكذا كل مدة حكومة الجزار الذي عين عساكر كثيرة كان يسميها السردلة وارسلهم ضدهم الى بلاد المتاولة . ثم عين عساكر من المتاولة انفسهم

---

(١) في اول نيسان سنة ١٨٠٥

وما صار منهم نفع لان العساكر كانت تحضر للتفتيش عليهم فيكون المشايخ في آخر الوعرة او طرفها والعساكر في اولها فيدخلوا ويخرجوا ولا يعرفوا بهم ويظنون انهم ليسوا فيها فيذهبوا يفتشوا عليهم في غير مكان وما يستفيدوا شيئاً . وبقيت هكذا بلاد المتاولة كل مدة حكومة الجزار اي كانوا يدفعون مال ميري وذخائر للجزار وتكاليف للمتسلمين والعساكر السردلة الذين يدعون انهم يحافظون عليهم . ويدفعون مال ميري وذخائر للمشايخ المذكورين ومن يتبعهم الذين يدعون ان البلاد بلادهم واهاليها عبيد لهم .

﴿ مظالم الجزار للمتاولة ﴾

وعدا ذلك كان الجزار مجرداً عليهم سيف الظلم وياخذ رجالهم الى ورشة عكا (بالسخرة) ويعاملهم مثل معاملة فرعون الظالم لبني اسرائيل بالقساوة الشديدة . وكم وكم من المئات منهم قتلوا في الطريق بالناقورة لما كان يحشرهم السائقين لهم بسرعة الجري . فمن شدة الضرب كان يحشر بعضهم بعضاً وبسبب ضيق الطريق هناك كانوا يسقطون في البحر بالخمسين والستين وما يسأل ولا يرحمهم احد . وبوصولهم الى ورشة عكا كانوا يستعملون معهم شدة القساوة وكم وكم ماتوا من شدة القساوة . ومن ذلك انه في احد الايام كان الوقافة على الورشة بامر الجزار واضعين فلاحين من بلاد بشارة بمحلٍ بين السورين يشتغلون فيه بعضهم يحفرون الاساس وهم نحو مئتين وثلاثين نفراً والبقية يسحبون التراب بالحبال في القفف من الاساس . فاتفق ان انقلع القسم

الاعلى من الارض وصار الذين فوق يصيحون على الذين في الاساس ليسرعوا بالخروج قبل ان ينطبق عليهم التراب . وكذلك صارت الصيحة من الوقافين ومن الفلاحين اقاربهم الذين كانوا في عكا . واذ سمع الجزار الصيحة وعرف سبب ذلك اذ كان هناك انتهر الجميع ان يسكتوا قائلاً لهم دعوهم اذا كان الله قتلهم ما لكم وما لهم . ومنعهم ان يخرجوا احداً منهم . وسقط حائط الاساس وانطبق على الجميع وقبرهم كلهم احياء . وما خرج احد منهم . وهكذا كانت معاملته الوحشية لهم .

فاذ لاحظ سليمان باشا هذه الحال والمظلمة العظيمة الواقعين فيها بالتزامهم ان يدفعوا المال الميري والذخائر مضاعفة للحكومة وللمشايخ ولاحظ ضعف حال البلاد ولاحظ بالخصوص ان المشايخ ليس لهم حيلة او مهنة يتعاشون منها ولا لهم ملك يقوم بمعاشهم يكتفوا به ولا هم مثل بقية الناس وليس لهم صنائع يشتغلوا بها ولا تعودوا على المتاجرة ولا عندهم مال يتاجروا به ولا احد يركن لهم ويسلمهم ماله ولا يمكن ان يتسولوا . بل بالحري يهون عليهم الموت بكل سهولة ولا التسول . حيث انهم من آبائهم واجدادهم تعودوا على الحكم والكرامة والجاه ورفاهية المعيشة . فلاجل هذه الاسباب كلها لاحظ حسناً انهم اذا لم يتداركوا امرهم ويعمل لهم طريقة حسنة لا يمكن ان يرجعوا عن هذا . واذا داوموا على اعمالهم تخرب البلاد ولا يستفيد شيئاً مما باشر بعمله لتأمين البلاد والعباد واستجلاب النازحين وعمار الديرة . وشرهم او ضررهم لا يقع فقط على بلاد بشارة بل يشمل ايضاً

بلاد صفد . وبالاختصار كان عنـدهم قتل الانسان اهون من ان يكسروا رغيف الخبز .

فلاجل ذلك ومن كونه لاحظ بالصواب انه اذا حرّر لهم اوامر تأمين وتطمين فلا يمكن ان يركنوا له ولا يقبلوا نظراً لمعرفتهم جيداً ان افعالهم لا تقبل العفو بالهين لانهم فعلوا اشياء كثيرة بحق البلاد والعباد . ومن وجه آخر يخشوا من نفس اهالي البـلاد ان تغدر بهم وتسلمهم لاجل ما قاسوا منهم فهذه الملاحظات جميعها صيرت سليمان باشا مع ميله القلبي لعمار البلاد وراحة العباد ان يستعمل واسطة حسنة لبلوغ الغاية المطلوبة وهي انه وضع في بلاد بشارة ضابط ارناووط من عمدة الضباط الذين كانوا محافظين عكا . فامره سراً ان يراسلهم ويتعاطى معهم وجوه تأمينهم وان يجعل نفسه كانه يريد ان يجعل نفسه واسطة لنيل الامان الذي يرغبونه . واذ تعاطى ذلك معهم فهم انهم لا يمكن ان يقبلوا بالاطاعة عن يده وحده لخوفهم من الغدر بحقهم بما انه ضابط عسكر مستخدم بالباب وقابل ان ينقطع خرجه بأدنى سبب ويتوجـه بحال سبيله . فبالمذاكرة معه تم الرأي انه من تلقاء نفسه يحرّر للامير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان بهذا الخصوص لـكي يحرّر لهم الامير المومى اليه ويتعاطى معهم وجوه تامينهم وتطمينهم .

وقد صودف هذا الرأي بمحله لـكون المشايخ المذكورين لما نظروا وسمعوا عن الامان الذي انتشر في البلاد وان غالب النزاح عمال تحضر الى محلاتها ويقيموا بها ويعمروها وتاكدوا الراحة الحاصلين عليها ونظراً لمـا قاسوه بهذه المدة المستطيلة من المخاوف والمشقات والتشتيت

وتضعضع الاحوال والاحتياج الكلي لان يعيشوا من سلب اموال
العباد والخوف المستديم نهاراً وليلاً ليس من الحكم فقط بل من كان
من كان قد سبب لهم الملل والضجر من حال معيشتهم . وفي ذلك
الوقت صاروا كانهم على اخر نفس وبغاية الشوق لعمل طريقة ينالون
بها الامان والراحة بوجه يركنون اليه ويرتاح فكرهم من الخوف الملم
بهم لما توجه بكر اغا الضابط المذكور من عكا بهذا الامر من سليمان
باشا . فحرر الى الامير بشير وعرفه انه حرر للمشايخ المذكورين شفقة منه
عليهم لاجل راحتهم مما هم فيه وراحة للبلاد والعباد من الاضامات
والبلايا الحاصلة لهم منهم وانهم ما اركنوا لقوله وظنوا ان تحريره لهم
مخادعة لاجل الغدر بهم ولذلك ما مالوا لقبول نصائحه . ومن كون
غايته الراحة العمومية فقط وبما ان الامير رأس سائر العشائر وعلى كل
حال المشايخ المذكورون من العشائر التي هو رأسها رأى صواباً ان
يحرر له بهذا الخصوص لكي يحرك غيرته لمعاطاة هذه القضية بحسب
حكمته . وانه يكون معه يداً واحدة بالتوسط لدى سليمان باشا بمعاطاة
الوجوه اللازمة لتأمينهم وراحتهم . وقد اتفق هذا بعد ان حرر
بكر اغا للمشايخ وجاوبوه الجواب الناشف لكن ندموا على هذا
الجواب الناشف وتأسفوا على تركهم طرف الحبل يفلت من يدهم
اذ ما عللوا جوابهم بوجوه يقدروا بها فيما بعد يملكوا غايتهم لكونهم
صاروا بحال التلف من الملل والضجر مما هم فيه من تعب الحياة
وبالاكثر من الخوف الذي استولى عليهم مع الامان العمومي الذي انتشر
في البلاد وملاحظتهم الفرق العظيم ما بين حكومة الجزار وحكومة

سليمان باشا والفرح العام بولايته ليس من اهالي ايالة صيدا فقط بل من سائر الاطراف والانحاء سواء كان بولاية الشام او ايالة غزة ويافا والقدس ونابلوس وجنين او بايالة طرابلس واللاذقية . فمن جراء ذلك التزموا بل اضطروا لان يعملوا طريقة لحالهم لينالوا بها راحتهم قبل فوات الفرصة وتأسفوا جداً على ضياع الفرصة مع بكر اغا . ولذلك استحسنوا بأن يحرّروا الى الامير بشير ويعرفوه بان بكر اغا حرّر لهم كذا وبما انه ضابط عسكر فما اركنوا لقوله ومواعيده . وربما ان تحريره لهم يكون حيلة عليهم لكي يصطادهم وينال الخير الخصوصي له من اجل هذا . كما ان جملة من ضباط الدولة الذين كان يرسلهم الجزار كانوا يتحايلون عليهم بهذه وانهم لا يمكن ان يركنوا لاحد سواه بما انه رأس العشائر وله الغيرة التامة على ابناء العشائر . فأن رأى حسناً ان يضع يده بهذا الامر ويتعاطى المداخلة والتحرير الى سليمان باشا بخصوصهم فهم يسلموا زمام امرهم له . واوضحوا بتحريرهم هذا انهم يريدوا ان يفهموا هل يريد يتعاطى امورهم حسب مرغوبهم ام لا .

واتفق وصول هذا الاعراض الى الامير بشير مع وصول تحرير بكر اغا المنوه عنه . فاذ اطلع الامير على التحريرين وجد ذلك فرصة اتخذها من توفيقات الباري تعالى واستعملها لبلوغ الغاية باستجلاب حب وميل سليمان باشا له . ولاحظ بالصواب ان معاطاة قضية مهمة نظير هذه توجب زيادة الفوز والاعتبار وتمكين حب وميل سليمان باشا له . وانه باول حكومته سبق وخدمه خدمة هكذا نصوحة بها عمار البلاد وراحة العباد . ثانياً انه ينال بها دوام التقدم على سائر عشائر الديرة

وطاعتها الدائمة . ثالثاً انه ينـال الاشاعة الحسنة ان سائر العشائر بطاعته وبكل وقت يقدر ان يطوّعها ويعصّيها . والحاصل انه لاحظ بالصواب جملة فوائد حسنة تنتج له بالوقت الحاضر والمستقبل من مقارشة هذه المصلحة ومعاطاتها . فلذلك بادر بكل سرعة لارسال الشيخ جرجس باز (الذي كان كتخداه) الى عكا جاعلاً في فمه الكلام اللازم اعراضه وتقريره بهذا الخصوص . واصحبه بعرض حال منه بحسب رسومه وعادته .

انه متوجّه من طرفنا عبدكم الشيخ جرجس باز يعرض لمراحمكم ما يقتضي . فنتوسل لعواطف دولتكم انعطاف الخاطر الشريف لسماع وقبول ما يعرضه .

واذ حضر الشيخ المذكور الى عكا فقبله سليمان باشا بكل كرامة واظهر له كل الميل ثم قرر له ما تحمل لحافظته . وبعد مذاكرات كلية انحظ سليمان باشا بالباطن من مداخلة الامير بهذه القضية وبالظاهر استعمل شامة الحكم والرصانة وعدم الخفة . وبنوع ما اظهر الصعوبة بقبول التماسات الامير بشير العديدة بخصوص المشايخ وتنازل لان يقبل بعضها . والاثنين استعملوا المحارفة على بعضهم بهذا الخصوص لان الامير بشير التمس مطاليب صعبة معلومة انها لا تقتبل وهو يعرفها جيداً هكذا وانما قصد بذلك توسيع المقال فاذا قبلت كلها او قبل بعضها يمتن المشايخ بانهم لاجل التجائهم اليه فعل معهم هذه الخدمة العظيمة التي ما كانوا يؤملون ان ينالوا بعضها لولا التجائهم اليـه ووضع يده بامورهم وبذلك يجعلهم كانهم صاروا من رعيته . واذا بعد الجهد ما

قُبلت فيمنّن سليمان باشا بانه لاجل خاطره ارغمهم بقبول اوامره حسبما شاء وانه لولا مداخلته بامورهم وانقيادهم له لا يمكن ان يقبلوا ولا يقدموا الطاعة . وبذلك ينال زيادة الفوز والشرف . ومن جملة التماساته بخصوصهم ان يعطى لهم الامان التام وان ترجع لهم املاكهم وحكومة البلاد كما كانت اولاً اي ان يتصرفوا بها كما يشاؤون ويدفعوا عنها مال مقطوع فقط وان لا تقبل عليهم شكاية عما مضى ولا في المستقبل وان يكونوا احراراً في بلادهم واعمالهم بدون تسلط عليهم من طرف احد . فهذه الالتماسات ما قبلت من سليمان باشا غير انه ما قطع معه الامل بعدم قبول اعطاء راحتهم .

﴿ الخوري رسول السلام والصلح ﴾

وبتكرار المراجعة صار استحسان سليمان باشا بارسال الخوري سابا كاتب الذي هو من رهبنة دير المخلص وكان يومئذ بعكا . فنظراً الى اشتهار الخوري المذكور بالعلم والفلسفة والحكمة (وحسن التصرف بلطف حديثه) أرسل من قبل سليمان باشا لعند الامير نظراً لميل الامير للاب المذكور كانه حضر لعنده لاجل الزيارة (من تلقاء نفسه ويستطيع) ان يستعمل الوجوه (المناسبة) للتكلم معه بهذا الخصوص ونظراً لحب المعلم حيم للاب المذكور (يستطيع ان) يوري الامير انه يمكنه لاجل خاطره يتوسط بتدبير القضية على يد المعلم المذكور . وهكذا توجه الخوري المذكور واستعمل الحكمة وحسن التوسط وغيّر الامير الاراء

الاولى معه وخففوا الالتماسات المطلوبة سابقاً ثم حضر الخوري سابا عائداً الى عكا وقرر ما تم بينهم ثم رجع ثانياً الى عند الامير وبعد رجوعه صارت

---

(١) كان الاب سابا المذكور قبل ان ترهب من كتاب ايالة صيدا وقد تهذب باداب اكابر الاتراك على يد والده نقولا الذي كان رئيس كتاب الايالة وتخرج بالاداب العربية على يد بعض العلماء من شيوخ الاسلام فيها . وبعد ان ترهب ذهب الى رومية وتخرج في مدارسها العالية بالعلوم الفلسفية واللاهوت بنجاح تام نظراً لحدة ذهنه ورغبته الشديدة بتحصيل العلوم . وبعد انجاز دروسه قضى في رومية وغيرها من مدن ايطاليا بضع سنوات كان على اتصال مع كبار علماء وفلاسفة عصره الى ان عاد الى لبنان سنة ١٨٠١ وكيلاً للرئيس العام الخوري باسيليوس عطا الله خوري دمياط . ولما انتخب الاب باسيليوس المذكور مطراناً لصور سنة ١٨٠٥ خلفه في دمياط الاب سابا الى ان انتخب رئيساً عاماً سنة ١٨١٢ . ثم تعين مطراناً لحلب سنة ١٨١٣ خلفاً لمكسيموس مظلوم بامر الكرسي الرسولي الروماني فاعتذر ورفض . ثم انتخب مطراناً لزحلة خلفاً لمكاريوس الطويل الذي ارتقى حينئذ الى كرسي البطركية فرفض وتنازل عن حقه بالانتخاب الى صديقه المطران اغناطيوس عجوري الحلبي . ولما مات البطريرك مكاريوس الطويل كاد يتفق المطارنة على انتخاب الاب سابا خلفاً له بالاجماع العام سنة ١٨١٦ فاوعز الى المطارنة المخلصيين منهم وغيرهم من اصحابه فانتخبوا الخوري موسى القطان بدلاً منه ودعوه بطريركاً باسم اغناطيوس . فلا عجب ان ينال الاب سابا هذا المقام الفريد عند المعلم حييم والامير بشير وسليمان باشا ورؤساء عشائر المتاولة كما ذكر المؤلف وسيأتي الكلام عنه باكثر ايضاح . ومن الروايات المنقولة بالتواتر عندنا ان الاب سابا كان السمير الخاص للامير بشير والشيخ بشير جنبلاط والمعلم حييم حتى انه اذا طال غيابه عنهم في دير المخلص ارسلوا يطلبونه . ومن المعلوم عندنا انه كان استاذاً للمعلم بطرس كرامة الحمصي الاصل ابن وطنه شاعر الامير ومديره المشهور . وهو الذي قربه اولاً الى الشيخ بشير ثم الى الامير بشير بان اختاره معلماً لابناء الامير حتى بلغ بعد ذلك ما بلغ لدى امير لبنان .

المداولة بينه وبين الامير على القرار الذي استحسنه سليمان باشا واودعه لحافظة الخوري سابا وانه غير ممكن ان يتم سواه بوجه من الوجوه . فان شاء الامير ان يضع يده بهذه المصلحة وان يأخذ للمشايخ الامان التام بموجبه كان به . والا فلا يتداخل بهذه القضية وليتركهم يفعلوا ما يريدوا . بل اذا اراد ان يساعدهم ايضاً فلا بأس . فكلما يقدر عليه من مساعدتهم فليفعله والمستعان بالله عليهم وعليه .

﴿ شروط الصلح ﴾

واذا كان الامير يتعهد باستجلاب دخولهم في قيد الطاعة والانقياد حسب المرغوب فالامر الذي يريده بالامان والرأي الذي يركنوا له يعطى لهم حسب مرغوبهم . ويعطى لهم محلات من اقليم الشومر لاجل معاش كل منهم قدر لزوم معاشه بشرط ان يقيموا فيها ويدبروها بالفلاحة والزراعة وياكلوها معافاة بدون ان يدفعوا عليها لطرف الميري شيئاً وتكون لهم ولذريتهم من بعدهم مفروزة القلم ممنوعة القدم من دون معارض ولا منازع . وان يترأس عليهم بصفة شيخ مشايخ الشيخ فارس الناصيف ليتعاطى امورهم ومصالحهم وفصل الدعاوي فيما بينهم . واما اذا بدا من احد منهم او جرى بينهم مادة جسيمة فتعرض له وهو يتوسط فصالها مع الحكم بها . واذا أحدٌ بدا منه نقيصة ووجب عليه القصاص الحكمي فيطلب منه اي من الشيخ المذكور . واذا فر هارباً فيطلب جلبه منه ولا يقبل له عذر . ولا يكون للشيخ فارس ولا لغيره منهم ادنى مداخلة في بلاد بشارة اي مناطعات جبل تبنين وجبل هونين

وساحل معركة وساحل قانا ومرجعيون ومقاطعة الشقيف وبعض قرايا مقاطعة الشومر ومقاطعة اقليم التفاح ولا يتداخلوا بهذه المقاطعات لا بحكومة ولا بفلاحة ولا زراعة ولا باخذ ولا عطاء بوجه من الوجوه . والذي يتداخل منهم باحد القرايا فلا تسمع له دعوى وتسمع عليه الدعوى .

فهذه الشروط توجّه بها الخوري سابا كاتب وتذاكر مع الامير بشير فيها . وبعد مداولات كثيرة قر الرأي فيما بينهما عليها . والامير اعطى التعهد للخوري سابا بها اذ حرر اعراض على يده الى سليمان باشا بالتعهد ان يبذل جهده بانفاذ امره . وهكذا حرر الى المشايخ المتاولة وعرّفهم عن زيادة الاجتهاد الذي بذله بشأنهم وجعل لهم ان الشروط التي ذكرت هنا قدم الالتماس بها ووهّم عليهم انه لولا خاطره ما كان سليمان باشا قبل بذلك . والمذكورين نظراً للحال التي هم فيها مالوا حالًا للقبول واجابوه بالمديح والثناء واظهار الممنونية التامة واوضحوا له واكدوا انهم تحت امره بكلما يريده ويرسمه .

وبحضورهذا الجواب ارسل الامير حالًا معتمده الشيخ ابرهيم نعمة والتمس للمشايخ صدور مرسوم الامان والرأي على دمهم ومالهم وعيالهم واولادهم وخدمهم واقاربهم وكل من يتعلق بهم واظهار الرضى التام عليهم وتركينهم من سائر الوجوه . وبالحال سليمان باشا اصدر الامر المطلوب وتوجه به الشيخ ابرهيم نعمة . وبوصوله ليد الامير ارسله للشيخ فارس الناصيف واستدعاه لعنده . فحضر هو واخوته والبعض من كبار المشايخ . وبعد اقامتهم يومين للراحة طلبوا باقي

اقاربهم المشايخ ونزلوا جميعاً الى عكا بكفالة الامير بشير . وارسل الامير صحبتهم الشيخ جريس باز كتخداه . وبوصولهم لعكا استقبلهم سليمان باشا بكل بشاشة واكرام ونهض قائماً للشيخ فارس الناصيف واجلسه الى جانبه وأمر له بالجبق والقهوة ومثله لكامل المشايخ ما عدا الجبق . وهكذا استقاموا ساعة زمان وقاموا حاصلين على غاية المجابرة . وأمر لهم سليمان باشا في قناق واسع [1] ضمن عكا . ونصبوا على ظاهره جادر [2] كبير للشيخ فارس وامر لهم بترتيب صفر ماكولات ثلاث مرات في كل يوم لهم ولاتباعهم ومن معهم بزيادة مع عليق خيلهم اليومي .

﴿ عقد الصلح ﴾

وبعد ثلاثة ايام استحضرهم وصنع معهم ديوان حافل بحضور كتخداه علي اغا والد عبدالله باشا وحضور راغب افندي مأمور الدولة العلية الحاضر لاجل ضبط مخلفات الجزار وبحضور قاضي عكا ومفتيها والمعلم حييم الصراف والمعلم حنا عوره كاتب العربي وكان الشيخ جريس باز وكيلاً عن الامير بشير وحصلت المذاكرة بينهم . والوزير تكلم اللازم واوضح لهم رغبته بعمار البلاد وراحة العباد وقطع دابر الفساد والمفسدين واوضح لهم ايضاً شفقته عليهم لما نالهم بالايام السالفة ورغبته القلبية لراحتهم بما انهم رعاياه . وتوضحت الشروطات المقتضي القيام بها من الطرفين وزيد عليها شرط آخر وهو حيث انهم مزمعين ان

(١) القناق والقوناق تركية يراد بها المنزل الخاص بالضيافة .
(٢) الجادر تركية ايضاً بمعنى الخيمة والصيوان .

ينالوا راحتهم التامة ويحصلوا على معاشهم فهم ملزومين ايضاً بكل وقت متى لزم الامر الى طلبهم برجال العشائر لمحاربة احد المحلات يجب عليهم ان يحضروا بدون تردد ولا عاقة ولا طلب علائف نظير باقي العساكر وذلك نظير الشرط الملتزم به امير جبل لبنان . فالكل ابدوا الدعا لحضرة السلطان وللوزير واظهروا الممنونية وانهم خاضعون طائعين لكل اوامر سعادته ويفدوا انفاذها بدمهم ومالهم ورجالهم قابلين لكل الشروط المدرجة منة وكرماً من سعادته بدون استحقاق لها . وهكذا بعد جملة اقوال لطيفة حصلت من الوزير وجماعته ومأمور الدولة لهم ومنهم للمشار اليهم انفك المجلس وتوجهوا لقوناقهم على غاية الابتهاج .

وثاني يوم استحضر سليمان باشا الشيخ حسن شيت وامره ان يتوجه عن امره لعند الشيخ فارس الناصيف ويفهمه ان يوزع بمعرفته وخبرته قرايا اقليم الشومر على المشايخ كل منهم قدر لزومه بالعدل والانصاف من دون ميل ولا انحراف يوجب الخلل والقال والقيل بين العشيرة . بل ان الكل يرتضوا بالقسمة بالمساواة والحب ما عدا ثلاث القرى الكبار وهي قرية الصرفند وقرية نصار وقرية ميس يبقوا من المقاطعة المرقومة تابعين الميري . وباقي قرى الشومر تتوزع لهم معاشات . وان يعملوا بذلك دفتر ممضي من جميعهم يُعلم منه ان التوزيع حصل برضى واتفاق الجميع حتى لا يحصل فيما بعد خلل ومقالات .

فتوجه الشيخ حسن وافهم الشيخ فارس الناصيف مضمون امر الوزير واخذ معه من دفاتر الخزينة اسماء قرى اقليم الشومر المقتضي

توزيعها . وحالاً الشيخ فارس جمع باقي المشايخ وباسرع وقت حرّروا
دفتر بعلم توزيع القرى المرقومة على الجميع . واولها قرية الزرارية صارت
للشيخ فارس وختموا كلهم على الدفتر وقدموه عن يد الشيخ حسن
شيت لسعادة الوزير . وسعادته اجتمع حالاً براغب افندي مأمور الدولة
العلية وبعد المذاكرة تم الرأي ان يقدم الاثنان الالتماس للعتبة العلية
ويلتمسوا امراً ملوكياً مؤكداً لتقرير هذا الترتيب مثبتاً له . واوضحوا
به زيادة الاتعاب الشاقة الحاصلة على الرعايا وعدم المكنة من استنقاذها
من شرور المذكورين بخلاف هذا الوجه . واوضحوا زيادة التعب
والعناء الذي احتملوه حتى اتفق معهم هذا الامر الذي به تحصل الراحة
العمومية للعباد والبلاد . وسيّروه حالاً صحبة جفت تاتار[1] مخصوصين
والتمسوا سرعة الجواب . وبعد مسيره صار كل يومين يتوجه الشيخ
فارس لعند الوزير ويشاهد منه غاية الميل والمسايرة والانس والملاطفة .
ويوماً عن يوم يتزايد تلطفه له الى ان زال من قلب الكل كلما كانوا يخافوه
ويتزايلوا منه ويحسبوا حسابه . وبتلك الاثناء حضر الجواب من
جانب الباب العالي بقبول الترتيب المذكور واستحسانه والمديح على
غيرتهم وسعيهم الحميد باعطاء راحة العباد وعمار البلاد وتأمين ابناء
السبيل . فحالاً امر الوزير بتحرير البيلوردي العمومي اللازم بافراز
الاقليم المذكور من دفتر الميري بالايالة وايضاح توزيعه بالاسماء[2]

(١) كان البريد السلطاني لذلك العهد ينقله سعاة من الططر يسيرون به اثنين اثنين قبل ان تترتب مصلحة البوسطة على طريقة ممالك اوربا . والجفت تركية بمعنى اثنين .
(٢) باسماء اصحابها ولعله يريد اقسامها قراريط .

والقراريط وان يكون مفروز القلم ممنوع القدم لهم ولذريتهم بعدهم الى ما شاء الله . واخذ منهم سنداً مدرجاً به الشروط المشروحة قبلاً مكفولاً عليها من الامير بشير الشهابي ومشهوداً فيه من مأمور الدولة العليـة وقاضي ومفتي عكا وتسلم لسعادة الوزير . وهم استلموا المرسوم المذكور . وعند ذلك امر الوزير بالباس الشيخ فارس الماصيف خلعة فاخرة من فرو سمور تعلن بانه شيخ مشايخ العشيرة واعطائه انعام خمسة الاف غرش وعشرة غرائر حنطة وعشرين غرارة شعير بمرسوم تحول لمتسلم بلاد بشارة باعطاء ذلك . ثم امر بالباس باقي المشايـخ كلاً منهم فروة سمور تعلن الرضى وألبس الشيخ جريس باز خلعة فاخرة وألبس حسن شيت والسيد امين العالم مفتي بلاد بشارة . وعلى هـذا المنوال توجهوا فرحين مسرورين حاصلين على غاياتهم ومرغوباتهم مطمئنين على دمهم ومالهم وعيالهم . وبخروجهم من عكا ارسلوا قدامهم المبشرين لسائر البلاد ففرحوا الجميع بذلك فرحاً عظيماً وحالاً حضروا لاستقبالهم وعملت الافراح في منازلهم واستولوا على الاقليم وكل منهم استقام في محـل معاشه سالماً آمناً . واهـالي البلاد فرحوا فرحاً عظيماً لخلاصهم من تلك البلايا التي كانت مصادفتهم منهم .

﴿ خبر طرد بكر اغا ارناووط من الخدمة ﴾

الا انه حيث كما قيل ان النفس امارة بالسوء والانسان دائماً من دأبه النكث والرداءة . فبعد مدة يسيرة بكر اغا ارناووط المنوه عنه بما انه من طبعه يحب الحركات والمقالات اراد ان يجدّد صحبة ومحبة

بينه وبين المشايخ فصار يكاتبهم مورياً اياهم انه شريك الرأي مع سليمان باشا وانه قدير على كل شيء عنده . فلاجل جر النفع لنفسه اخذ يتداخل معهم بدسائس ومقالات ويفتح لهم ابواب الفساد لان يطرحوا نفوسهم بها . وبهذه الاثناء اتفق قتل جريس باز من الامير بشير ولا بد انه صار من ذلك قلق واضطراب في الجبل . فالجميع اتخذوها نعم الوسيلة فصار بكر اغا يحرر سراً للمشايخ ولعلي اغا كتخدا سليمان باشا توهيمات ليملك بها غايته لينال من المشايخ وفور المنفعة بما ان بكر اغا المذكور كان حاصلاً على الميل من طرف علي اغا المومى اليه لانه ساعده بمدة حصار عكا وخلصه من اذية اعدائه . وكان علي اغا يظنه عاقلاً بنوع ما اكثر من غيره فكان يميل اليه ورتب اقامته في بلاد بشارة مرحمة بحقه وابقى عليه بيارقه اي العساكر التي تحت رايته الخاصة [1] ظاناً انه يحقق هذه الغاية ويشكر الله عليها . فالمذكور افتكر الخلاف وبدا ينوّع الاعراضات . واخيراً بدا يحسّن بان تعطى متسلمية البلاد للمشايخ وبذلك تحصل الراحة للبلاد ويمتنع الخلل

---

(١) كانت الحكومة العثمانية الى ذلك العهد على نظامها القديم حكومة عسكرية للحرب والقتال . وكان رجال الادارة فيها حتى اخرهم من الضباط . ومن ثم كان مدير ناحية بلاد بشارة ضابطاً من بلاد البشناق (la Bosnie) وتحت يده وامره عدة فرق من الجند ولكل فرقة بيرق او راية خاصة وكان يفوض اليه تعيين عددهم ومعاشهم . والمراد بالبيارق هنا المال المرتب لاصحابها من الجند الذين كانوا في بلاد بشارة كثيرين في ايام الجزار ايام الارهاب والمخاوف لكسر شوكة زعماء البلاد رؤساء عشائر المتاولة اصحاب البلاد والحكام فيها قبل ان شرّدهم الجزار

الواقع من خوف الناس من شرهم . وحرّر للمشايخ وعرفهم بانه ساعي لهم باتمام هذا الامر . وحركهم لان يتعصبوا له ويطلبوه ويلحوا بطلبه وبتحريره ومراجعاته يحصلوا عليه . والمشايخ استمالوا لاقواله وحالًا استحضروا خليل ايوب من قرية قانا وارسلوه لعكا بهذه المصلحة[1] وبوصوله تكلم اللازم وتجاوب بالكفاية ان هذا غير ممكن . وانما اعطي

(١) خليل ايوب المذكور هو ابن الياس ايوب كان هو وابوه وجده عمدة رؤساء عشائر المتاولة من بيت علي الصغير في بلاد بشارة خلفاً عن سلف . وقد انجب خليل عدة اولاد صاروا من نوابغ رجال هذه البلاد اكبرهم سناً ابرهيم والد المرحوم خليل افندي الذي اشتهر بكرمه وعقله وعلمه والمقام العالي الذي بلغ اليه في ولاية دمشق بوظيفة مفتش الولاية مما لم يبلغ اليه احد من النصارى قبله . وخلفه في مقامه اخوه سليم وهو اول من نال الرتبة الثانية المتمايزة مع لقب سعادتلو من نصارى دمشق . ومن كبار مشاهيرهم ميشال باشا ابن خليل الذي كان الامين العام لكمرك الاسكندرية . وربما كان اشهر ابناء خليل الكبير شبلي ايوب الذي كان من رؤساء كتاب ديوان حكومة ابرهيم باشا في دمشق والحكومة العثمانية وعين اعيان الطائفة فيها بعد بحري بك وكان اخوه انطون في القدس رئيس محاسبة مالية ابراهيم باشا كما كان بحري بك في دمشق الشام وكان صاحب تجارة واسعة وغنى عظيم فيها مع اخيه سليم جد الخواجا سليم ايوب من اعيان طائفة الروم الكاثوليك اليوم . وكان انطون وسليم اخوه من اكبر واكرم المساعدين لقيام كنيسة البطريركية والدار التي في جوارها في القدس كما كان اخوه شبلي من اكبر المساعدين لقيام الكنيسة البطريركية ودارها في دمشق . وافراد هذه الاسرة منتشرون اليوم في صور وصيدا وبيروت ويافا والقدس والقاهرة والاسكندرية والمنصورة وفيهم كثيرون من رجال الفضل لا يسعنا ذكرهم . وقد نظرنا شجرة لهذه الاسرة المباركة بقلم صديقنا الخواجا وديع سليم ايوب الفرمشياني المعروف في صيدا اعتمد في تحريرها على بعض شيوخ اسرته المباركة .

الجواب ليس قاسياً لان امر تأمينهم كان من عهد قريب لئلا تحصل عندهم المزاولة من قساوة الجواب . فخليل ايوب ما لاحظ هذه الملاحظة بل افتكر بانه من هذا الجواب الاول ربما اذا حصلت المراجعة يتم المراد . فغاب كم يوم ورجع وبيده اعراض من بكر اغا واعراض من المشايخ . وبوصوله اذ قدمهم انقلب ظنه لانه حالاً سمع الكلام القاسي وأمره بان يرجع على عقبه ويقول لهم انهم اذا لم يكونوا شاكرين الله على النعمة التي حصلوا عليها فليتركوا ويقوموا يرجعوا لمحلاتهم . وبما انهم هم الذين نكثوا فالله سينكث بهم . وان معهم الامان لحين يقوموا بعيالهم واولادهم وكل من يتبعهم ويرجعوا الى الوعور محل مكامنهم بشرط ان لا يقارشوا ولا يأخذوا شيئاً من الاقليم ومتى كمنوا كعوائدهم يفعلوا كما يريدوا وحينئذٍ يعرفوا ذواتهم ان كانوا خاسرين او كاسبين . ثم حرروا الجواب من علي اغا الى بكر اغا يتضمن الملام الكلي على مداخلته بمثل هكذا قضايا واقسم له يميناً مغلظة اذا خربت بلاد بشارة حجر على حجر وما بقي فيها احد فلا يمكن ان يتم هذا الامر بوجه من الوجوه الى ما شاء الله . وبعد الان ان راجع بهكذا خصومات فلا يلوم الا نفسه . وهكذا تحرر للامير بشير بتخبير ما امتدوا اليه من كونه كفيلاً لهم . ورجع خليل ايوب بغاية الغم . وبعد ايام صدر الامر بقطع خرج بكر اغا المذكور وعزله وتصريفه من الايالة لاجل قطع دابر فساده وتحذر من ابداء ادنى حركة . فاخذ علائفه وتوجه لحال سبيله . وهكذا انتهى امر المشايخ المذكورين وسكنوا في محلاتهم من بعد ذلك وارسلوا معروضات التواقيع بالعفو عما بدا منهم

وبرّروا انفسهم بان اصل هذه الحركة ما كانت منهم بل من بكر اغا وانه تعهد باتمامها .

﴿ ترتيب قسط الدولة الذي يسميه العامة الراغبية ﴾

في سنة ١٢٢٠ بعد دخول سليمان باشا الى عكا واعطاء مرتبات العساكر كما قدمنا وتصريف الذين تصرَّف منهم وترتيب الذين بقوا ان كانوا من عساكر الجزار او من عساكر الاوردي فراغب افندي مأمور الدولة العليَّة بضبط مخلفات الجزار طلب اجرآء مأموريته وضبط دفاتر الجزار التي كانت بالخزينة . واذ كشف اولاً على اموال الجزار فما وجد شيئاً فسأل عنها المأمورين وهم علي اغا خزيندار الجزار (سابقاً) و كتخدا سليمان باشا حالاً والمعلم حييم فأفادوه ان العساكر سحبتها عن مانداتها [١] وعلايفها التي كانت مستحقة بوقت موت الجزار وبعده لحين قيام اسماعيل باشا من عكا . وان الاموال النقدية التي كانت موجودة حيث ما كفت لوفاء المطلوب اقتضى ان صرفوا الموجودات ايضاً حتى الذخائر من حنطة وشعير وغيرها من الحبوب الموجودة بالانبار والارز والسمن والزيت والعسل الموجودة بالكلار والدواب الموجودة في الاخور من خيل و كدش وبغال وجمال وبهائم وجميعها طرحوها على الاهالي وقبضوا ثمنها واندفع للعساكر [٢] . وقدموا له حسابها بالتوضيح كما كانوا مصوّرين له [٣] . فحينئذٍ اذ لم يجد سبيلاً ولا

(١) حوالة مالية من Mandat (٢) الزموهم بها وفرضوا عليهم ثمنها فرضاً

(٣) كتبوه من قبل مفصلاً

فائدة لكثرة المراجعات صمت وقبل الدفاتر .

ثم انه كشف دفاتر المطلوبات من الايالة . فبموجب الدفاتر وجد جانب مطلوبات [١] طرف الرعايا ان كان داخل عكا وان كان خارجها . فاذ عمل بمجموعها من الدفاتر وجدها مبالغ كلية وافرة وافتكر انها من اصل المطاليب الميرية واستحسن المسارعة بعمل طرائق لاستحصالها .

فسليمان باشا ومأموريه وهم علي اغا الكتخدا والمعلم حيم شحادة الصراف والمعلم حنا عوره كاتب العربي لاحظوا انهم اذا تركوه هكذا بدون ان يفهموه الواقع ولم يتلافوا الامور تخرب البلاد وتضيع احوال المخلوقات ويضيق الفرج ويضيع ما كانوا عزموا على مباشرة عمله من تأمين البلاد وراحتها وارجاع نُزّاحها ويكون كأن الجزار ما مات ولا استراحت المخلوقات من مظالمه . فاقتضى ان عملوا مجلساً بحضور راغب افندي وبعد مداولات طويلة افادوه كيفية احوال الجزار وشر احكامه وكيف كان يفعل بالمخلوقات من المظالم وكيف كان مستخدماً انجس واشرّ اهل الارض واظلم اهل الارض مثل الاكراد وغيرهم من العوانية [٢] والمنافقين وقليلي الدين الذين لا يخافون الله ولا يستحيون من الناس . وكان من دأبهم العوان والسعي بخراب البيوت بدون ذنب ولا جنحة بل بمجرد فساد اولئك المنافقين الذين حسبما تقودهم رداوة طباعهم الخبيثة متى نظروا انساناً شبعان الخبز او سمعوا

(١) الجانب بمعنى القسم والقدر في لغة العامة . والطرف بمعنى عند

(٢) العوانية جمع عواني وهو الذي يستخدمه الحاكم ويعاونه على سلب مال الرعية بالسعاية

عن انسان كذلك او كانت لهم ضغينة على انسان او طلبوا من انسان شيئاً وما اخذوا مرغوبهم منه او ما نالوا مرادهم فحالاً الخبيث منهم يحضر لعند الجزار ويقول له فلان يطلع منه هذا القدر لخزينة افندينا. ويكون الذي قرروا عنه هذا لا يملك بالفعل قيراطين من الذي اتهموه به . والجزار بدون فحص ولا ملاحظة ولا شفقة ولا خوف من الله ولا التفات لشيء بل لمجرد ميله الردي لحب المال واذية المخلوقات والقساوة الوحشية البربرية يصدر امره بمسك ذاك الرجل وبوضعه بالسجن وضبط امواله وارزاقه وكل موجوداته . ولا يصير الاكتفاء بان ينضبط كلما يملكه بل يشلحوا حريمه واولاده حوايجهم ولا يبقوا لهم سوى الذين هم لابسين له . بل يطلبوا ما يكون ذلك المنافق قرره عنه . وان تفوه بادنى كلمة عذر يُسلم الى الاكراد ويضعوه في مكنة العذاب التي هي معدودة لعذاب مخاليق الله وهناك مثل اهل جهنم يقيمون عليه العذاب القاسي بالنار وبوضع اكعاب الحديد المحماة على مصادغه وبرميه على كلاليب الحديد وبوضعه على صدورة النحاس محماة وهو عريان وبتعليقه من رجليه وتنزيل رأسهِ الى اسفل ووضع النار تحت وجهه ويدخلوا قِطَع القصب بين اظافيره . ثم كانوا بعد ساعة واحدة ونصف من الليل يفتحون ابواب (سجن) العذاب ويدخلون لابسين الهيئات المخيفة كالشياطين ويغيرون هيئاتهم فلبعضهم قرون كبيرة كقرون الجاموس ولبعضهم جلود كجلود السباع وهلم جراً ويدقون طبلة العذاب المخيفة ويجلس كبيرهم كأنه ليسفوروس ابوه ومعلمه اللعين ويرسل جنوده الخبثاء لعذاب المحابيس وهكذا يديرون العذاب

قائلين يا ملاعين ادفعوا مال افندينا الجزار . فالذي من شدة العذاب يموت يرسلونه للبحر في قفة ويرمونه . والذي من شدة العذاب يتعهد بما يُطلب منه يطلعونه بكفيل . وأيّ كائن من كفل مقبول حيث المقصود ان يقولوا للجزار طلعنا من فلان كذا اكياس الى خزينة افندينا ويحوزون منه الرضى وبياض الوجه . والرجل يطلع من العذاب على اخر نفس من حياته بحالة لا يمكن وصفها . ولا يوجد عنده شيء يداوي به نفسه ولا ما يأكله ويتقوّت به هو وعياله واولاده وهم بغاية الجوع والعري والفاقة مضطربين مشتتين الاحوال . وهكذا ان عاش فيجد دايماً مرسوماً امام عينيه الجرم العظيم [١] الذي ترتب عليه وتسجل على ذمته في دفاتر الجزار . وهكذا شدة العذابات التي ذاقها قبل ان يصير مديوناً لا يبرح ألمها من جسمه كلما افتكر انه مديون . وربما بهذا النهار يطلبون منه المال . وبما انه لا يقدر على وفاء بعض اجزائه فيطرحونه في عذاب اعظم ويكون نظير غيره كثيرين اذ كانوا مسجونين من شدة العذابات ماتوا بدون شفقة عليهم ولا على عيالهم واولادهم . وبعد موتهم ما ارتحموا بل تسجل المال على العيال والاولاد . واذا لم يكن له اولاد فعلى الكفيل الذي ترتعد فرائصه . وهكذا وهو بتصور حي يتصور انه ملق بالعذاب . وغالبهم من هذه الافتكارات المؤلمة والخوف المريع الذي كان يلم بهم انطرحوا بالامراض وباقرب وقت ماتوا وتركوا عيالهم واولادهم بحالة الجوع والعري

(١) يريد بالجرم الغرامة المالية المرتبة على الجرم الموهوم

والفاقة . و كثيرون هذا الفكر سبَّب لهم الموت السريع بدون احتياج الى امراض . واحالة هذه الجرائم التي رتبوها على هذا الوجه كانت تتقيد بالدفاتر كما ذكرنا فبعضها [١] الاشخاص الذين تجرموا بها باقين احياء وبعضهم توفوا ولم تزل مقيدة على اولادهم . وبعضها مقيدة على اولادهم . وبعضها مقيدة على كفلائهم .

وبعد ان المومى اليهم افادوا راغب افندي مأمور الدولة هذه الافادات عن المطاليب المحررة في الدفاتر واقنعوه بقوة البراهين انها ظلم وما فيها شيء من الحق الا ما قل جداً وهو مبلغ جزئي دون الطفيف من بقايا الميري في محلات خارجة وعدمانة كانت اهاليها راحلة منها لغير ايالات من شدة الظلم افادوه ان بقايا الميري المرقومة هي بنفس الامر ظلم لكون الاموال الميرية المرتبة على المقاطعات والقرايا فكل قرية موزع مالها على اراضيها وشِدّها [٢] قدر ما يكون الفلاح شادّ فدن بالقرية يترتب عليه مال ميري بحسب ممشاه وهكذا ساير القرى توزع اموالها على الممشى (ممشى الفدن) فاذا كانت مثلاً تلك القرية تكفي لممشى خمسين فداناً ويمشي بها خمسون فداناً ويكون مالها عشرة الاف غرش فيخص الفدان خمسماية غرش عدا غلال الانبار المرتبة مع غير مطاليب من عسل وسمن وغيره فجميعها تتوزع على الفدن . والسنة التي لا ينشدّ فيها خمسون فداناً بل اربعين فمال العشرة الالاف يوزعونه كله على الاربعين بالسوية . وهكذا كلما نقصت فدن القرية فمال الناقص

(١) الضمير في بعضها يرجع الى الجرائم بمعنى الغرامات على الجرائم

(٢) من شد الفدان اذا ربطه للفلاحة والمراد به مقدار ما يفلحه الفدان

يتوزع (على اهلها بالتمام) حتى لو مشي بها فدان واحد فعشرة الالاف غرش مع غلال الانبار وباقي المطلوبات المقررة من سمن وعسل وغيره كما قدمنا تطلب منهم بدون رحمة ولا شفقة . فالذي يمكن تحصيله من بعد اجراء كل التضييقات المخيفة والجرائم الشاقة الى الحوالية والمأمورين والعساكر الذين يتحولون بها عليهم من ماكولات ومشروبات وعليق خيل ورشوات التي اذا اعتبرت فتبلغ بمقدار المال المطلوب اضعافاً . والذي يبقى بعد الجهد يتقيَّد بقايا على تلك القرية . فغالب اهالي البلاد رحلوا الى غير محلَّات بالخفية اولًا من شدة الظلم ثانياً من نفاق المنافقين ثالثاً من ظلم المتسلمين والمأمورين رابعاً من شدة الخوف خامساً من تضاعف اموال الميري على الشدد كما قدمنا وتركوا بيوتهم واملاكهم من شجر زيتون وغيره وتوطنوا بمحلات لا يعلم بها احد ولا اقاربهم لئلا يعرفوا بهم ويلتمسوا من الجزار اوامر بارجاعهم . وعدا ذلك فالذين بقوا بالقرى من عدم اقتدارهم على الرحيل او طمعاً باكل ثمار املاك الذين رحلوا صاروا من زيادة ضعف حالهم يلتزموا ان يبيعوا زيتونهم بأقل الاثمان لاجل ان يدفعوا ما ترتب عليهم .

والجزار لما تحقق ذلك وفهم زيادة الدمار العظيم الذي احاق بالديرة من هذا الامر لم يلتفت الى الحال الحاصلة به المخلوقات الذي اوجب هذا الخراب الجسيم او (قلما) كف ظلمه وظلم مأموريه او عمل طريقة حسنة لراحة البلاد بنوع ما . بل اصدر اوامر مشددة بحتم كلي في سنة ١٢١٨ بعدم بيع الزيتون مطلقاً . والذي يشتري من احد

زيتون يُؤخذ منه الثمن . وعلى هذا الحال البلاد بدت تخرب والرعايا ترحل . والذين بقوا صارت تضعف احوالهم الى ان تلاشت احوال الديرة . واذا صار الانصاف والعدل بحق الرعايا وحصل الكشف على مماشيهم والاموال المتحصلة منها يوجدان الاموال التي دفعوها هي اضعاف مضاعفة عما تستحقها مماشيهم ويكون هذا الباقي ما له اسماء اصحاب يتطلب منهم وليس للميري حق بطلبه . وهو نظير الجرائم المرتبة على الاسماء المرقومة في الدفاتر كما قدمنا . واقنعوه بالاوامر المتعددة التي صدرت وعمال تصدر لحد ذلك الوقت من سليمان باشا بالامن والامان والمواعيد الكلية بالراحة لارجاع النُزّاح ثم اطلعوه على القوائم التي كانت عمال تتورد بعلم اسماء النُزّاح منهم لاجل صدور الاوامر بتأمينهم وارجاعهم لمحلاتهم .

وعندما اوردوا له ذلك جميعه اقتنع منهم بقوة البراهين لانه كان رجلاً عاقلاً حكيماً . وانما كان خوفه من الدولة العلية ان تلاحظ فيه انه لاجل قبول الرشوة اتفق مع الوالي وبدّد مخلفات الجزار وان ينتج له من ذلك الاضرار والقصاص اوجب عليه هذا الخوف ان يتصعَّب بنوع لاجل ان يجد سبيلاً موافقاً لنيل المرام بدون ان يحصل له اذى ولا يضيع عمله وتعبه باطلاً . فبعد المذاكرة بهذا الخصوص جملة مرات في جملة مجالس وتقليب الارآء المتنوعة قر القرار اخيراً ان تستخرج متروكات الجزار من دفاتره القديمة والحديثة وتتحرر باصنافها في دفتر مخصوص . وتتوضح باصنافها لحين موته من اموال نقدية بالخزينة

وغلال وذخائر ومواشي وملبوسات واسلحة وطقومة وسائر المخلفات لوحدها والديون المطلوبة للخزينة خلاف الجرائم لوحدها والبقايا من مطاليب الميرية لوحدها ومال الجرائم المطلوب من اهالي ايالة صيدا لوحده والمطلوب من اهالي ايالة الشام لوحده وايالة يافا وغزة والقدس وغير نواحي لوحده . ثم يعمل حساب العساكر التي كانت معينة (عنده) والمأمورين والخدم المرتبة والماهيات والعلائف المستحقة لهم لحين موت الجزار لوحده . وحساب الذي انصرف من بعد موت الجزار لحين فتوح عكا لوحده . وكل حساب من هؤلاء يتوضح بالافراد وينجمع . وينضاف القلمان وينظر مجموعهم وتتنزل من اصل المتروكات . ثم تضاف المتروكات النقدية والديون المستحقة من المخلفات المباعة من المتروكات من ساير الاجناس بالافراد والبيان (الشافي) ويعمل عليها مجموع واحد . فينظر مقدارها وما الذي يبقى منها ويعرف اين هو .

فانعمل دفتر منقح بالتوضيح والبيان الكافي وتسمى دفتر المتروكات الجزارية وبموجبه وجد باقياً لبعض العساكر من استحقاق علايفهم جانباً اي من بعد الاموال النقدية والديون وثمن المخلفات المباعة بمدة حصار عكا . ثم استخرج من الدفاتر علم المطلوبات الظالمية المطلوبة من المخلوقات من ايالة صيدا لوحدها ومن ايالة الشام لوحدها ومن غير ايالات لوحدها وانعمل لها مجموع واحد . ثم توضح تحتها علم الاملاك المحررة بالدفاتر ان كانت محررة ضبطاً (حبساً ومصادرة) من

ظاهر العمر واعوانه او من غيرهم[1] او ان كانت محررة انها مشتراة من اصحابها . وهذا المشترى كان قدضبط من اصحابها لان الشخص الذي كان يتجرم كما قدمنا فالبعض الذي كان يحصل له نوع مساعدة يسموها عليه مرحمة كانت تنضبط املاكه ويحسبوها بالثمن الذي يريدونه ويخصموها من اصل الجرم الذي ترتب عليه ويحرروا عليه بالجبرحجة المبيع ويسموها مشتراة بالثمن . وهذان الصنفان من المضبوطات لما عمر الجزار الجامع الكبير في عكا المسمى باسمه اوقف المحلات المرقومة مع المحلات التي عمّرها في عكا مثل السوق الجديد وغيره على الجامع المذكور والمدرسة التي ضمنه والسبيل الذي عمله على باب الجامع مقابل باب سرايته . وقد توضحت المحلات المرقومة وتوضحت ايضاً ايراداتها في قلم لوحده وتوضحت ايرادات باقي المحلات المضبوطة لوحدها ان كان في عكا او في صور او صيدا وبيروت ويافا لوحدها مع اسمائها . وانعمل حساب مصاريف

---

(١) كان شأن الحكومة العثمانية لذلك العهد اذا غضب السلطان على احد يصدر امره بقتله وضبط امواله وارزاقه بدون محاكمة ولو كان وزيراً ويمنع الورثاء من حقهم بتركته . وهكذا كان الامر مع الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد بعد قتله قد ضبطت كل امواله وارزاقه مع كلما كان في حوزة اولاده واموال وارزاق ابرهيم الصباغ كاخيته وصرافه واستلمها الجزار بعد ان تولى في عكا مكانه وتصرف في هذه الارزاق تصرف الملاك في ملكه . واذ خلفه سليمان باشا تولى عليها كذلك وتصرف بها بيعاً وهبة ووقفاً كما شاء . ومن هذه الاملاك بستان الصباغ المشهور في صيدا اشتراه المرحوم يوسف دبانة من ورثاء مصطفى بك ابن اخي سليمان باشا .

الجامع والسبيل يومي شهري سنوي بالبيان (الكافي) وتنظم بذلك دفتر موضح منقح وانختم عليه من سليمان باشا ومن مأمور الدولة الموما اليه ومن قاضي عكا وتقدم الى العتبة العلية الملوكية مع عرضحال من المأمور وعرضحال من سليمان باشا اوضحوا بهما الى الدولة العلية الكيفية بالبيان وكيف كان ترتيب الاموال المرقومة على اصحابها وكيف كان ضبط المحلات من اربابها وبنوع ما جعلوا عبارات اعراضهم تقديم التماس التحنن والتشفق على الرعايا والمخلوقات املاً بان الدولة العلية تنعطف بالشفقة والمرحمة على الرعايا وترحم المظلومين بارجاع املاكهم وتشفق على المجرمين[١] برفع تلك الجرائم عنهم وبهذه الواسطة ينالوا مأثورات رغبتهم بتأمين العباد وعمار البلاد واستجلاب دعواتهم الخيرية .

فاذ وصلت الدفاتر والمعروضات المرقومة للدولة العلية ونظروا هناك ان الاموال والمتروكات تبددت وضاعت وما بقي من مخلفات الجزار سوى الاملاك والديون المرقومة التي هي الجرائم صرفوا النظر عن سماع الشكوى وحالاً امروا بقيد الدفتر المذكور في الدر كنار[٢] الملوكي . وجاوبوا المشار اليهم بوصول الدفتر وقيده في الدر كنار . وان ما تقيد في الدر كنار الملوكي غير ممكن تغييره . وحذروهم من المراجعة بهذا الخصوص . وامروهم بكل تأكيد ان يبذلوا غاية الجهد والجد بتحصيل المطلوبات المحررة بالدفاتر باسرع وقت ويوردوها الى الخزينة

(١) الذين تحملوا الغرامة بدون حق

(٢) تقيد في السجل

الملوكية ولا يقبلوا لاحد عذراً . وشددوا عليهم الحتم القاطع بالتهديد الكلي من وقوع ادنى تهاون بذلك . وامروهم ان يلتفتوا لعمار الاملاك وادارتها وتحصيل ايراداتها . وآذنوهم ان يصرفوا منها مرتبات الجامع والسبيل كما كانت مرتبة من الواقف . وكرروا عليهم التشديد من ابداء ادنى حركة مخالفة

فلما وصلت هذه الاوامر الى المشار اليهم فالمأمور اولاً حصل عنده غم كلي منها نظراً لما كان تحققه بالعمل ان الاموال المرقومة جميعها ظلم وما فيها ادنى بارة الفرد حق وكذلك الاملاك . وكل من عنده خوف الله يشمئز ويكره مثل هذه الافعال الممقوتة بساير الاديان والملل . وانما من حيث انه مأمور وواجب عليه اطاعة الامر حفظاً على معاشه ورتبته ترك الميل جانباً ومال لانفاذ ما أمر به طالباً (تحقيق) ذلك من سليمان باشا الوالي . وسليمان باشا بما ان قلبه كان يميل طبعاً الى الرأفة والشفقة وكان متحققاً احوال الجزار وظلمه خصوصاً بعد تقلده الولاية مكانه وتأكيده ان خراب البلاد وعمارها راجع عليه . ويعرف جيداً انه اذا اراد تنفيذ اوامر الدولة بتحصيل المطلوبات تخرب البلاد اكثر من خرابها بمدة الجزار كونها لحد ذلك الوقت كانت بحال العدم الكلي كانها ما خلصت من مظالم الجزار ومخابطاته كلها بمدة ايام حكومته من دون ان تحصل على راحة ولا دقيقة . فبعد موت الجزار ادركها حصار عكا مدة سنة كاملة وتكبدها ثقلة الاوردي وثقلة ابرهيم باشا قطراغاسي وعدم شفقته . ومن المعلوم ان المريض بأول مرضه مهما كان المرض ثقيلاً ومؤلماً فلا يحس به ولا يعبأ به . وانما متى

تملك المرض به واستولى على سائر اعضائه واضعفهـا فيتضاعف يومياً ضعفه حتى انه من ادنى (حركة) تحدث عليه توجب له الهلاك والموت. فتصور بالكفاية وتحقق انه اذا اراد ان يسعى بانفاذ امر الدولة فغير ممكن يقدر ان ينفذه وما ينتج سوى خراب الديرة وعدم المخلوقات. كأن الجزار يكون باقياً بقيد الحياة وعمال يضاعف عليهم مظالمه اضعافاً مضاعفة عن مدة حياته. خصوصاً بما ان المديونين الذين بينهم اهـالي عكا ما كفى ما حصل عليهم بمدة الجزار وما تركوا تحته من الديون الى المخلوقات الذين استقرضوها منهم وما دفعوه بوقت طلب الجرم وما بقي عليهم من الجرائم التي تقيدت بدفاتر الجزار وبمدة حصار عكا بوقت ولاية اسماعيل باشا صار الباشا المذكور مع مأموريه وعساكره يطرحوا عليهم ارزاق الجزار التي يبيعونها لهم باضعاف مضاعفة عن اثمانهـا ويلزموهم بتدبير مالها بالقهر والجبر والغلبة لانهم كانوا يطرحون عليهم غرارة الحنطة مثلاً بماية غرش وهي تساوي اربعين غرشاً ويلزموهم باخذها بهذا المبلغ والذي يبقى عليهم لوفاء الثمن يبيعوا ايضاً ما يكون باقياً في بيوتهم للعساكر بارخص الاثمان والذي يبقى عليهم يستقرضوه بالفوايد ليوفوا ما يطلب منهم. وهكذا ما فتحت عكا وبقي فيها احد يقدر على عشاء ليلة. وبتلك الايام تضاعفت عليهم المصايب واخصهـا انهم كانوا محصورين بالقلعة مسلمين للذبح نظير طيور الدجاج المحشورين بالقفص. فهذه التصورات جعلت سليمان باشا ان ينحصر جداً جداً هو ومأموريه ويتضايقوا غاية المضايقة.

واخيراً بعد مذاكرات طويلة ومداولات شتى فيما بينهم قرّ الرأي

ان يتظاهروا بابداء السعي البليغ بانفاذ اوامر الدولة العلية ويحرصوا كل الحرص بان يبدو منهم ادنى اشارة منافية لذلك لئلا يضيع الغرض. وعملوا ترتيباً بان يعطوا اشارة الى الموجودين في عكا من المطلوب منهم المبالغ الوافرة بان يفروا منها برؤوسهم فقط ويختفوا بغير محلات عند اناس معتمدين عليهم امناء لحين يعملوا طريقة حسنة لتدبير امورهم. وهكذا ارسلوا لساير الموجودين خارج عكا سواء كان من اهالي المدن او من اهالي المقاطعات. ثم اعطوا اشارة ايضاً بان عند صدور الاوامر اليهم بالطلب تتحرك حالاً الرعايا بكلمة واحدة لتقديم معروضات الشكوى من ظلم الجزار واعوانه والتشكي من عدم الاقتدار على دفع بارة الفرد وان لا يخشوا من زيادة التشكي ولا يخافوا من عدم قبولهم بانفاذ الاوامر التي تصدر بهذا الخصوص. ورتبوا ان تتقدم عروضات محاضر من ساير الوجوه والرعايا بالبلدان والمقاطعات ويشرحوا بها الشرح الكافي. وهكذا المعلم حييم شحادة حرر لاخوته بالشام سراً وعرفهم ان يسعوا هذا السعي ويدعوا الرعايا تحرر عروضات محاضر ممضية من منلا افندي الشام[1] ومفتيها وعلماؤها ووجوهها وكامل رعاياها بشروحات مستوفية بنسختين الواحدة للباب العالي والثانية لمأمور ضبط مخلفات الجزار.

وبعد ان رتبوا هذا الترتيب الحسن بكل سرعة باشروا بتصدير الاوامر من سليمان باشا ومن مأمور الدولة للتحصيل طبق الاوامر

(١) الملا والمنلا بالتركية القاضي الكبير مأخوذة من مولى العربية.

الملوكية وضمن كل امر وضعوا دفتراً بعلم المطلوب من كل بلد وقرية باسماء الافراد (اصحابها) وارسلوا مأمورين من طرفهم وشددوا عليهم بحضور مأمور الدولة بعمل الاجتهاد وسرعة تحصيل الاموال والمبادرة بتوريدها اول باول وتهديدهم غاية التهديد من ابداء ادنى تهاون. وسراً اعطوهم اشارة بان لا يعملوا ثقلة على احد. وان يجاوبوا دائماً بانهم عاملين الجهد ويعرضوا عن قيام ثورة الرعايا وخراب الديرة

ثم حرروا الى والي الشام ووالي غزة ويافا والقدس محمد باشا ابو مرق وارسلوا لهم الاوامر الملوكية الصادرة باسمهم وضمنها دفاتر بعلم المطلوبات وشرحوا لهم الامر بالكفاية. وتوجهت لهذا مباشرون من قبلهم. وحرروا اعراضات للباب العالي اوضحوا بها عمليتهم وسعيهم البليغ بانفاذ الاوامر الملوكية بتحصيل المطلوبات من محلاتها والذي يتحصل يقدموه لوحده وانهم باشروا عمار المحلات وتحصيل اجرتها. وهكذا احكموا وحرروا الاجوبة بساير وجوه الصداقة. والدولة العلية قبلت معروضاتهم وجاوبتهم بالممنونية وبالمحظوظية من مساعيهم ووطدوا الظن بسهولة استحصال المطاليب المرقومة.

فاذ وصلت الاشارات لمحلاتها اخذت مفعولها بالتمام. وحال وصول الاوامر تحركت الاهالي للتشكي والشكوى وبادروا لتقديم المعروضات الكافية بزيادة عما اشير لهم حتى انتركت الاشغال والاعمال ومعاطاة المصالح وعدم الالتفات لعمار البلاد وادارة مصالحها واحكامها وما عادوا يلحقوا استماع الشكاوي المتواصلة باللسان والقلم من كل فج وعميق حتى ان المأمور انذهل عقله وتحير كيف يعمل وكيف يجاوب. وتجاسرت

عليه المخلوقات بالتشكي والصراخ والبكاء من الرجال والنساء والاولاد حتى سلبوا راحته بالكلية ونزعوا منه لذة النوم والاكل والشرب والراحة ولو ساعة . واذ كان بهذا الاضطراب من اهالي ايالة صيدا تواردت عليه المعروضات من الشام وتوابعها ويافا وتوابعها صحبة المعتمدين من العلماء والوجوه وبدوا يضيقون عليه بالكلام والتشكي فضاقت حظيرته وما ساعه الا انه اجتمع في سليمان باشا وماموريه واورد لهم الكرب الحاصل له من هذا الامر وطلب عمل مجلس مداولة ليروا عمل طريقة حسنة لفصل هذا الامر .

وثاني يوم جلسوا جميعهم وحصلت المذاكرة الطويلة بدون ان يدعوه يشعر بادنى اشارة من ترتيبهم الخفي . وبعد مفاوضات كلية اوضح سليمان باشا رغبته التامة لانفاذ اوامر الدولة ورغبته بعمار البلاد وحيرته من الواقع كون الامرين متضادين . فالمأمور من الوهم العظيم الذي دخل عليه من حال البلاد صار له رغبة قلبية ان يحرّر للدولة العلية ويلتمس طريقة مستحسنة وانما جمدت قريحته عن تصور عمل طريقة حسنة تقبلها الدولة منه وحينئذٍ سليمان باشا ومأموريه قدموا له رأياً حسناً وهو ان يعرض للدولة الواقع ويوضح اجتهاده مع الوزير بانفاذ الاوامر وانما ما تم معهم الامر حسب المرغوب لان حال دثار الاهالي اوجب عدم القبول والملحوظ من اعمالهم (انه) اذا ما حصل طريقة حسنة اما ان يخربوا البلاد رأساً واما يرفع اهلها علامة العصاوة وان يقدم المعروضات الواردة منهم بذاتها واذا استحسنت الدولة العلية عمل طريقة حسنة لصرف هذا المشكل بتقسيم الحمل فيخف حمله وربما يمكن

نقله . وذلك ان الاملاك ترجع الى اصحابها ويترتب على الايالة مبلغ معلوم بقدر الطاقة ينظم فوق المال الميري المطلوب يلزم سليمان باشا بقبوله . والمطاليب يعطى له الرخصة بتقسيطها بمعرفته ومعرفة سليمان باشا بقدر الاحتمال والطاقة وان تكون هذه الرخصة موبدة بامر شريف ملوكي خصوصي ليحفظ في خزينة ايالة صيدا . والقسط الذي يترتب على الاهالي يباشر تحصيله الوالي بكل سنة ويورده في قلم وحده للخزينة العامرة . وبخلاف هذا الوجه لا يمكن انفاذ هذا الامر . وخلاف ذلك ما عندهم (رأي)

فحينئذٍ بعد التبصر استحسنه المأمور ومن ساعته باشر تحرير المعروضات اللازمة للباب العالي على هذا الوجه وجزم بانه اذا ما صار هذا مقبولًا يصدر الامر بارسال خلافه لهذه المأمورية . فلما وصل المعروض للباب العالي وتحققوا الواقع وتأكدوا انه غير ممكن تحصيل المطلوبات المرقومة حسب مرغوبهم ما ساعهم الا ان مالوا الى قبول المعروض بامر تقسيط المطلوبات وصرفوا النظر عن قبول ترجيع الاملاك لاصحابها وهكذا صدر الامر الملوكي باعطاء الرخصة التامة بتقسيط الاموال بحسب معرفة سليمان باشا والمأمور . وان الوالي يقيد القسط في دفاتر ايالة صيدا وبكل سنة يحصّله ويرسله للخزينة العامرة في قلم لوحده . وهكذا مطلوبات ايالة الشام وغزة ويافا وغيرها . واما الاملاك فكرّروا عليه الجواب الاول بانها حيث تقيّدت بالدر كنار الملوكي فغير ممكن تغييرها . وبعد الان لا يحصل المراجعة بامرها .

فاذ وصلت هذه الاوامر صنعوا مجلساً وباشروا اولًا بتقسيط

اموال ايالة صيدا فجمعوا الباقي من مطاليب الميري فوق مجموع مال البلص واعدوهم للتقسيط بان قسطوا اولاً بقايا الميري لكل محل بقدر تحمله بحيث يمكن دفع القسط مع المال المرتب . ومن الجملة كان لحد ذلك الوقت باقياً على جبل لبنان من مال ميري وعبوديات وجرومات مبلغ ستة عشر الف كيس رومي تقسَّطت على اربع عشر سنة وتقيد قسطها السنوي فوق المال المطلوب وتعرَّف عنه الامير بشير الشهابي . وبعد مراجعات قبل به الامير وارسل سنداً بقبول القسط ودفعه لخزينة ايالة صيدا بكل سنة مع المال الميري المرتب سنوي . وهكذا باقي القرايا والمقاطعات قسطوا عليهم المال الباقي بقدر تحملهم واستحضروا وجوه البلاد وحكام المقاطعات ومشايخ القرى وبمعرفتهم حصل التقسيط والجميع قبلوا به

واما المطلوب من افراد الاهالي فالذي تحققوا عدم اقتداره بالكلية شرحوا تحت المطلوب منه ممتنع الحصول . والبقية فكل انسان قسَّطوا المطلوب منه بقدر تحمل حاله من العشرة غروش سنوي وصاعداً حتى ان البعض احتمل ان يكون قسطه الى ما شاالله . والبعض الى خمساية سنة . والبعض لاكثر والبعض لاقل . وهكذا نظموا دفتراً خاصاً عن ايالة صيدا . وحرروا الولاة باقي الايالات وعرفوهم كيفية ترتيب القسط ليرتبوا قسط المطلوبات منهم بموجبه ويسجلوها في سجلات المحاكم ويرسلوا بها سندات المصادقة . وعند تمامها قدموها للباب العالي وقبلت وتقيدت القيمة بموجبها وسمي هذا القسط قسط الدولة وعند العامة سمي قسط الجزاري والراغبية لانه صار عن يد راغب افندي .

ومن ذلك الحين صار سليمان باشا يستوليه من اربابه ومحلاته وعند خلاص السنة يحرر دفاتر بالافراد[1] وتحت كل اسم يوضع المتحصل من قسطه . والذي يكون قد توفي في تلك السنة يحرّر تحت اسمه انه توفي ليرفعوا (اسمه) من الدفتر في الباب العالي . والذي يتأكد عدم اقتداره ينشرح بالدفتر تحته انه ممتنع الحصول فيرفعوا اسمه من الدفتر في الباب العالي . والذي ينتهي قسطه يشرحوا تحته خالص وينخصم من اصل المطلوب مع باقي الاسماء المرقومة . وهكذا انمسك قلم هذه الديون طول مدة حكومة سليمان باشا . وهكذا انتهى قسط اموال الجزار ومخلفاته .

وبعدها راغب افندي اخذ خدامته عن مأموريته من سليمان باشا ورجع للاستانة العلية . وسنة ١٢٢٣ حضر والياً على حلب وارسل تحريرات المحبة لسليمان باشا والى كتخداه والى المعلم حييم والمعلم حنا عوره وارسل لكل منهم هدية ساعة انكليزية عال .

﴿ حضور بارودة هدية لسليمان باشا من بونابرته ﴾

في سنة ١٢٢٠ حضر الى سليمان باشا بارودة هدية من نابوليون بونابرته ملك فرنسا الذي كان قد حضر وحاصر عكا بوقت الجزار وذلك ان الملك المشار اليه بعد قيامه عن عكا وتوجهه الى فرنسا وتملكه وعند اخذه فرصة الراحة من الاتعاب التي كانت قد احاقت به ارسل الى الجزار بارودة مفتخرة طاقمها ذهب ابريز بصياغة مفتخرة[2] وحديدها

(١) بمفرداته واسماء اصحابها (٢) كذا ولعله يريد انها ملبسة بالذهب .

طوله زيادة عن ذراعين ونصف . وقماش الحديد نظير قماش القطيفة الحرير ومرسوم جميعه بالذهب وناهيك بانها هدية ملك فرنسا الى الجزار . فاتفق وصول الهدية ليد قنصل الاسكندرية الذي كان مأموراً بارسالها الى الجزار . فالقنصل[1] بعد موت الجزار ابقى البارودة عنده وعرّف بونابرته عن ذلك والتمس صدور امره بشأن البارودة فتجاوب بان يرسلها لمن يجلس مكان الجزار . وحين حضور الجواب من فرنسا كان تولى سليمان باشا فارسلت له وقبلها وحفظها في خزينته وكان يفتخر بها وفي الالايات والاعياد كان يحملها قدامه ايكنجي قواص باشي[2] . وبعد وفاة سليمان باشا فعبد الله باشا انعم بها على الامير بشير الشهابي حينما ارسله لمحاربة الشام بوقت درويش باشا سنة ١٢٣٦ المسماة حرب المزة .

« حصول قحط وغلا شديد وضيق على سليمان باشا »

سنة ١٢٢٠ بسبب فروغ البلاد وما نالها من الحروب بسبب اقامة الاوردي ما احد قدر على الزرع . ولذلك صار في شتوية هذه السنة غلا

---

(١) كان يتولى اعمال قنصلية فرنسا في الاسكندرية في تلك الايام رجل عسكري قدير مشهور اسمه Drovetti اختاره نابليون على شاكلته ليكون عمدة له في مصر الذي علق قلبه بحبها ليراقب احوالها او احوال اهلها واحوال الاتراك والانكليز والماليك فيها اذ كانت باشد ما يكون من القلق والاضطراب بعد سفر الفرنساويين منها قبل ان تولى زمام الحكم فيها محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ في نفس السنة التي تولى فيها سليمان باشا ايالة صيدا

(٢) الايكنجي بالتركية الثاني اي كان يحمل هذه البارودة الرئيس الثاني من حملة السلاح او القواصة .

كلي حتى ما عاد وجد حنطة لكفاية مأكولات الرعايا . وسليمان باشا التزم بان يخرج بكسماد[1] ذخيرة القلعة القديم جداً العادم (الفاسد) من السوس مع البكسماد الجديد ويعطيه لمأكول الرعايا . فكانت اهالي عكا فضلاً عن فلاحي القرايا يوضعوه بالمعاجن ويصولوه وجهين ثلاثة من السوس والدود الموجود فيه . ومع ذلك لم ينضف بالكلية فضلاً عن رائحة العفن الموجودة فيه . واستعملوا معه أكل القضامة التي كانت تحضر للتجار بالقفف . وكانت القفة تسع مقدار مد تباع باربعين فضة . وهكذا بكل ثقلة احتمل الخلق تلك السنة لحين طلعت المواسم الجديدة وانفرجت المخلوقات وتوسعت بمأكولاتها .

هذه السنة كانت ثقيلة جداً على سليمان باشا كونه اولاً لما دخل عكا ما وجد فيها شيئاً لا مالاً ولا غلالاً ولا ذخائر وعدا ذلك كان عليه جملة ديون تناولها لما كان بالاوردي على الناصرة وكردانة . وبالضرورة الكلية لما كان بالناصرة التزم ان يدخل دير الافرنج ويفتح له المحلات التي كان مودعاً بها امانات الخلق برضى اصحابها ويتصرف بالمصاغ لاجل ادارة لوازمه على سبيل القرضة وكانت يده قاصرة عن التناول من البلاد بما انها كانت خاوية خالية . وفي نفس عكا لم يكن يوجد من يقدر على دفع خمسين غرشاً لا مسلمين ولا نصارى . والتزم بالضرورة ان يحرر مرسوم الى وكيل دير الافرنج بالناصرة يحتوي تمام البوليتيكا وزيادة التنازل والرجاء بأن يعطوه العشرة آلاف غرش المرتبة على ديرهم

---

(١) البكسماد او البقساط بالتركي هو الكعك او الخبز اليابس المعروف

بالناصرة عن السنة الداخلة حتى يصرفها على ذاته . واوضح لهم شدة لزومها والاحتياج الكلي اليها .

﴿ حصول الفرج لسليمان باشا وزواجه واولاده ﴾

سنة ١٢٢١ توسع سليمان باشا نوعاً ما عن السنة السابقة لانه بقدر الامكان استجلب غلال الانبار ومطاليب الميري وصار يوفي من الديون المرتبة عليه . والذي استجلبه من الغلال خزنه بمخازنه حتى يعطي منه قوة للبلاد بالموسم الآتي . وعليه كانت كل سنة احسن من التي قبلها . فارسل خطب ابنة عقيل من اكابر الشام الذي قتله الجزار وتزوج بها . وكانت على ما قيل امرأة عاقلة وولدت له ثلاثة اولاد الواحد سمي علي بك والثاني ابرهيم بك والثالث فاطمة خانم . وهذه عقد ابوها عقدها على ابن عمها مصطفى بك الذي حضر من بلاد الكرج لعند عمه سنة ١٢٢٧ . ولما توفي سليمان باشا فعبد الله باشا ارغم مصطفى بك بطلاقها وتزوجها هو .

واما حرم سليمان باشا فعاشت اربع سنين بعد زواجها وماتت . وعلي بك عاش ست سنين وانطعن سنة الطاعون الكبير وانسم جسمه ومات . واما ابرهيم بك فمات ابن سنة وثمانية اشهر . ومنذ ذلك الحين صار سليمان باشا يتزوج سراري ويقتني مماليك .

وفي اول موسم الفلاحة بهذه السنة حرر اوامر لماموري البلاد ان يعملوا دفاتر بعلم الغلال اللازمة قوة لمزروعاتهم . وهكذا نظموا دفاتر وقدموها وبموجبها نزلت الفلاحين الى عكا تسلمت الغلال . وفلاحي

بلاد بشارة اخذوا قوتهم من انبار صور . وفلاحي الشقيف والشومر وجباع اخذوا قوتهم من صيدا . وهكذا توسع الفلاحون بغلال القوة فزرعوا بعضها وابقوا بعضها لمأكولاتهم وباعوا بعضها واشتروا بها بقراً ولوازم الفلاحة ومشوا فلاحتهم وزرعوا وتوسعوا . وكانت سنة جيدة استراح فيها سليمان باشا من تلك المشقة التي كان حاصلاً بها ونظم اموره واتقن تصرفاته .

﴿ اجتماع مجلس مشورته وتحذيره لهم من الظلم ﴾

وفي احد الايام من هذه السنة جمع كتخداه علي آغا والمعلم حيم الصراف والمعلم حنا عورة كاتب العربي وعمل معهم خلوة وقال لهم انا بمدة حياتي عانيت متاعب كثيرة واهوال جسيمة وغربة وشحطة (عناء) ومخاوف وفقر وقلة وجوع وعري وبرد وحر وقد اضطريت ان اصل الى البلاد المسكوب ماشياً على اقدامي . والان الباري تعالى جوداً منه رجَّعني وريحني واعطاني فوق مرادي وزيادة عما كنت اومل . فانا الان اشترط عليكم ان كنتم تريدون تخدموني بالصداقة . فاني لا اريد ظلم احد ولا اذية احد ولا خراب بيت احد ولا عيني بمال احد . واريد بكل جدي وجهدي سد وقفل بل محو اثار سائر ابواب المظالم التي كانت مفتوحة قبلاً بايام الجزار . وليس لي رغبة ولا حاجة الا في لقمة خبز طيبة وحصان مليح وجبق دخان طيب والكسوة الاعتيادية وامراة واحدة . ولست آذن ولا ارخص لاحد منكم ان يجمع لي مال عباد الله بالظلم والخطف والحيلة او بوجه من الوجوه . ولا اريد ان اخذ الا مالي

الحقاني المرتب بامر السلطان فقط . ولا اصير ممنوناً لمن يسعى لي بجلب الاموال الظالمة بل اصير زعلاناً منه . وها انا منذ الان أشهد الله وملائكته ورسوله علي وعليكم بهذا جميعه . وانا بري الذمة بهذه الدنيا والاخرة من كلما تفعلونه . فهل تقبلون بشرطي هذا لكي اسلمكم زمام اموري واريح فكري

فاجابوه نعم قبلنا وسمعنا واطعنا .

حينئذ قال لهم وانا سلمتكم مصلحتي بتمامها فتصرفوا بها بحسب صداقتكم وقد وكلت الله تعالى وهو نعم الوكيل . فقاموا قبلوا اذياله وانصرف ذلك المجلس

﴿ عمار سور عكا ﴾

في اواخر هذه السنة باشر سليمان باشا عمار سور الى حائط الخندق البراني وعمل باوله شونة [1] نظير قلعة صغيرة من ناحية باب عكا . وعزل

(١) المراد بالشونة البرج الصغير الذي يقام في السور . وبرج كريم برج كبير مشهور في عكا

نشر حضرة الدكتور اسد رستم في نبذة له عن اسوار عكا سنة ١٩٢٦ هذا الفصل نقلا عن نسخة المكتبة الشرقية ننقلها هنا ليقف القاري على الفرق بين نسختنا والنسخة المذكورة

سنة ١٢٢١ في هذه السنة عينها عند اواخرها سليمان باشا باشر عمار صور الى حايط الخندق البراني وعمل باوله شوطه نظير قلعة صغيرة من ناحية باب عكة وعزل الخندق اول باول وبظرف سنة وقصور تم عمل الصور لحد برج كريم الذي على البحر وخلاف الشوطة الاوله عمل شوطتين اخرتين بالصور المرقوم لاجل يطلع منه من باب السر الذي بالخندق الى البرية

الخندق البراني اول باول وبظرف سنة و كسور تم عمل السور لحد برج كريم الذي على البحر . وخلاف الشونة الاولى عمل شونتين بالسور المرقوم لاجل ان يطلع منهم من باب السر الذي في الخندق الى البرية .

﴿ قطع خرج الضابط البشناقي ﴾

باول سنة ١٢٢٢ قطع سليمان باشا خرج ضابط عسكر بوشناق اسمه عثمان اغا وهو من رؤساء ضباط عساكر الجزار الذين كانوا محافظين عكا وعاصين فيها وكان شريراً شقياً سكيراً ضعيف العقل وكان الجميع يهابونه ويطيعونه نظراً لرداوة طبعه وكان ساكناً في دار بجوار الدار التي كان ساكناً فيها المعلم حنا عورة كاتب العربي . فقد حرك يوماً رجلاً مرعشياً اسمه حسن اغا احد المعينين عند الضباط المحافظين باب عكا بان يهجم على دار المعلم حنا المذكور ويخرج منها رجلاً نصرانياً كان قد اتهمه واشتبه به انه نظر حريمه . واذ كان المذكور يتكلم مع المعلم حنا بالمعروف والادب لاجل ان يؤدب الغريم ويعذره سمع عثمان اغا الكلام من الشباك فسال عن القضية فاخبره حسن اغا . وحالا نفر فيه عثمان اغا وامره بان يدخل للدار يمسك غريمه ولا يخاف شيئاً وهو ظهره . فحمي ذاك وتشدد وهجم على الدار . واذ طلع الدرج ودخل دار الحريم رجع لعقله وندم على هجومه ونزل مخجولاً وصار يعتذر . فالمعلم حنا ثاني يوم اعرض الواقع لسليمان باشا . فحالاً تغير خاطره على عثمان اغا وامر بقطع خرجه واعطاه تحويلاً بحساب علائفه . وبذلك النهار اخرجه من عكا بكامل انفاره . وحسن اغا مرعشي استعمل التواقع وخلص

من ورطة تغيير خاطر سليمان باشا عليه

﴿ تولي يوسف كنج باشا وزارة الشام ﴾

في هذه السنة يوسف كنج الكردي الذي كان راس ضباط الديوانة[١] (دالي باش) في اوردي سليمان باشا لما كان محاصراً عكا كما قدمنا خبره بوقتها . فهذا بعد دخول سليمان باشا لعكا اعطاه حساب علائفه ومائدته بالتمام والكمال . فاخذها وتوجّه الى الشام ومن كونه غنياً صار يلتزم محلات ويدبرها بالفلاحة والزراعة ويتوفق بها ووجد ان ذلك اربح واريح له . فبهذه السنة التزم من عبد الله باشا العظم والي الشام سنجاق عجلون وتوابعه والقنيطرة والجيدور وتعاطى ادارتهم بكل جهده وحصل بتلك السنة ارباح كلية . واذ وجد نفسه غنياً نزل للشام واستعمل المداخلات مع الصرة اميني ومع رجال الدولة الذين حضروا للشام وهكذا توفق لاخذ منصب ايالة الشام ورتبة الوزارة السامية[٢] . وصار يعين عنده عساكر من جنس الاكراد الذين هم من

---

(١) ربما تكون هذه الكلمة محرفة عن الدلاتية او الديوانية اسم مدينة في العراق

(٢) كان اخص المساعدين له بهذا الشان المعلم عبود البحري المشهور حينئذٍ بحسن الانشا وجمال الخط العربي والتركي مع حسن الادارة . ومكافاة لمساعدته بذلك جعله رئيس كتاب ديوانه وجعل تحت يده اخوته واقاربه واشهرهم اخوه حنا الذي اشتهر باسم بحري بك وجرمانوس وابرهيم . راجع عن عبود المذكور بهذا الشان تاريخ الامير حيدر بطبعته البيروتية صفحة ٥٢٥ وتاريخ مخائيل الدمشقي صفحة ٢٠ . وعن يوسف باشا كنج الكتب المذكورة وتاريخ عبد الرحمن الجبرتي المجلد الرابع صفحة ٢٨٠ حيث اسهب فيه الكلام

جنسه وينصب عليهم ضباط من ذويه واقاربه . وغلاقة انتهاء ولايته نذكرها في وقائع سنة ١٢٢٥

﴿ تولي محمد باشا ابو مرق ليافا وحصار الجزار له ﴾

وبهذه السنة ١٢٢٢ كان محمد باشا ابو مرق والياً على سنجق غزة ويافا والرملة ولدّ والقدس . فهذا كان بمدة حكومة الجزار والياً على المحلات المذكورة . وبما انه كان ذا طباع شرسة وقعت الخصومة بينه وبين الجزار بسبب قرب الجوار لاجل قضايا مختصة بالقرايا المجاورة وترايدت الخصومة حتى ان الجزار عين عساكر وارسلها لمحاربته وحصاره في مدينة يافا . وصار ابو مرق يحرر شكايات للدولة بحق الجزار والدولة ارسلت تردع الجزار وترده فما سمع ولا ارتجع وابقى اورديه على حصار يافا . واذ نظرت الدولة عدم رجوع الجزار تظاهرت بالمساعدة لابي مرق [1] وصارت تمده بمراكب الغلال وبجباخانات . فمن توفيق الجزار ونحوسات ابو المرق كانت المراكب لما توصل مقابل يافا يضربها الهواء ويحدفها على عكا حتى ان مرة اثني عشر مركباً مشحونة غلال وذخائر وجباخانات من عدم امكانهم الدخول ليافا توجهوا لعكا وصاروا غنيمة الجزار . والجزار كلما نظر هذه التوفيقات يزداد

---

(١) راجع ما ذكره عن ابي مرق تاريخ الامير حيدر الذي اسهب عنه الكلام في اماكن شتى نقلاً عن المعلم نقولا الترك وغيره . وهو في الاصل من مدينة غزة كان باول امره برفقة الوزير الاعظم يوسف ضيا باشا بحملته لاخذ واسترداد مصر من الفرنساويين .

قساوة على ابي مرق ويشدد عليه الحصار ويضاعف العساكر . ثم صارت تورد على الجزار الاوامر المشدّدة من طرف الدولة بالردع وما كان يسمع الى ان حضر له اربعة عشر امراً وما انقاد لواحد منها . واخيراً حضر له امر عمومي من سائر رجال الدولة يقولون له فيه لاجل الله تعالى اشفقوا و كفوا الحرب عن الاسلام واكتسبوا راحتهم . فما سمع ولا التفت ولا اعطى جواباً لاحد . بل جوابه كان انه شدد الحصار بهذا المقدار على يافا حتى انهم اكلوا الحشرات والزبل .

ومن الجملة ان خمسة انفار من نصارى يافا من شدة ما قاسوا من بلية الحرب عزموا على الايقاع بالخطر بالهرب من الحصار . واذ رتبوا امر هربهم وعزموا على الهرب في اواخر ذلك الليل . فباليوم المقدم اشتروا راس حمار بماية وعشرين غرش واشتروا ما يلزم لطبخه وطبخوه بالخفية وتعشوا واستعدوا للهرب بالوقت المعين وكان المحرك لهم رجل منهم اسمه ميخائيل برغش من طائفة الروم بيافا ترك عياله واولاده والزم البقية بترك عيالهم واولادهم وحسّن لهم الهرب . فاذ تقدم ميخائيل المذكور ونزل قدامهم وكان قد ارتبط معهم (عاهدهم) ان ينزل اولا وربط لهم على محل قريب من السور حين يوصل اليه يعمل لهم اشارة حتى يتبعوه ويجوا لعنده ثم يمشوا سوية . فبوصوله الى اول قبر من قبور الاسلام التي في باب يافا وقع مائتاً وضاع تعبه . والبقية من رفاقه لما شاهدوه مائتاً من على السور رجعوا لمحلاتهم .

وبذلك الاثناء شدّد الجزار الحصار جداً على يافا . وحيث ما بقي عند ابي مرق شي يقدر يضاين به على الحصار فر هارباً من يافا . وبعد

هربه استولى اوردي الجزار على يافا وحالا ارسلوا بشروه بذلك . واقام فيها متسلماً وضبط باقي السناجق ووضع بها وكلاء ومتسلمين . وطمَّن الرعايا . وقدم اعراضات حالا للدولة بالاعتذار عما حصل واقسم لهم كذباً ان الاوامر الصادرة له برفع الحصار ما وصلت الا بعد فتح يافا . ولو كانت وصلت ليده قبل ذلك لكان اطاع الامر . وحيث حصار ابو المرق ما كان الا لاجل الخشونات التي بدت منه ولظامه وتعديه على رعـايا الدولة العلية فقصد استنقاذهم مـن ظامه لاجل اكتساب دعاهم للسدة الخاقانية وها انه مهد الطريق ووضع بالمحلات متسلمين موقتين تحت اوامر الدولة العلية . فيرسلوا يولوا من شاؤوا لانه ليس له طمع بالسناجق المرقومة وهكذا صرف القضية مع الدولة

﴿ سفر محمد باشا ابي مرق الى مصر ﴾

فمحمد باشا ابو المرق هرب من يافا الى مصر واستقام هناك مدة الى ان ظهر الوهابي وفعل في الحجاز ما فعل وقطع طريق الحجاج ومنع الحج جملة سنين . واستولى على بلاد الحجاز . والدولة عجزت عن مقاومته وانضاقت من انقطاع الحج طول تلك السنين . وما وجدت سبيلاً ولا توفق معها ترتيب موافق لقهر الوهابي نظراً لحال دولة مصر بتلك الاوقات لكون المماليك الغز كانوا مستولين على ذلك الاقليم وضابطيه بالغلبة والقهر . والوزير الذي كان يتولى ولاية مصر من طرف الدولة يكون آلة لا يستطيع يبدي ولا يعدي . واذا لم يوافق مشربهم يعزلوه حالا ويجلبوا غيره ويعطوه معاشه كانه صدقة منهم . والغز

المذكورين المسماين بالسناجق كانوا هم و كشافهم ومن يتبعهم ويلوذ بهم مستولين على كامل الاقليم المصري ومتصرفين بكل ايراداته . وعدا ذلك فالاقليم المصري كان منخدش بدخول الفرنساوية اليه واستيلائهم عليه قبل تلك الاثناء . وعدم راحته واستقامة احوال تلك البلاد بتلك الاوقات مشهورة . وبما انه لا يوجد سبيل لمقاومة الوهابي الا من تلك الناحية وتلك الناحية هذا الحال حالها فبالضرورة التزمت الدولة العلية ان تصرف النظر كل تلك المدة عن تمشية الحج . وانما كان ذلك بدون رضاها لمعرفتها الاكيدة ان ولاة الشام لا يوجد بهم كفاية لهذا الامر المهم الجسيم . خصوصاً بما انه بتلك الاوقات صودف موت الجزار وبشللة حال الايالتين اي الشام وصيدا بسبب حصار عكا وترتيب الاوردي لاجل اخذ عكا ولم يكن في مكنتها ان تمشي عساكر وتفتح اوردي اخر لمحاربة الوهابي وسلوك طريق الحج حيث الثلاث ايالات بحالة التلف . ومع ذلك تكبدت الدولة جملة اموال ومصارفات ومساعدة ولاة الشام وما صار فائدة

﴿ عودة ابي مرق الى يافا ﴾

فابو المرق اذ لاحظ تعذر طريق الحجاز بتلك السنتين الثلاث وتأكد تكدير الدولة العلية من هذا القبيل وتحقق رغبتها القلبية وميلها الخصوصي لفتح طريق الحج وبما ان عزله وقيامه من يافا ما كان بامر الدولة ورضاها كما قدمنا انتهز الفرصة وقدم الاعراض للباب العالي وتعهد بسلوك طريق الحج وفتح بلاد الحجاز بشرط ان

يعطى له منصب يافا وغزة والرملة واللد والقدس وان يساعدوه بالقوة لكي يباشر العملية من ناحية غزة عن طريق معان (وهي طريق الحملة المعتاد قيامها) لمساعدة الحج من سنجق غزة . فالدولة العلية صدقت افكه وحالاً وجهت عليه المنصب حسب مرغوبه واعطته سبعة الاف وخمسماية كيس خلاف مال المنصب لاجل مصاريف الاوردي الذي هو مزمع ان يمشيه على طريق الحج وفتحها . وفوّضته بالتصرف بمال المنصب ووعدته بالمساعدات التي تلزمه بعد تمشية الاوردي . والمشار اليه استلم حالاً اوامر توجيه المنصب لعهدته مع الاموال الواردة له وحضر ليافا في اول سنة ١٢٢١ وضبط المنصب كعادته واستقام فيها من دون ان يظهر شيء مما تعهد به . وكلما سألته الدولة يصوّر لها وجوهاً توضح استعداده للقيام بما تعهد به والوعد بقرب ذلك .

وما اكتفى بذلك . بل امتد بالقساوة والظلم على المخلوقات وعوض عن ان يسلك طريق حجاج المسلمين قطع طريق حجاج النصارى عن القدس . وهكذا استعمل غاية جهده بايقاع الاضرار والثقلة على زوار النصارى الذين كانوا يحضرون للقدس من سائر الاطراف ومسك عليهم طريق رام الله ورتب عليهم حوادث وباجات شاقة عدا التسلط عليهم بوقوع انواع الثقلة من جماعته الى ان انكف الزوار عن الحضور والتزم الزوار الموجودين بعدم الرجوع الى بلادهم خوفاً من الاثقال التي كانت تحصل عليهم . فرؤساء اديرة القدس والرملة ويافا حرّروا اولاً معروضات لسليمان باشا وعرفوه بالواقع والتمسوا منه المساعدة بالتحرير لابو المرق بالارتجاع عن تلك الاحوال . وسليمان باشا حباً

باستجلاب الاهالي والجوار وحسن السمعة حرَّر له مرتين ثلاثة على سبيل المحبة والنصيحة لكن بدون فائدة وما ارتجع . وحينئذ الرؤساء المذكورين التزموا بان يقدموا عليه الشكوى للباب العالي . فابو المرق اذ نظر الى تحريرات سليمان باشا ضاعف اذاياه لهم . واذ لحظ انهم قدموا عليه الشكوى للباب العالي ازداد لؤماً وتظاهر بتضاعف الاذى . والمذكورون واصلوا الشكايات وبوصول شكاياتهم تواردت ايضاً للباب العالي الشكايات من بلاد الزوار بحقه . فحالًا تحرك عليه الغضب الملوكي والعياذ بالله .

﴿ حرب سليمان باشا ضده ﴾

فاولًا صدر امر خاقاني لمحمد باشا ابو مرق يتضمَّن التوبيخ والتعذير ومن جملة ما قيل له فيه « انه لقد كثر شاكوك وقل شاكروك ولذلك صرت مستحق القصاص على ماقدمته يداك » وبعد صدور هذا الامر ازداد عليه الغضب الملوكي وصدر الخط الشريف الهمايوني بعزله وقطع راسه وتحصيل السبعة الاف وخمساية الكيس التي اخذها لاجل فتح طريق الحجاز . اذ في اوائل سنة ١٢٢٢ صدرت الاوامر الملوكية الى سليمان باشا بان يركب على يافا ويخرج ابو المرق منها ويقطع رأسه ويرسله للباب العالي ويحصِّل منه السبعة الاف وخمساية كيس المرقومة مع مال المنصب الداخل عليه . ولمعرفة الدولة ضعف حال سليمان باشا بذلك الوقت وعدم اقتداره بالكفاية على تمشية اوردي وفتح حرب مع هكذا وزير متقوياً في قلعة حصينة مثل يافا وغنياً بالمال والرجال ثم لمعرفتهم الاكيدة انهم اذا ارادوا ان يامروا والي الشام بهذه المأمورية

فلا يقدر على اتمامها نظراً لبعد المسافة وبشللة احوال ايالة الشام في تلك الاوقات ومن ثم ساعدوا سليمان باشا بارسال فرمانات عربية العبارة الى مشايخ ووجوه ومأمورين سنجاق نابلوس وسنجاق جنين وسنجاق القدس وما يتبعها مثل الخليل وبني صعب وعرفوهم بتوجيه مامورية تلك الاطراف واعطاء نظامها الى سليمان باشا وعرفوهم بان الوزير المشار اليه مامور باستيلاء على سناجق غزة ويافا وتوابعها وقتل ابو مرق وضبط متروكاته حسب خيانته الجسيمة بحق الدولة العلية وحسب كثرة المظالم التي ابداها على الرعايا وديعة رب البرايا وان يكونوا مع سليمان باشا يداً واحدة وعضداً واحداً بانفاذ المأمورية ولا يتأخروا عن السعي بمالهم ورجالهم وما يتعلق بهم بهذا المسعى الحسن المعدود كانه جهاد في سبيل الله وان يكونوا خاضعين طائعين لاوامر سليمان باشا بكلما يامرهم به . وان من اطاعه فقد أطاع السلطان ومن عصيه فقد عصيه . وهكذا فرمانات بغاية التشديد .

فبوصولها الى سليمان باشا مع الاوامر المختصة به والاوامر المختصة باهالي سنجاق غزة ويافا وتوابعها صعب عليه هذا الامر جداً لانه لحد ذلك الوقت لم يقدر يوفي الديون المطلوبة منه تماماً عن مدة الاوردي بحصار عكا . ولم تزل ايالة صيدا احوالها غير مستقيمة كما يجب . ورجالها ما اجتمعوا وما رجعوا كلهم اليها . والرعايا ما زالت تئن وتعن وتقدم شكوى القلة والفقر ومستثقلة بتدبير امورها . وقد عمل عدة وجوه ورسائل لاستجلاب راحتهم . وانما ميله القلبي لازدياد استجلاب الرضى الشريف الملوكي لنحوه جعله يوطد اتكاله على العناية الالهية

ويبذل جهده بمعاطاة الوجهين اي انفاذ امر الدولة العلية ودوام الاجتهاد بتحصيل راحة الرعية وحالا باشر بانفاذ المامورية وحرر بطلب الحاج يوسف الجرار المقيم في قلعة سانور من جبل نابلوس مع وجوه مقاطعات الشعراوية الشرقية والغربية والشيخ عبد الهادي ابو بكر شيخ وادي الشعير ومشايخ بني صعب في جبل نابلوس وجانب من مشايخ ووجوه سناجق جبل نابلوس وجنين فحضروا واعطاهم الفرمانات الصادرة لهم باسمائهم واجرى معهم الحب والالتفات واعطاهم الفرمانات الصادرة لباقي محلات السناجق المذكورة مع المراسيم اللازمة منه حتى يكونوا مع السر عسكر الذي ينصبه والعساكر التي معه يداً واحدة . وبعد ان تعهدوا له بصدق الخدامة البسهم (الخلع) واكرمهم . والبس حالاً السر عسكر رجلاً يقال له حسين اغا من اغوات دائرته وسيره بالعساكر التي وجدت عنده على طريق خان جلجولة لمحاصرة يافا . وصار من ذلك الوقت يعين عساكر ويمد بها الاوردي ويوصل لهم الاوامر بالتقوية والتشديد

فابو المرق حين بلغه خبر غضب الدولة عليه تمكن بالجباخانة والادوات والذخائر والعساكر والاموال ودخل الى يافا وعزم على الحصار فيها . فالاوردي عسكر اولاً في صحرا جلجولة ثم صار يتقدم بالمحاربة مع عسكر ابو المرق لكن وقفت يافا بوجه الاوردي والعساكر وتصعب اخذها وسليمان باشا نظراً لضعف حاله بذلك الوقت انضام بزيادة وانما التزم بالضرورة لان يخفي الكمد ويظهر الجلد . وبقدر امكانه وجهده صار يقوي اورديه بالعساكر والذخائر والمهمات . وكان حريصاً جداً بان

لا يجعل احداً يعرف حقيقة ضعف حاله .

ولما طال امر اخذ يافا تحسن عنده ان يعزل حسين آغا المذكور وينصب مكانه محمد آغا ابو نبوت الذي كان من جملة مماليك الجزار وكان متقدماً بين مماليك الجزار الذين كانوا بخدمة سليمان وكان قريب بالعمر من سليمان باشا . وقد كان يومئذٍ امين كمرك عكا وحاصلاً على الميل الكلي من جانب سليمان باشا وعلي آغا كاتخداه اذ كانوا يعدونه كواحد منهم . فهذا اذ نصبه سليمان باشا ارسله وقواه بامداد العساكر وباصدار المراسيم اللازمة الى العساكر ولسائر ديرة تلك النواحي بالتنشيط والاهتمام التام بانفاذ اوامر الدولة العلية . وبعد مسيره قد واصل الاوامر المشددة له .

مساعي ابي مرق لدى محمد علي باشا وطلب اعانته

فاما ابو مرق فمن حينما عرف بتغيير خاطر الدولة العلية عليه حرر حالاً الى محمد علي باشا والي مصر وعرفه بما بلغه وتواقع عليه بان يضع يده بمصلحته ويتعاطاها مع الدولة العلية وتعهد له بدفع كل ما يلزم . ومحمد علي باشا جاوبه وطمنه غاية التطمين وشدده واكد له معاطاة مصلحته وانه قريباً يحضر له الاجوبة المرغوبة وان يتشدد ولا يخشى من شيء . وبكل تلك المدة ما فتر ابو المرق عن مراجعة محمد علي باشا والمشار اليه كان يجاوبه ويشدده ويوعده اكثر من الاول . وهو اتكل على هذه المواعيد وضاين ثابتاً على المحاربة والحصار وتكبد المصاريف الشاقة ويوطد امله ويرسل يومياً تحريرات افكية الى اصحابه في نواحي

غزة والرملة وجبل القدس والخليل وجبل نابلوس ويعرفهم بتحريرات محمد علي باشا له ويوضح لهم ان قيام سليمان باشا عليه كان بدون امر الدولة وفعله كان كفعل الجزار سابقاً ويحرضهم على التمسك به والابتعاد عن سليمان باشا واورديه وينوّع عليهم الاكاذيب والتوهيقات ويخوفهم من العواقب. وبعض ضعيفي العقول منهم كانت تنطلي عليهم اكاذيبه ويبذلوا غاية جهدهم بافساد البلاد واضعاف قلوب الخلق المائلين مع سليمان باشا. ولذلك تضادت واختلفت الاراء بالاوردي. فمنهم من مال مع سليمان باشا وتبعه، ومنهم من مال لاكاذيب ابو المرق. ومن هذا القبيل تعذر اخذ يافا في تلك المدة.

﴿ هرب ابو مرق وفتح يافا ﴾

فلما حضر ابو نبوت سر عسكر من طرف سليمان باشا مصحوباً باوامر تحتوي التهديد والتشديد والتخويف لمن تبع ابو المرق او مال معه فالغالب تفككوا عنه وبالتوفيق الرباني حصل الاقدام والتضيق على يافا. فاذ ذاك ضاق امر ابو المرق وتحقق الغضب الملوكي عليه والعساكر المحاصرة معه انحلت عزائمهم وتحقق ان مواعيد محمد باشا له لا خير فيها ونظر ذاته انه بحالة الضيم فعمل طريقة حتى هرب من يافا واخلاها الى مصر فحالاً دخلها ابو نبوت وارسل البشاير الى سليمان باشا والمشار اليه وضع فيها ابو نبوت نظير متسلم موقتاً تحت امر الدولة وحرر حالاً للدولة بشارة الاستيلاء. فالدولة صار لها من الحظ التام سليمان باشا وانعمت عليه بتصرفية سنجاق غزة ويافا وتوابعها ما عدا

سنجاق القدس فانه سنجاق اوقاف خاحكي سلطان بالقدس والاد تبع له[1] وامر بان يتصرف بها وينصب فيها وكلاء وربطوا عليها مال ميري معلوم يدفعه لجانب الخزينة الملوكية ويتصرف بالسنجاق بشرط اعطاء راحة الرعايا ورفاهيتها بعدم الجور والظلم والتعدي عليها .

﴿ تقرير نصب ابو نبوت متسلم يافا ﴾

ثم صار الفحص عن متروكات ابو مرق فما وجد منها شي، لان الذي صرفه بمدة الحصار ذهب والباقي اخذه معه وهكذا خرجت اعلامات شرعية من محاكم غزة والرملة ويافا واللد تعلن عدم وجود شي لابو مرق وتقدمت هذه الاعلامات للباب العالي وقُبلت وحصل صرف النظر عن متروكاته .

وسليمان باشا فرح فرحاً عظيماً بهذه التوفيقات الربانية لكون منصب يافا ساعده مساعدة عظيمة على احتياجاته وتوسع فيه وسعة كلية . وحالاً نشر مراسيم التبشير بذلك على ايالة صيدا وجبل نابلوس وسنجاق جنين وجبل الخليل وسنجاق غزة ويافا وتوابعها والى والي الشام . ثم نصب محمد اغا ابو نبوت متسلماً على سنجاق غزة ويافا وحرضه على الاجتهاد براحة العباد وعمار البلاد ودوام رفاهيتها وهكذا استقامت احوال سليمان باشا بهذا المنصب . وابو نبوت استقام في متسلمية السنجاق لحد سنة ١٢٣٤ وانعزل وسنذكر عزله وما تم به .

(١) اي من الاوقاف الخاصة بالسلطان وباهل البيت السلطاني

واما ابو مرق فهرب الى مصر واستقام هناك مدة ثم حضر الى حلب بعد ان عفت الدولة عن دمه . وكان كل مدة يرسل تحرير الى سليمان باشا يستشفعه فيرسل له خرجية وذخيرة بوجه الاحسان لحين وفاته في حلب .

﴿ عمل بونط لعكا ﴾

وفي هذه السنة ١٢٢٢ عمل سليمان باشا في عكا بونط من خشب[1] قبال باب الليمان (الميناء) لاجل توسيع الليمان . ورمم البرج الذي كان قبال الليمان الممتد لحد قلعة برج الدبان الذي في آخر الليمان . ثم سد القطع (الخرق) التي فتحها البحر من برج الحديد بحجارة متينة تضاين على عزم البحر . وايضاً سد الثغرة التي فتحها البحر في حائط البرج الذي قبال الشيخ غانم في عكا .

﴿ عصاوة وثورة القدس ﴾

في اول سنة ١٢٢٣ تحرك بعض العصاة من ارباب الشقاوة في مدينة القدس بالتعصب والعصاوة واهاجوا المدينة وطردوا المتسلم الموجود فيها من طرف والي الشام[2] وسكروا ابواب المدينة ومسكوا القلعة وعصوا فيها . وفعلوا بالمدينة افعالا ردية جداً . وجمعوا على رؤوسهم جانب من المفسدين بالارض واتفقوا معهم على الاضرار بالمخلوقات . فحين بلغ ذلك والي الشام قدم اعراض الشكوى للباب العالي واوضح له الواقع باطرافه . فحالا صدرت اوامر الدولة الى سليمان

(١) البونط تعريب (pont) والمراد به صقالة من خشب على الميناء تسهيلا لنزول المسافرين الى البحر وللصعود منه الى البر (٢) كانت القدس تابعة لولاية الشام

باشا بان يعطى نظام القدس ويقطع دابر المفسدين ويجتهد على راحة الرعايا وتامينهم . فحالًا سليمان باشا اصدر الاوامر اللازمة الى جبل نابلوس وجبل القدس ونفس مدينة القدس وارسل ثلاثة ضباط عساكر منهم محمد اغا ابو ذريعة مغربي (باسم سليمان باشا) وامره بفتح القدس ومسك كامل الغرماء المسببين سلب امنية الرعايا وقطع دابرهم . فحالًا توجه المذكورين بالاوامر وحاصروهم وضايقوهم واخرجوهم من القلعة عنوة وجلس محمد اغا ابو ذريعة في مكان واخذ يحضرهم الواحد بعد الاخر ويقطع رؤوسهم وكلما قدموا له واحداً يقول : كاس راس تقطعه مايجيك محارباً . الى ان قطع ستة واربعين رقبة . وغب ان طمن الرعايا وامنها واعطاها راحتها ارسل الروس الى سليمان باشا وعرّفه بما فعل براحة المدينة . وسليمان باشا حرر لوالي الشام حتى يرسل متسامه بدون خوف وحرر الى العتبة العلية اعراض بما فعله وارسل رؤوس العصاة ولذلك صار له زيادة القبول والمحظوظية من الدولة العلية

﴿ توجيه ايالة الشام الى يوسف كنج باشا ﴾

في هذه السنة ١٢٢٢ وجهت الدولة العلية منصب ايالة الشام على يوسف كنج اغا الكردي كما قدمنا اولًا لاجل مداخلته مع خدمة الدولة . ثانياً املًا من الدولة بانه نظراً لغناه وكبر عشيرته يقدر ان يمشي الحج كما تعهد . واذ توجهت عليه الوزارة السامية ارسل بشر سليمان باشا وهو جاوبه بالتهنئة وارسل له تقادم التهنئة كعادة الوزراء وكل منهم استقام بحاله يفتش على ادارة منصبه وعماره .

﴿ اصل خصومة بيت المعلم حييم وبيت البحري ﴾

حيث ان المقولات من الاقدمين لا تخرم ومن ذلك قولهم لا يخلو المرء من ضد ولو حاول العزلة في راس الجبل فيوسف باشا المشار اليه استخدم عنده ديوان افنديسي وكاتب عربي المعلم عبود البحري . وهذا الرجل اصله من مدينة حمص وجنسه روم كاثوليك ملكي وكان فريداً بحسن الخط وتنميق الكتابة . بل كان اوحد اهل زمانه . وكان عند سليمان باشا والي ايالة صيدا المعلم حييم شحادة . وقد حصلت عداوة فيما بين الشخصين . وبسبب هذه العداوة قد استعمل كل منهم الوسايط اللازمة لتحريك افنديه ضد الاخر . وهكذا سهروا على بعضهم بكل تيقظ حريصين جداً بأن يجعلوا افندياتهم لا تشعر بغاياتهم . بل ان ما كانوا يفعلوه ويتظاهروا فيه انما هو غيرة منهم كل واحد على افنديه وصداقة بحقه .

واسباب هذه العداوة التي وقعت هي اولاً جنسية الصنعة (عداوة الكار) كقول المثل شحاد لا يحب صاحب مخلاية . ثانياً عداوة الدين اذ انه امر معلوم عداوة اليهودي للمسيحي بالدين والدنيا . واليهودي مهما كان متصفاً بالانسانية فشريعة تامودِه تعطيه الاستحلال لمال ودم ليس المسيحيين فقط بل كل من هو خارج عن دين اليهود مستندين بذلك على سندات كاذبة (من التامود) نظير قولهم ان الممالك وسائر ثمارها منحها الله ملكاً مؤبداً لشعب اسرائيل . ويفتكرون انهم شعب اسرائيل وان لهم حق الوراثة له . وعلى هذا فلا يخطوا بكلما يفعلون من الاضرار بحق

سكان الارض وبما يسلبونه منهم لانه حق لهم . ولهم ان يأخذوه بالوجه الذي يتفق لهم . وقد عميت عيونهم عما قاله الله عنهم بفم انبيائه انهم صاروا عنده بمنزلة خرقة الحائض وانه لا يقبل منهم عبادة ولا يلتفت لطلباتهم ولا يريد ان يدعوا شعبه [١] . ثالثاً ان المعلم عبود المذكور لما حضر ابرهيم باشا قطر اغاسي من حلب الى الشام ومنها الى ايالة صيدا بحصار عكا استخدم المعلم عبود واحضره معه الى الاوردي وبقي عنده لحينما انفصلت عنه الايالة ورجع للشام فرجع معه عبود . ولما توجهت الايالة على سليمان باشا بقي اخوه المعلم جرمانوس في الاوردي عند سليمان باشا . ولما دخل عكا بقي المعلم جرمانوس كاتباً عنده . وبعد ان راق حال عكا شوية بعد فتحها فالمعلم جرمانوس استعمل الجهل بملبوسه وتصرفه وسلك بطريق غير مستوية بالاتفاق مع كم واحد من الجهال [٢] . فاذ بلغ ذلك المعلم حييم الذي وان يكن يهودياً كان حريصاً جداً على التصرف في طريق الكمال الممدوحة باقواله وافعاله وملبوساته وما سُمع عنه انه ارتكب جهالة لا ظاهراً ولا خفية مع كونه قد اتصل الى مقام عالي ووجاهة تامة وسمعة جيدة بمدة حكومة سليمان باشا ارسل نصح المعلم جرمانوس لكي يرتجع عما هو به ويغير قيافته وكرر عليه النصائح مراراً عديدة . ولما لم يرتد ولم يلتفت الى نصحه جعل سليمان باشا يطرده من الخدامة . وبعد ان سليمان باشا اعطاه الاذن قام من عكا

(١) كثيرة اقوال الانبياء التي توضح رذل الله لليهود لاجل عصاوتهم وخطاياهم

(٢) انظر الفرمان السلطاني لعبود البحري في الحاشية التالية

غصباً عنه وتوجه لعند اخيه المعلم عبود بحال انكسار الخاطر . فالموسى اليه احتمل ذلك من المعلم حييم عن بغضة عظيمة . ومنذ ذلك الحين تمكنت بغضة افراد العيلتين في قلوب بعضهم لبعض . والمعلم عبود صار يتربص فرص الاوقات ليأخذ ثاره . والمعلم حييم بما انه يهودي وقلبه ضعيف ولمعرفته بمكانة المعلم عبود في فنون الكتابة والمعارف باللغة التركية والعربية والحساب وامور الدولتجية [1] نظيره بل اكثر منه صار حريصاً جداً وخائفاً جد الخوف منه . ولذلك حرر لاخوته يوسف وروفائيل وابن عمه سلمون بالحذر منه والمحاذرة من شره واستعمال وسائل مقاومته وضرره . واذا قدروا على ابعاد هذه العيلة من الشام فلا يقصروا بل ان يبذلوا جهدهم بذلك . والمذكورين استعملوا ما قدروا عليه ولكن العناية الالهية ما وفقتهم لنيل مرغوبهم منهم لان المعلم عبود بعد قيام ابرهيم باشا قطراغاسي من الشام وتوجيه الايالة على عبدالله باشا العظم استخدمه هذا عنده وكان يميل اليه جداً . وفي مدة عبد الله كان يوسف كنج الذي صار والياً على الشام كما قدمنا يسمى بطلب سناجق عجلون والقنيطرة كما قدمنا وكانت مصالحه بيد المعلم عبود وكان يحب عبود جداً والمعلم عبود بذل غاية جهده لمساعدته بسائر مطالبه وملك عبود من الباشا المشار اليه محبة جسيمة قلبية . ولما توفق لنيل مرغوبه برتبة الوزارة واستحصال منصب الشام استخدم حالاً المعلم عبود بوظيفة ديوان افنديسي وعربي كاتبي واستخدم ايضاً اخوته

---

(١) الدولتجية نسبة الى الدولة باللغة التركية والمراد بها السياسة وحسن التدبير

المعلم جرمانوس والمعلم حنا وباقي من وجد من عائلته. وحصل عبود منه على ميل عظيم فقصرت يد بيت شحادة عن بلوغ غايتهم منهم وطالت يد بيت البحري وتغلبت عليهم وصاروا ينكدوا على بيت شحادة الذين صاروا يدافعوا عن انفسهم بالسخاء وتقديم الهدايا الى الوجوه والحواشي لكي يسلموا من سهام بيت البحري. وتعاظمت الامور فيما بينهم جداً جداً بهذا المقدار حتى التزم المعلم حييم ان يبذل غاية جده وجهده باستعمال الوسائل والحيل والمداخلات بامور احكام الشام[1]. وبالزام سليمان باشا بواسطة الحيل لمعاطاة بعض مصالح تخص احكام الشام وبالظاهر يوريه لزوم ذلك لاجل استجلاب قلوب اهالي الجوار محافظة على الديرة لاجل اذا رحل منها احد لعندهم كما كان يصير بايام الجزار يمكنه بواسطة محبته معهم ان يجلبه بكل سهولة. واذا لزم الامر لمأموريته تتفق له نظير مأمورية مع ابي مرق قضاها بكل سهولة وتوفيق. وهكذا كان يحسّن له المداخلات ومد اليد الى ايالة الشام. وبالخفي لكي يحرك غضب يوسف باشا ويسبب الفتنة بينهم لعله ينال بهذه الواسطة احد الغايات التي يبتغيها من بيت البحري ويجعل لاخوته وابن عمه نوع وسيلة عند الوزير ليكونوا واسطة بينه وبين سليمان باشا وينالوا بها المرام من بيت البحري او يخلصوا من شرهم بالوقت الحاضر.

---

(١) بلغ بيت شحادة فارحي مقاماً عالياً بسعة غناهم ونفوذهم في ايالة الشام حتى استبدوا بالولاية فكان للولاة الاسم والامر ولهم المال وكان يقال ان الولاة كانوا يقبضون على الولاية بقرونها وبيت شحادة يحلبونها. راجع محاضرة الشيخ المغربي عنهم في مجلة المجمع العلمي العربي الجزء الحادي عشر سنة ١٩٢٩.

﴿ عرض يوسف باشا الاسلام على عبود البحري ﴾

فيوسف باشا تزايد حبه وميله الى المعلم عبود بهذا المقدار حتى انه تاسف ان يكون نصرانياً وطلب ان يدخله في دين الاسلام لانه في ذلك الوقت حضر لعنده شيخ من مشايخ الاكراد متظاهراً بالورع وجاعلاً نفسه شيخ طريقة النقشبندية اسمه الشيخ خالد النقشبندي ولازم يوسف باشا وادخله بطريقته النقشبندية وغيّر طباعه المألوفة وجعله يكره النصارى بالكلية حتى ضيَّق عليهم بامر ملبوساتهم وتصرفهم واتصل ان يلزم النصارى رعايا جبل لبنان ورعايا مرجعيون وحاصبيا المعتادين على التردد للشام ان يغيروا قيافة ملبوسهم . ومن الجملة انه مسك احد الاوقات اربعة اشخاص من النصارى [1] وامرهم ان يسلموا واذ لم يقبلوا بالاسلام امر بقتلهم وتظاهر برداوة كلية بهذا الامر حتى خرجت من اعماله رائحة ردية جداً وحصل له عند الجميع كراهية من احكامه . ومن الجملة انه بارشاد الشيخ المذكور امر شبان الاسلام باطلاق لحاهم غصباً. ولما كرر على المعلم عبود طلب ادخاله في دين الاسلام وتردد المذكور بذلك وما قبل اظهر له الغيظ وتغيير الخاطر . فاذ تحقق المعلم عبود ذلك إنتهز الفرصة وهرب ليلاً الى زحلة واستقام هناك وحرر منه اعراضاً الى الامير بشير الشهابي وعرفه عن اسباب هربه واقامته في زحلة .

---

(١) راجع ما كتبنا في مجلة المسرة سنة ١٩٣٠ عن استشهاد سمعان جبور الزحلاوي في دمشق بامر يوسف باشا المذكور وراجع تاريخ الامير حيدر صفحة ٥٢٩ من الطبعة البيروتية

والتمس منه استجلاب عيلته واخوته . وفي اخر الاعراض حرر له بيت شعر يقول فيه

وكنت اطالب الدنيا بوقت　　فكان الوقت وقتك والسلام

والامير اجابه لسؤاله . وانما اغتم جداً لان وجود عبود بالشام في باب الحكم كان مفيداً الى الامير بشير جداً بمصالحه حيث انها كثيرة في باب الشام . فاذ عرف يوسف باشا بهرب المعلم عبود وسعيه بقيام عيلته من الشام تاسف جداً وحالاً اصدر له مرسوم الامان والري والرضا التام وجعل الامير بشير كفيلاً على امانه له . وارسل مرسوم الامان للامير بشير مع محرمة الامان . وهكذا الامير حرّر له وارجعه للشام بكفالته . وبوصوله قابله الباشا بكل بشاشة وتلطيف واعتذر له انه ماكان يتكلم به معه بما يخص الاسلامية كان على نوع المزح والانشراح. وبعد ان البسه خلعة الرضا الفاخرة ارجعه لوظيفته احسن من الاول [١] .

---

(١) يحسن بنا ان نذكر هنا تعريب الفرمان السلطاني الفريد في بابه الممنوح من السلطان محمود الثاني للمعلم عبود عن طلب يوسف باشا . والاصل محفوظ عند آل البحري في مصر لان عبود لحق به هو واخوته الى مصر كما سياتي وبواسطته تقرب الى محمد علي باشا الذي جعله مديراً لماليته مع اخوته . واما ابرهيم البحري فقد بقي في دمشق وقتل سنة ١٨١٩ بيد رجال مأجورين لذلك . . .

مكان الطرة السلطانية

قاضي قضاة المسلمين اول ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبياء والمرسلين المختص بمزيد عناية الملك المعين مولانا قاضي الشام الشريف زيدت فضائله .

وبذلك الاثنا حضر احد رجال الدولة بمامورية للشام وبوصوله سأل عن المعلم عبود . فاذ حضر لعنده قال له انت المعلم عبود البحري . قال له نعم . فتمايزه ثم قال له انا اريد ان انصحك احفظ قلمك لان باب همايون عمال ياخذوا عن خطك ويتعلموه

﴿ منازعة المعلم حييم مع عبود البحري ﴾

ومن ذلك الحين تعاظمت العداوة بين العيلتين واتصلت الى الوزراء وصار هذا يعمل حركات ضد ذاك والاخر نظيره فوالي صيدا تداخل في قضية رجل كردي اسمه الحاج رسول انقتل واحتملت قضيته قلقلات وبلبلات واخذ وعطا و كتابات ومراجعات يطول شرحها جداً

ليكن معلوماً لديك بوصول توقيعي الرفيع الهمايوني انه بناء على التقرير والاسترحام المقدم من قدوة الاماجد والاعيان ابرهيم شريف احد خواجات المابين الهمايوني زيد مجده الذي هو كهية (كخية) والي الشام حالا الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم وزيري يوسف كنج باشا ادام الله تعالى اجلاله الذي يطلب فيه اعفاء الذمي المدعو عبود بحري ولد مخائيل كاتب خزينة والي الشام الشريف من الجزية الشرعية وسائر التكاليف وعدم تعرض اهل طائفته وغيرهم لملابسه وخفه الاصفر وحذائه ليحصل له الفخر بين اقرانه والمباهاة بين امثاله بناء على قيامه بخدمته بكل صداقة ومستحق من كل جهة للمرحمة الشهانية فقد صدر فرماني الشريف بالعمل على الوجه المشروح اعلاه . والان ليكن معلوماً لديك انت يامولانا المومى اليه بانه يجب اعفاء عبود بحري ولد مخائيل الذمي المذكور من الجزية الشرعية وسائر التكاليف وعدم التعرض من قبل ابناء طائفته وغيرهم لخفه الاصفر وحذائه تمييزاً له عن اقرانه ومباهاة له بينهم وعلى ذلك صدر فرماني الشاهاني وبناء على فرماني الشهاني الصادر بما تقدم يجب اجراء الايجاب والحذر من مخالفته . تحريراً في اول شهر رمضان المبارك سنة ١٢٢٣

الشام . وهي في فم مرج ابن عامر بحدود قرايا الناصرة الى جبل نابلوس مدعياً انها تابعة ايالة صيدا بدون حق وطلب ارجاعها وقدم بذلك براهين قوية وحصلت بينهم الخصومات والتحريرات وانتقلوا للشكاية الى الباب العالي . والدولة العلية ارسلت خواجكان مخصوص[1] لاجل الكشف والتحقيق وفصل القضية واصدروا[2] معه فرامين باجتماع وجوه اهالي ايالة صيدا وايالة الشام وارباب الخبرة بان تنكشف الحدود بمعرفة الجميع ويرجع كل شي لاصله . فسليمان باشا لاجل مقاهرة يوسف باشا استنجد وجوه جبل نابلوس مثل بيت الجرار والبرقاوي شيخ وادي الشعير الذين صاحبهم وقت حصار يافا وغيرهم استجلبهم عن يد مشايخ ديرة بلاد صفد واستحضر على جانب شهود من جبل نابلوس وسنجاق جنين وبلاد صفد . ثم ان المعلم حييم حرر لاخوته . والمذكورين بقوة الجاه والمال دبروا شهوداً علماء من نفس الشام واستحضروها . وقبل وصول المامور رتب سليمان باشا كلما يلزم لاثبات دعواه ونفي دعوى يوسف باشا . واذ حضر المامور وتوجهت الاوامر لمحلاتها فالوزراء ارسلت وكلا من طرفها . وحضر المأمور وصحبته منلا افندي قاضي الشام ومفتيها وجانب من علمائها . وتوجه قاضي عكا ومفتيها ومشايخ ووجوه ديرة ايالة صيدا وديرة الشام وصار مجمع حافل وانكشف على الحدود وانطلبت الشهود . وبعد ان تقررت شهادتهم بحضور القضاة والعلماء والاعيان والوجوه والوكلا وبعد ان سمعت تقريرات وكلا الوزرا

(١) خواجكان بالتركية جمع خوجه معربها خواجا بمعنى المعلم تطلق على رجال العلم او القلم في الديوان الهمايوني . (٢) ضمير الجمع في اصدروا يرجع الى رجال الدولة

فالجميع حكموا بثبوت الحق لسليمان باشا وتحرر اعلام شرعي مستوفي الشروط بهذا الشان وختم عليه اهالي المجمع وتسجل في محكمة الشام ومحكمة عكا وتقيد في دفاتر خزينة عكا وتسلم الى المأمور واخذه مع خدمة مباشرته من والي صيدا ووالي الشام مع معروضات منهم الى الباب العالي وتوجه بها

﴿ اشتداد الفتنة بين وزير الشام مع وزير صيدا ﴾

وهذه القضية انهضت بين الوزيرين اعظم البغضة والفتنة . ومنذ ذلك الحين ما هجع الاثنان من تنويع الشكايات بحق بعضهم للباب العالي . واصحاب المقالات والمرامات وجدوا سبيلاً لبذر فسادهم وكل من الوزيرين اختص له اناساً يرفعون له اخبار ووقايع الاخر . وبيت فارحي وبيت البحري كذلك اختصوا لهم اناساً على هذا المنوال من يهود ونصارى لابسين اثواب الحملان وداخلهم دياب خاطفة يرفعون الاخبار اليهم ويضحكون على ما صار . واولئك بغاية الاهتمام والاجتهاد في اكل بعضهم البعض . واستمرت هذه العداوة متصلة كما قدمنا الى سنة ١٢٢٤ .

ويوسف باشا من عدم توفيقه ما قدر يخدم الدولة بافتتاح الحج حسبما تعهد اولاً لان الفتنة التي وقعت بينه وبين سليمان باشا ما هدي بسببها فكره لاجل استعمال الوجوه المقتضية لهذه المهمة الجسيمة . ثانياً لان الوهابي في ذلك الوقت اشتد بالقوة العظيمة وتملك بلاد الحجاز جميعها وتشايعت الاخبار بجمعه العساكر والدساكر والجنود للحضود بهم

الى برية الشام والاستيلاء عليها . ومن هذه الاخبار دخل الخوف الجسيم والحيرة والاضطراب والبلبلة على الناس . وعدا هذا احتاجت المدينة المتملكة في ذلك الاثناء للغلال وصار فيها جوع شديد جداً ووصل هذا الخبر الى سليمان باشا[1] .

﴿ غضب الدولة على يوسف باشا ﴾

﴿ توفيق سليمان باشا بارسال الحنطة للدولة ﴾

في سنة ١٢٢٤ اشتدت الفتنة بين والي الشام وسليمان باشا كما قدمنا وتوفيق سليمان باشا غلب يوسف باشا لان الدولة كانت اولاً مائلة مع يوسف باشا وكان دائماً حاصلاً من رجال الباب العالي على غاية المساعدة بمطالبه املاً بان يتمم ما وعد به من فتح طريق الحج . ولما مر سنتان وما حصل منه افادة . ثم لما بلغ سليمان باشا حدوث الغلا في الاستانة العلية استجلب بكل مسارعة مركبين كبار وشحنهم حنطة وسيرهم بكل سرعة الى الاستانة العلية وقدم اعراضاً الى الركاب

(١) لا يذكر المولف شيئاً عن اسباب حاجة مدينة القسطنطينية الى الغلال ولا الى ما كان يجري فيها تلك الايام من الفتن العظيمة التي افضت الى قتل السلطان سليم الثالث سنة ١٢٢٢ وقتل خلفه السلطان مصطفى الرابع حتى قام السلطان محمود الثاني سنة ١٢٢٣ وما كان من ثورات رجال الانكشارية فيها ولم يذكر شيئاً عن الثورات التي كانت تجري في انحاء السلطنة حتى في مصر بعد انسحاب الفرنساويين منها الى ان قبض محمد علي باشا على زمام الحكم واستتب له الامر فيها

الملوكي يتضمن توضيح عبوديته وانه عندما بلغه لزوم الغلال بادر على قدم الاجتهاد واستدان من هنا وهنا واشترى الغلال من كل فج عميق وشحن مركبين فيهما هذا القدر غرائر حنطة ومقدمهم برسم العبودية ويسترحم الاحسان بقبولهم . وسير هذا الاعراض صحبة تاتار مخصوص وارسل صحبة المراكب المعروضات اللازمة ايضاً . فمن زيادة توفيقه انه في ساعة دخول المراكب وربطها في بوغاز الاستانة وصل التاتار بطريق البر وفي ساعة واحدة وصلت التحريرات ليد القبو كتخدا[1] . فلما قراها فرح فرحاً لا يوصف ولا يكيف لانه في ذلك النهار كانت الاستانة بحال ضغطة عظيمة وضوجة زايدة الحد من عدم وجود الغلال . واتصل خبر هذه الضغطة لاذان الملك وحصل عنده الغم الجسيم من ذلك . ومن زيادة ضيقة صدره فوق العادة امر بجلب حصان ركوبته وركب ليفسح ذلك الكدر عن صدره . واذ مشي مقدار خمسة دقائق قابله قبو كتخدا سليمان باشا الذي كان اسمه عثمان اغا امين المطبخ العامر وتقدم بكل جسارة واعرض لملوكانيته عن حضور مركبين من الحنطة من طرف سليمان باشا ووصولهم في تلك الساعة . فاذ سمع الملك ابتهج ابتهاجاً عظيماً جداً وطلب من القبو كتخدا معروض الباشا واخذه بيده وهو راكب . واذ قراه رفع راسه الى السماء وصار يدعو

(١) كان قديماً لكل وزير حاكم وكيل في الاستانة يعتمد عليه بقضاء اشغاله لدى الوزير الاعظم ورجال الحكومة يدعى بالتركية قبو كتخدا ومعناها وكيل الباب والمراد بها الوكيل لدى الباب العالي . وقد يكون عيناً وجاسوساً له يخبره بما يضمره ويدبره له رجال الدولة من خير او شر

الى سليمان باشا بالتوفيق والاقبال ويمدحه ويشيد بممنونيته من خدماته هذه وحالًا توزعت الغلال وحصل بورودها الراحة التامة. وسائر رجال الدولة صاروا ممنونين الى سليمان باشا من هذه الخدمة التي صيرت ميل سائر رجال الدولة مع سليمان باشا حتى الملك نفسه. وليس فقط انصمت اذانهم عن سماع شكايات يوسف باشا بحقهِ بل صيرتهم ان يفطنوا بعدم استقامة يوسف باشا وكذبه بوعده بخصوص امر سير الحجاج وصاروا يطالبونه به ويحذرونه. وغيروا مشربهم معه ليس باظهار الغضب وانما بعدم الالتفات لمطالبه.

﴿ غارة الوهابي على الشام ﴾

وفي هذه السنة ١٢٢٤ تحرك الوهابي بجيوشه الكثيرة وحضر بها من بلاد الحجاز قاصداً الاستيلاء على ايالة الشام ثم على باقي بر الشام. واذ حضر خبر وروده لقرب المزيريب وصار بعيداً عنها اياماً قليلة جمع يوسف باشا حالًا عساكره التي كانت نحو خمسة الاف خيال من جنسه الاكراد عدا عساكر البيادة وخرج بها لملاقاة الوهابي. وحرّر الى سليمان باشا وعرّفه عن قدوم الوهابي وعن خروجه بالعساكر لمقابلته نواحي المزيريب والتمس من همته المساعدة والعناية واظهار الغيرة الدينية والسعي لمعاضدته لقتال اعدا الدين والدولة. فسليمان باشا لما وصلت له تحريرات يوسف باشا وتأكد قيامه لمقابلة الوهابي تحركت به اولًا الغيرة الدينية. ثانياً الشآمة والناموس. ثالثاً الحرص والحذر من عدوه لئلا يجعل تأخره عن ذلك سبباً لتكثير الشكايات بحقه ولئلا

يحسب بمنزلة عدو للدين والدولة . رابعاً لئلا اذا صرف النظر عنه يعرض يوسف باشا للدولة ويوضح وفور اجتهاده ويكتسب الثناء ويستجلب امراً من الدولة بقيام سليمان باشا غصباً عنه ويكون كانه بمعيته تابعاً له بموجب امر اغتصابي .

﴿ نجدة سليمان ليوسف كنج باشا ﴾

فهذه الملاحظات جعلت سليمان باشا يهم كانه الاسد الزائر وحالاً بكل سرعة حرّر اوامر لكل عساكره الموجودة في سائر الايالة من سنجاق غزة الى بيروت من سواري وبياده .[1] وامرها بالقيام بكل سرعة بكامل بيارقها والحضور الى صحرا طبريا . وعرفهم انه قائم بذاته الى هناك . وحدّد لهم يوماً معلوماً ليكن وصولهم فيه الى طبريا بدون ادنى عائق . ثم اصدر مرسوماً موكداً الى الامير بشير امير جبل لبنان وعرفه الواقع وعن قيامه بالذات ونصبه الاوردي في صحرآ طبريا . وان يصرخ بالحال والساعة النفير ويجمع رجال الجبل بقدر جهده وامكانه ويحضر بها لمقابلته في الاوردي لاجل المسير على الخارجي الوهابي . وعلى هذا المنوال حرر مرسوم الى الشيخ فارس الناصيف شيخ مشايخ المتاولة وعرفه الواقع وامره ان يجمع كامل رجال العشائر المترئس عليها ويحضر بهم الى صحراء طبريا . وهكذا حرر مرسوماً الى الشيخ سعد القعدان شيخ عرب بني صخر الفئة الواحدة والى الشيخ فهيد شيخ

---

(١) السواري بالتركية الفرسان والبياده الرجالة المشاة

بني صخر من الفئة الثانية . وامرهم ان يجمعوا خيل العشائر ويحضروا بهم . وكذلك حرر امراً لمشايخ عرب التركمان التابعين ديرة بلاد صفد . والى مشايخ عربان بلاد صفد ومشايخ بلاد صفد . وكذلك حرر مراسيم الى وجوه جبل نابلوس وعرفهم الواقع . واستنهض همتهم وامرهم ان يجمعوا الرجال ويحضروا لمقابلته في صحراء طبريا لاجل المسير سوية والجهاد في سبيل الله . وعلى هذا المنوال اصدر مراسيم لكل من يقتضي وتسيرت المراسيم صحبة التاتارية والسروجية وخيالة الخزينة بغاية السرعة لسائر المحلات .

واخذ الوزير يستحضر على القيام من عكا بدائرته وبالعساكر الموجودة في عكا وجوارها مثل شفاعمر والقرايا التابعة لهابعد ثلاثة ايام وامر بابراز الخيام والمهمات والمدافع والجباخانة وسائر ما يلزم وارسالها الى طبريا . ثم ارسل مرسوماً مشدداً الى متسلم طبريا بمداركة وتحضير الشعير من غلال الانبار الموجودة في طبريا وامراً ثانياً بتحضير الطحين من الحنطة الموجودة في الانبار . وارسل مرسوماً لمتسلم صفد بارسال ظهر لقيام الحنطة من طبريا وطحنها واحضارها للاوردي . ثم امر بتحميل الذخائر اللازمة من سمن وارز وغيره من كلار عكا . واصدر اوامر لمتسلمين صفد وطبريا ووكلا قرايا الناصرة وشفاعمر وساحل عكا والشاغور والجبل وساحل عتليت بتوريد الغنم والحطب اللازم للاوردي وسائر ما يقتضي للمأكولات من لبن وبصل وجبن وغيره . وتسيرت هذه جميعها لمحلاتها . ولحد تمام ثلاثة ايام تحضرت كل اللوازم المقتضية للاوردي وتوجهت لمحلاتها .

﴿ وصول المأمور السري الى عكا ﴾

في يوم الجمعة المحدود لقيام الباشا من عكا استحضر على السفر بعد صلاة الجمعة . ولما حان وقت الصلاة نزل هو و كتخداه ودائرته ودخلوا الجامع الكبير لحضور الصلاة . وعند قرب خلاص الصلاة قبل طلوع الوزير من الجامع اذ كانت الخيول مسرجة وملجومة ومحضرة بيد سياسها وصل الى باب عكا مأمور من رجال الدولة كأنه تاتار . فحينئذ حضر البواب واخبر علي اغا الكتخدا عن حضوره وهو بالجامع حسب العادة التي كانت جارية بعكا فأذن له بواب البلدة المسمى مصطفى عفاره بالدخول . واذ دخل ووصل الى قبال باب السرايا ووجد تلك الساحة مزدحمة بالخيل والرجال بانتظار الفرجة على خروج الوزير وركوبه اخذه الانذهال وسأل حينئذ عن سبب هذا الازدحام العظيم فاخبروه بان ذلك استحضار لركوب سليمان باشا . فقال الى اين يريد يتوجه . فقالوا له متوجه الى طبريا لاجل محاربة الوهابي القادم من بلاد الحجاز لاخذ هذه البلاد . فسأل حينئذ واين هو الباشا الان فقالوا له بالجامع . فقال لهم من اي محل يخرج فاشاروا له من الباب الكبير الذي هو قبال باب السرايا . حينئذ تقدم بكل سرعة بعد ان فهم ان خروجه صار قريباً ونزل عن مركوبه ووقف في كعب درج باب الجامع ثم مسك واحداً من الذين لحظ به انه من دائرة الوزير وقال له متى خرج الوزير دلني عليه . ووقف بجانبه ينتظر ولم يعلم به احد . بل الذين نظروه افتكروا انه غريب كبير وحاضر للفرجة مثل احد المسافرين ولذلك ما

احد سأل عنه ولا اعتبره ونفس سليمان باشا ما صار له قبلًا خبر بحضوره فبعد دقيقتين ثلاثة خرج الوزير من باب الجامع ونزل عن الدرج الى ان وصل لحد البنك طاش [1] فقدموا له الحصان ليركب . فلما عزم على الركوب وصار يطلب التوفيق من الله مسهل الامور الصعاب واستعدت الجاويشيه لتصرخ حسب عادتها حين ركوب الوزير عرفه حينئذ المأمور وتقدم الى جانبه وقال له في اذنه انا الان حضرت من الاستانة العلية لعندك بمأمورية مخصوصة واريد ان تقابلني بهذه الدقيقة قبل ركوبك . حينئذ نظر اليه الوزير . واذ عرفه عدل عن الركوب وحضرا سوية الى باب السراي وهناك جلس المأمور . وبعد جلوسهم واهداء التحية لبعضهم قال المأمور للوزير هل انت امين من كتخداك قلبياً بسائر مصالحك ام انت امين منه على بعض اشغالك الجزئية فقط ولا تأمنه على غيرها نظير امورك واشغالك مع الدولة العلية . فقال له اني امين منه على سائر اشغالي الظاهرة والخفية جميعها . فقال له ومن هو امين عندك غيره نظيره . وهل يوجد غيره ام هذا فقط . فقال له موجود عندي اثنان آخرين مع الكتخدا مؤمنين عندي على سائر اشغالي ومفوضين مني بمعاطاة سائر الامور لانني امين منهم كامانتي من نفسي فقال حيث هكذا ارجو ان تأمر باحضارهم بهذه الساعة . فحالًا امر الوزير بحضور علي آغا الكتخدا والمعلم حييم شحادة الصراف والمعلم حنا عورة كاتب العربي . فاذ حضروا حالًا وجلسوا صارت الخلوة وابعد

---

(١) البنك طاش تركية رصيف من حجارة يجعل لسهولة ركب الخيل .

الناس والخدم من الحضرة . فالمأمور سأل الوزير الى اين هذه الهمة والى اي محل تتوجه . فقال له بهذا الاثنا شاع حضور الخارجي الوهابي من بلاد الحجاز الى برية الشام وهو جامع عساكر عديدة عديمة الاحصاء وقاصد اخذ ممالك الاسلام . والان اخونا يوسف باشا والي الشام حرّر لي وعرفني انه حضر له اخبار بان المذكور وعساكره صاروا غير بعيدين من المزيريب . وانه جمع عساكره وخرج لمقابلتهم وردهم عن الممالك المحروسة وطلب مني النجدة . وانا غيرة مني على خدمة الدين والدولة حررت حالّا اوامر لجميع عساكر اياالتي وكل العشاير ورجال البلاد من كل فج عميق ونصبت الاوردي في صحرا طبريا وجهزت الذخاير والمدافع والجباخانات اللازمة . وها انا متوجه مستعيناً بالواحد الاحد الفرد الصمد لمساعدة المشار اليه لقتل وردع هذا الخارجي وحماية ممالك الدولة العلية من شر فساده . وغالباً ان الدولة العلية تصير محظوظة من خدمتي هذه . فاجاب المأمور ان ذلك قوي عظيم . والدولة العلية محظوظة من سائر اعمالك وخداماتك ولذلك ارسلت لك صحبتي هذه المأمورية واخرج من عبه فرمان ملوكي موشح بخط شريف يتضمن ايضاح الغضب الملوكي على يوسف كنج باشا والي الشام نظراً لاعماله الردية واحكامه الشنيعة وظلمه للعباد وصنوف الاذى التي استعملها بحق الرعية عدا كذبه بما تعهد به بفتح طريق الحجاز وتمشية الحج . ولذلك صدر الامر الخاقاني بعزله عن منصب الشام ورفع شرف الوزارة عنه وقطع رأسه وضبط املاكه وتوجهت هذه المأمورية لعهدته مع منصب الشام وتوابعه ومنصب طرابلس واللاذقية الحاقاً له مع

منصب ايالة صيدا نظراً لمحظوظية الدولة من حسن تصرفاته الماضية الموافقة رضا الباري تعالى والرضا الشريف الشاهاني . ويؤكد عليه ان يبادر بحسن السعي والاقدام بانفاذ هذه المامورية ويبذل بها كامل الجهد والجد والمسارعة . والامر الشريف مستوفي الشرح بهذا الشأن . حينئذٍ قبل الوزير الامر الشريف وقبَّله بكامل الطاعة وقدم الدعا الخيري لحضرة السلطان والدولة العلية . وقال للمأمور انا عبد من جملة عبيد الدولة العلية . وبكل وقت انا مستعد لان ابذل وجودي وموجودي فدآء نفوذ اوامرها الشريفة . ويا حبذا لو مت بخدامتها حائزاً رضاها فاكون من المسعدين في الدارين والمستعان بالله . وها اني من هذه الدقيقة غيرت النية وعزمت على انفاذ هذا الامر الملوكي الشريف . ثم امر كتخداه وديوان افنديسيه والصراف وكاتب العربي المذكورين بكتم هذا الامر وان تبقى الاشاعة كما هي اي الركوب على الوهابي لمساعدة يوسف باشا . وكان قبل ثلاثة ايام قد جاوب يوسف باشا عن تحريره بانه اجابة لسؤله مبادر حالًا لتجهيز العساكر لمعونته وشدَّده وقواه وعرفه عن نصب الاوردي في صحرا طبريا لاجل قرب المسير من هناك لنواحي المزيريب وطمنه غاية التطمين . ويوسف باشا بوصول الجواب فرح فرحاً عظيما وتشدد وتقوى وتوجه بالعساكر بكل غيرة واقدام .

وامر سليمان باشا كتخداه باخذ المأمور واكرامه واوعده انه بوصوله لطبريا يحرر الاجوبة اللازمة للباب العالي وودعه المأمور وكتخداه واغتنموا دعاه وركب الوزير مستعيناً بالله وركب معه

ديوان افنديسيه وبرأي المعلم حييم توجه معه اثنان من الكتاب العربي وهم المعلم فضول الصابونجي واخيه المعلم لطوف . والمعلم فضول المذكور كان كاتباً عند الجزار بعد هرب المعلم حنا العورة . وحيث ما عاد احد خدم عنده نظراً لرداوة حاله وسفكه الدما وخيانته استخدم بالضرورة فضول المذكور ليس من دون ان يحصل منه على الاذية والحبس والعذاب .

﴿ المعلم حنا العورة وتاريخ حياته مع المعلم حييم الصراف ﴾

فلما حضر سليمان باشا لولاية عكا استحضر معه المعلم حنا العورة من الشام اذ كان بوقتها مختفياً فيها من وجه الجزار بعد هربه من خدمته لما باداه بالاذية من دون ذنب وبلصه وقطع منخاره وارسل له ثمانية مراسيم امان وراي وطلبه لخدمته ووعده بالاحسان والجميل فما عاد صدّق ولا جاوبه وكان بمدة هربه واختفائه حريصاً بان لا يدع احداً يعرف اين مقره لانه توجه اولاً استقام في دير مار مخائيل عميق الذي بقرب رشميا حذا دير القمر . وبعد تسعة اشهر نزل بعياله واستقام في دير القمر لاجل ادارة معاشه بتلك المدة بما انها كانت ايام غلا وكان مختفياً عن وجه رجل مثل الجزار لا يستطيع يعمل عملاً ولا يستطيع يتظاهر بالبيع والشراء . وبنفس الامر ما ابقى الجزار له شيئاً يعتاش به فضلاً عما يبيع ويشترى به . نعم ان سمعته حسنة جداً . وانما نظراً لحال الاوقات لم يمكنه ان يحرر لاحد ولا احد يركن ان يسلم له شيئاً . ولذلك التزم بالضرورة ان يخدم عند الامير بشير وجريس باز كتخداه .

وبعد سنتين ونصف اذ نظر ان المعاش المرتب له لا يكفي واذا بقي هناك لا يستريح بما ان وصول اوامر الجزار بالامان متصلة اليه عن يد ابن عمه المعلم ابرهيم النحاس [1] الذي كان كاتباً عند الجزار . وعن يد اخيه المعلم خليل النحاس الذي كان مقيماً في صور كاتباً ايضاً ولاحظ انه بحسب التغييرات والتبديلات التي كانت واقعة بذلك الوقت بين حكام الجبل وفي كل وقت يتقدم امير ويدفع عبودية لخزينة الجزار وياخذ منه الحكومة ويعزل الاول فربما يعرف احد المنافقين انه موجود في الجبل فيخبر الجزار الذي من حنقه عليه يطلبه من احد الامراء الحكام حين ولايته ولاجل اغتنام بياض الوجه يرسله هذا للجزار فاقتضى ان قام من دير القمر وتوجه للشام مختفياً واستقام مدة قليلة لحينما عرف كيف يتيسر وتصاحب مع البعض من اهالي الشام الذين جعلهم الباري تعالى ان يحبوه ويوقروه ويعطوه ما يريد . واذ تيسر له فتح دكان في

---

(١) اسرة النحاس المشار اليها غنية برجال الادارة والكتاب وابرهيم النحاس المذكور هنا هو جد المرحوم ابرهيم النحاس والد الخواجا انطون النحاس المدير الثاني لبنك رومية في بيروت وجد نقولا افندي النحاس رئيس كتاب محاسبة ولاية بيروت وجد لجريس مخائيل النحاس رفيق وزميل اديب بك اسحق . وكان والدهم مخائيل من كبار الكتاب في ديوان عبدالله باشا في عكا والقدس

وخليل المذكور هنا هو جد المرحوم خليل حبيب افندي النحاس الذي كان كومسير من قبل الدولة العثمانية في نظارة البريد والتلغراف في مصر وجد اخيه مخائيل بك النحاس الذي كان المدير العام لادارة البريد والتلغراف في بيروت في عهد الحكومة العثمانية ومدة الاحتلال الى ان توفاه الله سنة ١٩٣٣

سوق البزورية بجانب خان النحاس ووضع فيها تنباك وقهوة ودخان للمبيع ونظراً ليسرة المعاش في دمشق بقدر الامكان وبنوع ما احسن من اقامته في دير القمر دبر داراً للسكنى في حارة زيتون بقرب باب شرقي تسمى دار العفصة وحالًا ارسل احضر عيلته من دير القمر وتوطن بالشام . والباري تعالى جابر القلوب المنكسرة وفقه لاكتساب معاش عائلته الضروري . وعاش بحال السترة الى آخر سنة ١٢١٨ لما توجهت ايالة الشام على الجزار وارسل من قبله كنج احمد آغا متسلماً وصحبته الاكراد لاجل زرع زؤان فساده وشروره وبغيه وظلمه كما اوضحنا ذلك فيما سلف فالتزم حنا بان يسكر دكانه ويستقيم في البيت مختفياً وكان نهار الاحد والسبت والاعياد يتوجه يحضر القداس في دير الافرنج قبل الفجر ويرجع قبل سلوك الرجل بالاسواق بحال المداراة الكلية . واستقام هكذا مدة اربعة اشهر ونصف . وكان بمدة اقامته مختفياً بالبيت قد سلم للخلق الارزاق التي كانت عنده في الدكان وأوصل لكل ذي حق حقه . ويا لاحكام الله الغير المدركة وافعاله ذات التحنن لانه مع كونه لا يعرف سوى كار الكتابة حيث انه كان عمره اثني عشر سنة لما توفي والده المعلم مخائيل العورة في عكا بخدامة الجزار اذ كان بوظيفة ديوان افنديسي وعربي كاتبي [1] بما انه كان فريد زمانه ووحيد اوانه بحسن الخط ومعرفة الانشاء التركي والفارسي

---

(١) كان مخائيل العورة يسكن في صيدا مركز اقامة الوزير صاحب الايالة قبل ان انتقل الى عكا في عهد الجزار . وكانت دار مخائيل المذكور بجوار كنيسة مار نقولا القديمة في صيدا قرب دار آل مشاقة هناك

والعربي وكان الجزار يحبه حباً مفرطاً فتوفي في الاربعين من عمره بداء الاستسقاء في عكا .

فالجزار اغتم عليه جداً وارسل حالًا استحضر ابنه المعلم حنا المذكور من صور اذ كان مقيماً عند شقيقته والبسه عربي كاتبي مكان ابيه وكان يحبه ويلاطفه . ثم استحضر اخاه ابرهيم واستخدمه معه وكان يميـل لهم بزيادة . وكان بوقتها موجود بخدامة الجزار اولاد السكروج ماسكين زمام مصلحته . وكان الجزار لم يزل بحال اللطف والانس محباً للرعية ووديعاً ذا احكام جميلة . فأخوه ابرهيم انطمن بعد سنتين وتوفي وبقي المعلم حنا وحده . وبذلك الاثناء اشترى الجزار المماليك الذين منهم سليم باشا الكبير وسليم باشا الصغير وسليمان باشا وعلي اغا والد عبدالله . وبعد مدة استجاب الى الثلاثة الاولين فرمانات وظائف ميرميران وجعل سليم باشا الكبير كتخدا عنده وكانوا كلهم بسن واحد بالصبوة . ونظراً لميل الجزار الى المعلم حنا كانوا كلهم يحبونه ويتعاشرون معه نظير الاخوة . وتمكنت بينهم المحبة . ولما صار سليم باشا كتخدا ازدادت محبته له وكان دائماً يميل اليه ويكرمه وكذلك كان سليمان باشا يحبه جداً .

ولما عزم الجزار على محاربة الجبل بعدما حارب بلاد بشارة وقتل ناصيف النصار وذويه وشتت البقية منهم واستولى على كامل بلاد المتاولة من مقاطعة جباع التي قبال صيدا الى قرية البصة الواقعة تحت المشيرفة من قرى ساحل عكا وقتل مشايخ واكابر ووجوه بلاد صفد ومحى اثار الزيادنة واستراح بالاستيلاء التام على المقاطعات المرقومة

افتكر بان يفتح الحرب على جبل لبنان ويستولي عليه كما استولى على بلاد صفد وبلاد المتاولة . فنصب سليم باشا سر عسكر وارسل معه سليمان باشا وعلي اغا وعساكره جميعها كما قدمنا ذلك باختصار . واما كيفية مسير سليم باشا بالعساكر ورجوعه على الجزار والتوفيق الذي صادف الجزار بوقتها نضرب الان عنه صفحاً لانه طويل الشرح وله محل اخر في اخر هذا الكتاب مع الذي ادركناه من حركات الجزار بمدة حكومته[1] .

فسليم باشا طلب المعلم حنا ليتوجه معه . والمذكور بما انه كان بوقتها ابن ستة عشر سنة خشي وتمنع وما قبل له عذر وبعد مراجعات جمة طلبه من الجزار وكرر الرجا بطلبه والجزار امر حنا بالتوجه معه . وفي تلك الواقعة هرب سليم باشا وسليمان باشا ومن يتبعهم ومعهم المعلم حنا كما قدمنا . فالباشاوات والاغاوات بقوا هاربين على وجوههم . واما المعلم حنا فبسلامة الضمير توجه استقام في صور عند والدته واخته لانه لا يعرف لنفسه جنحة يخاف منها ويختفي لاجلها وخصوصاً انه كان بحال الفتوة . فبعد ان راق الجزار من تلك الخبطة المريعة التي صادفته سأل عن المعلم حنا . فاخبروه انه في صور فاصدر حالا مرسوم امان ورأي . واستحضره وبحضوره بش له وتلاومه على توجهه الى صور وعلى ترك خدمته قائلاً له انت ابني وهل احد يترك اباه ويهرب من وجهه . وسلمه مصلحته بغاية الرضا . وبقي حنا اثنين وستين يوماً يدخل ويخرج كعادته

---

(١) لم نقف على شيء من ذلك في هذا الكتاب ولا في غيره من قلم المؤلف

من دون ان ينظر من الجزار تغييراً . وفي اليوم الثالث والستين اذ حضر لعنده في ضحى النهار لاجل ختم المراسيم التي حررها بحسب العادة . وبعد ان تم ختمها اراد المعلم حنا ان يتناولها ويأخذها ويمضي مسكه الجزار من زنده واوقفه عن المسير ومد يده الى تحت الطراحة التي كان جالساً عليها واخرج منها مرسوماً محرراً من سليم باشا بحق الجزار يشعر بان الجزار صار مغضوب الدولة والسلطان ويوضح فيه الاوامر الملوكية الواردة له بحق الجزار وغضب الدولة عليه وعزله وتوجيه المنصب على سليم باشا بموجب الخط الشريف . ومن جملة المحرر فيه الجزار خائن . ثم قال للمعلم حنا هل هذا المرسوم خطك . فقال نعم . فقال له انا خائن ياحنا . فقال له يا افندم انا عبد مأمور . فالذي امرني والزمني ان اتوجه معه هكذا امرني ان اكتب . وسعادتك تعرف ان الكاتب تحت امر مولاه . وهذه الكتابة نعم انها بخطي وانما ليست مني . حينئذ امر بحبسه وبعد عشرين ثلاثين يوماً بعد ان امر بعذابه بالضرب الشديد على رجليه حتى وقع لحم سيقانه امر الحباس بقطع مناخير جانب من المحابيس وقلع عيون جانب . ومن الجملة قطع منخار المعلم حنا واخرجه من الحبس . ولما عرف انه انقطع منخاره زعل الجزار وغضب وادعى بانه ما امر بقطع منخاره وامر بقتل الحباس الذي فعل ذلك . وبعد ان بلص المعلم حنا بجرم كلي دفعه وهو بالسجن امر باطلاقه بعد قطع منخاره . واذ طلع من السجن استأذن ان يتوجه لمداواة جسمه فاذن له وتوجه الى صور وتداوى . واذ عوفي قام من صور وتوجه هارباً الى الجبل ومنها الى الشام كما قدمنا .

وفي مدة اقامته في دمشق في البيت بمدة ولاية الجزار بدون شغلة
ولا مصلحة لعدم مكنته الخروج والدخول اولاً بما انه غريب الديار
ثانياً صاحب عيلة ثالثاً خائف ومختفي من الجزار الذي ارض الشام
وحيطانها واشجارها فضلاً عن اوادمها كانت ترتعد خوفاً من مظالمه
يسَّر له الباري تعالى بان فتح ذهنه ليتعلم صنعة عمره ما قارشها ابداً ولا
نظر فيها وهي صنعة الخيـاطة اذ كان في ذلك الوقت نصارى الشام
مولعين في لبس صداري كانوا يحضروا مخيطين من اسلامبول ويبتاعوا
بثمن زيادة عن سواهم لان الرغبة والغيرة جعلت الجميع يرغبوهم
ويشتروهم باعلى ثمن ويلبسوهم ومن الجملة كان له جار ساكن بالدار
التي يقيم فيها اسمه سركيس الزبال يلبس من هذه الصداري . فاذ دخل
المعلم حنا في احد الاوقات الى المطبخ المشترك بينه وبين سركيس
المذكور وجد والدة سركيس المذكور رامية صدرية قديمـة مهرية من
قماش بفتا ابيض ولها خرج حرير وزرار وتحارير فاخذها بيده وتمايزها
ثم تمشى لبيته وخلع الخرج عنها وتمايزه وحل الشريط وعرف كيف هو
محبوك والتحرير كيف هو مبروم واستحضر خيطان قطن وحبكها وصار
يشتغل بها بالتأني . وبالمداومة عرف كيف حبكها ثم عرف مقدار
خيطـان التحرير . وبعد ان تمكن من معرفة ذلك طوى الصدرية
ووضعها امامه وصار يتمايز كيفية تفصيلها وقلبها من هنا وهنا ثم
فتحها عن بعضها ورفعها قطعاً وصـار يحكمها الى ان عرف كيفية
تفصيلها . ثم ارسل حالاً استحضر قماش بفتا جديد واستحضر حرير عقادي
ابيض من جنس حرير الخرج ثم استحضر زرار وحرير للخياطة وابر

ومقص وفصَّل صدرية بقدر القطع الموجودة واحكم تفصيلها تماماً ثم اعطاها الى عياله لاجل درزها ولاجل تنبيتها نظير القديمة فعملتها امرأته نظيرها . ثم باشر بحباكة الخرج وعمله نظير الاسلامبولي تماماً . وبرم حرير التحرير وركبه على الصدرية بكل اتقان . ثم استحضر مكواية وكواها فظهرت صدرية اسلامبولية احسن من الموجودين في السوق للبيع . وعمل حساب مصروفها فربحت معه ثمانية غروش فانحظ من ذلك . واذ نظرها جاره سركيس اشتراها حالًا ودفع ثمنها وترجاه ان يعمل له ثلاثة غيرها فعملهم . وسركيس افاد اصحابه بهذا والمذكورين رغبوهم وصار يشتغل ويبيع ويسحب معاش عيلته بكل راحة طول تلك المدة .

واذ حضر خبر موت الجزار خرج من البيت وفتح دكان فاشترى تركة جوز[1] ومقص خياطة وهنداسة . وعمل خياط اذ امتدت يده لصنعة الخياطة وصار يفصل مهما اراد تفصيلًا مضبوطاً من اقمشة واجواخ وغيرها . وكانت والدته دائماً تبهت فيه وتتعجب منه لعلمها الاكيد انه في زمان حياته ما تعلم صنعة قط ولا قارش كار سوى كار الكتابة الذي تعلق فيه من صغر سنه . واذ ذاك تواردت عليه الخلق وصار غالب اكابر الشام يخيطوا عنده ويعطوه زيادة عن غيره نظراً لامانته واتقانه . وبقي هكذا في دكان الخياطة مرفه المعاش احسن من الايام السالفة الى حين حضور سليمان باشا بمحمل الحج للشام كما قدمنا لما قدم ابرهيم باشا قطراغاسي .

(١) تركة وتسكة بالتركية المراد بها طاولة يعمل الخياط عليها عمله .

وثاني يوم او ثالث يوم وصوله حضر سليمان باشا لعند ابرهيم باشا في سراي الشام واقام عنده حصة زمان ثم توجه الى المرجة محل وضع اوردية فمر في سوق البزورية وامامه القواصة والجاويشية كعادة الوزراء في ذلك الزمان وامامه سلام آغاسي يصرخ بصوت عالي سلام ورحمة الله . فالاسلام نزلت من دكاكينها الى السوق لاجل استقبال سلام الوزير . والنصارى حسب العادة توقف ضمن محلاتها ومن الجملة وقف المعلم حنا في دكانه وكان عنده بالدكان ولداه مخائيل ومولفه محرره ابرهيم فوقفوا يتفرجوا على الوزير . وكان يومئذ عمر مخائيل قريب عشر سنين وعمر ابرهيم سبعة سنين ونصف . فبوصول سليمان باشا قبال الدكان اذ كان من عادته ان يلتفت الى هنا وهنا ويرفع رأسه اذا نظر انساناً فوق التفت كعادته الى الدكان واذ نظر المعلم حنا قال له من حنا مسن[1] ؟ فاجابه متمنياً وقال نعم افندم . ثم قال حنا عورة مسن ؟ فاجاب متمنياً نعم افندم . فقال له عربياً ايش تعمل هنا انزل قدامي . وامره بالنزول من الدكان . حينئذ قال المعلم حنا لولده مخائيل اذا انا طولت فسكر الدكان طيب وخذ المفاتيح للبيت . وحرصه وحالاً لحق الباشا اذ بقي واقفاً بالحصان ينتظره ومشى في ركابه الى المرجة . واذ وصل ونزل في صيوانه تقدم المعلم حنا ليقبل اذياله ابدى له الوجه الضحوك وسلم عليه سلام المحب واجلسه بجانبه وصار يسأله عن حاله وكيف صار فيه وصاروا يشكوا لبعضهم ما نالوا من الم الغربة . ثم قال الوزير يا معلم حنا الحمد لله تعالى تلك الايام المنحوسة زالت مع صاحبها . والامل

(١) مسن او ميسن بالتركي حرف استفهام هل انت حنا .

بالله تعالى اقبلت ايام التوفيق . وها انا الان بامر الدولة العلية مامور ان اتوجه بمعية ابرهيم باشا على عكا فلازم ان تتوجه معي . ولنا امل بالله ان يتم معنا باقي هذا العمر حسناً عوض ما قاسينا من الاتعاب . فالمعلم حنا صار يدعو له واستعفى من التوجه معه قائلاً انا درس الخدمة قامته وما عادلي قدرة على احتماله وحلفت عليه فهذا الامر ارجوك ان تعفيني منه . فاجابه ان هذا لا يتم ومن الذي يوجد احسن منك او مثلك . ومن يعرفني قبلك . ومن الذي عاشرته من صبوتي غيرك . وفي من اركن بخدمتي وبسري نظيرك . فهذا الامر لا بد منه . ولا اقبل لك عذراً ويسواك ما يسواني . وما دمت بقيد الحياة فالخبزة التي احصلها اقسمها بيني وبينك . وصار بينهم مجادلات كثيرة وبقيوا من ظهرية النهار الى غروب الشمس . واخيراً اعطاه سبعماية وخمسين غرش ليوضعها خرجية بالبيت وامره ان يستحضر على السفر . فبعد الغروب بقرب ساعة حضر لبيته . وبغاية الغم احكى لوالدته وعياله ما تم . فالمذكورون فرحوا فرحاً عظيماً . ومن ساعتها ابتدأوا يستحضروا على لوازم السفر . وثاني يوم ارسل استحضر الحوايج من الدكان ومن عند الخياطات وارسلهم الى اصحابهم . ثم حضر له طلب من الوزير . واذ حضر لعنده اعطاه خمسماية غرش لاجل ان يشتري بها لوازمه ويستحضرها . وهكذا سار بخدمته وحضر معه واحتمل مشقات كلية تلك الخطرة الى ان فتحت عكا .

وقبل دخولهم لعكا لما طلع المعلم حييم الى شفا عمر ونظر تلك المضايقة لهم من العساكر وخاف ورجع الى عكا افتكر ان المعلم حنا

نظراً لما احتمله لاجل الوزير وحبه له لا يحتمل حييم . بل يشوش عليه امر حياته ويكدر عليه خاطر الوزير طمعاً بعلو مرتبته اذ انه امر معلوم ان الانسان يظن بغيره ما يكون بنفسه مع ان المعلم حنا كان بعيداً عن هذه المظنة لانه كان رجلاً صالحاً عديماً للشر بعيداً عن اذية الناس . وكان من دأبه ان لا يتكلم بحق احد ولا يريد يسمع قول احد بحق الناس . وبسبب ما قاساه بزمان حياته كان دائماً يحب السكينة والابتعاد عن كل امر متعب .

﴿ ما فعل المعلم حييم مع المعلم حنا عورة ﴾

ولما دخل المعلم حنا مع سليمان باشا لعكا ووجد ان المعلم حييم متعبط (قابض) كل الامور تركه وما سأل عن شيء . وافتكر ان يجعله حائط امامه يتوارى به مما يحدث من كثرة المداخلات مع الحكام لانه اكل لوعتها ومع كونه ما قارش سوي خدمته فمع ذلك كان حييم متزاولاً منه جد المزاولة وخائفاً منه . فابتدى يستعمل المعلم فضول الصابونجي المذكور بكتابة العربي مع اخيه ويأمرهم بتحرير بعض المراسيم التي تقتضي . والمعلم حنا بحسب سلامة نيته ما افتكر فيه بسوء . ويوماً عن يوم يكثر من استخدام المذكور واخيه ويأمرهم بالدخول والخروج امام الوزير حتى انه صار على القليل يتطلب من المعلم حنا كتابة . واذ ذاك كانت عياله بالشام وانما اخذ من سليمان باشا الدار التي طلبها لاجل سكناه وحده فقط .

فبعد كم يوم لما ظن المعلم حييم ان سليمان باشا صار مرتضياً من

المعلم فضول الصابونجي واخيه وانه بلغ غايته بتمكين هؤلاء بخدمة
الكتابة عند الوزير وان المعلم حنا ما عاد يسأل عنه الوزير ان غاب
وان حضر ارسل له اربعة آلاف غرش صحبة الحاج محمد الخطيب
الداموني خزينة كاتبي وقال له ان يعطيها للمعلم حنا ويفهمه ان افندينا
يقول ان عنده كتاب بزيادة ولا احتياج له . فليفتش على معاشه . فاذ
اعطاها له وقال له هكذا اجاب سمعنا واطعنا على الرأس والعين ولله تعالى
مزيد الحمد . ومنذ ذاك الوقت استقام في بيته وما عاد خرج . وسليمان
باشا ما صار له علم بشيء من ذلك . بل لما كان ينظر اولاد الصابونجي
يدخلوا ويخرجوا يظن ان المعلم حنا مستعملهم تحت يده وانه مشوش
او ما له كيف . فعشية ذلك النهار بلغ ديوان افنديسي سليمان باشا ما
فعله المعلم حييم بحق المعلم حنا فاغتاظ جداً جداً واغتم غاية الاغتمام .
وثاني يوم اذ تحقق الخبر ازداد غمه خصوصاً لما تأكد ان سليمان باشا ما له
علم بذلك ولا كتخداه بما ان هذا الافندي كان يحب المعلم حنا بزيادة
وهذا الحب اتصل بينهم برباط وثيق من حينما كانت عكا مسكرة لان
الديوان افنديسي حضر برفقة راغب افندي مأمور مخلفات الجزار . ولما
حضر راغب افندي لعند سليمان باشا الى كردانة واجتمعوا سرياً
واتفقوا على جلب المنصب باسم سليمان باشا كما قدمنا كان هذا
الافندي معه وكان حاضراً بالخلوة وهو الذي كتب تحريرات الاستدعا
وكان من خواص خواجان ديوان همايون ومسدود الخاطر هناك جداً .
ومنذ ذلك الوقت تمكنت المحبة بينه وبين المعلم حنا . وسليمان باشا
احبه كثيراً وطلبه من راغب افندي ليكون ديوان افنديسي عنده

اذ نظر ان قلمه موفق والاقبال صار به . وبعد كل جهد جهيد حتى وافق وارتضى بالاقامة عند سليمان باشا وكان محترماً عنده جداً . وكان كلما دخل عليه ينهض له قائماً ويجلسه جانبه ويأكل ويشرب معه وازوجه واحدة من خاص سراري الجزار تسمى الست فاطمة كانت معززة الخاطر عزيزة عند الجزار بزيادة من غيرها وغنية بالجواهر والقنايا من عطايا الجزار لها وكان الافندي يتردد يومياً على المعلم حنا ويتواد معه ويظهر له انواع المحبة . وكان من عادته يطلع كل يوم صباحاً لعند الوزير ويستقيم عنده يتحادث معه الى وقت الظهر . وعند الظهر يتغدى معه . والوزير يقوم ينزل الى حرمه والافندي يتوجه الى قوناقه . وهذا كان ديدنه يومياً واذا تعوق عن الحضور يرسل له الوزير علم الطلب .

﴿ ما كان من الوزير بشأن حنا العورة ﴾

فلما تأكد الافندي ما حصل بحق المعلم حنا انقطع عن الحضور لعند الوزير كعادته . واذ ارسل طلبه اعتذر وما توجه . وثالث يوم خرج من بيته قبل شروق الشمس وتوجه الى السراي بخلاف العادة لعلمه ان الوزير يطلع لديوانه قبل الجميع وبعد شروق الشمس قريب ساعة يحضر الكتخدا وبعده يحضر المعلم حييم . واذ دخل الافندي على الوزير وجده ساعة خروجه من الحرم فاذ تقدم لقدامه نهض الوزير واقفاً فأسرع وقبل ذيله وصار يطلب العفو فأمره بالجلوس كالعادة فاعتنى وتقدم قبل الذيل والتمس الاذن . فسأله : وما هذا الاذن . فقال له اذن السفر . فقال له الى اين . فقال له الى اسلامبول في هذا النهار وفي هذه الساعة .

فانذهل الوزير من هذه البغتة وسأله بكل ضغطة لاي سبب . فقال له ما عدت اريد ان اخدم . فسأله لاي سبب . وما هو المحوج . وما الذي جد . وايش القضية . فقال له بعبوسة ما في شي . فقط ما عدت اريد ان اخدمك . فتش على غيري . فأجابه قل لي هل انت مغموم من احد . او ما هو السبب المحوج لغمك . وما هو ذنبي معك . فقال له ما في شي سوى اني لما طلبتني لخدمتك ظنيت انك من الوزراء الذين ينخدموا اي الذين يحفظون حق الخدمة والصداقة فاذ تحققت حالك وعرفت انك لا تحفظ ذمام ولا وداد . فانا من خدمة السلطان وخواجكان ديوان همايون ولست محتاجاً خدمتك . فما عدت اريد ان اخدمك .

فقال له وما الذي ظهر لك مني والله يدي نظيفة . احكي لي الصحيح يا افندي . بالله عليك . روق . تفضل . اقعد . واحكي الواقع . فقال له اذا كان مثل المعلم حنا الذي انت من فمك حكيت لي عن صداقته ومعرفتك له من زمان الصبوة والزامك له بالحضور معك وعن الثقلة التي احتملها بخدمتك والمخاطرات الجسيمة التي نالها ان كان في وقت الحرب او بغيره . وما قاساه من الاضرار بسببك من العساكر في مدة الاوردي وانت نفسك قلت لي لولا وجوده معك ما كنت قدرت ضاينت . ولولا وجوده عندك وتشجيعه لك كنت هربت . وانا بعيني شاهدت ما اصابه من عساكرك . فالان يكون جزاؤه عندك ابعاده عن خدمتك بدون ذنب ولا جنحة . فان كان هذا واتعابه كلها ما اثرت معك فانا مهما خدمتك فلا اقدر ان اخدمك بقيراط من خدمته . وقبل ان تعاملني كما عاملت ذاك اريد ان استعفي

من خدمتك واتوجه لبلدي والسلام .

حينئذٍ نهض الوزير واقفاً ومسكه بيده واجلسه غصباً الى جانبه . وبدا يحلف له ان ما له علم بذلك ابداً . ولا يمكن يريد ولا يسمح بوقوع هذا الامر ولو عرف ان المنصب كله يضيع من يده وكرر له تغليظ الايمان . وبالحال امر جلبي قواس باشي ان يذهب بذاته ويحضر المعلم حنا بكل لطف . واذ توجه المذكور بدا سليمان باشا يلاطف خاطر الافندي ويؤكد له عدم معرفته لادنى شيء مما توقع .

فقواص باشي توجه لعند المذكور للبيت وكان وقتئذ قائماً من نومه وعنده الخوري انطونيوس الفاخوري . فاذ اعطى القواص باشي الاشارة توجه اليه الخدام وساله ماذا يريد . فقال له افندينا يريد المعلم حنا فرجع اخبره . حينئذ فرح الخوري واظهر الابتهاج . لكن المعلم حنا قال له قل للقواص باشي مالي كيف ولا اقدر اتوجه .

فاذ قال له هذا توجه واخبر الوزير فزعل عليه وشتمه وقال له اسرع وقل له اني اريده بهذه الساعة فمن كل بد يحضر . فرجع بسرعة وهو بغاية القهر من زعل الوزير عليه . وقال له ذلك . فاجاب المعلم حنا اني مالي كيف ولا اقدر اتوجه . فاذ راجعه القواص نفر فيه وقال له لا اقدر اتوجه ولا كاف الله نفساً فوق حملها . وهكذا ارجعه فارغاً .

فالخوري اغتم غاية الغم من المعلم حنا وبدا يتلاومه على تردده عن التوجه واظهر القهر الكلي . فأسكته المعلم وقال له انا اعرف شغلي انت لا يخصك هذا . فسكت ولكن غصباً . ولما توجه قواص باشي بالجواب الثاني ارسل حينئذ الوزير من طرفه رجلاً يقال له حسن اغا جاويش

من امكدارية[1] الباب رجل اختيار معتبر منه ومن كتخداه له لسان ماضي مقتدر على التصرف بقضا المصالح وقال له بدي منك في هذه الساعة تحضر لي المعلم حنا بحسن لطافة ولا ترجع بدون ان تحضره معك فتوجه المذكور .

ولما وصل للدار وعرف المعلم حنا اذن له بالطلوع لعنده واذ جلس وشرب القهوة تكلم بما لزم وبعد اللتي[2] والتي اخذه وتوجه به . وحين وصوله كان حضر الكتخدا والمعلم حييم وسائر الاغوات والخدم والكتاب وجلس الكتاب جميعهم بجانب المعلم حييم وصاروا يشتغلوا بدفاترهم واولاد الصابونجي حضروا وجلسوا بمحل اقامة المعلم حنا كالعادة . فاذ وصل المعلم حنا الى امام الوزير بش له وضحك بوجهه وقال له اين كنت . فقال له ليس لي كيف . وما حضرت الا غصباً عني . فقال له اجلس في شغلك وامسك مصلحتك . فانا لا اريدك ان تفارقني ولا اريد غيرك مطلقاً . سمعت وفهمت . قال له نعم . وتمنى وخرج

فعند خروجه التفت الوزير الى المعلم حييم . وقال له يا معلم يا معلم . فنظر اليه حييم . ثم قال له افهم مني . لما كنت انا والمعلم حنا بالضيقات والاهوال كنت انت وهؤلاء[2] . . . هذا كاتبي ما احد له سلطة عليه مطلقاً وامره معلق بيدي . سمعت . والا افهمك . ثم حذف الجبق من يده على الارض بنفرة قوية ونهض قائماً ونزل الى

---

(١) الامكدار بالتركية الخادم القديم او الذي شاخ في خدمة الحكومة

(٢) الخش كثيراً سليمان باشا بكلامه واطال به حتى لا نجد من اللياقة ذكره بنصه

الحريم كالعادة . وبوصوله الى قبال المعلم حنا ضحك له وصار يلاطفه وهكذا لما خرج من دار الحريم ورجع التفت اليه وصار يباسطه ويغمزه ويومي له على حبيم . ومنذ ذلك الوقت حبيم ما عاد امكنه يبدي شيئاً بحق المعلم حنا . وعلي اغا الكتخدا حيث ما له علم بما حصل من حبيم لما تحقق ابدى الزعل الكلي . ومنذ ذلك الوقت صار له ميل خصوصي لنحو المعلم حنا بزيادة عن الاول .

﴿ ما فعله حبيم من الوداد مع المعلم حنا بعد ذلك ﴾

فاما المعلم حبيم فبعد هذا الطابق انتظر ما يظهر من المعلم حنا من التاثيرات بحقه وبدا يرسل رقباء ورواصيد يترصدوا محل اقامة الوزير بعد نزوله من ديوان الاشغال لينظر هل المعلم حنا يتوجه لعنده ويجتمع به . بل صار يرسل من طرفه جواسيس تجسس بواطن المعلم حنا وكلامه بحقه في بيته . واذ استقام هكذا مدة اربعة اشهر مشتغلاً بهذا العمل وما قدر مسك على المعلم ادنى اشارة مما كان مفتكراً فيه وخائفاً منه ففي احد الايام حضر للسراي قبل ميعاده بمقدار ساعة زمان ومن دون ان يفوت على اوضته توجه دغري لمحل اقامة المعلم حنا وصبح عليه وجلس عنده . وبعد ان شربوا القهوة قال للمعلم حنا انا حضرت بهذا النهار لعندك بخصوص اولاً لاسال خاطرك ثانياً لاجل اكشف لك ضميري واعترف لك كما انتم النصارى تعترفوا الى الخوري . ثالثاً لكي اطلب منك العفو والسماح عما بدا مني بعد ان تسمع عذري . فاسمع لي . فقال له تفضل .

قال له انا ما اعرفك سوى لما طلعت الى شفا عمر ونظرتك وشاهدت الثقلة الحاصلة لك في وقتها من العساكر . فبالحقيقة حملت همك وخفت غاية الخوف وكما شاهدت مني عملت طريقة ورجعت الى عكا حالاً . وسبب طاوعي في ذلك الوقت كان خوفاً منك لانه لما اخبروني عن وجودك مع افندينا سالت عنك فجميع الحاضرين من النصارى ابناء جنسك تكلموا عنك بالردي قائلين يا فلان هذا رجل متكبر متعجرف قدار خراب بيوت لا يحب سوى نفسه ولا يريد غيره . ونحن نحذرك منه اوعا لشغلك معه . الله يخلصك من يده . هذا كذا . هذا كذا . وكل منهم ينوع الثلب بحقك اشكالاً حتى البعض منهم كما بلغني انهم من اقاربك تكلموا بحقك[1] . وفلان قال كذا وفلان قال كذا . وانا معلوم جنابك انسان يهودي والكلام بسرك والمثل قال اذا كان عقلك براسك يديره اثنان . فانا ليس اثنان بل عشرة وخمسة عشر تكلموا بلسان واحد . فهل يعجب ان يديروا راسي . فقال له لا . فقال له ولهذا السبب حصل عندي منك مزاولة كلية وخوف واضطراب حالي وعدمت راحتي والتزمت بالضرورة لان افعل ما فعلته . وبعد ذلك انا اعترف لك اني انتظرت منك المقابلة بالاسى وسهرت جداً على مراقبتك حتى اني التزمت ان ارسل اناساً من طرفي تقف على حديثك في بيتك وصار لي والله مدة طويلة على ذلك حتى ان الذين ارسلتهم لمراقبتك كل هذه المدة ما اثنوا عنك الا الثناء الجميل . وما

---

(١) لعله يعرض في ذلك باحد بني عمه ابراهيم وخليل النحاس تبرئة لنفسه .

احد تفوه بكلمة عاطلة بحقك اي ما احد قال انه سمع منك عني كلمة لا بالظاهر ولا بالباطن الخفي . وانا لمعرفتي باني فعلت ما قدرت بحقك ما قدرت عليه . وانت بموجب النفس الذي اخذته من افندينا كنت قادراً ان تتكلم بحقي بما تريد ليس في غيابي فقط بل حضوري . واعرف طيب انك مهما تكلمت وفعلت بحقي تكون قد فعلت بحق مكافاة لما بدأ مني . فمن ذلك تحققت انك رجل طاهر القلب خائف من الله ذا اصل طيب وتأكدت ان اولئك الذين تكلموا بحقك اناس اردياء منافقين لا يخافون من الله ذوي اصل عاطل . ولذلك اطلب من جنابك العفو والمسامحة عما بدا مني . ومن الان وصاعداً عهد الله بيني وبينك نكون انا وانت حال واحدة ويد واحدة ورأياً واحداً . وهذا عهد الله وميثاقه بيني وبينك .

حينئذ المعلم حنا قال له يا معلم انا اجاوب جنابك عما تفضلت به في كلمتين مختصرة . وهي كل اناء ينضح بما فيه . وكل انسان يتكلم ويفعل باصله وبما يواليه الله . وكن مع الله ولا تبالي بأحد والسلام .

فقال له هذا هو الحق . ثم تقرب اليه واحتضنه وقبلوا بعضهم بعضاً وقام لمحله وعند عشية ارسل له مع تابعه خليل عساف خمسة الاف غرش وشال كشمير اسود عال وقال له هذا انعام من افندينا لاجل يلبسه على رأسه وطاقيتين قطني هندي عال وطاقتين قطني شامي وطاقتين صرتي . فقبلهم المعلم حنا وارسل تشكر له ولف الشال على رأسه وثاني يوم توجه قبّل اذيال الوزير لاجل ذلك

ومع هذا فالمعلم حييم ما زال من فكره بالتمام خيال المزاولة .

وما زالت الضغينة اليهودية تقاتله ولاجل ذلك كان يميل الى استخدام اولاد الصابونجي بقلم العربي . وانما ليس كالاول بل المرسوم الذي يكتبوه بامر المعلم حييم يقدموه الى المعلم حنا ليختمه من سليمان باشا مع المراسيم التي كتبت بخطه وخط ابن عمه ابرهيم النحاس الذي كان كاتباً مترتباً بمعيته .

فسليمان باشا بعد تلك الحركة لما نظر المراسيم التي بخط اولاد الصابونجي اولاً رماها من يده وما قبل ان يختمها وامر المعلم حنا ان يغيرها بخطه وهو بدون ان يدع احداً يشعر حتى ولا اولاد الصابونجي غيرها وصرفها لمحلاتها وثاني مرة فعل الوزير هكذا وثالث مرة ورابع مرة . وخامس مرة امام حييم مسك المرسوم الذى بخط فضول وقال للمعلم حنا هذا الخط وهذه العقربة اي الطرة لا اريد ان اضع ختمي عليها . ثم شرط المرسوم وحذفه من يده . فنظر حييم وسكت . وانما ما رجع وما رفعهما من قلم كتابة العربي . فبعد يومين ثلاثة اذ نظر الوزير مرسوماً اخر قال الى المعلم حنا انا ما قلت لك لا اريد اختم على هذه العقربة وشقه . فمنذ ذلك الحين ارتدعوا بنوع ما . وانما المعلم حييم ما كف ولا هجع عن مراقبة الاوقات لتقديم اولئك لخدمة الوزير قاصداً بذلك ان يجعل المعلم حنا خائفاً على وظيفته من وجود هؤلاء وليكون دائماً بطاعة المعلم حييم . وهـذا الفكر لم يصر له طائلة . فاذ سنحت له الفرصة لبلوغ غايتـه اليهودية حينما عزم سليمان باشا على القيام لصحرا طبريا بالعساكر كما قدمنا ارسل بخدمته المعلم فضول واخاه كما قدمنا قبلاً . وهذا هو سبب توجه المذكورين بخدمة ركاب الوزير في تلك الخطرة

﴿ موقعة الجديدة بين سليمان باشا ويوسف باشا ﴾

ولنرجع الآن الى السياق السابق . فالوزير ركب من عكا وتوجه بعساكر من دايرته الى طبريا . واذ وصلها فتح الاوردي في صحراها . ومنذ ذلك الوقت صارت تتوارد عليه العساكر والجيوش والجرود من سائر الاطراف والانحاء . ثم حضر الامير بشير بجرود الجبل والشيخ فارس الناصيف بجرود المتاولة . ومشايخ بني صخر بجرودهم . ومشايخ ديرة بلاد صفد وساحل عثليت . وفي ذلك الاثنا كان الشيخ نمر شيخ عرب بني صخر الفرقة الثانية فهم حضور الاوامر بحق يوسف باشا وتأكد من سليمان باشا ان نية الركوب تغيرت عن الوهابي وصارت على يوسف باشا فلما اغربت الشمس ركب ليلاً خفية وتوجه غارة من طبريا لعند يوسف باشا الى المزيريب واخبره الواقع تفصيلاً وحذره غاية الحذر . وقبل منه الرشوة نظراً لخيانته او لاجل المكافأة ورجع الى الاوردي من دون ان يدع احداً يعرف . فيوسف باشا لما تاكد ذلك قام من المزيريب حالا بدون تأخير وانقلب راجعاً الى الشام ودبر حاله وتمم كل عساكره وعرف من يعتمد عليه منهم بالواقع وحضر بالعساكر لمقابلة سليمان باشا ومقاتلته عن طريق مرجعيون . ولما وصل خبر حضوره الى سليمان باشا حالا قام بالعساكر لمقابلته . وبوصوله الى ارض جديدة مرجعيون تقابل العسكران ووقعت المحاربة بينهم . وصارت اولا تتقدم الشلالات من العساكر ثم صار يشتد الحرب والكرّ والفرّ ×

﴿ جرح شمدين اغا وانكسار يوسف باشا ﴾

ولما ابتدأت المعركة استعان سليمان باشا بقوة الواحد الاحد وطلب حصانه وركب ليستقبل الحرب بنفسه ويشدّد القلوب. فتشدّدت حينئذ قلوب العساكر واقتحموا الاعدآء بقوة صادقة واشتد القتال و كثر النزال وبطل القيل والقال وبدت الهمة و كثرت الدمدمة وحام غراب البين وزعق ولمعت اسنة الرماح وبرق السيف وتقدمت الفرسان وتصادمت الشجعان. وفي تلك الساعة بامر العزيز الجبار صارت زوبعة هوآء قسطلت فوق الفريقين حتى حجزت مشاهدة الواحد للاخر واذ تقدم سليمان باشا لمحل الحرب هجم عليه ضابط كردي من ضباط عساكر يوسف باشا وبيده قرابينة محشوة رصاص وتقدم بحصانه هاجماً من معسكر يوسف باشا وقارب سليمان باشا حتى صار امامه باقل من مقدار رمية حجر وقال له اهلاً بك ياسليمان باشا اليوم تشوف قتلك من يدي وانا شمدين[1] المشهور بين قومي. ثم دفع زناد القرابينة في صدر سليمان باشا وبالقوة الالهية احترق ذخيرها وما طلعت نارها. واما سليمان باشا فما استهاب ولا رجع واراد يهجم عليه بالرمح حالا فسبقه احد ضباطه يسمى اورفلي اوغلو محمد اغا وصرخ على الوزير قائلاً امان افندم لا تنجس سيفك بدم هذا الكلب. فانا اليوم ذبيحة

---

(١) شمدين اغا المذكور يدعوه الامير حيدر شملين اغا وبعضهم يدعوه شهاب الدين كان من اكابر فرسان الاكراد في دمشق واكرمهم نسباً وهو جد عبد الرحمان باشا اليوسف لامه الذي كان عين اعيان الاكراد في دمشق

خزمتك وهجم على شمدين اغا المذكور وصرخ عليه : مثلك يا كلب من يتجاسر ويهجم على اسياده الوزراء العظام وضربه بالرمح فاصابه ما بين اكتافه . فصرخ المذكور من الم الضربة عالياً امان قتلني والله وألوى حصانه وفر هارباً وهو يصرخ باعلى صوته من الم الضربة والدم يفور من ظهره . فلما نظرته جماعته هكذا ألووا عنان خيولهم وفروا هاربين وتبعهم باقي عسكر يوسف باشا بالهرب معه وصرخوا جميعهم من الرعب الذي دخل عليهم بصوت واحد كسرة وهاموا على وجوههم . وتبعهم سليمان باشا بعساكره . واولئك بما انهم حاضرون من الشام خيل جرد بقوا بكسرة واحدة وغارة واحدة الى ابواب الشام[1] .

وهناك يوسف باشا دخل الى سرايته وفتح خزينته واخذ منها ما امكنه وخرج ليلاً هائماً على وجهه مع كم نفر قلائل كان يختفي بالنهار ويمشي بالليل الى ان دخل الاقليم المصري وصحبته البعض من خدمه مع المعلم عبود البحري كاتبه الذي سبق ذكره واخيه المعلم جرمانوس . واما اخوه حنا وباقي عيلته لبثوا بالشام . ولم يزل يوسف باشا هارباً الى ان وصل لعند محمد علي باشا والي مصر فوقع على اعتابه فأمنه وانزله في قوناق ورتب له ترتيباً كافياً له ولمن معه وبقي هناك الى آخر حياته . واما المعلم عبود البحري فبعد ان تحقق محمد علي باشا تفرده بفن الكتابة

---

(١) هذا وصف تام لمواقع الحرب والقتال التي كانت تجري في تلك الايام ما بين كر وفر بدون مدافع . وكان يكفي فيها ان ينادي احد الضباط او كبير الجند كسرة كسرة وينهزم امامهم فيلحقه اصحابه بالانهزام وبذلك تتم الموقعة بانتصار العدو وان لم يقتل فيها احد وربما يقتل بالانكسار او بالانهزام كثيرون

التركية والعربية والانشاء استخدمه عنده ورقاه الى اعلى مرتبة وحاز عنده زيادة الخيرات والنظر وامر له بعمار دار معتبرة في نفس مدينة مصر . واما بقية حياته وما تم له ولاخوته بعد ذلك فسنذكره فيما بعد بحكومة عبد الله باشا التي سنحرر وقائعها فيما بعد في سنة ١٢٣٤ الى نهاية حكومته سنة ١٢٤٨[1]

﴿ تولي سليمان باشا على الشام ﴾

واما سليمان باشا فلحق مع عساكره وجيوشه يوسف باشا بعد تلك الكسرة ولم يزالوا تابعين لهم في ظهورهم الى حينما وصلوا للشام فوجدوا خزينة يوسف باشا مفتوحة والعساكر ناهبتها وغير مبقين منها شيئاً سوى بعض امتعة قلائل وبعض خيول فضبطها سليمان باشا وجلس حالاً في ديوان الحكم وامر بان ينادى بالامان . ثم حضر ملا افندي والمفتي ونقيب الاشراف وينكجراغاسي[1] وقبوقول اغاسي[2] ووجوه واعيان مدينة الشام وعمل ديوان حافل وتلي الفرمان الشريف علناً على رؤوس الاشهاد وتنادى باسمه وتحررت حالاً مراسيم التبشير لسائر الاطراف والانحاء . وسائر العباد والبلاد اظهروا الافراح والتهاني والمسرات والاماني . ثم بالحال سير المعروضات الى الباب العالي بخبر

---

(١) لا نعلم ان المؤلف كتب شيئاً مما عزم على كتابته بهذا الشأن

(٢) اي اغا وجاق الانكشارية وكان اكثر افرادهم من اهل دمشق . واما القبوقول فهو وجاق اخر وكان اكثر افراده من الغرباء عن دمشق ولهم رئيس او زعيم خاص وكان غالباً اصحاب الوجاقين بقتال وخصام في دمشق

الواقع وضمنها اعلامات شرعية بعلم ما وجد من متروكات يوسف باشا وباشر حالاً بعزل وتولي متسلمين ومامورين ايالة الشام وطرابلس كما نوضح ذلك فيما بعد . ولنرجع الآن الى السياق السابق لما تم بعد قيامه من عكا ووصوله الى طبريا

﴿ سفر المعلم حنا العورة الى الشام ﴾

تكلمنا فيما مضى عن حال المعلم حيم وانه لاجل مزاولاته اليهودية من المعلم حنا عورة كاتب العربي وجّه صحبة الوزير كتاب عربي المعامين فضول ولطوف الصابونجي . والوزير حيث لم يكن يعلم بذلك فبوصوله الى طبريا اذ نظرهما معه انغم باطناً وصار يأمر ديوان افنديسي بتحريرات الكتابات اللازمة لعكا الى القائمقام كتخداه علي اغا . واذا اقتضى له تحرير امر بطلب شي، من البلاد او لاجل الشاكي والمشتكي فيكتبه المذكورون بالعربي ويختمه بكل تعنيف لهم . واولئك نظراً لرغبتهم القلبية بان يمسكوا هذه الوظيفة فما كانوا يبالون بزيادة تعنيفات الوزير وديوان افنديسي لهم بل كانوا يحتملوا ذلك غير مبالين . وبعد يومين امر ديوان افنديسي ان يحرّر امراً خصوصياً الى القايمقام بعكا ان يرسل حالاً المعلم حنا كاتب العربي بدون توقف . وبوصول الامر كتمه المعلم حيم عن المعلم حنا وحرّر الجواب من القايمقام بالاعتذار موقتاً بحيلة منه والوعد بارساله فيما بعد . وبوصول الجواب ما قبله الوزير وثالث يوم حضوره ارسل امراً ثانياً مشدداً بسرعة ارساله . وبوصوله كتمه حيم وحرر الجواب من القايمقام بحيلة ثانية .

وقبل حضور خبر قيام يوسف باشا من المزيريب وحضوره بسرعة من الشام بخيول جرد لمقابلة سليمان باشا كما ذكرنا سابقاً حرر امراً ثالثاً مشدداً موكداً الى القايمقام بسرعة ارسال المعلم حنا وحتم بعدم قبول العذر . حينئذ لما راى المعلم حييم قوة هذا الامر وتحقق عدم قبول الحيلة اجتمع بالمعلم حنا واظهر الجلد واخفى الكمد وقال له من حين توجه افندينا للان صار حاضر ثلاثة اوامر لك منه وانا كفاً للثقلة عنك لمعرفتي انك اذا توجهت وتتعطل اشغالك والضيعة التي بالتزامك اعتذرت عنك والعذر ما قبل . والان حضر امر مشدد . ثم اطلعه عليه وقال له ان يتوجه يتجهز للسفر في ذلك النهار او غداً . فوعده بان يتوجه ثاني يوم ونزل جهز حاله للسفر في ذلك النهار .

﴿ ما فعله حييم مع كاتب العربي بعد قيام سليمان باشا ﴾

وثاني يوم صباحاً في ٢٠ تموز سنة ١٢٢٥ توجه من عكا وبوصوله الى الرامة بلغه خبر الحرب الذي صار وتوجه الوزير عن طريق مرجعيون فحالا غير الطريق وتوجه عن طريق مرجعيون ومنها للشام وصادف التوفيقات بوجهه . واما المعلم حييم فقد تلاعبت افكاره من تشديد الطلب وافتكر انه متى توجه المعلم حنا للشام فلا بد ان يجتمع به بيت البحري وبحسب حقائق الجنسية (الطائفية) مع تذكرة الاسى الذي ابداه بحقه يتفق معهم ويصير واسطة لاستخدامهم عند الوزير ومتى خدموا عنده خرب بيته من كل بد فهذه الملاحظة اقلقته جداً . وثاني يوم من سفر المعلم حنا جهز حاله وقام بسرعة وتوجه للشام . وقبل وصول

المعلم حنا بيوم دخل اليها . وبوصوله اذ سال وعرف انه ما وصل بعد اطمئن نوعاً وانسر . وثاني يوم بعد ما وصل قابله وسايره وجعل نفسه انشط منه واظهر ان سبب حضوره معرفته اثقال المصلحة وهكذا تساير مع المعلم حنا بكل حب مدة اقامتهم بالشام وتعاطوا المصلحة بكل اتقان .

﴿ توجيه متسلمية طرابلس على بربر آغا ﴾

فالوزير وجه متسلمية طرابلس واللاذقية على مصطفى آغا بربر . وهذا اصله خسيس من طرابلس وبالاول كان قاطرجي [1] ثم صادفه التوفيق وتربى الى ان صار قايمقام في طرابلس بمدة ولاية قلدر باشا الذي كان مقيما بالاستانة . وبربر المذكور نظراً لرداوة نفسه (شراسة اخلاقه) لما استقل بالقايمقامية استعز وتجبر واستعمل عدم الاطاعة لاوامر الوالي الا انه كان دائماً طائعاً لاوامر سليمان باشا بكلما يأمره به وجاعل نفسه كانه واحد من دائرته . وكذلك كان مستعمل البوليتيكا (لين الجانب) مع الامير بشير حاكم الجبل فقط . وانما مع غير هؤلاء فكان يستعمل خشونة الطبع ورداوة المشرب الا ان احكامه كانت مستقيمة . وكان يكره طبعاً الفواحش والكبائر والنواقص غير ان اطباعه الشرسة كانت مالكته وهذه الاطباع جعلته ان يظهر العصاوة على الوالي . ولذلك عزله وحرر الى والي الشام يوسف باشا باخراجه من طرابلس وتسليم القلعة والمدينة وطرده منها . ويوسف باشا كتب له فاظهر بربر له

---

(١) قاطرجي بالتركية الضابط الذي يكون على رأس القافلة من البغال .

التردُّد وحينئذ عين عليه العساكر وحاصره وما استفاد شيئاً . واخيراً بعد مراجعات كلية وتمليقات ومواعيد قبل بربر ان يخرج برضاه بشرط ان يكون خروجه بامان سليمان باشا فقط وبخلاف ذلك لا يخرج ولو خربت طرابلس حجراً على حجر . وبالضرورة التزم والي الشام ان يحرر الى سليمان باشا ويلتمس منه المساعدة باخراجه . وسليمان باشا حرر له مرسوماً وجاوبه بربر بالاجابة . واقتضى ان ارسل له من طرفه اوزن علي آغا سر دليلان اي راس وجاق ديوانه كان عند سليمان باشا (كذا) . والمذكور توجه باوامر الامان والبسه قلبقه واخرجه بحظه مع عياله واتباعه مع كاتبه المعلم نعمة غريب واحضرهم صحبته وسليمان باشا رتب اقامتهم في صيدا وامر له بمعاش كافي واقام بحال الرفاهية طول تلك المدة . وبعد قيامه استولى والي الشام على طرابلس ووجه القايمقامية بها على علي بك الاسعد ابن مرعب حاكم جبل عكار يومئذٍ وبقي كذلك الى حين ولاية سليمان باشا . ولما توجه سليمان باشا الى طبريا توجه بربر بخدمته وبوصوله للشام البسه قائمقام على طرابلس واللاذقية .

﴿ علي بك الاسعد التزم جبل عكار ﴾

ووجه حكومة جبل عكار على علي بك الاسعد ووفقهم مع بعضهم وامرهم ان يكونوا دائماً بحال الحب والمسالمة وحرمهم من المخالفة وهكذا تسالموا وكل منهم توجه الى محل مأموريته . وعلي بك الاسعد كان خيّر الطبع انيس الاخلاق كريماً سخياً ممدوح السيرة محبوباً من سائر الناس نظراً لكرمه الذي كان يستعمل به التقرب لقلوب الخلق

خصوصاً للوزير ودائرته . ولذلك كان ممدوحاً من الجميع .

﴿ متسلمية حماه على اوزن علي وغيره ﴾

ثم وجه متسلمية حماه على اوزن علي اغا القصير من مماليك الجزار . وكان هذا قبلاً امين كمرك بيروت . وهذا الرجل كان يظن الناس انه عاقل الا انه كان خفيف العقل اذ كان يحمّل نفسه فوق طاقتها بالمصاريف الشاقة طلباً للفخفخة والجاه . وكان دائماً يفتكر بنفسه انه سيصير وزيراً وكان يطمن نفسه بهذا الظن الفاسد . والخلق لما تأكدوا منه هذه الحال لحقوه بهذا وصار بعضهم يكذب عليه برؤى يكون تأويلها انه سيصير وزيراً وبعضهم يتفاول له . وبعضهم يعمل له منادل وهلم جراً . وكل من هؤلاء ينال عطايا وافرة منه والذي يوقره وقار الوزير ينال منه ذلك ايضاً . وهكذا صرف حياته وسائر ايراداته بهذا الظن الفاسد . واخيراً عبد الله باشا باول حكومته نفاه من بيروت . ومات بالمنفى كما سنذكر ذلك في محله .

ثم وجه متسلمية سنجاق حمص على جعفر اغا من مماليك الجزار ايضاً . وهذا كان رجلاً شجاعاً . وسيأتي الكلام عنه

ثم وجه سنجاق متسلمية القدس على كنج احمد اغا الذي ذكرنا سابقاً ان الجزار ارسله متسلماً على الشام وفعل فيها تلك الافعال القبيحة فهذا من بعد موت الجزار حضر لعكا . وبما ان محمد اغا ابونبوت كان تزوج ابنته فبواسطة المذكور اخذ راحته واستقام من دون ان يحصل له اذية . ولما تولى سليمان باشا ودخل عكا فاعتباراً لخاطر صهره حصل

على التفات سليمان باشا وكان موقراً عنده لانه كان ذا شيخوخة جميلة وكان يتظاهر بان الذي حصل بالشام ما كان منه بل كان من الاكراد وكان مرغوماً عليه من الجزار . وكان يتظاهر بالمعقولية . وكان له ولدان كبار الواحد اسمه مصطفى والثاني اسمه يوسف . وكانوا من ارباب الشقوات وبجاه والدهم كانوا مغتنمين الفرصة للشقاوة .

فلما توجه سليمان باشا الى طبريا وجمع العساكر فمن الجملة حضر ابو نبوت بكامل رجاله وبما امكنه جمعه من سنجاق غزة ويافا ومن تلك النواحي ومشي بخدمته الى الشام . وفي وقت توجيه المناصب التمس لعمه متسلمية سنجاق القدس وحسَّن ذلك للوزير لاجل صلاح حال السناجق التي بعهدته حسب الجوار وتعهد بنظام حال سنجاق القدس والخليل . وعلى هذا المنوال اخذ له الحكومة المذكورة واحضره صحبته ورجعوا لمحلاتهم .

وتوجهت متسلمية سنجاق نابلس على موسى بك طوقان . وهذا الرجل كان ذا هيئة حسنة جميلة مهابة وكان ذا سطوة واقدام ووقار من سائر اهل السنجاق . وباقي متسلميات المحلات بعضها توجه لها متسلمين جدد وبعضها بقي متسلموها القدم نظراً للمديح بحسن حالهم .

﴿ عودة الوهابي الى بلاده والجواب على رسالته ﴾

واما الوهابي بعد سماعه بقيام يوسف باشا من ولاية الشام وقيام سليمان باشا من ايالة عكا وما تم بعد ذلك باقامة سليمان باشا بعساكره مكانه ولاحظ انه ليس نظير يوسف باشا لان بيده سائر ايالات

برية الشام خصوصاً حصن عكا وقف عن التقدم الى قدام محتسباً ان
دخوله عليه خطر كبير عليه ولذلك استمر بمكانه باطراف بلاد الحجاز
وحرّر مكتوباً منه الى عامة الاسلام يوضح به حسن معتقده ويدعوهم
للدخول في عقيدته وترك شرائعهم ونواميسهم واطنب الشرح بتحريره
ببراهين وشواهد كثيرة . واذ وصل هذا التحرير الى سليمان باشا جمع
علماء الاسلام واطلعهم عليه وامرهم بعمل جواب محكم بابطال سائر ما
يدعي به . والعلماء اجتمعوا واتفقوا على تحرير جواب مستطيل الشرح
مستوفي العبارة . واذ تمموا تسويده قدموه الى سليمان باشا . واذ حصل
الاتفاق على تبييضه تبيَّض بقلم المعلم ميخايل العورة ابن المعلم حنا اذ
كان عمره يومئذٍ نحو ستة عشر سنة وانما كان فريد اقرانه بحسن الخط
فهذا نظمه بقلم جميل وقبل لاجله الانعام الوافر من الوزير[1] . وارسله
للوهابي صحبة معتمديه بعد ان اكرمهم والبسهم وعمل معهم غاية
الانس واللطف املاً بان يخجل مواليهم بمعروفه ويرجعوا عن اذية عباد
الله . وكان كذلك لكونهم بعد وصول الجواب ومشاهدتهم ما تم
وملاحظتهم ما سمعوا من اوادمهم عن قوة سليمان باشا بكثرة العساكر
والجنود والجرود الموجودة عنده من سائر المدن والامصار واستعدادهم
لسفك دماهم في خدمته انكف عن عزمه وارتجع وما عاد تقدم الى
قدام وانما سليمان باشا ما غفل عن دوام المحافظة من قبله وهكذا استعمل

---

(١) لم يذكر لنا المؤلف نص كتاب الوهابي الى يوسف باشا ولا جواب سليمان باشا له عليه كعادته فانه لا يذكر شيئاً من النصوص . لكن تاريخ الامير حيدر شهاب ذكرها في تاريخ سنة ١٢٢٥

الحكمة واستجلب مشايخ وامراء ومقدمي العربان واحسن اليهم وجعلهم يستجلبوا جانب ملوك وامراء وكبار عربان الحجاز لعنده للشام وبحضورهم عنده امنهم وطمنهم وزرع معروفه في قلوبهم واغناهم بالعطايا والخلع قاصداً بذلك وجهين جميلين الاول دوام كف شر الوهابي ثانياً لاجل حماية الرعايا اهالي سنجاق حماة وحمص من شرور العربان واذيتهم المستديمة وقد نال مرغوبه بذلك . وبالحقيقة لو لم يفعل هذا نظراً لرداوة العربان وشرورهم الدايمة وعدم تحريمهم شيء من المحرمات لكانوا في تلك الفرصة خربوا البلدان راساً لنظرهم احتياط الوهابي للمدينة وتقدمه بالقوة وارتجاف البلاد منه .

﴿ عودة مشايخ المتاولة ﴾

واما الامير بشير ومشايخ المتاولة ووجوه بلاد صفد وعربانها مع جرودها بعدان استراح سليمان باشا بالمنصب اعطاهم الاذن بالرجوع لمحلاتهم فرجع كل الى محله بغاية الراحة والسرور . واما مشايخ المتاولة فانهم افتكروا انه حيث ان سليمان باشا طلبهم بجرودهم وتوجهوا بهذه الخدمة صار يسوغ لهم ان يطلبوا حكومة بلادهم ولذلك كانوا في مدة وجودهم بالاوردي يكثرون من التردد على الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط كتخدا الامير ويعملوا معهم وسائل الحب والانقياد ويوروهم انهم بحيث هم عشائر والامير رأس العشائر صار ملتزماً ان يساعدهم بكل جهده وبنوع لطيف حركوا غيرته ومروءته . والمومى اليهم اجابوهم لمرغوبهم وطمنوهم ووعدوهم بقضاء مطلوبهم بعد رجوعهم .

ولما رجع كل منهم الى محله صار مشايخ المتاولة يحررون للامير والشيخ ويطلبون منهم القيام بوعدهم . ولما كرروا الطلب المرة بعد المرة اجابوهم لمرامهم والامير والشيخ ظنوا انهم بعد الخدمة التي ابدوها بجمع الجرود والتوجه بها ينالون كلما يطلبونه باي وجه كان وهذا الظن جعلهم ان ينسوا السندات التي تحررت والكفالة التي كفلها الامير بموجب سند لما انعم عليهم باعطا حكومة الشومر معاشاً لهم ومن ثم حرروا من جديد الى الوزير تحريرات ملتزمة باعطا حكومة البلاد الى الشيخ فارس الناصيف وباقي المشايخ مكافاة لهم على خدماتهم وبصريح العبارة يذكر سليمان باشا بخدماته بجمع جرود الجبل وقبول التماسه مكافأة له .

فسليمان باشا جاوب الامير اولاً جواباً لطيفاً معتذراً له بعدم قبول هذا الالتماس وجعل في الجواب بعض عبارات لطيفة يستنتج منها الانكفاف عن المراجعة بهذا الخصوص . فعند وصول الجواب اخذت الامير الشآمة (عزة النفس) بدون ملاحظة اخرى و كبر عنده امر عدم قبول الالتماس وتصور ان من ذلك ينتج عدم الاعتبار له ليس عند المشايخ فقط بل عند جميع الناس وتصور بنفسه انه بخدمته هذه الى سليمان باشا جعله ممنوناً له مؤبداً وعدم قبول التماسه جعله كانه عادم الزمام . وعلى هذا كرر تحرير المراجعة وذكر سليمان باشا بخدمته بنوع اوضح . و كذلك ذكره بخدمة المذكورين بجمع جرودهم واوراه ان ذلك منة لا يلتزمون بها وانهم لاجلها تكبدوا هذا القدر مصاريف شاقة وتعطلت اشغالهم واسهب الشرح بهذا الخصوص لكن ما كان هذا بالقلم بل بلسان المعتمد لان كما قدمنا كانت عادة الامير بشير وعادة الشيخ

فارس الناصيف ان يرسلوا للباب معتمدين من عندهم ويحملوهم الكلام الذي يريدون اعراضه ويرسلوا معهم معروض الالتماس بان يصير الاحسان بالاصغاء لما يعرضه معتمدهم . واما اجوبة الوزير فتحرر لهم بشرح المراسيم عن كل قضية بمفردها .

فلما حضر المعتمد وقرر ما هو محمل لحافظته لسماع الوزير اغتم الوزير من هذا الاعراض الغير مامول من الامير بشير المشهور بالعقل . ومن حيث ان سليمان باشا كان من طبعه دوام حفظ الوداد مع كل من يعرفه فضلاً عمن خدمه واذناه دائماً مسدودة عن الوشاية بحق اصحابه القدم وبحق كل من يميل له استعمل الاتساع وحرّر للامير جواباً ملطفاً ايضاً . وانما رفع منه عبارات التوبيخ على ما اعرضه من التمنين وقال ان الذي نعلمه بموجب سندك المحفوظ عليك في خزينتنا ان اول شرط مشروط عليك بحكومة جبل لبنان انك في اي وقت كان وفي اية ساعة كانت تحضر بدون تاخير انت وكامل رجال الجبل للحرب والقتال فتجمعها وتبقى فيها الى حين النهاية بدون ان يتكلف الوالي تقديم شيء مما يلزم لمصاريفها لا ماهيات ولا علائف ولا عليق خيل ولا مأكول ولا شيء . ولاجل ذلك صرت مفوضاً بحكومة الجبل وتتناول كل ايراداته ما عدا الجرم الغليظ وان يكون لك التزام جبل لبنان مؤبداً مدة حياتك بدون تعب ولا مشقة ولا تقلب ولا تقديم عبوديات شاقة في كل وقت كما كان يحصل في الايام السالفة التي بلغ مجموعها وقت وفاة سلفنا الجزار بعد الواصل منها في مدة حياته ستة عشر الف كيس التي تقسطت مع جملة قسط الدولة . وهذه العبوديات ترتبت

منك ومن اسلافك وبني عمك الذين كانوا يحاشرونك على حكومة الجبل في مدة جزئية . وجميعها معلومة عندك . فاذاً حضورك بالجرود ليس هو فضلاً ولا منة كما ظنيت بخلاف المأمول بمعقوليتك بل فعلت ما يجب عليك . وهكذا لطف له العبارة واوصى المعتمد ان يقول له لساناً انه ما كان المأمول منه هكذا اعتراضات وصرفه بالمعروف .

الا ان الامير ما استحسن ذلك . بل كرر الاعراض بهذا الخصوص . وما اكتفى بما اعرضه سابقاً بل جاوب باعراض تفاوت فيه الحدود ولمح في اعراضه انه اذا ما صارت الاجابة بالايجاب فلا عتب اذا صار شي منافي لارادة سعادته . فاذ سمع سليمان باشا الجواب احتد واظهر الغيظ وطرد المعتمد من قدامه وامر بتحرير الجواب القاسي الموجع . ومن جملته يقول له حيث ما افاد معك جميع ما استعملته نحوك فافعل ما تريد وانت ماذون ان تتفق مع مشايخ المتاولة وتفعل معهم ما تريد وانا مستعد لكل امر يأتي . ومن حنث فانما يحنث على نفسه . فاذ وصل المعتمد مع الجواب للامير وافهمه الواقع فاق على نفسه وندم على ما فعل وتلاوم على نفسه وعلى الشيخ بشير الذي لاحقه والزمه بذلك وما ساعه الا انه قدم حالا اعراض التواقع بالعفو والصفح عما بدا منه . وخوفاً على مشايخ المتاولة من غضب الوزير اوضح باعراضه ان ملاحقته هذه كانت فضولاً منه طمعاً براحم سعادته وكرر الرجاء بذلك وألحق اعراض التواقع بتقديم التقادم والاسترحام بقبولها والتكرم بصفو الخاطر . وبوقتها ارسل منه اكرامية الى المعلم حنا عورة الف وخمسماية غرش . وطلب منه الاجتهاد بنوال المطلوب . وبعد

ان بذلوا الجهد استحصلوا على رضا الوزير وقبوله التقادم والصفح والعفو عما تقدم ورجع كل شيء الى محله . وهكذا انصرفت هذه القضية ومنذ ذلك الحين ما عاد تجاسر مشايخ المتاولة ان يبدوا ادنى اشارة بهذا الطلب .

﴿ هدية يوسف باشا الى سليمان باشا ﴾

سهي عن بالنا وضع هذا في محله وهو انه في سنة ١٢٢٤ ارسل يوسف باشا والي (طرابلس) الغرب هدية الى سليمان باشا حرم اغاسي اسمه سعيد آغا وقنبرة نحاس [1] . اما الحرم اغاسي فقد كبر وترجل وبقي عنده الى آخر حياته ثم عند عبدالله باشا وكان عني الجسم ذا اعصاب متينة جداً وخيال فارس جريدته لا يقف عليها حكيم ولا احد يقدر يقاومه (يغلبه) بالخيولة والرجولية وضرب الجريد على الارض وعلى ظهور الخيل . وكانت عربيته وتركيته صحيحة وكان غندور في ملبوسه لكن كان شيطان متلعب واخيراً تعلق على السكر

---

(١) اشكل علينا قراءة هذه الكلمة الغريبة . ولعلها تكون قنبرة بالتركية . والمراد بها كما يظهر من وصفها كرة او كلة من الشبه او النحاس الاصفر توضع في وسط الدار على منصب او قاعدة من النحاس لاجل الزينة لحسن منظرها . وقد يطلق هذا الاسم على الكرة وقاعدتها معاً من باب التغليب . والمراد بالقنابر المذكورة في النص جمع قنبرة وهي حبات او خرزات من الكهرباء اصغر حجماً من قنبرة النحاس وبلونها الاصفر تزيد منظرها حسناً وجمالا . والمراد بالتكراك وهي تركية القاعدة التي توضع عليها القنبرة

والتعتير مع اناس اشقياء مثله وما كان سؤال عنه في حياة سيده سليمان باشا مهما فعل ولذلك تعود على العيشة الردية والسكر . لكن في مدة عبدالله باشا تأدب بالضرب والحبس والاهانة كم مرة وكان يتوب ثم يرجع وهكذا بقي كل حياته حتى انه كان من جملة عشرائه المعاكيس شاب يقال له خالد زكور اعكس واشقى اهل الارض . فهذا كان يحبه ويسكر معه . وفي احد الايام اذ سكر الاثنان احضره الى اوضته التي كانت خارج دار الحرم التي في الجنينة اي الديوانخانة ولهذه الاوضة شباك يكشف على دار الحرم فاوقف خالداً بالشباك ليوريه الحرم . فاذ بلغ هذا عبدالله باشا وضع الاثنين بالجنزير وقاصصهم قصاصاً بليغاً .

واما القنبرة فكانت من نحاس اصفر طولها قريب من ذراعين ووزن قنبرتها خمسة وستين اوقه وكان وسع فمها قرب ثلثي الذراع وسمك بابها زيادة عن ستة اصابع . وكان سليمان باشا واضعها في وسط السراي على تكرلك خشب كبير وبجانبها خمس حبات قنابر لاجل الفخرة

﴿ علي اغا كتخدا سليمان باشا قائمقام في عكا ﴾

﴿ وكيفية تصرفه بالايالة ﴾

اما علي اغا كتخدا وقائمقام سليمان باشا في عكا فكان رجلاً هادياً مهذباً مستقيماً بخلاف غيره من مماليك الجزار وكان اعقلهم واحكمهم وكان عنده فطنة وذكاء بأمور الاحكام وكان يحب معاشرة العلماء .

وكان ندماؤه الشيخ محمد افندي ابو الهدى قاضي عكا[1] والشيخ اسماعيل الزيتاوي معلم ولده والشيخ مسعود الماضي ملتزم حيفا وساحل عتليت[2] والشيخ عبد الحليم العدوي شيخ الخزينة . فهؤلاء كانوا دائماً يترددون عليه ويجالسونه ويتنادمون معه . وانما كانوا بحسب حال تلك الاوقات من دأبهم ان يستعملوا عدم الكلام الحسن بحق النصارى . وكانوا يجتهدون بان يورموا قلبه عليهم بقدر ما يمكنهم . وهو من هذا القبيل كان يصرف النظر عن غالب مقولاتهم . ومن الجملة اذ فتحوا في احدى الليالي سيرة النصارى وصاروا باجمال واتفاق رأيهم يقبحون

---

(١) الشيخ محمد ابو الهدى المذكور من اسرة كريمة ذات وجاهة قديمة في فلسطين تعرف الى اليوم باسرة التاجي كان القاضي الاكبر والمفتي في عكا مدة ولاية سليمان باشا وخلفه عبدالله باشا (لعله كان كذلك في عهد الجزار) وقد قتل في عكا بامر ابرهيم باشا بعد فتحه لها سنة ١٨٣١ لانه كان يغري عبدالله باشا على قتال ابرهيم باشا وكان متسلماً من قبل عبدالله باشا كل امر عكا كل مدة حصارها حتى كان متسلماً كل ماليتها وفوض اليه توزيع مرتبات الجند الذين في الحصار عليهم وعلى اهلهم . وربما كان والد الشيخ عبدالله ابي الهدى الذي كان قاضياً في عكا سنة ١٨٦٠ وله ذكر جميل في تاريخ حوادث تلك السنة اذ ابى الموافقة على الايقاع بالنصارى كما هو مشهور عنه . ومن هذه الاسرة صاحب جريدة الجامعة الاسلامية الشيخ سليمان التاجي في القدس وعبدالرحمان بك ويعقوب بك في يافا ولا يزال منهم افراد في عكا .

(٢) الشيخ مسعود الماضي سياتي ذكره مراراً في هذا الكتاب يظهر انه كان ذا نفوذ وكرامة لدى علي باشا لكن بلغ اوج عزه في عهد ولده عبد الله باشا الذي كان طوع ارادته في كل امر وهو الذي أغراه على قتل المعلم حييم وكان يغريه بالامير بشير الشهابي لنصرانيته وقد قُتل الشيخ مسعود ذبحاً على بوابة عكا بامر ابرهيم باشا عقب ثورة فلسطين سنة ١٢٥٠

بحقهم ويقدمون وجه التحسين له للتنكيل بهم . فهو مع كونه عاقلاً كما قدمنا ومربوطاً بحسن سيرة وسريرة سليمان باشا الذي كان يكره طبعاً مثل هذه بل كان يرغب راحة ورفاهية كامل الرعايا على حد سوى لما رأى ان اولئك الندماء غير هاجعين من دوام الثلب الموجع بحق النصارى قال للقاضي والبقية ان وان وان . . . ما معناها ؟ ففكروا جميعهم بذلك وبعد حصة قال القاضي : المعنى ما قاله سبحانه بكتابه العزيز لما قال له سيدنا عيسى ان تعذبهم فهم عبادك وان تغفر لهم فانت الثواب الرحيم . فقال له نعم ؟ . . حينئذ سكتوا جميهم وانقطعوا مدة عن تلك السيرة بقدر الممكن .

وبعده اذ وقعت حركة المطران بين الطائفة في عكا وانقسموا الى شطرين لاجل قيام مطران جديد بعد وفاة المطران مكاريوس النحاس [1] .

---

(١) المطران مكاريوس النحاس المذكور هنا عكاوي الاصل من رهبان دير المخلص ارتسم مطراناً على عكا من يد البطريرك كيرلس سياج سنة ١٧٩٥ خلفاً للمطران مكاريوس فاخوري . وتوفاه الله في عكا سنة ١٨٠٩ . وخلفه على كرسيه في السنة ذاتها المطران ثاوضوسيوس حبيب من شفا عمرو الذي كان قبلاً اسمه مرقص من رهبان دير المخلص برسامة البطريرك اغابيوس مطر بموجب انتخاب قانوني تام الشروط لم يعارضه سوى كتّاب الايالة في عكا بقوة نفوذ استاذهم المعلم حنا العورة الذي كان يريد مطراناً لعكا الخوري جبرائيل الدباس العكاوي الذي صار فيما بعد مطراناً على صور باسم كيرلس . والسبب هذه المعارضة وبقوة نفوذ المعلم حنا العورة لدى سليمان باشا وعبدالله باشا لم يستطع المطران ثاوضوسيوس الاقامة في عكا ولا الدخول اليها بل لبث في دير المخلص والاديرة التابعة له ومن هناك كان يدبر ابرشيته بواسطة كاهن اتخذه وكيلاً له الى ان مات في دير مار الياس (رشميا) سنة ١٨٣٣ .

واتصل الامر الى مشاحنات كلية فيما بينهم استقامت مدة تسعة اشهر . فباحدى الليالي اتفق القاضي وعبد الحليم العدوي ان يقدموا عليهم الشكاية بانهم ازعجوا الاسلام بمقالاتهم في الليل والنهار وما عاد لهم سيرة سوى مرقس وجبرائيل وانهم وانهم ... ونوعوا الشكايات حسبما استحسنوا اذ كانوا عطاشاً لذلك . فبعد ان ابدوا ما عندهم قال لهم علي باشا كل انسان اذا اراد يتزوج يفتش على بنت جميلة حسنة ذات اصل طيب وتربية حسنة وعقل وكمال موافقة لطبعه يعرف يعاشرها ويستريح معها. وامر مسلم ان مطران النصارى عندهم اعظم من الامرأة لانهم يأتمنونه على دمهم وعرضهم ودينهم وما يصير لهم ان يعزلوه . فلذلك اذا فتشوا على واحد موافق لهم على مرغوبهم لا يلاموا من كونهم اذا كان مطرانهم متعباً وما استراحوا معه فلا تقدر الاسلام ولا النصارى على مساعدتهم براحتهم معه . اصحيح هذا ؟ اجابوه نعم . فقال لهم ماذا يعنيكم اذا فتشوا على راحتهم ؟ فسكتوا . ومع ذلك ما كانوا يغفلون عن اغتنام الفرصة .

فلما توجه سليمان باشا للشام استقل علي آغا بالحكومة في عكا وفي كل ايالة صيدا بنوع انه صار كانه الوالي الحقيقي يفعل كلما يريد بدون مشاورة ولا ممانعة ويعزل ويولي ويأمر وينهي ويعمل ما يحسن عنده حتى انه كان اذا استحسن امراً يخص ايالة الشام يحرر عنه بالصيرورة حتماً ويجاب عليه . وكان الوزير في غالب المصالح يرسل يشاوره ويطلب رأيه . وفي ذلك الوقت صارت المخلوقات يهابونه ويخشون منه اكثر من سليمان باشا حتى نفس الخدم والدائرة .

﴿ حادثة ابرهيم فرنسيس معه ﴾

وكان رجل اصله من قرية شفاعمر اسمه ابرهيم فرنسيس وكان في مدة الجزار كاتباً في خزينة عكا وكان رجلاً خيّراً يطعم الخبز ويعمل الرحمة والصدقة وصاحب مروءة طبيعية . وبقي كاتباً الى وقت موت الجزار . ففي مدة حصار عكا وعصاوة ضباط العساكر فيها كان محبوباً من جميعهم وكانوا يميلون اليه ويكرموه ويعطوه . وفي ذلك الوقت ضايق الضباط على علي اغا المذكور واهانوه والتزم ان يستقيم في بيته مدة اربعة اشهر بدون ان يقدر يطلع لمحل وحسبما اكدوا انه لو طلع لكان قتله الذين كانوا قاصدين اعدامه . ولاجل ذلك التزم ان يلتجي الى ابرهيم فرنسيس المذكور ويطلب منه المساعدة وابرهيم المذكور حالاً اجابه الى مرغوبه وبادر لخدمته . واذ فهم منه الاحتياج الضروري الى الأكل والشرب والخرجية بالحال احضر له ما يلزم ذخيرة من ارز وسمن وزيت وطحين وقدمها لداره وقدم له خرجية نقود للمصروف وقهوة وبزركان وغير ذلك . وصار يومياً يتردّد عليه ويقدم له ما يلزم . ثم انه سعى وبذل جهده مع الضباط بحقه وروّق خاطر اعدائه عليه . وجعل الجميع ان يحبوه ويميلوا اليه حتى صار يدخل ويخرج بدون خوف . واخيراً تداخل مع الضباط بواسطة مساعي المذكور وصار ما صار بشان تقديمهم الطاعة لسليمان باشا عن يده حين فتح عكا . وفي كل تلك المدة ما فتر عن دوام التردد عليه وتقديم ما يلزم له من كلي وجزئي من كيسه . وذلك مروءة وشآمة منه . وهذه الطبيعة كان يستعملها مع كل من يقصده . وكان

يتأمل ان ينال ثمرة سعيه اذا البارى وفق علي اغا حسبما كان يعده ويظهر له الممنونية حتى انه كان يوريه انه صار عبد رق له .

فلما انتهت تلك الايام وفتحت عكا وترتب علي اغا المذكور كتخدا عند سليمان باشا وترتبت امور الايالة فمن الجملة انه كافأ ابرهيم المذكور اول مكافاة بان رفعه من كتابة الخزينة ووضعه في شفاعمر شيخاً على النصارى . فالمذكور لتعلق اماله في علي اغا ما بالى بهذا الامر ولا راجع بل ارتضى بما أمر به وتوجه استقام في شفا عمر واقتنع في الفدان المعطى له مع فدان مطلقية المشيخة وافتكر بان يمشي له فدانين ثلاثة تحت اسم الميري . وهذه مع جاهية علي اغا التي كان متأملاً بها عدها كافية له وزيادة . واذ استقام في شفاعمر فتح بيته للصابح والغادي ووسع صدره لاستقبال المخلوقات وجعل بيته كانه منزول المسافرين . ومؤلف ومحرر هذه النبذة ابرهيم عورة اقول اني ضفته في بيته في ذلك الاثنا مع جملة اناس من عكا جملة مرات وكل مرة كنا نجد منه الاكرام والاعتبار وسعة الصدر ولطف التصرف والكرم والمآكل النفيسة في بيته مما يكل عنه الوصف . وهكذا خلق كثير كانت تمدح منه .

وفي ذلك الوقت انوجد في شفا عمر رجل شرير شقي يسمّى رفول كان بالاسم نصراني وانما افعاله توجب عليه المجوسية . فهذا لاجل ان يكمل شقاوته ورجاسته ترك النصرانية وجعل نفسه مسلماً ليس حباً بدين الاسلام بل ليفعل ما يريد بدون معارض . فهذا المنافق كان يكره ابرهيم فرنسيس حسداً منه ويحب عثرته بدون سبب . وبعد

ان اسلم عن يد علي اغا واخذ منه الاكرام ومرسوم التوصية حضر الى شفاعمر وقعد هناك واخذ يمزق في حواشي ابرهيم . وبعد مدة قريبة سنة ١٢٢٥ لما كان سليمان باشا في الشام وعلي اغا في عكا قايمقام نزل رفول لعنده وقدم له وشاية نفاق عن ابرهيم فرنسيس لا اصل لها ولا صحة بان ابرهيم المذكور ياخذ القطن المحلوج المطلوب توريده من الفلاحين للميري ويبيعه الى المكارية لاجل ربحه الخاص . فعلي اغا بدون تمييز ولا فحص ولا سؤال ولا تحقيق ولا مراعاة حقوق وداد المذكور ومعروفه العظيم معه اصدر امراً حتمياً باجتلابه لعكا .

وعند حضوره امر بسجنه حالًا ثم امر بضربه على رجليه الف وخمساية عصا بالعدد واذ تسلمه الجلادون وضربوه لحد الف ومايتين عصا تناثرت لحمان رجليه مع اصابعه جميعها ووصل الى درجة الموت . فاذ ذلك شفق عليه الجلادون و كفوا الضرب واخبروا علي اغا انهم تمموا الامر وافادوه عما اصابه من الضرب فامر باطلاقه من الحبس وأُخذ الى بيته في شفا عمر واستقام اربعة عشر يوماً فقط وتوفي قابلًا الجزاء الثاني الكبير على معروفه من علي اغا المذكور وانا محرره توجهت لعنده الى شفاعمر بعد طلوعه من الحبس وكان ملقى على فراشه بحال العدم ونظرت اصابع رجليه الطائرة من شدة الضرب .

﴿ ما فعله علي اغا بحق بنات الخطأ ﴾

في سنة ١٢٢٥ خنق علي اغا ست بنات عواهر في الناصرة وامر بطرحهن عراة على مزابل الناصرة . وبسبب هذا انقطع العواهر عن بلاد

عكا التي كن يترددن عليها من زمن الجزار ...

وفي هذه السنة امر بخنق اسطفان قيالة الذي كان ابوه كاتب ورشة عكا ويعقوب سبيريدون اخا ايوب[1] ...

وكلاهما صياغ من طائفة الموارنة لكونهم ارتكبوا القبيح مع احدى بنات الاسلام البطالات وسحبهم العسكر من خان الافرنج من تحت البنديرة التي فوق دار قنصل فرنسا والقنصل خاف وذهب أختبى عند مريم عرب امرأة ادم الحكيم الافرنجي النابوليتاني حكيم باشي عند علي اغا مع ان القنصل بملوان من قرابة بونابرته . وكان هذا في اعظم ما يكون من التوفيق والسعد . ومن بعد خنق المذكورين امر ان يعروهم من ثيابهم ويربطوهم بارجلهم ويجروهم من الحبس الى ساحة السراي والاسواق الى خارج البلدة . ثم مسك القيالة الوالد لاحدهم وايوب اخا الثاني ورتب عليهما جرماً وامر العساكر ان يضعوا حبلاً برقابهم ويدوروا بهم في الازقة وبكل وقت يشدوا الحبال حتى يخنقوهم نصف خنقة ويجمعوا الجرم هكذا . ثم نفاهم الى الاقليم المصري مع عيالهم بعد هذا الجرم . فلما بلغ سليمان باشا ما توقع غضب جداً وارسل امراً مشدداً الى علي اغا وتلاوم عليه كثيراً وانغم من هذا ونهاه عن مثله .

---

(١) لخصنا هذا الفصل تلخيصاً مراعاة وحرمة لآداب قراء الكتاب .

﴿ بناء خان الحمير ﴾

في سنة ١٢٢٥ نفسها عمّر علي اغا خاناً في عكا بين السورين وسماه خان الحمير . وكانت تربط فيه البهائم التي تحضر الى عكا ورتب على كل رأس يومياً بارتين وجعله باسمه واوقفه باسمه مع انه تعمر من مال سليمان باشا

﴿ عمار جامع المجادلة ومنارته ﴾

وفيها جدّد علي اغا المذكور عمار جامع المجادلة الذي هو قبال داره التي عمرها في السنة الماضية وعمر له منارة جديدة واوقف له بساتين واملا كاً كان اقتناها من مال سليمان باشا

﴿ عمار رصيف كردانة ﴾

وفيها قبل توجه سليمان باشا الى الشام عمر الرصيف الذي هو قبال كردانة . فهذا المحل ارضه ردية شحار اسود حلاَّل وفي ايام الشتا يمتنع المرور في تلك الارض لسبب رداوتها مع كونها سكة سلطاني يمر عليها اناس من نواحي كثيرة ويحصل ثقله جسيمة لعابري الطريق مع اذية بالغة . فسليمان باشا رغبة بالاجر والثواب عمل رصيف حجارة للمرور عليها في تلك الطريق يبلغ طوله زيادة عن نصف ساعة وعرضه ستة اذرع بحيث يسلك فيها المارون والعابرون بدون ثقلة ولا اذية . ولاجل ذلك اكتسب ادعية المخلوقات المارين والعابرين و كف عنهم انواع الاذى .

﴿ عصاوة سقا احمد اغا القبوقول ﴾

وفيها عصي سقا احمد اغا قبوقول اغاسي في قلعة الشام ظاناً ان يعمل فتنة بالمدينة لسبب عصاوته ويجلب اضراراً اذ كان هناك سليمان باشا فوقع ظنه بالخلاف لان سليمان باشا ضايقه جداً واذ لم يجد له مسعفاً التزم ان يخرج بالامان . وسليمان باشا تسلم القلعة ووضع فيها محافظين .

﴿ رجل شامي شنق نفسه من جور امرأته ﴾

وفي هذه السنة اذ كان سليمان باشا في الشام باحدالايام صباحاً انوجد رجل مشنوق في قهوة السلطاني واذ نظروا قيافته عرفوا انه غير مشنوق بامر الحكومة لكونه غير معرى . واذ وجدوا بيده ورقة اخذوها وقرأوا ما فيها بخط يده واذا فيها « يا مطلعين على ورقتي هذه لا تتهموا احد بشنقي لاني انا شنقت نفسي بيدي من كيدي من امرأتي الفاعلة التاركة التي عجزتني اذ كل ليلة تلزمني بان اغسل رجلي واغير حوائجي » فاذ ضحك الناس من هذا الامر واعرضوها الى سليمان باشا قال لعنه الله ولا رحمه . ارموه بمحل تستحقه جثته الخبيثة

﴿ سعر الحنطة والعملة ﴾

في اول هذه السنة كانت تباع غرارة الحنطة النظيفة العال وهي اثنان وسبعين مداً بثمانية عشر غرشاً . وفي آخر السنة بعد كوانين ارتفعت اسعارها رويداً حتى حصلت الغرارة بخمسة واربعين غرشاً من شدة الطلب الذي صار عليها من بيروت ومن اهل الجبل .

وكان فيها ريال ابو المدفع سعره ٤ وابو شوشه سعره ٣½ والمشخص سعره ٩½ والاكاك سعره ٢ واليوزلك سعره ٢٠ [١]

(١) كانت نقود العملة السلطانية في تركيا عرضة للانقلاب والسقوط بسعرها لسقوط عيارها تدريجاً سواء كانت من ذهب او فضة كما يشاء هوى اصحابها سلاطين ذلك الزمان او كما تقتضي حاجتهم الى المال . ومتى نزل سعر احد النقود قلما كان يرتفع ولو قليلاً . فقد كان القرش السلطاني يساوي في الاصل خمس فرنكات ذهباً ثم اخذ يسقط سعره بسقوط عياره حتى صارت قيمته الى ما صارت اليه قبل ان فارقنا مع اصحابه بعد الحرب العظمى على ما هو معروف . ولذلك كانت تزاحمها العملة الاجنبية في كل مكان حتى في دار السلطنة واصغر قراها فكانوا يتعاملون بها ويدعونها باسماء خاصة مثل ابو شوشة وابو مدفع وابو طاقة . وكذلك كانت النقود السلطانية باسماء تركية كالذهب العادلي والجر والمحبوب والغازي والفندقلي والاخشاية والبارة والمصرية والفضة وغير ذلك مما لا يسعنا ذكرها كلها الى ان ضربت بامر السلطان عبد المجيد سنة ١٨٤٤ اصناف النقود المنسوبة اليه من ذهبية وفضية بعيار ثابت وسعر ثابت مع بقاء التعامل بالنقود المضروبة باسم والده السلطان محمود الثاني من اصناف النقود القديمة مع جواز التعامل بالنقود الذهبية من النقود الاجنبية ومنع التعامل بسواها . لكن لم يحفل الناس بهذا المنع بل لبثوا يتعاملون بالنقود القديمة والاجنبية الى ان صدر الامر السلطاني سنة ١٨٥٠ مجدداً بمنع ذلك والقبض على النقود الممنوعة اينما كانت ويعطى لاصحابها ثلاثة ارباع قيمتها فقط . وهذه اصناف النقود المجيدية وسعرها المعترف به رسمياً لدى الحكومة وهو الصاغ بقطع النظر عن سعرها المعروف لدى التجار والعامة وهو الشرك مما كان يختلف في كل مدينة وبلدة

الذهب العثماني	سعره	ماية قرش
نصفه	«	خمسون قرش
الريال المجيدي	«	تسعة عشر قرشاً
وعشره		البرغوث الكبير او ابو المابة
ونصف عشره		البرغوث الصغير او ابو الخمسين

﴿ فصل سليمان باشا عن ايالة الشام ﴾

باول سنة ١٢٢٦ صدر الامر الملوكي بفصل ايالة الشام من عهدة سليمان باشا وحال وصول الامر اليه بادر لعمل حساب المنصب وجمع مطلوباته من البلاد ورتب امورها باحسن ترتيب وجمع المتسلمين الذين كانوا من قبله بالمحلات لاجل ان يكونوا بخدمته ووضع خلافهم موقتاً تحت امر سليمان باشا سلحدار السلطان الذي توجهت ايالة الشام عليه. وباسرع وقت تم عمل حسابات المنصب وجمع سائر موجوداته ونصب قايمقام بالشام موقتاً تحت امر الوالي الجديد وقام بدائرته وذويه وحرمه وكامل ما يتعلق به ورجع الى عكا بالدولة والاقبال[1] كاسباً غانماً موفقاً. فابتهجت البلاد بقدومه وانسر العباد برجوعه وتقدمت اليه التهاني من سائر الاطراف والاكناف مع التهنئة والمديح

﴿ ترقي علي اغا الى رتبة الوزارة ﴾

وفي اول هذه السنة حرّر الى الباب العالي واستجلب الى علي اغا رتبة كتخداه ميرميرانية باية الروملي[2] ودفع معجلتها للدولة خمساية كيس

---

(١) عبارة تركية تقال للمسافر ومعناها بالسعد والاقبال

(٢) كانت الرتب العالية في السلطنة العثمانية قديماً قبل سنة ١٢٤٨ على اربع درجات : الاولى الوزارة العظمى وصاحبها له ثلاثة اطواغ او سناجق والثانية الميرميرانية (امير الامراء) وصاحبها له ثلاثة اطواغ او سناجق ولقب باشا وقد يكون له لقب بك وطوغان فقط والثالثة قبوجي باشي (رئيس البوابين) ومنهم السفراء.

حسب عادتها . ومنذ ذلك الحين صار اسمه علي باشا

﴿ حضور الجراد ﴾

في هذه السنة حضر الجراد العظيم على ايالة صيدا وغرز في اراضيها وفقس واكل سائر المزروع الصيفي من قطن وسمسم[1] مع قسم من الشتوي .

﴿ نصب المتسلمين والحكام ﴾

في هذه السنة ترتب متسلمين في ايالة صيدا وطرابلس واللاذقية حيث ان ايالة طرابلس الحقت بايالة صيدا احساناً من الدولة ومكافاة لسليمان باشا عن حسن خدماته . ففي طرابلس واللاذقية وضع وقرر مصطفى اغا بربر ووضع من طرفه وكيلاً في اللاذقية محمد اغا خزينة دارزاده[2] .

والرجال الذين يعتمد عليهم بقضاء بعض المصالح والخدم السلطانية والرابعة رتبة الخواجا للفقهاء ورجال العلم واصحاب القلم . ورتبة الميرميرانية الخاصة ببيك الروملي هي من الدرجة الثانية كانت خاصة بالحكام الذين يتولون من قبل السلطان بلاد الترك في اوروبا التي كانوا يطلقون عليها اسم بلاد الروملي (بلاد الروم) ولذلك دفع سليمان باشا المال الذي يجب دفعه عليها للسلطان سلفاً دفعة واحدة خمسماية كيس وكل كيس كان يعتبر خمسماية قرش

(١) كان القطن من اعظم حاصلات بلاد فلسطين بعد الحنطة ويليه السمسم

(٢) يريد بقوله من طرفه ان محمد المذكور كان وكيلاً في اللاذقية لمصطفى بربر لكون اللاذقية تابعة لسنجاق طرابلس . والخزينة دار اسم الاسرة التي ينتسب اليها محمد المذكور ولم يزل منها الى اليوم في اللاذقية افراد ممتازين بين اهلها بوجاهتهم وغناهم . ولفظة زاده التركية معناها ابن فيكون حاصل هذه الجملة ان محمد اغا من آل خزينةدار كان متسلماً مدينة اللاذقية من قبل مصطفى بربر

وفي كمرك اللاذقية انوضع حسين اغا من مماليك الجزار الذي كان سابقاً كمر كجي بيروت .

وفي جبل لبنان الامير بشير .

وفي بيروت اوزن علي اغا الذي كان متسلماً في سنجاق حماه متسلماً وكمر كجياً لها .

وفي صيدا علي اغا الصوري من مماليك الجزار .

وفي جباع خليل اغا اباظه نظيره .

وفي الشقيف موسى اغا جر كس .

وفي بلاد بشارة اي مقاطعة تبنين وهونين وساحل قانا وساحل معركة ومرجعيون ابرهيم اغا الكردي ومرتباً له خمسة وعشرين بيراق ياكلها تحت ادارة البلاد [1] .

وفي صور سليمان اغا اباظه من مماليك الجزار .

وفي ساحل عكا ونهر المفشوخ وكيلاً احمد عبد العال بماهية يومية غرشين تجمع من البلاد في كل شهر مع مصروف خدمة المراسيم التي تتوجه له عن كل مرسوم خمسة غروش الى خيالة الخزينة وتندفع له بموجب مرسوم خصوصي .

وعلى مقاطعتي الشاغور والجبل وطرشيحا الحاج موسى ابو ريا .

---

(١) اي انه رتب ان يكون له خمسة وعشرون فرقة من الجند لضبط ادارة هذه البلاد ويحق له تعيين افرادها والتصرف بمعاشهم كما كان ذلك سابقاً في عهد الجزار لسبب الاضطراب الذي كان يثيره فيها رؤساء عشائر المتاولة كما تقدم الكلام

وترتيبها يومي اربعة غروش للوكيل المذكور عن كل مقاطعة غرشين تجمع شهرياً مثل ذلك ٠

وعلى شفا عمر وتوابعها ولى محمد اغا من مماليك الجزار ٠

وعلى نفس الناصرة سليم اغا ابو سيف من مماليك الجزار ٠

وعلى قرى الناصرة وكيلاً عمر العدوي اخا الشيخ عبد الحليم شيخ الخزينة بماهية يومية تجمع في كل شهر مع المصروف ٠ ومزارع الناصرة كانت بالتزام الخواجا انطون كتفاكو قنصل النمسا في عكا وكان موكلاً اخيه فيليب على ادارتها ٠

وساحل عتليت وحيفا بالتزام الشيخ مسعود الماضي ٠

ويافا وغزة والرملة واللد كانت بعهدة محمد اغا ابونبوت وكان مقيماً في يافا وكان واضعاً وكلاء من طرفه في باقي المحلات يعزلهم ويوليهم بحسب رأيه بدون مشاورة ٠

والتكية العامرة واوقاف خاصكي سلطان في القدس [1] كان موكلاً عليها علي افندي القدسي ٠

وفي عكا علي باشا كتخداه والشيخ محمد افندي ابو الهدى التاجي قاضي ومفتي ٠ وحسن اغا من مماليك الجزار زوج الست مريم ابنة علي باشا كان خزينةدار وكان موكلاً من قبل علي باشا برؤية امور

---

(١) التكية لفظة تركية يراد بها الدار التي يعيش فيها الدراويش والفقراء والتكية العامرة في القدس هي التكية التي انشئت بنفقة زوج السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم فاتح سوريا وفلسطين ومصر وهي اليوم دار ايتام المسلمين والمراد باوقاف خاصكي سلطان الاوقاف التي حبستها السلطانة المذكورة وزوجها

الفلاحين الشاكي والمشتكي وفصلها بمعرفة عبد الحليم العدوي واوراقها تحرر من حسن اغا المذكور مع التذاكر التي يلزم صدورها للقرايا بطلب الفلاحين . وشيخ الخزينة اي مقارش امور الفلاحين نظير قبو كتخدا لهم عبد الحليم العدوي المذكور .

والصراف وشريك الرأي بامور الحكام وحفظ مال الخزينة وايراداتها وحساباتها وحساب المنصب مع خزينة الدولة جميعه بيد المعلم حيم وهو الرئيس على سائر الكتاب في داخل عكا وخارجها . والذي يريده يرفعه والذي يريده يبقيه بدون معارضة من طرف احد حتى المتسلمين اذا اراد ان يعزل منهم ويولي فلا يتعارض واذا اراد ان يسمح بمطاليب الميري فلا يعارض . واذا اراد ان يكرم من الخزينة فيعطي بدون معارضة . فقط كان يسند ما يفعله بقوله افندينا يقول كذا ويامر كذا وانعم بكذا مع ان الوزير ما له علم بذلك . والحاصل انه كان شريك الحكم

والمعلم حنا كان في وقتها كاتب العربي كما قدمنا. واما كتاب العربي بمعية المعلم حنا فكانوا في وقتها المعلم ابرهيم نحاس ابن عمه وولده المعلم ميخائيل عوره والمعلم يوسف قرداحي والمعلم لطوف الصابونجي . ثم ترتب في ١٢٢٦ المعلم فرح زهرة مقيداً في دفتر القيود .

واما كتاب الحسابات تحت يد المعلم حيم فكانوا المعلمين الياس الصوري ومخائيل الملك وجريس مسدية ومخائيل حنا و كيورك الفرآء الارمني الحلبي وكان هذا متزوجاً شقيقة الخواجا انطون كتفاكو والشيخ قيس اللوباني والشيخ محمد الخطيب الداموني وفضول الصابونجي .

والصيارف بالخزينة المعلم موسى اخو المعلم حيم وابن عمته المعلم حزقيال .

ووكيل الخرج [1] كان الشيخ جودي المصري وكان كاتباً عنده المعلم ....

وفي الانبار ابرهيم اغا الكردي وكيلا وكان الياس اليوسف كاتباً . وعلى تفريق شعير العليق علي اغا من الدائرة اميناً . وكان المعلم مخائيل ... كاتباً

وفي الكمرك ايوب سلامي الاسلامي اميناً . والمعلمين اندريا سابا وجريس مذي وانطون صالحة كتاباً .

وفي القصا بخانة جبرائيل عيد كاتباً [2] . وفي الملاحة [3] ابرهيم الزيت كاتباً . وعلى الورشة بوغوص الارمني الفا النجارين [4] . ويوسف حكيمة الفا البنائين وفرح النحاس كاتباً . وعلى الاملاك ذكور اغا امين ومحتسب البلدة . وميخائيل كاترون كاتباً

---

(١) كان يفوض الى وكيل الخرج قبض المال المرسوم او المفروض على اصحاب الدعاوي التي تقدم الى الحكومة

(٢) المراد بالقصا بخانة المسلخ او سوق اللحامين فكان يفرض على الذبائح فيه رسم يتناوله الكاتب للخزينة . ولم يزل في عكا الى اليوم افراد من اسرة عيد من طائفة الروم الارثوذكس ممتازين بوجاهتهم وغناهم

(٣) كان في جوار عكا قرب نهر النامين على البحر ملاحة مهمة كان للحكومة دخل مهم من حاصلاتها وقد اهمل اليوم شأنها حتى قل من يعرف عنها شيئاً .

(٤) هو α الحرف الاول من الحروف الهجائية في اللغة اليونانية ويوصف به الاول في كل صناعة وفن ولا سيا فن البناء والهندسة

واما الاغاوات اصحاب الكاركات في الباب[١] فعثمان اغا سلحدار[٢] وحسن اغا قرنباس اوغلو ايجوقدار[٣] . وعثمان اغا باشجوقدار . ويوسف اغا والد شكري افندي ايكنجي . ومحمد اغا الغندور اميراخور[٤] . وحافظ افندي ديوان افندسي[٥] وبمعيته ابراهيم افندي ومصطفى افندي ملاطيلي . وباقي وظائف الكاركات كانت متقلدة الى مماليك

---

(١) الكاركات او الكاركاه لفظة تركية مركبة من كار بمعنى الخدمة والمهنة ومن كاه بمعنى المكان والموضع والمراد بها هنا الاغاوات الذين يقومون بالخدمة الحالية في سراي الوزير . والاتراك يكنون عن السراي باسم الباب من باب تسمية الشيء باسم الجزء المهم منه . ومن ذلك قولهم الباب العالي لقصر السلطان . واصحاب هذه الخدم المختلفة يذكرها المؤلف فيما يلي تدريجاً باسمائها التركية

(٢) السلحدار لفظة تركية مركبة من لفظة عربية مفهومة ومن دار الفارسية بمعنى صاحب فيكون معنى السلحدار حامل سلاح الوزير من رجال التشريفات الملازمين الخدمة له

(٣) اوغلو بمعنى الصغير والولد . والايجقدار او الجوخدار بمعنى صاحب الجوخ الامين على بدلات الوزير وثيابه الرسمية . وباشجوقدار هو رئيس الامناء الاول والايكنجي الرئيس الثاني منهم والايكنجي بمعنى الثاني

(٤) الامير اخور او الامير ياخور هو الموكل على اسطبل الوزير وعلى الخيل الخاصة به

(٥) افندسي وافنديسي مركبة من لفظة افندي اليونانية الاصل ومعناها مفهوم وسي ضمير الغائب المفرد في التركي فيكون معنى ديوان افنديسي مدير ديوانه الخاص او رئيس ديوانه نظراً لمن يكون تحت يده من الكتاب . واعل الكاتب ابرهيم افندي صار فيما بعد كتخدا عبدالله باشا وعرف باسم ابرهيم باشا

الوزير مثل توتونجي باشي [1] . وخفتان اغاسي [2] وعلمدار وبيراقدار [3] وابريقدار [4] وشمعدان اغاسي [5] ودربندار [6] ومهردار [7] وموجي باشي [8] . واما قهوجي باشي [9] فكان علي اغا صهر عثمان اغا السلحدار من خدم سليمان باشا القدم وباش جاويش ايج اوغلان [10] ادهم اغا الاسلامبولي . والاي باش

---

(١) التوتونجي باشي هو الاغا المفوض اليه اعداد التوتون او الدخان والشبق الذي يشرب به الوزير وتقديمه له ولاصحابه وتحت يده غلمان يقومون بهذه الخدم

(٢) الخفتان والقفطان بمعنى واحد والقفطان اغاسي هو الاغا المفوض اليه حفظ قفطان الوزير برسم الهدية او الخلعة لمن احب من اصحابه

(٣) العلمدار نظن انه الاغا الموكل على حفظ الاعلام والرايات وان البراقدار هو الاغا الذي يحمل البيراق امام الوزير في موكبه الرسمي او الاحتفالي

(٤) الابريقدار الاغا المفوض اليه اعداد وتقديم الماء لشرب الوزير وغسل يديه

(٥) شمعدان اغاسي هو الاغا الموكول اليه اعداد وتدبير الشماعدين وانارتها امام الوزير .

(٦) الدرب الطريق الخاص والدربندار هو الاغا الذي يسير امام الوزير كالدليل له في طريقه والخادم له فيا يحتاج اليه مراعاة لشرفه

(٧) المهر بمعنى الختم والخاتم والمهردار هو الاغا الامين على ختم الوزير والحامل له في علبته ليقدمه له عند الطلب .

(٨) الموجي باشي هو الاغا الموكل اليه العناية بضيوف الوزير ومرافقتهم في دخولهم وخروجهم وتحت يده عدد من الغلمان يقومون بهذه الخدم باشارته

(٩) قهوجي باشي هو الاغا المفوض اليه اعداد القهوة وتقديمها للوزير واصحابه وتحت يده قدر من الغلمان يقومون بهذه الخدم بتدبيره واشارته

(١٠) اوغلان بالتركية جمع اوغلو بمعنى الغلمان والفتيان وايج بمعنى داخل وضمن فيكون حاصل معنى هذه الجملة ان ادهم اغا الاسلامبولي الاصل هو الجاويش الاول او رئيس الضباط المفوض اليه امر تدبير الغلمان في داخل سراي الوزير

جاويش[1] علي اغا من خدم سليمان باشا القدم . وقواص باشي[2] علي اغا بوشناق . وانختار اغاسي[3] علي اغا بوشناق وتحت يده سبعة يمقات اغوات .

وعبد الله اغا حرم اغاسي[4] وتحت يده ثلاثة حرم اغاسية وهم سعيد اغا وجبرائيل اغا وعلي اغا .

وسائس باشي الحاج علي[5] . وسائس ايكنجي[6] الحاج علي الاخر . وصفرجي باشي[7] محمد اغا .

---

(١) يراد بالالاي هنا موكب الوزير . وباش جاويش الالاي هو الضابط الاول في ترتيب وتدبير موكب الوزير في الاحتفالات الرسمية

(٢) القواص باشي هو رئيس حجاب الوزير في السراي وتحت يده قدر من حملة البواريد لاتمام هذه الخدمة

(٣) الانختار بمعنى المفتاح . والانختار اغاسي هو الاغا الموكول اليه الامانة على مفاتيح غرف سراي الوزير وفرشها ونظافتها . وتحت يده للقيام بهذه الخدم عدد من المساعدين له وهم اليمقات وكلهم من الخصيان نظير الحرم اغاسي

(٤) الحرم اغاسي هو الاغا الموكول اليه بوجه خاص خفارة وخدمة نساء الوزير في السراي وفي الطريق بالخارج وتحت يده عدد من المساعدين له بذلك مشرفين بهذا اللقب

(٥) السائس باشي هو رئيس الغلمان الذين يسوسون خيل الوزير واعدادها لركوبه ومرافقته باسفاره لسياستها وتقديم العليق لها

(٦) السائس ايكنجي هو الريس الثاني بالرتبة للغلمان المذكورين

(٧) الصفرجي باشي هو رئيس الغلمان الذين يقومون بخدمة سفرة الوزير وتقديم ما ياكل هو واصحابه من الطبخ وغيره وتحت يده عدد من الغلمان للقيام بهذه الخدم

وسرايدار باشي[1] الحاج محمد المصري . واغاسي خيالة الخزينة والسعاة الحاج حمزه الصيداوي[2] . والتاتار اغاسي[3] علي اغا وتحت يده خمسة وعشرين تاتار

وبوابين البلدة[4] مصطفى عفارة وتحت يده اربعة .

ورؤساء الميناء اثنين مصطفى القاتول من عوانية الجزار وعلي الشماس

وضباط العساكر في برج الحديد كان مرتباً جولاق علي اغا بيلانسي . وفي برج البوابة الجوانية وهي بوابة السباع ابرهيم اغا

---

(١) السرايدار هو الاغا المفوض اليه الاشراف وتدبير سراي الوزير وترتيبها بالنظافة والفرش وتحت يده عدد من الغلمان للقيام بهذه الخدم وليس لهم شان ولا مشاركة بخدم الحرم اغاسية

(٢) اغاسي خيالة الخزينة والسعاة هو رئيس الخيالة والرجالة السعاة المعينين بوجه خاص لخدمة مصلحة خزينة الايالة ومنهم الحوالية باموالها وكلهم خاضعون راساً لامر وتدبير المعلم حييم وخدمتهم لا تتجاز الايالة بخلاف التاتار

(٣) التاتاراغاسي هو رئيس الططر الذين ينقلون بريد الوزير الى دار السلطنة والى غيرها من الايالات المجاورة ويأتون اليه بالبريد السلطاني وهم يسيرون زوجاً زوجاً او اكثر على ظهور الخيل يختارون من الفرسان الشجعان

(٤) كانت مدينة عكا تعد كانها قلعة اذ كانت ذات سور ضخم مرتفع يحيط بها من كل جهة ولها بوابة واحدة كبيرة تقفل ليلاً ولا تفتح الا بامر الوزير او الكاتخدا معاونه وكان يقوم بالمحافظة عليها عدة انفار من الجند بصفة بوابين لا يتغيرون ولا يتبدلون . وقد انشأ الجزار لها سوراً اخر من جهة البر على اثر حصار الفرنساويين لها زيادة في تحصينها فصارت بذلك ذات سورين . وزاد في ابراجها اذ كان لها على اسوارها وفي البحر عدة ابراج قوية فيها عدد من مدافع تلك الايام وعدد من الطبجية لحماية المدينة والدفاع عنها متى دعت الحاجة الى ذلك كما يظهر من النص :

القاتلي وقاتلي عمر اغا . وفي الباب البراني مرتباً عمر اغا كشخانلي وطوبجي باشي علي اغا [١] وتحت يده سبعماية نفر طوبجية بضباطها

وفي باب السراي عمر اغا بكباشي محافظ البلدة والحبس . وفي الباب الذي قبال باب الحرم ابرهيم اغا بوشناق بخمسين اغا . وانفار الضباط المرتبين برتبة بلو كباشية مرتبين بسائر ابراج البلدة .

ومحمد افندي ناظر الجامع الكبير .

وناظر مغلق القطن [٢] رستم كاشف وكتابه اندراوس عسيلي والياس زهرة . وناظر الجرينة [٣] ابو عمر المصري والكاتب بولس ابوراس واما حساب المحلوج الذي يورد من المغلق والذي ينشرى من فلاحين القرايا فكان ناظره ايوب سلامي امين الكمرك . وكاتبه جريس منسي كاتب الجمرك .

وكتاب جهات الايالة في اللاذقية كان عبد الله الياس وتحت يده كتاب معلومين بمعرفته يتعاطون خدمة السراي والكمرك العام . وكمرك الدخان . وامرهم متعلق بمناظرة المعلم نعمة غريب باشكاتب ايالة طرابلس .

---

(١) الطوبجي باشي هو رئيس فرقة رجال المدفعية الذين في الابراج .

(٢) مغلق القطن هو مستودع او مخزن القطن الخاص بالخزينة .

(٣) يراد بالجرينة ساحة او سوق القمح .

(٤) المراد بالمحلوج القطن النقي من بزره . ويظهر من النص ان الحكومة كانت تحتكر حينئذ التجارة بالقطن لاهمية حاصلاته في ايالة عكا واراضيها الواسعة الخصبة ولذلك كان له مغلق خاص وحساب خاص .

وفي طرابلس المعلم نعمة المذكور عند مصطفى اغا بربر باشكاتب والمعلم وهبة صدقة كاتب العربي . والكتاب بالسراي والكمارك مرتبين بمعرفته . وفي عكار عند علي بك الاسعد المعلم نصرالله نوفل كاتب . وفي بيروت المعلم ايوب نصرالله والمعلم يوسف منسى ابا الياس منسى كتاب بالسراي والكمرك والمعلم ميخائيل ساروفيم صراف .

وفي الجبل عند الامير بشير المعلم منصور الدحداح كاتب وجريس مشاقه صراف . والمعتمدان[1] الذين كان يرسلهم الى عكا ابرهيم نعمة وجدعون الباحوط وحنا عزام . وباقي كتابه وخدمه متعلق بامره .

وفي صيدا كان نخله مارون والشيخ علي كتاباً . وجبور القرداحي صرافاً وله ماهية شهري خمسة غروش ومقيم في دكانه .

وفي جباع يوسف نمور كاتب . وفي الشقيف نخلة نقولا واندراوس الشامي كتاب . وفي تبنين وهونين يوسف مدول ويوسف البواب كتاب .

وفي صور عبود ساروفيم كاتب السراي والكمرك . ويوسف ايوب كاتب الانبار[2] .

وفي سنجاق غزة ويافا باش كاتب الياس باسيلا . وتحت يده كتاب بمعرفته في باقي المحلات . اثنا المعروفين الذين كانوا بمعيته سمعان الذي كان مدة ابو المرق باش كاتباً . وفي الكمرك ابرهيم الغرة

---

(١) المعتمدان بالتركية جمع معتمد (٢) راجع الحاشية صفحة ٥٠

والصراف نقولا غرغور .[1] وفي الرملة قسطندي جحشان ومعه كاتبين وفي اللد اسحق جحشان ومعه كاتب . وفي غزه ابرهيم جحشان وعنده كتاب لخدمة السراي والكمرك . هؤلاء هم الكتاب الذين كانوا في ايالات صيدا وطرابلس واللاذقية وغزة ويافا وتوابعها مع مأموريهم .

وكان في عكا ايضاً عمر الصيداوي جربندي باشي[2] والحاج علي سيروان باشي[3] والحاج علي عكام باشي[4] وحسين مشعلجي باشي[5] . ومحمد ابن عكام باش تختروانجي .[6] والحاج علي شوباصي باشي .[7] والحاج ابرهيم دولابجي[8] ومعه نفرين .

---

(١) هو جد والد الدكتور كامل غرغور مدير الصحة في الجمهورية اللبنانية

(٢) الجربندي باشي الاغا الذي يجب عليه اعداد ما يلزم لسفر الوزير واصحابه من الزاد وغيره ومن ذلك اسم الجربندية

(٣) السيروان باشي هو الاغا الذي يجب عليه اعداد ما يلزم لنزهات الوزير واصحابهُ وحريمه . منها كلمة السيران المعروفة .

(٤) العكام باشي هو الاغا الموكول اليه مصلحة الجمال واحمالها والعكامين الجمالة الذين ينقلون على ظهورها ما يطلب نقله .

(٥) مشعلجي باشي هو الاغا الموكول اليه تدبير الرجال لحمل المشاعل امام الوزير في اسفاره ليلاً .

(٦) العكام باشي تختروانجي هو الاغا الذي عليه اعـداد ما يلزم من الجمال والجمالة لحمل التختروان او الهوادج لسفر الوزير وحريمه .

(٧) الشوباصي باشي هو رئيس رجال الضبط في البلدة الموكول اليهم المحافظة عليها من السرقات وسائر التعديات كوظيفة رجال البوليس في هذه الايام .

(٨) دولابجي من الدولاب بمعنى الحركة والسعي للعمل في سراي الوزير .

﴿ قهر محمد اغا ابو نبوت اولاد النصارى على الاسلام ﴾

في سنة ١٢٢٥ محمد اغا ابو نبوت متسلم غزة ويافا مسك واحداً وعشرين ولداً من اولاد النصارى في يافا غصباً عن والديهم وبالقهر والجبر اسلمهم واستخدمهم عنده . ثم بعده مسك عشرة اولاد اخر وصارت له اشاعة عاطلة ردية جداً . وسليمان باشا نظراً لميله الكلي اليه غض النظر عن قبول الشكاية بحقه .

﴿ وقوع سيل عظيم في عكا ﴾

في سنة ١٢٢٥ في تشرين الاول صارت على بغتة سيلة شتاء عظيمة دامت مقدار نصف ساعة او اكثر . فهجمت المياه في عكا من ازدحامها وكسرت ابواب المخازن والدكاكين واعدمت جملة ارزاق . ومن الجملة ان رجلاً اسلامبولياً اشترى من الاقليم المصري بما يملكه زيادة عن اربعين قنطار سكر واحضرها الى عكا ووضعها في مخزن مقابل خان الافرنج . وبعد وصوله بمقدار خمسة عشر يوماً حصلت السيلة وهجمت المياه على المخزن وذوبت السكر الذي فيه . واذ لم يجد صاحبه سبيلاً يدافع به عن رزقه ويخلصه من الغرق سلم امره للامر الرباني وصباح ثاني يوم وجد السكر وحلاً . وصار الفقراء يأخذوه ويأكلوه . وهو من حصرهِ تشوش وبعد عشرة ايام مات .

﴿ نادرة حادثة بطرس النحاس ﴾

في هذه السنة ١٢٢٥ حدث امر يجب ان يؤرخ لانه غريب .

وذلك انه كان موجوداً في عكا رجل نصراني يسمى بطرس النحاس اخو المطران مكاريوس النحاس مطران طائفة الروم الكاثوليك يومئذ في عكا وكان كاره التجارة بالاخذ والعطاء وكان مستوراً من احسن اقرانه تجار عكا . وكان طلق اللسان واطي الجانب لطيف التصرف ذا اصل طيب . وفي ايام الجزار تلاحق من العوانية وارباب الفساد بالبلص والجرايم الى ان ضعف حاله بالكلية . وتكملت عليه البلايا بانه في ايام حصار عكا مدة اسماعيل باشا تلاحق من ارباب الفساد بكثرة الطرح والتجريم [1] الى ان التزم بان يبيع جميع ما يملك وبرك تحت جملة ديون الى المخلوقات وما فتحت عكا الا وهو بحالة البريشانية او الحاجة الكلية تحت ديون الخلق وعنده ثلاثة اولاد وحرمته . وبما ان نفسه عزيزة عليه وقد اعتاد على النعمة احتمل ما اصابه بالصبر وصار بقدر الامكان يشالش على اكتساب معاشه الضروري انما بحالة الفقر الكلي وابقى بيده المخزن الذي كان مقيماً فيه فاضياً ما فيه شي. ليتسلى ويتصيد له صيدة يعتاش منها . واستقام على هذا الحال نحو سنتين وثلاث بغاية الضيق الكلي من امر المعاش ومن امر مطالبة اصحاب الديون ومضايقتهم له في كل وقت .

في سنة ١٢٢٣ فتح المعلم حنا عورة مخزناً الى ابن عمه المعلم خليل النحاس اخي عياله (امرأته) الذي كان اصابه حديثاً ففقد البصر بريعان

---

(١) المراد بالطرح الزامه بمشترى ما يقدم له من السلع بالثمن المعين له اضطراراً مهما كان باهظاً . والمراد بالتجريم دفع مبلغ من المال غرامة على جرم نسب اليه زوراً وظلماً .

شبوبيته وحضر الى عكا لعنده ووضعه عنده في البيت . فلاجل تسليته وبما ان اولاده مخائيل ومحرره ابرهيم كانا تعلما القراءة وطلعوا من المدرسة لاجل تربيتهم واتقان تعليمهم بما ان المعلم خليل المذكور من ذوي الفصاحة واللبابة . وبعد ان اصابته هذه التجربة فالباري تعالى لاجل تسليته ولكي يجعل للتجربة مخرجاً كما قال بولس الرسول قد فتح ذهنه وذكائه وحافظته جداً ففتح له المعلم حنا مخزناً في باب خان الافرنج في عكا بالقرب من مخزن بطرس النحاس المذكور ووضع عنده اولاده الاثنين ليتعلموا منه ويتربوا حسناً ويقرأوا ويكتبوا له وحتى يمسكوه بيده في ذهابه وايابه ويحافظوا معه على ارزاق المخزن واستجاب له بضايع متنوعة من بيروت واستقام المذكور بالمخزن يبيع ويشتري مدة . وبما انه في وقتها احوال اهالي عكا كانت لم تزل مبشللة دار المخزن طيب وانصرف للاخذ والعطاء . الا انه حيث ان المعلم خليل فاقد النظر وابناء شقيقته لم يزالوا صغاراً كان مفتقراً الى رجل معتاد لهذا الكار لمساعدته وبالتوفيق اذ نظر بطرس النحاس في احد الايام كثرة وجود المشترية في المخزن حضر من تلقاء ذاته بحب الفضول وصار يحسّن لهم البضايع ويصرف معهم الامور كمرغوب النحاس . وباسرع وقت باع وصرف جملة زباين فانحظ منه النحاس واظهر له الممنونية واجلسه معه وصاروا يتحادثون واذ نظره ديوان كلام احبه واستقام هكذا ذلك النهار بالمخزن والمشتري الذي يأتي لا يدعه يخرج فارغاً فاستفاد النحاس من عشرته ذلك النهار . وثاني يوم صباحاً اذ حضر الى المخزن استحضره وصار يتحادث معه وبقي لحد المساء . وفي اثناء المصاحبة والمحادثة فهم حاله

والضيق الحاصل فيه من امر المعيشة وما جرى عليه وما اصابه الى ان اتصل حاله يومئذ ان يستدين ثمن كم رطل زبيب ينقعهم في بيته للعرق ويبيعهم بالسر ويربح منهم القوت بقدر الامكان حتى لا يموت . وبغير ذلك ما كان قادراً يحصل شيئاً . فاذ فهم ذلك اخذته الشفقة عليه ومن تلقاء ذاته افتكر ان يجعل له شيئاً معلوماً على الذي يسمسر عليه ويبيعه وصار كلما انباعت بيعة عن يده يعطيه سمسرته فصار يومياً يجمع غرشين وثلاثة وخمسة وعشرة وايام خمسة عشر غرشاً فانسر لذلك سروراً عظيماً لان الذي صار يطلع له من السمسرة يكفي لمصروفه وزيادة بل يفيض معه عن المصروف معما يربحه من بيع العرق في بيته سراً . ولاجل ذلك صار يومياً يحضر صباحاً وينتظر حضور النحاس لفتح المخزن . وصار للنحاس عشق كلي لعشرته حتى اولاد شقيقته احبوه جداً نظراً للطافة مشربه وظرافة اطباعه وما عادوا يفارقونه ساعة واستقام بالمخزن ولكن مخزنه الاصلي ما تركه بل بقي معه . ومع هذا صار يصادف عمله النجاح مع اهل جبل لبنان الذين كانوا يحضرون لمشترى الحنطة ويربح من ذلك ومن هذا . وبهذا وذاك سلكت اموره واستقامت وترفه بنوع بامر المعاش ودام على ذلك قريب من سنتين .

في احد الايام حضر مثل عادته وجلس ولكن بحال العبوسة وقلق الفكر ليس مثل عوايده . فاذ سأله خليل النحاس عن حاله اجابه ماش . ثم بعد مدة اذ تحقق غمه قال له يا بطرس انت اليوم لست على الكيف . فقال له نعم . وافتكر النحاس ان يكون احد المداينية ثقل عليه ولذلك كرر عليه السؤال عن السبب الموجب لغمه . فقال له

يا معلم خليل في هذه الليلة رأيت مناماً قمت منه مغموماً جداً جداً. ولحد الان قلبي طابق منه ومكدر. فقال له ما هذا المنام الكذاب. الا تعلم ان المنامات ما لها صحة ولا تعتبر ديناً. فقال له اعرف ذلك وانما هذا المنام كدرني كثيراً. فقال له قل لي عنه لافهم من اي شي تكدرت. فقال له اذا قلت لك ارغب ان تفسره لي من عقلك وفهمك كما يلهمك الله ولا تفسره على قول الكذابين. فقال له لك علي انني افسره لك كما يلهمني الله وكما يجي بعقلي بدون ميل الى التأويلات الكذابة. وبعد ان كرر عليه ذلك وعاهده قال له قل خير ان شاء الله تعالى. فقال له اي خير مليح. فقال رأيت انني كنت عند اخي المطران اشق عليه (لان المطران يومئذ كان مشوشاً بداء الاستسقاء الاخير الذي توفي فيه في اواخر سنة ١٢٢٥) ونزلت من عنده واذ وصلت الى باب ساباط[1] القاضي وجدت على بابه رجلاً معه صندوقين معبايين مربعات قزاز بابة كبيرة وبابة صغيرة. ففصلتهم معه وقطعت بازارهم ومديت يدي الى عبي واخرجت ذهباً لاعطيه له رعبوناً وحذفته له فوقع الذهب على الصندوق وقام من الصندوق ورجع الى عبي فاخرجته ثانياً وحذفته له فرجع ايضاً من الصندوق الى عبي وانتبهت من نومي وانا بغاية الغم ولم ازل مغموماً

(١) الساباط في كتب اللغة السقيفة بين دارين تحتها الطريق. وساباط القاضي في عكا قديمة مشهورة لم تزل الى اليوم قريبة من دار مطران الروم الكاثوليك بالطريق السالك الى السوق. وهي تنسب الى القاضي لان قضاة عكا كانوا يسكنون دائماً في عهد الاتراك في دار بجوار هذه السقيفة التي بظلامها تمثل في ذهن العابر هذا السبيل ظلمة القبر.

فقال له النحاس هل تريد ان افسره لك كما خطر بعقلي .

فقال له اي نعم وارجوك ان تعفيني من قول ابن سيرين وغيره[1]

فقال له اما نزولك من عند المطران الى ساباط القاضي فلم يزل قدامك نزول لحد السوق . وانت قدامك نزول حتى توصل الى القبر .

فقال له كلام طيب ما شاء الله عليك .

فقال له اصبر للغلاقة ثم قال له واما الصناديق البابتين فالبابة الكبيرة هي باب السرايا والبابة الصغيرة الثانية هي باب الحبس . واما الذهب الذي اخرجته لتعطيه رعبوناً ورجع الى عبك مرتين . فهو غم دفعته عنك وعاد رجع اليك . هذا تفسير المنام والسلام .

فاذ سمع بطرس ذلك انقبض وتغير وجهه وزاد همه واذ لحظ ذلك خليل النحاس اخذ يسليه ويقول له لا تصدق هذا كذب . وهذا المنام هدس . انت عادتك تتوجه لعند اخيك المطران . والصناديق ها هي بجانبك مليانة مسودات قزاز . فهدست في بيعها والذهب معتاد تصارف عليه (تصرفه) . وهذا كما قلت لك هدس لا تصدقه . واذ هم بهذا الحديث حضرت زباين ليشتروا من المخزن وتعبّى من المشترية والتهى الاثنان بهم . واذ هم ملتهين نظر احد الاولاد ابناء شقيقة النحاس الذي هو ابرهيم عورة محرر هذا الخبر ان اوده باش سكبان باشي محافظ البلدة واسمه الحاج قدري وقف في باب المخزن وطلب بطرس النحاس بالاشارة واخرجه خارج المخزن وتوجهوا سوية والنحاس ملتهي ضمن المخزن مع

---

(١) ابن سيرين المشار اليه له كتاب مشهور في تفسير الاحلام .

الزباين المشترية . وبعد نحو ساعة من الزمان حضر رجل يسمى اندراوس
زاخر من طائفة الكاثوليك وصاحب النحاس والنحاس ودخل المخزن
بلهفة وسأل خليل النحاس عن بطرس النحاس فاجابه الذي اعلمه انه
هنا . فقال له اين هو ؟ بطرس انوضع بالحبس . فاذ سمع النحاس ارتعد
وقال له اين ؟ فقال له وحياتك انحبس . فقال له في اي وقت ولاي
سبب . فقال له في هذه الساعة سمعت وما عرفت لاي سبب . فقال محرره
لخاله نعم انا نظرت من حصة زمان حضر قدري اغا الاوده باشي وطلبه
واخذه وتوجه معه . حينئذ النحاس طرد باقي الزباين من المخزن واشتد
عليه الغم وامر ابن شقيقته مخائيل بتحرير ورقة منه الى صهره المعلم
حنا بما بلغه عن حبس بطرس ويوضح له اضطراره لوجوده ويكرر
عليه الرجا بالسعي باطلاقه حالاً حيث لا يعلم له جنحة وسلم الورقة الى
ابرهيم ليأخذها لابيه فاخذها وتوجه بسرعة ودفعها له وقرأها المعلم حنا
وحرر له بها الجواب « ابن العم المكرم . نعم ان بطرس انحبس لاجل
مادة رجل عسكري انوجد سكران واتهم بطرس انه بايعه العرق
ولاجلها انحبس . والان الحديدة حامية جداً يقتضي لها التأني . فنهار غد
ان اراد الباري تعالى نعمل طريقة مع جناب الاغا اي علي اغا
الكتخدا ونطلقه فلا يكن لكم فكره » فاذ رجعت له بهذا الجواب
اضطربت حواسه وتصدع رأسه مفتكراً بالمنام الذي تفسر عاجلاً وبفقر
المذكور . ومن شدة الغم الذي ناله ما قدر يضاين بالمخزن اكثر من ساعة
زمان . ثم قام وسكر المخزن وتوجه دغري الى بيت المذكور واجتمع
بامرأته وعزاها وسلاها ووعدها باطلاقه غداً ثم اعطاها ريال بشلك

بخمسة غروش الذي يساوي الان ١٧ غرشاً وكانت اول صكته
وهكذا حضر الى البيت مغموماً وحكى لشقيقته المنام وكيف تفسر.
وعند عشية حضر صهره فحكى له قضية المنام وكيف وقعت المسارعة
بتفسيره. فطمنه صهره وكرر له الوعد الى غد. وفي تلك الليلة ما قدر
النحاس يلتذ بالنوم وثاني يوم المعلم حنا ترجى الكتخدا واطلقه فاذ حضر
الى المخزن حصل لجميعنا سرور عظيم وهو صار يلعن المنام وتفسيره. وبقوا
بمعاشرة وانبساط معه الى المساء ورجع كعادته يحضر يومياً الى المخزن.
فبعد ثمانية ايام مضت من رؤية المنام الاول حضر كعادته مغموماً بزيادة.
فاذ سأله النحاس فقال له بالله عليك لا تسأني يا خليل لانني اخشى بان
اقول لك ذلك ويصيبني كالاول. فصار يهزر معه ويكرر الطلب
واخيراً قال له :

انني رأيت في هذه الليلة كانني في مرجة خضراء واسعة جداً جداً جداً
ما لها نهاية لاتساعها. وفي وسط هذه المرجة مربوط فرس بيضاء وانا
متوجه لعند الفرس كي انظرها اذ وصلت لعندها نظرت امرأة جميلة
جداً بما لا اقدر اوصفه ومزينة بتمام زينتها. وعمري في زمان حياتي ما
نظرت اجمل منها. واذ وصلتُ لنحو الفرس تقدمت الامرأة المذكورة
لتقبلني فانا نفرت منها وابتعدت عنها. فلحقتني وانا هربت منها. وصرنا
ندور دائر الفرس وانا هارب وهي لاحقتني. واخيراً ما امكن حتى
اغتصبتني وقبلتني. فانتبهت وانا مغموم بما لا اقدر ان اصف لك. فبالله
عليك فسره لي كما يلهمك الله واعفني من تأويلاتك الملعونة.

فقال له قوي عظيم. اسمع يا بطرس انت بذاك المنام حلمت انك

نازل وانا قلت لك ان قدامك نزول لحد القبر . فقال له انا ما قلت الك ان تعفيني من تاويلاتك هذه . ها اننا رجعنا الى المنام الاول . فقال له وانما اذكرك بانني قلت لك هذا . والان اسمع التفسير الذي خطر ببالي . ان المرجة الخضراء الواسعة التي مالها نهاية التي نظرتها هي الابدية والفرس البيضاء المربوطة في وسطها هي القبر . وانت ماضي لتركبها اي لتدخله وحين وصلته فالامراة الجميلة المزينة التي نظرتها هي الدنيا . وقد حضرت لتودعك . وهذا ما خطر ببالي من التفسير والسلام ثم سكت فبطرس اذ سمع هذا التفسير اندهش وبهت حصة زمانية ثم قال :

ياخليل كان في قرية شفعمرو رجل له ولدان وكان اختياراً جداً وكان هو واولاده فقراء للغاية . فاذ صادفتهم سنة ضيقة مقحلة نظير هذه وجاعوا جداً وما عندهم شي وضاق امرهم للغاية حضر الاولاد لعند ابيهم وقالوا له انت عارف بما نحن فيه من الجوع والقلة والضيقة . وحيث ما عاد لنا حيلة نحتال بها لنعيش افتكرنا في راي ونريد نشاورك به . فقال لهم قولوا . قالوا انت صرت رجلاً شيخاً ومسناً وما عدت تقدر على شي . ولا عاد لك منفعة بالدنيا . واذا ما مت اليوم فستموت غداً . وحيث نحن الان بهذه الحال فالاحسن ان ناخذك الى حدود اراضي مجار وكابول ونقتلك هناك ونطلب حق دمك من اهالي القريتين ونعيش به فتكون نفعتنا بموتك اوفق من حياتك لانها مضرة علينا . فقال لهم يا اولادي انا كبرت وشخت والعن من هذه المشورة ما شفت :

وانا يا معلم خليل كبرت وشخت والعن من هذا التفسير ما شفت .

فصاروا يضحكوا . وبعد حصة تغيرت السيرة بينهم والتهوا بغيرها وبقوا هكذا الى المساء وتسكر المخزن وكل واحد توجه الى بيته .

وكان بطرس النحاس ساكناً بالدار التي ساكن بها جرجس منسى كاتب كمرك عكا . فبطرس ساكن في البيوت السفلى وجرجس ساكن في البيوت العلوية وبعد ان تعشى بطرس في بيته طلع الى بيت منسى يسهر عنده وبالصدفة حضر تلك الليلة ابرهيم النحاس اخو خليل النحاس المذكور ليسهر . ثم حضر القسيس لوكيانوس الطبيب لاجل السهرة ايضاً وجلسوا في بيت على صف واحد جرجس منسى وبجانبه القسيس وبجانبه ابرهيم النحاس وبجانبه بطرس النحاس . وبعد حصة من الزمان قال بطرس الى القسيس يا ابانا جس يدي لانني احس بوجع قلب ومد يده من امام صدر ابرهيم نحاس فمسكها الخوري واذ جس نبضه قال له يا بطرس معك ريحية عظيمة وليس لك نبض . ثم نفخ وقال لازم لك شوية مازهر تشربه . فحالاً نهضت سارة حرمة جرجس منسى وبكل سرعة اخذت كباية قزاز وطلعت على السدة التي فوقهم وفرغت بها مازهر واذ هي عمال تفرغه بالكباية اتكى بطرس النحاس على حضن ابرهيم نحاس كانه متعوب ويريد يستريح من تعبه . فتركه ابرهيم مفتكراً ان ذلك من المه ووجع قلبه . فالحرمة بكل سرعة عبت الكباية ونزلت وتقدمت لبطرس تناوله اياها ليشربها وقالت له قم يا بطرس اشرب مازهر . فما جاوبها فكررت مرتين وثلاثة وما جاوبها . فقال له الخوري كذلك وما جاوبه ثم ان ابرهيم نحاس نبّهه وصار يحركه فوجده قطعة واحدة فنهضوا كلهم وحركوه فوجدوه مائتاً . فحالا حملوه

ونزلوا به الى بيته وعملوا عزاه في تلك الليلة ...

وثاني يوم نهض خليل نحاس واخذ اولاد شقيقته وتوجه الى القداس الاول في الكنيسة كعادته . فاذ خلص القداس نبه الخوري انطونيوس الفاخوري قائلًا للشعب يا اولادنا المباركين في هذه الليلة انتقل بالوفاة الى رحمته تعالى ولدنا بطرس النحاس له الرحمة ولكم البقاء . وحيث نخشى اذا جنزناه هنا يسمع سيدنا المطران صراخ النساء والبكا ويسأل ويعرف ان الميت هو اخوه فيزيد تشويشه وينضر . فاعتمدنا نجنزه في كنيسة اخوتنا الموارنة . فبعد القداديس يصير الجناز والدفن فجميعكم احضروا لاجل اكتساب الاجر .

خليل النحاس اذ سمع افتكر انه بطرس النحاس البعلبكي الذي كاره نحاس الذي توفي فارسل محرره ابرهيم ليسأل الخوري . فاذ كرر عليه السؤال وفهم انه هو المعلوم ذاته غاب عن الوجود وحالًا خرج من الكنيسة وتوجه دغري لبيت بطرس وتقدم اليه وجسه واذ تحقق موته فلا احد يقدر يصف الغم الذي ناله عليه وزيادة الخوف الذي داخله من امر تفسير المنامات وسرعة مصادفتها . ثم حضر الى المخزن واذ هو عمال يفتحه حضر رجل من جبل كسروان كان قد حضر امس لعند بطرس النحاس لاجل يصرف له عملة . فوعده ان يحضر صباحاً وبوصوله سأل عن بطرس . فقال له بالتربة . فذاك ظن انه عمال يدعي عليه . فقال له سلامة قلبه وبعيد الشر عنه . ومطول حتى يحضر . فقال له يا عمي بالتربة بالتربة . فما قنع و كرر السؤال عنه فصرخ فيه النحاس قائلًا ويلك قد مات واندفن . فاذ تحقق ذاك صار يلطم على وجهه ويتأسف عليه . وقد

صار من هذا الامر الرباني بهتة وخوف عظيم عند كل من سمعه . وبما انه من الفوائد (المفيد) قصدنا تحريره هنا ليس على سبيل الاعتقاد بالمنامات اذ ربما يكون ذلك تنبيه رباني حصل له لاجل صلاح نفسه وان كان ذلك صدفة صادفت واتفقت .

﴿ترميم كنيسة الروم الكاثوليك في عكا﴾

في سنة ١٢٢٦ قدّم طائفة الكاثوليك بعكا اعراض الى سليمان باشا التمسوا الاذن بترميم وقصارة كنيستهم التي في عكا . وبعد جملة مراجعات بسبب تصعيبات المعلم حيim اليهودي اصدر مرسوم بيورش[1] على العرض الحال الى قاضي عكا بان يعمل كشف ان كانت مستحقة الترميم فياذن به على الوجه الشرعي . وبموجب الامر توجه كشف واخذ علم تحديدها وعدد مفترعاتها واذن بترميمها . والنصارى بكل جهد وسخاء رمموها وبيضوها . وبعد تتميمها استدعوا القاضي وراجع الكشف واصدر اعلاماً شرعياً بانها بقيت على هيئتها الاصلية بدون زيادة ولا نقصان .

---

(١) بيورشي او بيوردي بمعنى مرسوم الوزير مكتوباً على نفس العرض المقدم له باحالته الى قاضي عكا ليكشف على بناء الكنيسة اذا كانت تحتاج الى الترميم فيحكم باجازة ذلك كالعادة الجارية لذلك العهد ان رفق وعدل . والا فانه يهمل الامر ويدع الاهتمام به الى ما شاء الله .

﴿ عمار جسر نهر الزهراني ﴾

في سنة ١٢٢٦ اصدر سليمان باشا امراً الى الحاج موسى اغا متسلم الشقيف والشومر بعمار جسر الزهراني على شاطئ البحر ما بين صور وصيدا حيث من عدم وجود الجسر كان يحصل ثقلة كلية للمارين والعابرين فقصد بذلك الاجر والثواب وا كتساب الدعاء من المخلوقات ·

﴿ عزم محمد علي باشا على محاربة سليمان باشا ﴾

في هذه السنة ١٢٢٦ تحرك محمد علي باشا والي مصر الى محاربة سليمان باشا وذلك لاجل جملة وجوه · اولاً لان سليمان باشا اظهر التصاحب والميل الى الغز المماليك الذين قتلهم محمد علي باشا بالخيانة والذين هربوا منهم وحضروا الى عكا قبلهم وا كرمهم ورتب لهم معاشات كافية واعطاهم عطايا · ثانياً كانت كتاباته متصلة الى ابرهيم بك شيخ البلد والى مراد بك [1] وغيرهم من البكاوات الغز بالمحبة والموالاة · ثالثاً قضية ابو المرق الذي كان تعصب له بعصيانه في يافا وما طلع بيده ان يساعده · رابعاً واخيراً ان يوسف باشا من بعد هربه من الشام بقي هائماً يقطع الليل والنهار حتى وصل الى مصر كما قدمنا ووقع طريحاً عليه وقبله واحسن اليه وا كرمه وصار يستحضره ويواده

(١) لا يخفى على من له اطلاع على تاريخ مصر لذلك العهد ان مراد بك مات قبل انتولى سليمان باشا ايالة صيدا · الا ان هذا لا ينفي وجود مراسلات صداقة قديمة بينه وبين سليمان باشا و كان سليمان باشا على اتصال ومحبة مع ابرهيم بك سائر مماليك مصر الذين سلموا من نكبة محمد علي باشا ·

وسأله عن قضيته . فيوسف باشا اورد حسب مرغوبه وجوه عديدة يوضح تعدي سليمان باشا عليه واورد له من جملة اقواله ان سليمان باشا بالخيانة وبدون امر الدولة قام عليه وحاربه كما فعل الجزار في ابو مرق . ولما الدولة عرفت بما تم فما ساعها الا اغضاء النظر عن مجاسرته واورد له وجوهاً عديدة تحقق هذه الدعوى كما اراه ان الدولة تريد باطناً من يقدر على اعدامه واخذ عكا منه وتصير محظوظة منه كما كانت كذلك ممن كان يقدر على الجزار . وسكوتها عنه ما كان الا لعدم المكنة من نيل المرام . وحسّن له ذلك بوجوه عديدة قاصداً ان يأخذ ثاره منه ومتأملاً انه اذا توفق محمد علي باشا لنيل المرام من سليمان باشا فبما انه وقيعه فمن كل بد تكون ايالة صيدا له . وهكذا اجتهد وجعل معه وسايط تحدو حدوه الى ان مال محمد علي باشا الى هذه الاحاديث ورغب في محاربة سليمان باشا وباشر تجهيز العساكر والمهمات اللازمة واستحضر على قوته بما يلزم ونصب الاوردي خارج مصر ونصب له سر عسكر وبدا يقويه بالمهمات وارسال الذخاير اللازمة للطرقات لحد العريش .

والسبب الاكبر لهذه القضية هو ان عربان بلاد غزة وعرب التيامنة[1] والترابين تراقبوا حضور قافلة جدة الى مصر وحالا ركبوا ولاقوا عليها . وبالقرب من مصر نهبوا القافلة واستغنموا كل اموالها وكانت غزيرة جداً . ورجعوا الى بلادهم وبوقتها محمد علي باشا حرر

(١) لم نستطع ان نتحقق قرآءة هذا الاسم في الاصل المخطوط وكيفما كان اسم هؤلاء العرب فهم قبيلة من الهنادى كانت تخيم بين غزة والعريش .

الى سليمان باشا بهذا الخصوص وسليمان باشا اصدر مراسيم مشددة الى امرآء ومشايخ العربان والى متسلم سنجاق غزة محمد اغا وواصل عليهم تكرار الاوامر وبالجهد استخلص بعض المنهوبات وارسلها الى مصر والبقية هرب بها العربان الى بلاد الحجاز وشتتوها وضيعوها . فمحمد علي باشا استنتج ان مجاسرة المذكورين وفعلهم هذا كان باشارة ورخصة من سليمان ولاجل ذلك معما تقدم من يوسف باشا وذوبه ومعما عنده من الضغينة لاجل مادة ابو مرق بادر الى عمل المحاربة معه .

غير انه لسماعه عن حسن حال سليمان باشا وتوفيقاته كان متوقفاً بنوع ما عن المسارعة لارسال الاوردي واستعمل المعقولية اولا لجس حال البلاد لينظر راسماله منها . ومن جملة ذلك انوجد بوقتها في مصر رجل اسمه اندراوس زاخر من طائفة الكاثوليك من عكا فهذا توقعت له دعوى واحتاج ان يترقب الفرصة لمقابلة محمد علي باشا والشكوى اليه بدعواه . واذ سنحت له الفرصة قابله وشكى له قضيته . فاذ عرف محمد علي باشا انه من اهالي عكا وانه حاضر منها من عهد قريب اخذ يتفحص فسأله اولاً عن حال عكا هل هي حصينة بهذا المقدار فاجابه انه قبل ان يعمل لها الجزار السور الثاني وينقل جبال البرية ويضعها بين السورين على ما يدورها وقبل ان يصير لها الخندق الثالث الذي عمله سليمان باشا وقفت في وجه الفرنساوية وعجزتهم وما قدروا عليها وقاموا عنها خاسرين فكيف الان وقد صارت محصنة بمقدار الاول اربع مرات .

فسأله عن عساكر سليمان باشا هل هي كثيرة . فاورد له ما يعرفه وقال له هذا الذي اعرفه وربما انا ما اعرف ربع العسكر الموجود . ثم قال

له : والذي تعرفه مما تسمعه من ألسُن الخلق هل عساكره صادقة بحقه ام غير صادقة . فقال له انا اعرف طيب ان كل عساكره من خيالة وزلم المرتبين ضمن عكا والذين خارج عكا يحبونه محبة والدهم ويسفكوا دمهم بكل سهولة قدامه . وليس الضباط تقول هكذا بل الانفار هكذا تقول بالسر والجهر ومع ذلك فسليمان باشا غير محتاج الى العساكر ان صدقوا او لم يصدقوا ولا يخشاهم ان خانوا مع انهم كلهم صادقين بقلب واحد بحقه . لان اهالي الديرة جميعها عساكر له وفي اي وقت وفي اي ساعة ودقيقة طلبها تسارع لاجابة امره ركضاً كانها ماضية الى قبول الانعامات . والكل من اهالي البلدان والمدن والقرى بقلب واحد يحبونه محبة ولد الى والده . وهو معاملهم معاملة الوالد لاولاده . أوَما سمعت سعادتك امس بقضية الشام لما توجه الى حرب يوسف باشا كيف تواردت عليه الجرود من كل الاقطار حتى صار يدشرها ويرجعها وما كانت ترجع . وشرطك يا افندم انها خدمت وحاربت وصرفت على حالها من كيسها ودفعت اموال الميري ومطلوبات الميري المتوجبة عليها . وليس هذا حال اهل الديرة فقط . بل هذا حال اهل الجوار مثل جبل نابلوس وجبل القدس وجبل الخليل يحبونه ويطيعونه اكثر من اهل البلاد . وجميعهم بدون طلب منه جمعوا جرودهم وتوجهوا لمعونته على حرب واليهم يوسف باشا .

فاذ سمع محمد علي باشا هذه الاقوال وتمايزها وجد انها صوابية وحقانية . وبما انه كان رجلاً عاقلاً استحسن التأني . ثم اختلى بنفسه وتمايز الواقع مما سمعه وتحققه فتأكد ان محاربة المشار اليه خطأ كلى

وخسارة عليه . فتركها وامر حالًا بابطال الاوردي وارجاع العساكر والذخاير والمهمات لمحلاتها .

﴿ مصافاة محمد علي باشا وسليمان باشا ﴾

ثم كرر الفحص عن امر منهوبات قفل جدة من تحريرات سليمان باشا ومن خلاف براهين تأكدت له من محلاتها ووقايعها . فوجد ان تهمة سليمان باشا بها بانها كانت باشارة منه باطلة لا صحة لها وتحقق ان سليمان باشا عمل ما قدر عليه من استخلاص ما استخلص منها . ثم تحقق ان سليمان باشا بعيد جداً عن هكذا حركات وبعيد جداً ايضاً عن حب الحركات والفتن . وان توفيقاته من سلامة نيته ، ومحبة الرعية له من حسن اخلاصه لها فرغب في مصادقته ومودادته وحالا ارسل له تحريرات تحتوي الحب والمصافاة وزيادة التقرب والاعتذار عن قبوله يوسف باشا بما انه حضر وقيعاً عليه .

فاذ وصلت هذه التحريرات الى سليمان باشا بادر للاجابة عليها بزيادة عن المأمول وجاوبه باجوبة فايقة التلطيف وجهز راسين خيل تقادم وارسلها له صحبة الجوقداره حسن اغا قرنباس اغلو اذ كان الاجوقدار المذكور طلق اللسان ذا هيئة مرضية واصحبه في اغوات من اغوات دايرته مزينين لايقين . فاذ وصل المذكور بالتقادم استقبله محمد علي باشا بكل اكرام واعتبار وقبل التقادم وخلع عليه وعلى الاغوات الذين معه وانعم عليهم بانعامات وافرة ورجعوا من عنده حايزين تمام جبر الخاطر وصحبتهم الاجوبة اللطيفة .

ثم بعد كم يوم من حضورهم جهز محمد علي باشا تقادم وارسلها الى سليمان باشا مع هدايا ثمينة فقبلها وجاوب عنها بالممنونية التامة وخلع على اتباعه وانعم عليهم . ومنذ ذاك الوقت بقي مع سليمان باشا بحال المحبة والوداد الى حين وفاة سليمان باشا .

واما سليمان باشا لما بلغه خبر تحريك محمد باشا لمحاربته انغم بنوع ما وعرف ان ذلك بتحريك ارباب الفساد لكنه ما انْجَبَهَ ولا انزعج ولكن كان دائماً يحرر الى محمد اغا ابو نبوت ويأمره بان يرسل جواسيس لمصر ويستجلب اخبارها ويعرض عليه ما بلغه . ومحمد اغا كان يفعل هكذا انما بما انه كان خفيف العقل بنوع ما وخصوصاً بما ان حركة عربان بلاد غزة واليتامنة والترابيين كانت منه وباشارته وهو جراهم لنهب القافلة من باب مصر بحسب ميله لكثرة الحركات والفتن التي تشرب سمها من افنديه الجزار . فلما نظر تحريك محمد علي باشا لعمل المحاربة واستعداده لها خشي وخاف جداً لوجهين الاول بما انه في باب البوغاز ويلتزم ان يتقدم للحرب اولاً وينال ما قدمت يداه الثاني خشي ان يظهر ما حركه واذا خلص من محمد علي باشا فلا يخلص من سليمان باشا لان هذه خيانة باهظة بحقه وضد ارادته . ولذلك كان في ذلك الوقت بكل يوم يرسل الى عكا هجانين ثلاثة باي خبر سمعه ان كان صحيح ام كذب وصار فيه مثل دخلك يا شيخ جب [١] ... وصار ينظر كل الدنيا عساكر وكلها حروب .

---

(١) قوله هذا جزء من مثل شائع في جبل عامل وبلاد صفد وعكا وهو : « دخلك يا شيخ جب ارخيني وخذ البارودة والسكينة » يضرب لمن يخاف من لا شيء .

﴿ الطاعون واصله ﴾

سنة ١٢٢٦ في هذه السنة عند اواخرها حدث الطاعون المريع الكبير في عكا وذلك انه في اوائل شهر كانون الاول تسامع خبر وجود الطاعون في الاستانة العلية . وهذا الامر ما كان له اعتبار في تلك الاوقات لان مرض الطاعون دايم لا ينقطع من تلك البلدة نظراً لكبرها ففي ذلك الاثناء حضر تاتار من تاتارية باب سليمان باشا الى عكا واحضر الى رجل يهودي اسمه اسحق سعدى جبة جوخ . فاذ لبسها ابنه حس بمرض الطاعون حالاً . وخرجت له طاعونة واحدة تحت ابطه والاخرى في فخذه . فمن رداوة اهله كتموا الامر الى ان فتحت الطاعونتان وهو داير بين اليهود وهم يترددون عليه . فانعدى منهم واحد ثم واحد اخر وهكذا لحد ثمانية انفار . حينئذٍ شاع الخبر في اول يوم من شهر كانون الثاني سنة ١٢٢٧ وكانت الاشاعة اولا من البعض انها عروسة باط وبقي الفحص عنها الى نهار سابع كانون الاول اذ مات اثنان من اليهود وخافت النصارى في عكا وصاروا يستحضروا على

واصله انه في واقعة كفر الرمان الشهيرة التي وقعت سنة ١٧٧١ بجوار النبطية بين الدروز من جهة وبين المتاولة ورجال الشيخ ظاهر العمر الزيداني من جهة ثانية وانكسر فيها الدروز شر كسرة لخيانة وقعت من فريق منهم حتى مات اكثرهم جوعاً وعطشاً وتعباً والبعض اختلت عقولهم من شدة الخوف وكان الرجل منهم اذا علقت ثيابه بجب لا يقدر ان يتخلص لشدة ذعره بل كان يدع ذاته هكذا حتى يأتي عدوه اليه فيذبحه . فاشاع المتاولة حينئذ هذا القول على لسان الدروز الفارين امامهم خوفاً منهم من باب التهكم والغلو في المبالغة كما لا يخفى فذهب قولهم مثلاً .

الاختباء في الكورنتينات . ثم امتد بين اليهود ومنهم اتصل للاسلام بكل سرعة وباقرب وقت امتد وسرى في كل عكا .

《 ترتيب الكهنة خدمة النفوس 》

وفي خامس عشر كانون الثاني تم تسكير بيوت كل النصارى المقتدرين على الخباء والجميع انحجبوا وعملوا كورنتينات على بيوتهم . والغالب حضروا لعند بعضهم وقفلوا سوية . والكهنة دخلوا في بيوت البعض لاجل خدمة نفوسهم . فالمعلم حنا عورة وبيت عمه حضروا اليه وادخلوا لعندهم كاهناً يسمى الخوري بشارة[1] . صار يقري الاولاد ويعلمهم ويخدم النفوس . والمعلم الياس الصوري وبيت اندريا سابا وعائلتين معهما قفلوا في دار واحدة مع اربع عائلات كانوا ساكنين في تلك الدار وادخلوا كاهناً يسمى الخوري رومانوس صار يخدم نفوسهم . والخوري انطونيوس الفاخوري[2] وعائلته واولاده وعياله ورجال اقاربه وذويه وجيرانه قفلوا سوية وكان يخدم نفوسهم . وجرجس منسى وميخايل ملك وجرجس مسدية وبيت كرمة وبيت يوسف حكيمة وبيت النجار وجيرتهم وبيت فضول ولطوف الصابونجي

---

(١) الخوري بشارة عراف المذكور من معليا بجوار عكا احد رهبان دير المخلص توفاه الله بالطاعون في عكا سنة ١٨١٢ .

(٢) الخوري انطونيوس الفاخوري المذكور مراراً في هذا الكتاب هو جد المرحوم بشارة الخوري المحسن الكبير المشهور وكان الخوري المذكور مشهوراً برصانته وتعقله وتقواه مع رخامة صوته ولطف حديثه حتى كان محبباً الى جميع معارفه ومحترماً من الجزار نفسه الذي لم يضره بشيء .

وبيت طنوس القناواتي بما انهم كانوا مجاورين الكنيسة فكانوا يجتمعوا على سقايل خشب وضعوها على اسطحة بيوتهم الى حد دار الكنيسة ويقفوا بعيداً ليسمعوا القداس . و كذلك اهالي حارة الشخوص القافلين كانوا يعملوا سقايل ويطلعوا لنواحي الكنيسة من محل الى محل ويصلوا من بعيد . وبقي من الكهنة الخوري لوكيانوس الطبيب[1] داير لخدمة نفوس الرعية التي ما قفلت ولخدمة المرضى بالطاعون ولغيره واستحضر لمساعدته اثنين من كهنة البر كانوا يخدمون ابناء طايفتهم وابناء طايفة الموارنة والافرنج لان كهنتهم قفلت في محلاتها .

﴿ ترتيب الكتاب وتصرفهم ﴾

فاما الكتاب لما تظاهر الطاعون طلبوا الاذن بالاختباء فحييم ما اذن لهم ودخل حينئذ البعض من الكتاب الشباب الخبا بدون اذن والبقية مثل المعلم حنا عورة وابن عمه ابرهيم النحاس وابناء الصابونجي و كيورك الفراء صاروا يطلعوا للسراي الى خدمتهم بحال الانحجاب مع المعلم حييم . وهكذا صار الترتيب ان تكون اقامتهم في اوضة حييم ونقلوا اليها كل الدفاتر والاوراق اللازمة والحبر والورق وما يلزم للكتابة وانوضع على بابها ستة انفار شوابصية لاجل الخدمة والمحافظة . فالمعلم حييم استعمل الاقامة بالاوضة ليلاً نهاراً لحد عشية الجمعة فكان ينزل ليلاً الى بيته ويسبت يوم السبت وعشية الاحد يرجع الى السراي . واما البقية منهم فصباح النهار مع شروق الفجر يتوجه الى باب كل

(١) الخوري لوكيانوس الطبيب من شفاعمر احد رهبان دير المخلص مات في عكا سنة ١٨٢١ .

بيت اثنان شوابصية وحين نزولهم يمشي واحد امامهم واخر خلفهم يحافظوا
عليهم من لمس انسان او دابة او كلب او بسين او خرقة او غيره .
وهكذا كانوا يحافظون عليهم لوصولهم الى السراي ويبقوا هناك الى بعد
آذان الظهر بساعة زمان وينزلوا الى بيوتهم والشوابصة امامهم وخلفهم
تحافظ عليهم . وفي السراي جميع الاوراق يبلوها بالخل والبخور ودائماً
ريحة البخور لا تنقطع ابداً . واما الوزير فامر برفع طاقم الفرش في
صيوانه من قياسات وبسط ودواشك وطراحات ومخدات وغيره . الا
انه انوضع له طراحة كبيرة لجلوسه عليها لا غير . فالمعلم حنا عورة كاتب
العربي لما يتمم تحرير المراسيم جميعها يأخذها ويطلع لعنده بالمحافظة . واذ
يدخل يجلس على البلاط المنظف وبيده اسفنجة مبلولة بخل فيضع
الوزير خاتمه على الارض . فيتناوله المعلم حنا بالاسفنجة ويغسله بالخل
ثم يمسحه ويمسكه بيده وبعد ان يقرأ الاوامر للوزير يختمها ويضع
الخاتم على الارض امام الوزير فيتناوله . وينهض ويأخذ المراسيم مختومة
وينزل الى الاوضة يصرفها لمحلاتها ويتوجه مع ابن عمه الى بيتهم كما قدمنا .
وفي بيوتهم انحجبوا عن عيالهم واولادهم وافرزوا لانفسهم اوضة
لاقامتهم ومنامهم وفي وقت الاكل كان يتقدم لهم الاكل على صدر من
خشب قدر كفايتهم والذي يفيض عنهم يكبوه ويأخذوا الصحون
والمعالق الخشب يغسلوها بالخل والماء ويغسلوا اياديهم لانفسهم ويفرشوا
فرشاتهم لحالهم ويحلقوا لبعضهم وهذا كان ترتيبهم مدة الكورنتينا التي
استقامت من عاشر شهر كانون الثاني لغاية شهر تموز .

﴿ حال سليمان باشا وموت اهل بيته ﴾

فاما سليمان باشا بما ان طبعه كان طوشه فما اعتبر الطاعون ولا خاف ولا التفت له . بل كان يستخف عقل كل من يخاف منه ويحتسبه ما له عقل ولا راي ولذلك ما التفت الى حماية ولا انحجاب ولا تجنب من ملامسة الخلق ولا احترص على حرمه واولاده ومماليكه. ولذلك دخل الطاعون والعياذ بالله وحكم واستحكم في دار حرمه وسرايته واخذ كل سراريه وجواريه ومماليكه . وما بقي في دار حرمه سوى سرية واحدة من بيت اباظة وابنته الست فاطمة وابنه علي بك انطعن وفتحت طواعينه وانسم بدنه منها وتعلل وبعد الطاعون بمدة جزئية مات بعلتها . كما سنوضح ذلك فيما بعد بمحله .

﴿ حال علي باشا ﴾

واما علي باشا الكتخدا فكان يخاف جداً من الطاعون وما كان يلتفت بخصوصه الى المقدر كباقي الاسلام . فاما تظاهر الطاعون في عكا قام منها حالاً واخذ حرمه واولاده وخدمه ودايرته وتوجه معه خليل اغا الكرجي مملوك سليمان باشا وكان هذا شاباً لطيفاً انيساً اديباً ومحبوباً من سليمان باشا جداً نظير ابن صلبي . وكان يدخل على الحرم نظير الحرم اغاسي واكثر . وكان اميناً مضبوطاً . وكان كذلك علي باشا يحبه ويميل اليه فاخذه معه بغير ارادة سليمان باشا . فاستقام اولا في عائلته ودايرته في المزرعـة ووضع حريمه واولاده بالخباء وجعل عليهم

كورنتينا بغاية الضبط ورتب عليها اثنين نصارى من عكا لضبطها وحتم بعدم دخول او خروج شيء الا اللازم بغاية الحرص . ولما اشتد الطاعون بعكا خاف واخذ دايرته وهرب الى وعرة شفاعمر . واستقام في البرية ورتب غفراء وحفظة بعدم مقاربة احد الى تلك الاراضي حتى ولا طيور السماء ولا الوحوش . وهكذا انفرد بذاته مع دايرته ورتب عنده اناساً لمحافظة وضبط الكورنتينا . واما حريمه واولاده فنقلهم من المزرعة الى قصره في بستانه الخاص في القناطر . وشدد غاية التشديد بضبط الكورنتينا وعدم تمكين احد من الخروج في وقت من الاوقات ولا دقيقة ولا لحظة واحدة ويومياً كان يرسل التشديدات القاطعة بذلك .

﴿ بناية جامع كفرتا ﴾

ولما خف الطاعون بنوع ما عن الاول في القرايا هدىء روعه قليلاً فقام من تلك الوعرة وحضر الى ارض قرية كفرتا بعيداً عن شفاعمر مقدار ساعة . واستقام في ارض اسمها ارض الصفاريه . واذ عرف انه كان في القرية من القديم جامع وهبط . في سنة ١٢٢٧ بمدة اقامته هناك امر ببنيانه من كيسه ورتب له اوقافاً كفاية لمصروفه وجعل ذلك خيرية فداء عنه . ثم بعده لما بلغه ان الطاعون تهدى في عكا عن الاول . فبعد ان تم عمار جامع كفرتا انتقل الى اراضي الناصرة . واذ عرف ان في الدير الكبير الموجود في الناصرة كنيسة للافرنج مع كنائس الى طائفة الكاثوليك والروم والموارنة عزم ان يعمل هناك جامعاً باسمه .

في هذه السنة ١٢٢٦ انفتح ثغرة كبيرة في برج الحديد من ناحية البحر من قوة امواج البحر وفي مدة كم يوم ظهر السقط بالبرج . فاذ لاحظ سليمان باشا انه اذا ترك مدة جزئية بدون عملية يسقط كل البرج ويحتاج الامر الى متاعب كلية فاقتضى حالا ان دارك امرها ووجه حجّارة الى عتليت الكاينة على كنار البحر رايح من حيفا . وهي بلدة قديمة كانت حصينة ومهدومة وفيها عمارات واثارات قديمة واحجار ضخمة وصاروا يقلعوا الاحجار الكبيرة ويجعلوها في صناديق ويحضروها الى عكا بالبحر . ومن باب البحر تحملها طوبجية عكا على العربات وتاخذها لمحل الثغرة وباشر الوزير عمل عمار الذي انهدم ثم هدم المحلات التي ظهر بها السقط من البرج والحيطان المجاورة لها وجميعها جددها ببناء متين جداً وباقرب وقت تممها كما يجب واستراح فكره منها .

﴿ في حضور الست الانكليزية استير استانهوب الى عكا ﴾

في اواخر سنة ١٢٢٦ حضرت الاميرة استير استانهوب الانكليزية من لوندرة الى الاستانة العليـة . ومن الاستانة حضرت الى عـكا وصحبتها فرمان ملوكي يتضمن اولا التوصية التامة بحمايتها وصيانتها ورعايتها وعدم وقوع ادنى تعدي ومطاولة عليها وعلى من يتبعها . وان لا يطلب منهم مال ولا خراج ولا باج ولا تكاليف واينما توجهت وحيثما استقامت يكون لها ساير انواع الاكرام من الجميع . ثانياً ان معها دلالة اكيدة عن دفين كنز في ارض عسقلان وانها متعهدة الى الدولة العلية باخراجه . فينبغي ان يرسل معها سليمان باشا معتمدان من طرفه

ومامورين وان يعرّف وكلاه في تلك الاطراف ان يفعلوا كلما تامرهم به ويقدموا لهذا العمل كما تطلبه بدون مراجعة ومشدّدين الامر بهذا الخصوص . وبوصولها نزلت في بيت الخواجه انطون كتفاكو قنصل النمجة (النمسا) في عكا واستقبلها المذكور كاستقباله ملكة ومشى بخدمتها . ولما حضرت عند سليمان باشا استقبلها ايضاً كانها ملكة الانكليز واعتبرها ووقرها بموجب الامر وزيادة . ولما عزمت على السفر الى يافا اصدر مرسوماً الى ابو نبوت وعرفه مفاد الامر الملوكي واطنب له في التوصية التامة بحقها وامره بان يتوجه معها الى عسقلان ويقدم لها سائر ما تطلبه ويفعل كلما تأمره به . فاذ وصله هذا الامر ونظر وفور الاعتبار الحاصل لهذه الاميرة افتكر بالصواب ان يجري معها المحبة التامة بزيادة عما أُمر وانه متى توفقت لنوال المطلوب باخراج الكنز يجعلها واسطة لنوال مطلوبه ولذلك بالغ الجهد بتقديم كل ما طلبت وبعمل سائر ما امرت به وتوجه معها الى عسقلان وحفروا الارض التي قالت عنها وعمقوا جداً . وبموجب دلالتها صارت تبان اشاير الاثارات والعواميد تحت الارض ويخرجوها وما زالوا يحفرون الى ان ما عاد ظهر شي . . وبعد جملة اتعاب ظهرت دلالتها لا صحة لها ورجعت مخجولة بنوع ما وحررت الى الباب العالي وعرفته عن عدم وجود شي . . وبعده قامت من عكا الى صيدا واستقامت في الجبل

﴿ الهدايا المرسلة منها ﴾

وبعد مدة قريبة ارسلت هدايا منها الى عكا . فارسلت الى سليمان باشا ساعة دقاقة موضوعة في بيت خشب مدهون اخضر كلون حجر

المرمر والساعة مفتخرة . فلما يصير وقت دق الساعة يفتح من الساعة باب ويخرج منه غزالان من نحاس ويخرج خلفهم شخص بيده بارودة ويده على زنادها ويتحرك حركة لطيفة بيده كانه يضرب الزناد ويسمع له صوت كانه قواص البارودة فيقع الغزالان مائتين ثم ينهضوا ويهربوا ويدخلوا في باب ثاني ضمن الساعة والشخص يدخل الى موضعه ويتسكر الباب وحالًا تضرب الساعات . وشغلها قوي حركة لطيفة جداً . فامر سليمان باشا بأخذها الى دار حرمه ثم كسر الاشخاص واعدمها بدعوى ان ذلك حرام وابقى الساعة فقط .

وارسلت الى علي باشا هدية طاقم صحون مفتخر وطاقم معالق عظم سمك جميل جداً

وارسلت الى المعلم حييم ساعة انكليزية وعلبة عظم طويلة بمقدار شبر وعرض اربعة اصابع وعلو اربعة اصابع وضمنها قلم تراس ومقص ومقط وقالبين شمع احمر . ونظير ذلك ارسلت الى المعلم حنا عورة علبة وساعة نظيرها .

واما الخواجا انطون كتفاكو الذي نزلت في بيته وتكلف عليها مصاريف شاقة في مدة اقامتها بدون ان يلتزم لذلك فارسلت الهدايا المذكورة عن يده ليقدمها لمحلاتها وقالت له : اما هديتك العظيمة فهو الشرف الجسيم الذي نلته بنزولي في بيتك وتشريفه مني . فاذ وصله هذا الخطاب غاب عن الصواب واهداها زيادة عن عشرين جوز مسبات دين وشتايم . وبعده سافرت للاستانة ورجعت الى الجبل واخذت عبرا التي هي خارج صيدا بحكومة الجبل وعمرتها واستقامت

الى حين وفاتها سنة ١٢٥٥ ولها وقايع وحوادث كثيرة ضربنا صفحاً عن تحريرها الان كون ليس هو محلها وسنحررها فيما بعد بهذا المجموع .[1]

﴿ بناء جامع الناصرة ﴾

وفي سنة ١٢٢٧ السنة المرقومة نفسها باشر بعمار جامع في الناصرة وباقرب وقت تممه وعمر له منارة ورتب له اوقافاً كافية لمصاريفه وولى عليه الشيخ عبد الله الفاهوم قاضي الناصرة . والى حد ذاك الوقت كانت قوة الطاعون خفت بنوع ما من عكا . واذ كانت دار سليمان باشا وسرايته صاروا خاوين خالين من السكان وما فيه غيره يدخل ويخرج وحده ارسل طلب خليل اغا المملوك المذكور فعلى باشا منع اولا ارساله . ولما كرر طلبه فبدون ارادته ارسله . وبوصوله الى عكا حالا

(١) السيدة المذكورة لم تتخذ قرية عبرا بالشراء كما يوهم ذلك كلام المؤلف . بل اتخذت باول الامر دار بطريرك الروم الكاثوليك فيها بطريق العارية واقامت فيها مدة وتصرفت فيها وبالقرية كلها تصرف الملاك في ملكه . والدار ذات موقع جميل تكشف على صيدا وكل بساتينها وسهولها وسهول صور واقليم التفاح والشومر ولم يبق من هذه الدار الا اطلالها الى غرب عبرا . وبعد مدة انتقلت الى ضهر جون المعروف اليوم بضهر الست مقابل دير المخلص وسكنت هناك في دار صاحبها يوسف يعقوب صوايا الدمشقي وهي ذات موقع اعلى واجمل من دار عبرا واتخذتها اولا بطريق الاجار . لكن فيما بعد استبدت بالدار وبكل املاك المذكور التي حواليها ولم يستطع ان يخرجها منها حتى اسلم ودعي حسن سنه ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) على يد الشيخ محي الدين اليافي على امل ان يتوسط لدى عبدالله باشا باخراجها لكن خاب امله ولم تخرج من الدار الى ان ماتت فيها سنة ١٨٣٩ فعادت الدار وارزاقها الى صاحبها واشترتها الرهبانية المخلصية من ولده يعقوب صوايا سنة ١٨٧١ في عهد رياسة الاب العام الايكونوموس يوحنا الكحيل .

في تلك الليلة انطعن وانطرح واستقام اربعة ايام ومات . فتأسف واغتم عليه سليمان باشا بزيادة وبالاكثر اغتم عليه علي باشا لما بلغه ذلك . وليس هؤلاء بل كل من عرفه تاسف عليه وعلى شبابه وعقله

﴿ احوال الطاعون ﴾

فاما الطاعون فبما ان اصل خروجه من اليهود كما تقدم كان طاعوناً قاسياً ردياً جداً ومخيفاً وامتد وتعاظم بهذا المقدار حتى انه ما بقي بيت من بيوت عكا (التي ما دخلت الخبا) الا ودخل عليها ومات فيها خلق واتصلت يومية الاموات حسبما كانوا يخبرون الى المايه والعشرين نفراً وفيما بعد تحقق انه كان يموت ا كثر . وكان المخبرون يخبرون بالقليل قصداً لغايات وعدم الشماتة كون المغسلين والمكفنين ما عادوا لحقوا ولا عاد الحمالين يقدروا ان يحملوا . وكانوا يحملون الاموات ويخرجونهم من قبل شروق الشمس بساعة لحد الساعة الرابعة والخامسة على ضوء المشاعل . وكانت تسمع اصوات البكا والولاول في سائر بيوت البلدة من الليل الامر الذي كان يجمد الدم في جسم الناس . وكان في تلك الايام الحزن والغم والبكا والنواح والخوف والفزع والرعدة شامل قلوب المخلوقات داخلاً وخارجاً .

﴿ معاملة النصارى بالسوء من حسن اغا الخزينة دار ﴾

ففي تلك الاحوال تحسن براي حسن اغا خزينةدار سليمان باشا الذي كما قدمنا كان موجاً من طرف علي باشا لسماع مشاكي الفلاحين . وبعد طلوع علي باشا الى الخارج صار يجعل نفسه وكيلاً مطلقاً عنه لانه

طمعاً بأن يقدم نفسه لهذه الغاية ما قبل ان يخرج مع امرأته وابنه الذين توجهوا مع علي باشا الى الخارج . بل بقي في عكا . ومع غفلة سليمان باشا والتهائه بدخول الطاعون على حرمه ومماليكه ومداركة الموت لهم ونظراً لخباثة طبعه والرداوة المكنونة فيه ونظراً لفظاظة عبد الحليم العدوي شيخ الخزينة الذي كان يقارش المصالح معه انتهزوا الفرصة لان يجروا رداوة اخلاقهم بحق النصارى بقدر امكانهم غير ملتفتين الى غضب الله وسيف انتقامه المسلول على العباد وابتدوا ينكدوا على النصارى الذين هم خارج الخباء لمجرد كون سائر النصارى دخلوا الخباء ويهينوهم بما يقدرون ويسلطوا عليهم من يهينهم ويكدرهم ثم امر بأن المايت النصراني لا يحمل بنعش كعادته بل ان يعملوا له خشبتين ويربطوها بحبال ويوضع المايت عليهم ولا يرفع على الاكتاف . بل يحملوه على طول ايديهم بالواطي بحيث يرتفع عن الارض مقدار ذراع فقط وان لا يكون معه احد سوى شخص او شخصين فقط خلاف الحمالين ولا يرفع عليه صوت . وان لا يدخل الى المدينة نصراني راكباً على دابة . بل بوصوله الى باب البلدة ينزل عن مركوبه ويدخل ماشياً على اقدامه . واشياء مثل هذه وغيرها الامر الذي لاجله احاق بالنصارى هموم عظيمة فوق همومهم على انفسهم . وعلى الاسلام انفسهم بسبب مصيبة الطاعون المريعة . وبقوا بهذه الضغطة مع القوم ومداراة كثافة اخلاقهم واطباعهم اللئيمة الى ان جاد الباري تعالى بخلاص الطاعون وانقطاعه .

﴿ رجوع علي باشا الى عكا ﴾

وحين رجع علي باشا من الخارج بعياله واولاده ودايرته ومن كان معه كاملين متممين من دون أن ينقصهم احد كنت ترى كأن الطبيعة تضحك على سليمان باشا وعلى الاسلام الذين كانوا خارج الخبا لان سليمان باشا انوجد وحيداً فريداً ما عنده احد وعلي باشا غني بعياله واولاده ودايرته وذويه . والاسلام لا بيت ولا عيلة الا ناقصة نصفها او ثلاثة ارباعها بل زيادة . والنصارى تامين بل زايدين عما دخلوا لان غالب النساء التي كانت حبالى ولدت وخرجوا باولادهم . و كنت ترى اولئك بحالة الغم والحزن على فقدهم من فقدوا من اقاربهم الذين ماتوا بالطاعون والتزموا طبعاً ان يخفوا سقامة رأيهم ويظهروا علامات التجبر والتجلد . واولئك طبعاً التزموا بتقديم الشكر لله المحسن والمنعم عليهم بسلامتهم وسلامة عيالهم .

﴿ قصاص علي باشا لاهل الفساد ونزول الصاعقة على الجامع ﴾

وفي مدة الطاعون بتاريخ شهر شباط عند ابتداء اشتداده من البرد والامطار صارت فرتونة . وعصرية النهار سقطت صاعقة مهولة خربت منارة الجامع الكبير بثلاث محلات منها اي في كعبها او اسفلها وفي وسطها وقريب راسها محل الرصاص الملبس على ناحية راسها ونخّتت بها ثغرات كبيرة بنوع انها اسقطتها والتزموا بأن يسارعوا لهدمها كلها لئلا تسقط وتؤذي الجامع واهالي البلدة ومحلاتها . وحالا بكل سرعة هدموها من اساسها .

فلما حضر علي باشا من الخارج ونظر الواقع وما فعله الطاعون في دايرة الوزير وبيته وفي الاسلام وما تم في منارة الجامع وتمايز احكام حسن اغا الخزينة دار واحواله وما فعله بالنصارى وما حكم به وفحص عن الاسباب لهذا العمل الشنيع وجد ان حسن اغا بالاتفاق مع عبد الحليم العدوي بتحريك سليمان افندي ناظر الجامع الكبير بوقتها الذي هو من مماليك الجزار وكان اشرهم طبعاً اتفقوا على هذه الاحكام الشنيعة . ولكي تظهر رداوة اعمالهم كشف الباري تعالى عن بصيرة علي باشا حتى فحص احوال الجميع ولاحظ بالصواب ان هذا الانتقام الرباني ما صار الا لاسباب باهظة حركته تعالى للغضب . وبمجرد فحصه وجد ان سليمان افندي المذكور جاعل الجامع الة (مكاناً) للفسق والفساد ومرتباً تحت يده اناساً يجلبوا الاولاد والفسق بهم ضمن الجامع . فبعد ان عمل لهم ما يجب من التعذير والبهدلة نفى اولئك الجلابة بعد ان ضربهم عدة عصي كفاية وعزل سليمان افندي بعد ان كدره بزيادة ونفاه من عكا الى صيدا ونظف الجامع من ساير من يلحظ بهم السلوك بهذه الطريقة الردية قائلًا ان من اعمالهم الشنيعة سلط الله غضبه على الجامع وضرب منارته ثم انه حالا عزل حسن اغا من وظيفته وامره بان يلزم بيته ولا يقارش شيئاً . ورفع من عنده الخدم التي كان مرتبها له وجعله يكون كأحد خدم الدايرة بعد ان كدره بزيادة . ووضع ولده عبدالله بك وجعله مكانه يقارش رؤية مصلحة الشاكي والمشتكي وتحرير الاوامر لاجل تقويته بالاحكام ونفوذه وامره بالاقامة في المحل المقيم فيه المعلم عودة كاتب العربي . ونبه على هذا ان يلاحظ البك ويفهمه عن عمل

اللازم لاجل اتقان الاحكام وترتيب الاوامر التي يحررها لكي يتشجع لمعاطاة اتقان الحكم . ثم كدر عبد الحليم العدوي وغير خاطره من نحوه وابعده عنه مدة زيادة عن خمسة اشهر . ثم امر بابطال كل ما فعله حسن اغا بحق النصارى واجرى حقوق الاحكام بوجه العدل والانصاف . ومنذ ذلك الوقت صار له ميل لنحو النصارى و كف التعديات عنهم وذلك بعدم الميل الى سماع الوشايات بحقهم .

﴿ تجديد عمار قلعة البحر في صيدا ﴾

سنة ١٢٢٨ بهذه السنة حضر علم من متسلم صيدا بانه سقط من قناطر طريق قلعة البحر المتصلة من صيدا الى القلعة في وسط البحر قنطرتان وانقطعت طريق القلعة . وبما انها محتوية على بيوت فيها طوبجية صيدا وجانب من اهالي البلدة وكانوا حاصلين من ذلك على ثقله كلية التمس الامر بعمل ذلك . فسليمان باشا اذ كان في وقتها ضيق الصدر جداً مما اصابه من الطاعون بفقد حرمه ومماليكه كما قدمنا وجد هذه القضية نعم الوسيلة لتفسيح كرب قلبه وتسليته . وحالا ركب بدايرته وتوجه الى صيدا واقام هناك وباشر عمار القناطر المذكورة واعمل طريق القلعة وارجعها الى حالها الاول . وبالحقيقة ان ذلك كان يقتضي وجوده لانها مهمة كبيرة

﴿ موت علي بك ﴾

فبعد قيامه من عكا فولده علي بك اذ كان اصيب بالطاعون وطواعينه فتحت فبعدم راي كلي اهمل امر معالجته والاعتناء به

وترك امره للمقدر فسرى سم الطاعون في جسمه واضعفه جداً وبقيت طواعينه فاتحة تجري منها القيوح . ونظراً الى لطافة جسمه ورقته وصغر سنه تزايد ضعفه الى ان مات . فاذ مات دفنه علي باشا بجانب والدته بكل احتفال واعتبار وحزن على فقده اكثر من حزنه على ولده الصلبي واستقام ثلاثة ايام في بيته لا يخرج ولا يتعاطى الحكم ملازماً البكا . وبعده نزل وافتكر بان يعمل طريقة لتعزية والده سليمان باشا لئلّا يصل له الخبر من براني وبما انه وحيده يحصل له الاذية والمضرة .

﴿ سفر عبد الله بك والمعلم حييم الى صيدا لتعزية سليمان باشا ﴾

وحالًا سارع علي باشا بارسال ولده عبد الله بك وبرفقته المعلم حييم شحادة وامرهم بمعاطاة الوجوه الحكيمة بافادته عن موت ابنه وتقديم التعزية له بالوكالة عنه . وهكذا ارسلهم بكل سرعة قبل ان يشيع الخبر ويصل الى سليمان باشا

والمذكورون توجهوا وثاني يوم خروجهم وصلوا الى صيدا واذ قابلوا الوزير استغرب حضورهم . فاظهروا له اولا شدة الشوق اليه والوحشة من غيابه وان البك رغب الحضور لاجل الفرجة على صيدا . ثم بعده صاروا يقربوا ويبعدوا بالكلام والاحاديث والامثال وما اشبه ذلك فمن هذا لحظ سليمان باشا بحس قلبه وسألهم عن ولده فاظهروا التوقف بالجواب واذ نظر توقفهم قال لهم مات البك ؟ فقالوا له يفداك ونهضوا يقبلون اذياله . وابدوا الدموع من عيونهم فقال سلامتك ياراسي مات ؟ مات . هذا امر الله ثم جلس واظهر التجلد

﴿ اصلاح طريق النواقير ﴾

في اواخر سنة ١٢٢٧ واوايل سنة ١٢٢٨ تمم سليمان باشا عمل القناطر المذكورة واتقن طريقها ونظمها وقام من صيدا راجعاً الى عكا . وفي وصوله الى صور افتكر بالثقلة العظيمة الحاصلة لعباد الله من طريق النواقير بين صور وعكا من حد الناقورة الى المشيرفة وصعوبة سلوكها من ضيقها لكون تلك الطريق كانت ضيقة بهذا المقدار من حين فتحها الملك اسكندر المكدوني الى ذاك الوقت بنوع ان المحل المسمى منها قفزة المهر كان عرضه ثلث او نصف ذراع فقط وكان الانسان الذي يمر بها ترتعد فرائصه من الخوف بسبب العلو العظيم واحتكام موقعها على البحر . فكان من الناحية الواحدة الجبل مثل حايط مرتفع لا يمكن الانسان يتمسك بشيء منه ومن الناحية الاخرى البحر اسفل بنوع اذا نظر اليه الانسان تتحرك صفراويته . وكم من الخلق زلقت ارجلهم او زلقت رجل الدابة التي كانوا راكبين عليها وسقطوا هم والدواب الى البحر وما بان لهم اثر وخصوصاً فلاحين بلاد بشارة لما كان يستحضرهم الجزار للورشة في تلك الزحمات والقساوة فكان يسقط منهم اناس كثيرون ويهلكوا . وانجس منها طريق جسر المدفون وانجس منهما كثيراً المشيرفة . والحاصل ان جميع تلك الاراضي كانت ردية جداً جداً ومسافتها طويلة والمارين والعابرين جيلًا بعد جيل يتكبدون انواع الثقلة والخوف والرعب بمرورهم في تلك الاراضي ويفتكرون متى خلصوا منها انهم خلصوا من الموت وولدوا

ولادة جديدة . وما كفى صعوبة تلك الطرقات وحالها هذه . بل في الايام السالفة كانت مربطاً لقطاع الطريق وفاعلي المساوي بسبب الوعور الموجودة فيها حتى انه كما اخبر الثقات انه بوقت الجزار انوجد رجل متوالي استقام في ارض جسر المدفون قاطعاً الطريق وفعل جملة اذيات بحق الخلق . وذلك انه كان يتزيا بزي فقير وبما انه اختيار ذو لحية بيضا استقام في قارعة الطريق بثياب رثة واذا وجد اناساً مارين يطلب صدقتهم مثل فقير واذا صادف شخصاً اواثنين يتزيا امامهم بالضعف الكلي وينام على الطريق ويصير يعن ويئن ويظهر العجز والضعف والفقر وعدم الاقتدار وبوصول اولئك الاشخاص لعنده يدفعهم ويرميهم الى ناحية البحر وما يوصلوا الا مائتون هم ودوابهم . وحالا ينهض وينزل بكل سرعة يمسكهم عن الصخور ويشلحهم حوايجهم ويأخذها مع موجوداتهم ويرميهم مع دوابهم بالبحر ويضع المتروكات في مغارة اعدها هناك ويطلع يستقيم في موضعه يصطاد غيرهم . وهكذا استقام مدة طويلة على هذا المنوال الى ان سلط الله عليه من مسكه واخذه الى الجزار وقتله . وغيره كثيرون كانوا يكمنون في تلك الطرقات الردية ويسلبوا امتعة المخلوقات وراحتها ودمائها

فسليمان باشا لاجل قطع دابر قطاع الطريق من تلك الاراضي ومحافظتها ودوام امنية ابناء السبيل من شرورهم حينما رتب امور مشايخ المتاولة واعطاهم اقليم الشومر كما قدمنا استحضر الشيخ علي جهير شيخ قرية الناقورة والبسه وانعم عليه بمال ميري الناقورة ومطاليبها الميرية وجعلها معاشاً له بشرط ان يتكفل بمحافظة تلك

الطرقات من ابتداء النواقير التي قبال عين المدفنة الى حد المشيرفة التي فوق خان البصة وان يضع انفار من طرفه محافظين في الاربعة الابراج القديمة الكاينة في تلك الاراضي وان يتعهد تعهداً تاماً بحفظ تلك الاراضي من اذية المخلوقات والسقط . والاذية التي تقع تطلب منه . فاذ تعهد بذلك وحرر سند على نفسه انحفظ عليه بالخزينة أنعم عليه بقرية الناقورة وفي غفر الناقورة ليكونوا معاشاً له . وهكذا من ذلك الوقت انقطعت رجل قطاع الطريق وذوي الاذى من تلك الارض .

انما مخاطر وصعوبة مرورها بقيت كما هي . فبعد ان سليمان باشا امعن النظر بذلك كونه تداخلت عليه المشقة لما مر عليها بحضوره الى صيدا . وعبد الله بك اعرض له عن الخوف العظيم الذي شمله والمعلم حييم اوضح له حال عبدالله بك من ذاك الخوف و كيف كان يرتعد و كيف عزم على الرجوع الى عكا من خوفه و كيف بعد ان قطع المشيرفة ما كان له قلب يرجع لخوفه منها و كيف كان حاله لما وصل الى جسر المدفون وباكثر من ذلك لما وصلوا الى قفزة المهر و كيف نزل عن حصانه و كيف كان يرتعد في مشيه الى ان قطعوا تلك الارض . وجعلوا ذلك وسيلة لتسلية خاطر سليمان باشا وانشراحه . فسليمان باشا افتكر بالصواب ان يغتنم هذه الخيرية ويصلح تلك الاراضي .

﴿ الاستعداد للعمل بهمة ﴾

في اوائل سنة ١٢٢٨ بعد ان خلص من عمار قناطر صيدا ورجع الى عكا فبوصوله الى صور كما قدمنا استحضر ابرهيم اغا الكردي متسلم

مقاطعات بلاد بشارة وافهمه عن عزيمته بعمل هذه الخيرية وامره باستحضار الزلم من بلاد بشارة القريبة لاجل الشغل في هذه المصلحة بالاجرة وتوريد الكلس اللازم لاجل بناية الحيطان التي تلزم مع قطع الاحجار المقتضية بالثمن . وحالا حرر الى كتخداه علي باشا وعرفه عزيمته وامره بارسال بوغوس الارمني الالفا ويوسف حكيمة الفا البنائين اصحاب الورش ولوازمها من بنَّاية وحجَّارة ولوغمجية وبارود كفاية لعمل اللغومة ونصب خيامه في اراضي الناقورة وباشر هذا العمل الخيري وابتدأوا فيه من اول ارض البياضة وصاروا يضربوا الجبل بالالغام ويوسعوا الاراضي وهكذا بكل مشقة وعناء وتعب جزيل عملوه ووسعوا تلك الاراضي الضيقة بما ان صخور تلك الجبال قاسية صلبة جداً صوانية والطريق التي كانوا يهدوها ويوسعوها يعملوا لها حاجزاً من ناحية البحر بعضها ببناء حائط بالكلس والاحجار وبعضها بوضع قطع صخور كبيرة يقيمها اللغم من الجبل . ومع ذلك كانوا يهدون ويمكنون حايط الجبل من خطروقوع قطع احجارمنه بسبب هزة ضرب الالغام او من الامطار والاهوية بالمستقبل لئلَّا يسقط شيء على المارين بالطرقات ويؤذيهم بسبب علو الجبل الباذخ وضيق الطرقات وعدم امكانية الهرب . وهكذا بقوا ماشين بهذا العمل الحسن وسليمان باشا بنفسه مباشر عليه حتى وصلوا الى عين اسكندرونة في تلك الارض بعد نواقير ارض البياضة بنصف ساعة .

﴿ عمل سبيل عين اسكندرونة ﴾

فاسكندرونة المذكورة كانت بلدة كبيرة حصينة على شاطىء البحر قديمة جداً . وكما يخبر يوسف اليهودي ابن كربون المؤرخ ان هيرودس [1] الذي صُلب السيد المسيح في ايام ولايته على اليهود لما انطلب الى رومة بامر اغوسطوس قيصر ليبرىء نفسه مما اتهم به خاف على امراته مريم التي كانت فريدة زمانها بالحسن والجمال حتى كما يذكر المؤرخ المذكور كان الذين ينظرونها وينظرون ابنها ارسطوبولس وجمال الخلقة التي الله تعالى منحها لهم كانوا يفتكرون ان والدتهم واقعها ملاك وليس انسان لانه ما كان في كرة الارض اجمل منهم . فهذا وضع امراته المذكورة في مدينة اسكندرونة هذه حفظاً عليها من اخصامه وامر صهره زوج شقيقته بحفظها وانه اذا بلغه ان الملك قيصر قتله فيقتلها ولا يبقيها حية لخوفه من ان يأخذها غيره ويتمتع بجمالها . وهذه المدينة مع تداول الزمان وكثرة الحروب خربت مع باقي المدن والقرى الواقعة في الطرقات وصارت رجمة الى يومنا هذا كما ترى . وتنظر منها بعض قراقيف بناية على وجه الارض عامرة وبعض حيطان قايمة معروفة بالتقليد والتسلسل انها مدينة اسكندرونة المذكورة وخارج من ارضها عين ماء جارية لحد الصخور التي على البحر وساكبة في البحر من دون ان

(١) بل هو هيرودس الكبير قاتل الاطفال كما يتحقق ذلك بمراجعة تاريخ يوسيفوس عن المذكور . واما هيرودس الذي صلب المسيح على زمانه فهو ابنه

يكون لها منفعة سوى ان المارين والعابرين يشربوا منها ويسقوا دوابهم ورعيان تلك البلاد يسقوا مواشيهم ويأخذوا منها مياه لزوادة الطريق انما بكل صعوبة نظراً لعدم استحكام محل مصبها في البحر ورداوته . وكانت غالب السنين في ايام الصيف تشح وتنشف .

فسليمان باشا قصد خيرية بعمل السبيل هناك الى المارين والعابرين ذكراً مديداً له فامر بالحاق اصل ينبوع العين المذكور . واذ بحشوا الارض ووصلوا الى اصل النبع الخارجة منه عملوا له محقاناً متيناً وجعلوا فوقه قبة تدرئه لتستره من التراب والاغبار وعملوا قناية متينة الى الماء ومشوها فيها قبال البحر لحد الطريق السلطاني السالك وهناك عمل لها سبيلاً وانزل الماء منه في مزرابين الى حوض السبيل وعمل بجانب السبيل مصلى لاجل اقامة وراحة المارين والعابرين . وحرر تاريخ عمله منقوراً على بلاطة رخام ووضعها في صدر السبيل وبأقرب وقت تم عمل ذلك .

وبعده مشي على باقي اراضي النواقير وبقدر الجهد مهد ارض عين المدفنة واصلح طريقها وبقي هكذا سايراً الى ان قطع طريق المشيرفة واصلحها ونظمها ورجع الى عكا بغاية السرور بما انعم به عليه الباري تعالى من التوفيقات .

﴿اصلاح جسر نهر الدامور﴾

سنة ١٢٢٨ في هذه السنة ذاتها بعد رجوعه الى عكا افتكر بالصواب بالثقلة العظيمة الحاصلة الى العابرين والمارين في نهر الدامور

الكاين في وسط الطريق بين صيدا وبيروت والاذيات البليغة التي تحصل الى المخلوقات منه في ايام الشتاء . وان لا بد ان في كل شتوية يغرق فيه جملة خلايق بسبب عظم حملاته وشدة قوة مياهه وتفكر ان هذه العلة العظيمة ليس لها علاج ولا دوا سوا عمل جسر متين لاجل مرور خلق الله عليه وخلاصهم من بليته بما انه نهر كبير ومجتمع من جملة عيون تنصب اليه ونازل بقوة عظيمة من جبل لبنان وساري بالمصب في تلك البقعة الى البحر وغير ممكن تغييره ولا اضعاف قوته بوجه من الوجوه . وبما انه حاضر من الجبل وارزاق اهالي الجبل تسقى منه لحد وصوله الى البحر استحسن ان يحرر الى الامير بشير الشهابي ملتزم الجبل ويأمره بان يبادر لعمار جسر متين في تلك الارض لاجل راحة المخلوقات واستجلاب ادعيتهم الخيرية . وحالا اصدر له مرسوماً مشدداً مؤكداً بهذا الخصوص وارسل من طرفه احد اتباع دايرته الاغوات مباشراً على الامير بسرعة المبادرة لانفاذ الامر واتمام هذه الخيرية وعدم قبول اعذار بالتردد عن ذلك . فبوصول الامر اطاعه الامير وحالا بادر الى انفاذه وجمع الفعلة والشغيلة من البلاد وبادروا لقطع الاحجار وتوريد الكلس . ثم سليمان باشا ارسل يوسف حكيمة الفا بنائين عكا لمباشرة عمل الجسر وتمكينه واستحكامه . وهكذا باقرب وقت انعمل جسر متين على قارعة الطريق فوق النهر مركب على ستة قناطر كبار وصغار وتم امره وحصلت الراحة والسرور لساير الاهالي والسكان والمارين والعابرين وواصلوا الدعا لسعادته .

الا ان هذا الجسر ما استقام مدة مستطيلة الا مقدار عشرة سنين

او اكثر حتى خرب في احدى الشتويات ووقعت قناطره وبقي مهدوماً الى يومنا هـذا . واحجاره انسرقت واخذت من اهـالي الدامور والمعلقة وبنوا بها محلات . وهكذا ما عاد صار التفات لعماره و لم تزل الى الان الناس بحال ثقلة المرور والعبور الكلية في ايام الشتاء بسبب رداوة الحامولات وقوتها .

وعلى ما قيل من الناقلين الثقات ان اهالي الدامور والمعلقة[1] الذين هم بالقرب منه في ايام الشتاء غالب اهـاليهم ينزلوا ويستقيموا دايماً على شاطئ النهر المذكور لاجل تقطيع المارين والعابرين واخذ الاجرة الوافرة منهم . ولاجـل جر منافعهم يستعملون الملعنة بعملهم وهو انهم يحملون الشخص الذي يريدون يقطعوا به النهر ويمسكون زمام الدابة التي يكون راكبها ذاك الانسان ويدخلون به النهر ولا يسيرون في المحلات الهينة التي تكون فيها المياه خفيفة . بل يسيرون في محلات عمق المياه من كونهم يعرفون اراضي النهر وقياسها بالاصبع وهكذا يصعبون السلوك على ذاك الشخص وما يطلعوه من النهر الا على آخر نفس من حياته اذ يوروه موت الغرق جملة مرات وينشفوا دمه في عروقه ويوروه ان لولا حرصهم واجتهادهم معه لكان غرق ومات .

---

(١) يظهر من كلام المؤلف ان قرية الدامور كانت قائمة لذلك العهد الى الجهة الجنوبية من المعلقة التي كانت تابعة لها او معلقة بها . ولا يخفى ان رستم باشا انشأ جسراً مكيناً من حديد على نهر الدامور انهدم في اخر عهد الاتراك لم تزل اثاره قائمة الى اليوم في مكانه . وفي اول الاحتلال بني هذا الجسر الحالي فكان اول جسر من نوعه .

ولاجل خاطره قبلوا المخاطرة والموت على انفسهم وبهذه العملية يأخذون منهم اجرة وافرة ومهما اعطوهم فلا يرضوهم حتى ايضاً لا يكتفون بهذا بل لما ينظروا انساناً مضطراً للمرور او اذا كان معهم حريم واولاد يخافوا ويفزعوا ومدركهم الشتاء ومزاحمهم قصر النهار فهناك يمدوا باع رداوتهم ويصيروا يتطلبوا الاموال والمطاليب الشاقة المضيمة ونظراً لحال النساء والاولاد وثقلة الطريق والامطار وعبور النهر يلتزموا بالضرورة ان يدفعوا لهم ما يريدون ويرضوهم . واذا لم يرضوهم فلا يعودوا يلتفتوا اليهم ولا يجيبوا لسؤالهم . وهذه الحالات المنحوسة الردية من المذكورين بعد خراب الجسر رجعت كالاول وانحس لحد الان .

فهذه المنافع جميعها بواسطة عمار الجسر انقطعت عن المذكورين وضاع عليهم ايرادات جسيمة منها لانهم تربوا فيها وتعلموها من الاباء للاجداد لاجداد الاجداد وبسبب غلاظة اعناقهم وفظاظة اطباعهم المفطورين عليها لا يميزون الحرام من الحلال ولا يميلون لعمل الخير . وليس محرماً عندهم سوى ما قصرت يدهم عن الوصول اليه . فلذلك استعملوا سراً قلع الاحجار من اساسات الجسر وقت الصيف وصاروا رويداً رويداً مع الفرصة يخلعوا ما يمكنهم منها من وسط المياه التي كانت ركائز القناطر مركزة عليها الى ان اعدموا اساساته . واذ ذاك فباول سنة من اتمام هذا العمل الردي اذ نزلت اول حامولة سقط الجسر وقناطره وصاروا كومة واحدة وانقطع عنه المرور ورجعت المخلوقات الى البلاء الاول والثقلة المعتادة .

﴿ قتل البطريرك اغناطيوس صروف ﴾

في هذه السنة ١٢٢٨ كان بطريركاً على طائفة الروم الملكية الكاثوليكية المرحوم السيد البطريرك كيريو كير اغناطيوس صروف وكان قبل صيرورته بطريركاً مطران مدينة بيروت وما يليها وكان رجلاً عالماً تقياً مشهوراً بوقته وكان واعظاً لبيباً جداً بهذا المقدار حتى انه لما كان يكرز فلسانه ما كان يلحق على عقله من وفور ذكائه وفصاحته . وقدر ما يريد من الساعات يعمل وعظته بدون ان يستعد لها وبدون ان يعيد جملة من الجمل التي يكون قالها ومع ذلك فوعظه كان ذا تأثير وفاعلية في النفوس جداً وكان سلوكه حسناً مع الجميع محباً لعمل السلامة والوداد مع سائر الطوائف ساهراً بغاية التيقظ على العمل بكرم الرب المفوض اليه . والغاية انه كان سلوكه حسناً جميلاً ممدوحاً بسائر احواله وتصرفاته افضل من سائر اقرانه .

فلما توفي البطريرك اغابيوس مطر فبانتخاب سينودوس مطارنة الكرسي اقيم اغناطيوس بكل صواب واهلية بطريركاً على الطائفة واذ ارتقى الى هذه السدة ضاعف عمله الممدوح بحسن السعي والكد والسهر على الاغنام التي تقلدت لرعايته وشاع وذاع خبر حسن سيرته وسريرته في سائر الاقطار والامصار . وبما انه امر معلوم لا يحتاج البرهان ان الشيطان للانسان عدو مبين ولا شيء يضره ويتعبه ويمرمره اكثر من وجود الرعاة الصالحين الساهرين على حفظ رعايتهم واتقانها فلذلك تمرمر من جلوس هذا الراعي الصالح واضطرب وما ساعه الا انه

حرك نيران الحسد ضد البطريرك المذكور وهذا قاومها بكل جهده واستطاعته ولاشى مفعولها بحسن انموذجه ولطافة اخلاقه وطيب مشربه ووفور التواضع الذي كان متصفاً به ·

فالشيطان خزاه الله اذ وجد ان تعبه الذي عمله ضاع سُدى وبدون فايدة ولا ثمرة قد استحكم الفرصة والقى في قلب رجل اسمه الياس عماد وفي قلوب اولاده الثلاثة الذين هم من عيلة بيت المعلوف من قرية (كفرتيه قرب) بسكنتا واستعبد نفوسهم واختصها لذاته آلة لبلوغ مرامه وهكذا سكن في نفوسهم وبدا يحركها للشر والتهلكة والهلاك · وبدون امر صدر من البطريرك بحقهم يتوجب البغضة والرداوة وبغير سبب موجب تحركوا الى بغضته نظير يوداس الدافع وبهذه الحال ولاجل الرشوة التي قبلوها من بعض جماعة الروم الفسافسة الحاسدين له كما كان يحصل في تلك الاوقات من روسائهم ربطوا له الطريق وفي احد الاوقات اذ كان ماراً هو وشماسه خرجوا عليه بغتة متقلدين معونة معلمهم الشيطان وبدون سلام ولا كلام هجموا عليه مثل الكلاب السعرانة وصاروا يضربوه بالسلاح الذي كان في ايديهم الى ان اعدموه الحياة بعد ان هشموا ساير جسده الطاهر بالجراحات القتالة تركوه مايتاً عايماً بدمايه المقدسة وهربوا ·

فالشماس هرب واعطى الخبر الى الجوار · فاذ تقاطرت الشعوب ونظروا هذا المنظر المخيف المحزن رفعوا جسده المقدس من الارض وحملوه بكمال الوقار والتبجيل الى دير مار سمعان وهناك طرحوا الصوت وارسلوا المخبرين فتقاطرت الشعوب لحضور جنازه واندفن بغاية

الاحتفال والورع وفتشوا على القاتلين المذكورين فهربوا واختفوا.
فحالًا ارسلوا اعرضوا للامير بشير الشهابي بالواقع والمومى اليه قل ما
اظهر من الاكتراث لهذا الامر لانه ارسل من طرفه يفتش على
القتلة ولكن ليس باعتناء كلي. واذ لم يجدهم فما عاد سأل وترك القضية.

فالمعلم ايوب نصرالله كاتب كمرك بيروت يومئذ حرر مكتوباً الى
المعلم حنا عورة كاتب سليمان باشا وعرفه الواقع باطرافه ولخص له عدم
الاعتناء الواقع من الامير بهذه القضية الجسيمة وترجاه بانهاض
الغيرة الدينية لشرف جنسه وطائفته و كذلك المعلم يوسف منسى حرر له
ايضاً بهذا الخصوص وارسلوهم صحبة سعاة خصوصيين مستعجلين فاذ
وصلت التحريرات المذكورة بهذا الخبر المؤلم حصل غاية الغم والاسى
له ولجميع الطائفة الذين سمعوا بفقد راعيهم على هذا الوجه الردي.
وبالحال اجتمع في كتاب الخزينة ابناء طائفته وتذاكروا بهذا الخصوص
وقر الراي ان يجتمعوا اولًا بالمعلم حييم ويفهموه الواقع ويطلبوا
مساعدته على استهوان الامير بشير بهذا الامر.

وثاني يوم اجتمعوا به وتكلموا معه اللازم واذ وجدوا منه عدم
الميل لمعاطاة هذا الامر بوجه الناموس والشآمة ولاحظوا ميله
المنحرف عن هذه القضية وملاشاتها بل تحسينه لهم عدم التحريك بها
اوفق لصالح طائفتهم مع طائفة الروم فما عادوا احبوا معه الكلام
وبعد قيامهم من عنده اجتمعوا ثانياً وصار الراي ان المعلم حنا يعرض
اولًا القضية باطرافها الى علي باشا ويلتمس مساعدته وبعده يتقدم
الاعراض الى سليمان باشا وهكذا تم.

فالمعلم حنا توجه اولاً وحده لعند علي باشا واعرض له الواقع واوراه ان تهاون الامير بشير ناتج عن رأي من حيم له واوضح له كيفية ما حصل بينهم وبينه والتمس منه العناية بهذا الامر وعلي باشا نظراً للكراهية الباطنة التي كانت واقعة بينه وبين حيم من وشايات مسعود الماضي وقاضي عكا وغيرهما تحركت غيرته لنحو المعلم حنا واوعده بتمام المساعدة بهذا الامر وافاده ان يعرض هذه القضية الى سليمان باشا بحضوره ولا يخشى التفاوت . وهو بكل سرور اخبر الكتاب بما حصل .

وثاني يوم اذ حضر علي باشا كعادته وجلس عند الوزير بمحله دخل المعلم حنا وباقي الكتاب وقبلوا اذيال الوزير الواحد بعد الواحد واذ سال عن الباعث اعرض المعلم حنا القضية باطرافها وبكل حدة صار يتوسل للوزير ويطلب عنايته وكذلك الكتاب صاروا يتكلموا وجميعهم تكلموا بكل جسارة واملية . واذ هم هكذا حضر حيم فاذ نظرهم هكذا والوزير بوساعة صدر يسمع اقوالهم وتوسلهم ويرطب املهم وعلي باشا يساعد بالكلام اللازم لاجراء حقايق الاحكام ويحرك خاطر الوزير فما ساعه الا التغيير عما كان فيه وصار يوافق المرام .

فالوزير احتمى غضباً وحالا امر المعلم حنا ان يحرر مرسوم ملام كلي للامير على استهوانه وان يبادر بالحال والساعة لمسك القتلة ويرسلهم بالجنزير الى عكا لاجل قتلهم ويوكد عليه بغاية التشديد انهم مطلوبين منه كيف كان . فالمعلم خرج داعياً ونظم مرسوماً حسب مرغوبه .

وختمه وسيره صحبة تاتار مخصوص وجاوب البيارتية بالحال وعرفهم بما توقع وطمنهم ليطمنوا سائر الطائفة . فالامير بشير بوصول المرسوم ليده وتاكيـده غضب الوزير ارسل مباشرين بالحال تفتش عـلى القتلة . فوجدوهم بعد ان فعلوا ذلك الفعل هربوا خفية لعند اصحابهم في بسكنتا والمـذكورين زودوهم وارسلوهم الى طرابلس وعرفوا اهالي طرابلس عن جهادهم بقتل البطريرك والطرابلسية استقبلوهم كاستقبال رسل المسيح المجاهدين بغـاية التبجيل يتباركون منهم واعطوهم حالا مـا يلزمهم ويفيض عنهم من خرجية وملبوسات وزوادة ونزلوهم في سفينة مخصوصة بدون اجرة وهربوهم الى قبرص . وحرروا معهم الكتب اللازمة الى قبرص وعرفوهم حسن صنيعهم وجهادهم وطلبوا منهم وفور اكرامهم ووعدوهم بانـه مهما لزمهم يعرفوهم عنه لكي يبادروا لارساله لهم . وبوصولهم الى قبرص استقبلهم الروم هناك بكمال الاكرام والاعتبار والتبجيل وعملوا لهم الزياحات والباركليسات اللازمة ومدحوا حسن صنيعهم وقدموا لهم محلاً مناسباً لاقامتهم وما يلزمهم من كلي وجزئي وتقاطروا عليهم من كل فج وعميق يستميحوا بركتهم واستقاموا هناك بغاية الاكرام والاعتبار حائزين مرغوباتهم بدون قصور البتة .

الا ان الله العادل المنتقم لما حان وقت اخذ الانتقام منهم سلط عليهم روح القلق والاضطراب جاذباً اياهم الى مصرع الانتقـام . فابتدوا يظهروا القلق من الاقامة في قبرص والقبـارصة يداروهم ويضاعفوا لهم الاكرام والتقدمات ويسألوهم عـن سبب ضجرهم

واولئك لا يعبأون بذلك جميعه . واخيراً غصباً عن الجميع وبدون رضى احد نزلوا في البحر ورجعوا الى طرابلس (لانهم كانوا يعتقدون ان وجودهم عندهم شرف وسعادة عظمى) . فاذ نظرهم اصحابهم اهل طرابلس خافوا عليهم جداً وتلاوموهم كثيراً وخوفوهم فما قبلوا قولهم ثم طلبوا اليهم كثيراً بالّا يبرحوا من عندهم فما رضوا . بل غصباً عن الجميع خرجوا من طرابلس وحضروا من تلقاء ذواتهم الى مصرعهم قاصدين بلدتهم لاجل يستقيموا فيها . في الطريق صادفهم الرباطة الموضوعين من طرف الامير بشير لمراقبتهم .

لان الامير بعد وصول الامر بالتفتيش عليهم وتأكد هربهم الى قبرص من طرابلس جاوب بالواقع باقسام مغلظة ثم حرر الى المعلم حنا يعرفه القضية ويقسم له بصحة هربهم ووضعه المراقبين لهم . ومن ذلك الوقت ما كف المعلم حنا عن استمرار اصدار الاوامر بخصوصهم . فاذ صادفهم الرباطة حالا مسكوهم واخذوهم بالحفظ لعند الامير وبوصولهم بدون فحص ولا سؤال حالا امر بشنقهم جميعهم فشُنقوا في الساعة على صف واحد وهوت انفسهم الشقية الى الهاوية ونالت الطائفة جبر خاطرها بعد انكسارها على فقد هذا الركن العظيم .

وهنا صار قولان بهذه القضية وذلك ان الامير بعد صدور الامر المشدد له من الوزير صار يدعي انه في الاول اظهر عدم الاعتناء لكي ينال هذا الامر حذراً من علل رؤساء طائفة الروم وبهذا الامر ما عاد لهم لسان حال بحقه . والثاني انه بقصد منه وتعمد اراد يُضعف هذه القضية ويلاشيها ولو اراد ما كان تركهم يهربوا وان مسكهم

كان قهراً عن ارادته لما نظر قوة الامر الصادر له وسمع عن يد معتمدانه الكلام المؤلم. والحاصل ان الباري تعالى انتقم بعدله من هؤلاء القتلة الفجار[1].

---

(١) ورد خبر قتل هذا البطريرك مفصلاً في تاريخ الامير حيدر في صفحة ٥٨٥ من طبعته البيروتية وخبر القبض على القتلة وقتلهم في صفحة ٥٩٢ وقد ذكره صديقنا الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في تاريخ اسرته المعروف بدواني القطوف في صفحة ٢٣٢ وما يليها الا انه خالف الامير حيدر وغيره من المعاصرين في السبب الذي لاجله عمد الياس عماد ابو كشك الى ارتكاب هذا العمل الفظيع بقتل رئيس امة عظيم لا ذنب له الا مراعاة الحق والدين وبما اني احرز رسالة بخط يد مكسيموس مظلوم مطران حلب حينئذ بامضائه وختمه وامضاء وختم زميله اثناسيوس مطران صيدا حينئذ بتاريخ ١٢ حزيران سنة ١٨١٣ قبل قتل القتلة بقليل ارسلاها الى المرحوم انطون الحموي من كبار تجار الشوام في مرسيليا وابن اخت المطران الثاني وكلاهما صار بطريركاً فيما بعد احببنا نشرها هنا لما فيها من الدقة في تفصيل احوال واسباب هذا الجرم الفظيع مما لا يدع سبيلاً الى الشك بذلك. ونقتصر على ما له علاقة من هذه الرسالة بهذا الامر لاهميته.

«ثم انكم تودون ان بلغكم خبر وفاة السعيد الذكر البطريرك اغناطيوس وعن الغم الذي حصل عندكم ليس باقل مما هو حاصل عندنا وطلبتم ان تفهموا كيف توقع ذلك والحال نحن قدمنا لكم جملة كتابات في هذا الشأن خاصة ذاك العرضحال الذي قدمناه برسم عظمة قيصر (نابوليون) وبرسم وزير الديانة في الرجا الكلي من اقتدارهم الملوكي بان يمدوا ذراعهم ولو عن بعد ويساعدونا على قيام العدل واخذ الحق من القتلة الفجار ومن كل الموازرين لهم والمطابقين معهم كما اننا قد وجهنا كتابات اخر الى جناب الالجي في الاستانة والى غيره. ولكن البايِن ان كتاباتنا الموجهة اليكم في هذا الشأن لم تصل ولهذا نكرر لكم الان التعريف مختصراً كما اننا بتاريخه مرسلون لكم في مكتوبنا لولدكم الخواجا ميخائيل في باريس الشرح عن ذلك باكثر اسهاب.

«ان المرحوم كير اغناطيوس صروف يوجد له دير في كسروان يسمى دير مار سمعان كان قد اخذه من السعيد الذكر البطريرك كير ثاوضوسيوس ويوجد قرب هذا الدير مزرعة تسمى كفرتيه فيها رجل يسمى الياس عماد (ابو كشك) من بيت المعلوف وله اربعة شبان والمذكور فلاح من طائفة الروم الكاثوليكيين وهو وغيره من العيلة شركاء في رزق دير مار سمعان وفلاحين وليس من عيلة مشايخ او مقتدرين لكن عيلتهم كثيرة العدد بالرجال . فاحد هؤلاء الشبان الاربعة ابناء الياس المعلوف المذكور اكثر شراً من اخوته كان وقع في عدة ذنوب من قتل واغتصاب ضد العفة وغيره وتقدمت عليه الشكاوات في ذلك لدى الحاكم سعادة افندينا الامير بشير الشهابي المحترم حتى ان المرحوم كير اغناطيوس نفسه راى ضرورياً ان يخبر به الحاكم ويصادق على الشهادات المقدمة ضده . فسعادته وضع له رواقيب لتمسكه وتأتي به لان وقتها كان هارباً من البلاد فبعد مدة وقع في يد الرواقيب فمسكوه واتوا به الى سعادته الذي حبسه بعض ايام . وفي هذه البرهة ترامى ابوه الياس مع اولاده الاخرين على المرحوم في ان يحضر يترجى سعادته في خلاص ابنهم فلم يتوجه حتى ولم يحرر له كتاب رجاء بعد ان لحوا عليه كثيراً . فسعادته امر بشنق هذا المذنب ومات هكذا . الا ان المرحوم توجه عند سعادته بعد شنق المذنب ومن ثم تصور في عقول هذه العيلة ان كير اغناطيوس هو سبب موته اما بواسطة شكاوته عليه لسعادته او اقله بعدم ترجيه فيه . ومن تصديقهم هذا الشيء في عقولهم ربوا نحوه بغضة ردية جداً ومفرطة في الغاية . ومن ذاك الوقت اعلنوا عزمهم لكثيرين بانهم لا بد ان يقتلوا سيادته بدل ابنهم وعلى موجب هذا العزم والاستعداد بدأوا يبيعون ارزاقهم ومتعلقاتهم كاناس يريدون السفر والذي كان يسألهم كانوا بجسارة يجاوبونه انهم لعتيدون ان يقتلوا كير اغناطيوس وهذا يشهد به اناس كثيرون في هذه البلاد . في غضون ذلك توفي السعيد الذكر البطريرك اغابيوس وقام المذكور اي كير اغناطيوس خليفة له . ومن كونه حينما كان مطراناً توجد فيه رغبة لكثرة الدوران في ابرشيته بنوع زايد مشهور عنه حتى انه لم يكن له مقام او مركز خصوصي ولا يقيم في محل ما عشرة ايام متواصلة وكثيرون من البطاركة والمطارنة انهوه عن هذه العادة الغير اللائقة بدرجته والخطيرة عليه من اوجه كثيرة . فنحن ظنينا ان بعد قيامه بطريركاً يلتزم لسمو وظيفته

بالاقامة في محل ما كباقي سلفائه غير ان ظننا هذا لم يصب اذ انه استمر كما كان قبلاً حتى انه شوهد مرات كثيرة راكباً وصحبته خادم فقط . فلهذا نُصح من جملة اناس في ان يقلل دورانه او ان يمشي معه اقله خمسة انفار وافهموه ان الياس المعلوف واولاده لم يزالوا في تكلمهم ضده وانهم عتيدون ان يعدموه الحياة فهو لحسن تسليمه وعدم تصديقه انهم يتصلوا لهذا الحد من الجسارة لم يقبل النصح المذكور مع انه كان قبلاً بمدة لامس هذا الاستعداد بيده وهو انه حينما كان مطراناً تصادف في الطريق في مكان منفرد بواحد من هذه العيلة الذي انتضى عليه السيف قائلاً له لولا خوفي من الله لغرقت هذا السيف في احشائك . فاجابه المرحوم بما انك تذكر خوفك من الله فانا لا اخاف منك واخذ يلاطفه بالكلام واخرج كيس الدراهم من عبّه ودفعه لهذا الجسور قائلاً له ربما تكون خرجيتك قليلة وهكذا خلص منه .
فبعد مدة اي في اليوم الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٨١٢ توجه سيادته من دير مار مبعان الى دير النياح القريب منه بمسافة نحو ساعتين لكنها طريق وعرة ومنقطعة نوعاً والمسلك قريب من بيت الياس المعلوف وثاني يوم رجع الى دير مار مبعان لانـه كانت توجد معارية هناك لينقلوا قبة الناقوس من مكان الى مكان اخر فلما اخبره الريس بان المعارية بدأوا بعملها حضر من دير النياح كما ذكرنا لكي يرسم للمعارية مكان قبة الجرس وكيفية عملها واستمر هناك الى قرب المسا وحينئذ ركب ليرجع الى دير النياح فهولاء الاشقياء اي الياس المعلوف واولاده كانوا يراقبون ذلك ومن ثم لاقوه في وطا الوادي هنـاك مساء ولم يكن صحبته سوى راهب مسكين وولد فتى فضربوه برصاصين احدهما نفذ خارجاً والثـاني اصابه في خاصرته نفذ في احشائه ومن ساعته لم يفه ولا بكلمة بل سقط حالا من على ظهر الفرس ميتاً .
فهرب الخادم الى دير النياح واخبر بذلك . ومن ثم حضر الرهبان والخدام ونقلوه الى ديرهم في النعش بعد غروب الشمس الى ان وصل الخبر الى دير مار مبعان لحضروا كلهم ليلاً ونقلوه الى ديرهم ودفن فيه في ٩ تشرين الثاني اي ثالث يوم من وفاته .
فسعادة الامير بشير لما بلغه ذلك اظهر غماً وافراً واحتمى غضباً وحالا انفذ اوامر وخيالة الى كل الطرقات واقام التفتيش في كل البلاد على هؤلاء القتلة فلم يبن لهم اثر الا بعد خمسة عشر يوماً حيث تأكد وجودهم في جزيرة قبرص التي ليست هي تحت

حكم سعادته ولا تحت حكم والي صيدا الوزير سليان باشا المفخم وظهرت بعض اشارات على الروم المشاقين تدل على اشتراكهم في تحريض هؤلاء القتلة على اثمهم فوقع الظن عليهم بالاشتراك لجملة اسباب السبب الاول هو انهم سعوا في هرب القتلة وحموهم في طرابلس من يد الذين كانوا يريدون مسكهم ولبس ذلك علانية بل يقال انهم برطلوا حاكم طرابلس (مصطفى بربر اغا) حتى خلص القتلة وسمح بنزولهم في البحر الى قبرص · الثاني هو انهم كانوا يكرهون تصرفات المرحوم كثيراً ويبغضونه في جملة حوادث سابقة كانت توقعت فيما بينهم · الثالث والاخص هو انه توجد قرية في كسروان في المتن من ابرشية بيروت تسمى بسكنتا اكثر سكانها روم مشاقون ويوجد هناك اشخاص كاثوليكيون قليلون عزم المرحوم على بناء كنيسة فيها قصداً منه لمكسب اناس منهم بهذه الواسطة فباشر عمارها منذ سنتين فلما شاهد الروم ذلك تحركوا ضده ومنعوه بقوة الجاه العالمي عند جناب الشيخ بشير جنبلاط المشهور ببطشه · فبعد ان قام المرحوم بطريركاً توهم الروم ان يرجع يبني الكنيسة كون يده صارت طائلة ولذلك يظن انهم تحركوا على اعدامه · · · فهنا دخل البعض من الكتبة من طائفتنا في ديوان والي صيدا واشتكوا على الروم وقبلت شكواهم ونفذ امر منه الى الامير بشير بان يقاصر روم بسكنتا · فسعادته قبض على اثني عشر نفراً منهم وحبسهم مدة شهرين بعذاب كلي اخيراً مطران الروم في بيروت ارسل تقدمات وافرة الى سليان باشا والي صيدا (على يد صرافه المعلم حييم) وحصل هو وجماعته على صفو خاطره والتزم الامير باطلاق المسجونين · والان بلغنا ان القتلة حضروا من قبرص وتوجهت خيالة تفتش عليهم هذا ما كان لحد الان · »

الحقير	الحقير خالكم
(الختم) مكسيموس مطران حلب	(الختم) اثناسيوس مطران صيدا
وكيل البطريرك اغابيوس مطر المرحوم	وكيل البطريرك اغابيوس مطر المرحوم

﴿ عصاوة ابي عودة في ناحية بني صعب ﴾

سنة ١٢٢٨ انه بعد عزل سليمان باشا عن ايالة الشام كما قدمنا توجهت الايالة على سليمان باشا سلحدار السلطان وحضر الى الشام وحكم ونهى وامر وعزل وولى . وفي ثاني سنة مشي بالحج الشريف الذي هو حج سنة ١٢٢٨ وتشوش بطريق الحج وثقل تشويشه وعدم عقله فحجبوه عن الناس وصار يتعاطى الاحكام كتخداه ابرهيم باشا وديوان افنديسي . وقبل ان يتوجه الى الحج لما آن اوان جمع مال الدور من مقاطعات جبل نابلوس وسنجاق جنين وسنجاق القدس والخليل حسب العادة ارسل كتخداه العساكر الكافية والخلع المعتادة لاجل جمع المال واذ توجه واستعمل العنفوان فناحية بني صعب الذي شيخها يقال له ابو عودة الجيوشي عصي عليه وتحصن في قلعة صوفين التي كانت حصينة ومشهورة في جبل نابلوس فحضر اليها الكتخدا بالعساكر وحاصرها وشدد عليها الحصار . واذ وجد قوتها بالذخاير والجباخانات وتواصل الجرود وتعصب ساير الجبال معها وتحقق بنفسه العجز الكلي عن اخذها ولاحظ الذل العظيم الذي يصادفه ويصادف دولة الشام بقيامه عنها مفشولاً وانه لا يسلم من اذية ونهب الاهالي له ولعسكره حرر حالاً الى سليمان باشا والي الشام وكرر عليه الرجا والتواقع بان يحرر الى سليمان باشا والي صيدا ويترجاه بمده بالعساكر والقوة والنفوذ . فحالا والي الشام حرر الى سليمان باشا والتمس منه هذا الالتماس وسليمان باشا اجابه لسواله وبالحال وجّه له ضباط عساكره المشهورة مثل الحاج شمدين اغا لسؤاله .

فهذا شمدين اغا هو الذي قدمنا ذكره في وقت حرب يوسف باشا انه كان من عسكر يوسف باشا وهجم على سليمان باشا كي يقتله وهجم عليه بوقتها محمد اغا اورفلي اغلو وجرحه وهرب بجرحه وانكسر العسكر . فلما هرب يوسف باشا ودخل سليمان باشا الى الشام اقام محمد اغا اورفلي سردليلان بابه[1] نظراً لصدق خدمته . فهذا شمدين اغا حضر الى عكا وقيعاً على علي باشا القايمقام فيها واعتذر له بان سبب تجاسره على سليمان باشا انما كان لصداقته ليوسف باشا . ولو ساعدته القدرة الالهية واعانته على قتله لكان قتله بدون توقف . اذ هذه هي بغية خدامته واوضح له انواع صداقته . فعلي باشا قبله وعفى عنه واستحسن قبوله بالخدمة وحرر حالا الى سليمان باشا والتمس صدور امره بقبول رجاه بحقه والتمس تعيينه بالبيارق التي كانت مرتبة له نظراً للصداقة التي شاهدها منه ولمعرفته وخبرته بالحرب وسليمان باشا اجاب المسؤول واصدر له مرسوم الامان والرأي وعين له مايتين بيراق . وكان عنده اثنين كوناسراي (كذا) محمد اغا اجلقين وابرهيم اغا كراجي . فحالا اخذ مرسوم التعيين بموجب امر علي باشا وتوجه لعند سليمان باشا بالشام وعين له الخيل الكافية وصار يستخدمه بالخدامات اللازمة . وانما ارسله يتوفق . ولما انفصل عنه منصب الشام ورجع

(١) دليلان : تقدم ذكر هذه الكلمة التركية وهي جمع دالي بمعنى الشجاع المجنون وهم صنف من الجند معروف في ذلك العهد عند الاتراك ويدعوهم العامة دالاتية فكان المذكور قائدهم الاكبر

الى عكا حضر بخدمته وصار راس ضباط عساكره بعد وفاة محمد اغا الاورفلي .

﴿ اصل ابو زيد اغا هواري باشي وباقي العساكر ﴾

ومعه ابو زيد اغا هوراي باشي . وهذا ايضاً من عساكر يوسف باشا عينه سليمان باشا في بابه نظراً لشجاعته وصداقته . ومعه علي اغا عون الله وهذا كان اوضباشي محمد اغا الطوبر هواري باشي في باب الجزار . ولما مات الطوبر نظراً لشجاعته واقدامه لصداقته البسه سليمان باشا ضابطاً مكانه وتوفق بخدامته جداً وكان ذا هيئة ووقار و كرم وصداقة . ومعهم الحاج موسى اغا الحاسي [١] هواري باشي والاخر من الضباط القدم في باب عكا وكان نظير علي اغا المذكور بالشجاعة والاقدام والهيأة . وارسل معهم كم ضابط ايضاً وحرر المراسيم اللازمة الى وجوه جبل نابلوس تحتوي التهديد والتشديد والقوة واوضح لهم اتحاده مع والي الشام براي واحد . وبعد ارسالهم صار يمدهم بكل ما يلزم ويقتضي واجتهد بهذا الامر جداً لعدة وجوه اولًا لاجل زيادة امتداد يده في جبل نابلوس لتدوم معرفتهم بعلو باعه عليهم في كل وقت ثانياً لئلا يلحظ من عدم الاجابة لمسؤول والي الشام عنده ان هذه الحركة كانت باشارته بحسب قرب الجوار لاجل فصل منصب الشام عنه من عهد قريب ويتصل الامر الى الدوله العلية ويلاحظوه بعين ليست

---

(١) موسى اغا الحاسي المذكور هو والد عقيلة الحاسي المشهور بفضله وحمايته النصارى من القتل في عكا وبلاد الجليل في حوادث سنة ١٨٦٠

جيدة وينسبوه لفساد الاحكام ثالثاً ليضع والي الشام ويجعله تحت ممنونيته . فلذلك اجتهد بهذا الامر جداً وحرر وشدد على عساكره التي ارسلها انه لا يعرف فتح صوفين الا منهم وواصل الاوامر المشددة لهم واخيراً من شدة حشره لهم اقتحموا الاهوال والمخاطر وكانهم الاسود الكواسر فتحوا بيارقهم وهجموا على القلعة تحت ضرب الرصاص المهول وما ارتجعوا ولا ارتدوا حتى غرسوا بيارقهم فوق اسوارها واستولوا عليها بالقوة والغلبة وقطعوا جانب (عدة روس) من اهاليها وقدموا حالاً البشاير الى سليمان باشا فانحظ غاية الحظ وارسل تخبير البشاير الى والي الشام واصدر اوامره بهدم ابراج قلعة صوفين واخراج اهاليها منها . وبعد ذلك رتبوا عليهم العبوديات اللازمة لخزينة الشام . وبعد اعطاء نظام تلك النواحي قامت عساكره وارجعها لمحلاتها وارسل اخبر الدولة العلية بما توقع بالتفصيل فحصل لها منه غاية الحظ والاقبال وتاكيد الصداقة .

﴿ وكالة سليمان باشا على ايالة الشام ﴾

وبعد ان توجه سليمان باشا والي الشام الى الحج وتشوش وانسلب عقله كما قدمنا واخيراً توفي فكتخداه ابرهيم باشا وديوان افنديسي بخلاف الصداقة مدوا اياديهم لاخذ اموال المنصب وسلب اموال عباد الله وتنويع الاحكام الردية . فاذ توجه خبر وفاة سليمان باشا توجه معه الشكايات المترادفة بحق المذكورين فصدر امر الدولة العلية حالاً بوكالة سليمان باشا على ايالة الشام الى ان يتوجه لها حوالي جديد .

وصدر له فرمان ملوكي بخط شريف بجلب ابراهيم باشا الكتخدا وديوان افنديسي وقطع رؤوسهم وضبط موجوداتهم . وبحسب الامر اصدر بالحال مرسوماً عمومياً الى الشام ونصب فيها قايمقام وامر باطاعته والانقياد اليه وامر بضبط مخلفات سليمان باشا السلحدار وعمل دفاتر ممضية ومختومة باعلامات شرعية من محكمة الشام ووضعها بمحلات محفوظة تحت صدور الامر ونصب متسلمين ووكلا في ايالة الشام وقرر البعض من المتسلمين في مناصبهم وحرر ايضاً اوامر منه الى ابرهيم باشا وديوان افنديسي ان يحضروا بالحال الى عكا بدون ان يقارشوا شي، وحذرهم غاية التحذير من التعويق او مقارشة ادنى شي، لا بما جلّ ولا ما قل . وبوصول الاوامر الى الشام انعمل ديوان حافل وتُليت على روس الاشهاد وحصلت المبادرة لانفاذها بالتدقيق . وابرهيم باشا وديوان افنديسي حضروا الى عكا حسبما أمروا . وسليمان باشا كتم عنهم الفرمان الوارد بحقهم وأمر بانزالهم في قوناق مخصوص منظوم ضمن سرايته ورتب لهم الرواتب الحسنة الكافية والاغوات لخدمتهم . وكان يستحضرهم ويتساير معهم وقدم الرجا والاسترحام بحقهم للباب العالي والتمس العفو عن قتلهم لا عن مالهم وكلما يملكون مرحمة لاحوالهم لوجه الله تعالى بدون ان يعرفوا فتجاوب بعدم الاجابة . واذ كرر الرجا تجاوب بالحتم على رؤوسهم وارسالها بذاتها للباب العالي . وحينئذٍ استحضرهم بكل حزن وغم وتألم باطن وظاهر واطلعهم على الامر الاخير وحقق لهم بقسم انه لو اتفق له ان يصرف ماله كله لاجل استنقاذهم فما كان قصّر . وهكذا صرفهم من عنده مجبورين الخاطر

منه . ثم اعطاهم وسعة يومين لحين انفاذ الامر الملوكي بهم وبعد اليومين ارسل من طرفه من ينفذ الامر بقطع رؤوسهم . فاما ابرهيم باشا فاطاع ومد عنقه للقطع قايلاً أمر الدولة مطاع على الراس والعين . واما ديوان افنديسي فهاوش بزيادة وخرج عن عقله وصار يشتم ويلعن . وهكذا بعد كل جهد قطعوا رأسه وارسلوا الراسين الى الباب العالي حسب الامر .

﴿ عصاوة النصيرية بمقاطعة القرادحة ﴾

سنة ١٢٢٨ في هذه السنة تظاهر بالعصاوة اهل مقاطعة القرادحة النصيرية من اعمال اللاذقية . فاعرض له مصطفى بربر متسلم طرابلس والتمس منه ارسال عساكر ومهمات لاجل محاربتهم واجراء تأديبهم عبرة لغيرهم . فاجابه لمسؤوله ومـده بالعساكر والمهمات فمشي عليهم وحاربهم وقطع منهم سبعة وعشرين راس وارسلها . فانوضعت بحسب الامر في باب عكا ثلاثة ايام للفرجة وبعدها ارسلها الوزير للباب العالي واعطى بربر نظام المقاطعة ورتب عليهم العبوديات وردهم للطاعة وقام عنهم ورجعت العساكر لمحلاتها .

﴿ عمار دار حييم ﴾

سنة ١٢٢٩ في هذه السنة لما كثرت عيلة المعلم حييم وعظمت منزلته واركن على زمانه واستراح من ساير ما كان يتوسوس ويخاف منه واتسع حاله التمس من سليمان باشا الاذن بعمار محلات زايدة في داره لاجل اتساعه لان داره ضاقت عليه . فاجابه سليمان باشا لمسؤوله

وامر بتدوير الورشة وعمل قناطر فوق السوق وعمّر فوقها اوض ومحلات شاهقة ونظمها حسب مرغوبه. والذي شاع بوقتها عن هذا العمار ووفور اعتناء سليمان باشا بنفسه به ان مال الخزينة كان موجوداً في دار المعلم حييم وموضوعاً في تلك المحلات فمن كثرته ما عاد البناء احتمله ومالت حيطان الخان وظهر بها السقط فاقتضى لها هذا العمار المتين. والحال الواقع بخلاف ما تقولت الخلق لان المال كان موجوداً بالخزينة في البرج الفوقاني تحت يد انختار اغاسي.

﴿ عمار دار مسعود الماضي قبالها ﴾

وفي هذه السنة الشيخ مسعود الماضي ملتزم ساحل عتليت بما انه كان محبوباً جداً من علي باشا اشترى محلات في عكا من ميخايل الملك وبيت القبلاوي بالحارة القريبة لخان الافرنج وباشر تعميرها وجعلها داراً واحدة ورفع بناها حتى ساوت العمار الجديد الذي انعمل في بيت حييم. ثم باشر بعمار كشك بالحايط نفسه وهذا الكشك قبال دار حييم فاذ لم يمكن المعلم حييم منعه من عمله اولاً من كونه مسلماً ثانياً لكونه مقاطعجي ثالثاً لكونه كما قدمنا محبوباً جداً من علي باشا اقتضى ان حرك سراً عليه سليمان باشا وجعل له ان الشيخ مسعود باستعزازه في علي باشا اراد يتشبه بعمارات الوزراء ويعمل لداره كشوكة نظيره حتى لا يبقى هيئات لسراية الحكم ولا هيبة لمحلات الوزراء. وهكذا جعل سليمان باشا ينزل الى الكمرك ويجعل طريقه على عمار مسعود الماضي واذ وصل لمقابله ونظر اليه وقف بالحصان

وارسل طلب البنّاية . ولما حضروا سألهم لمن هذه البناية التي تشتغلوا بها فقالوا له الى الشيخ مسعود مع انه كان ينظرها لما كان يباشر عمار دار حيم كما قدمنا فقال لهم وهذا الكشك من الذي قال لكم وامركم تعملوه . فقالوا له هو امرنا بذلك . حينئذٍ اظهر الغضب وتخلق عليهم وشتمهم وتهددهم وامرهم بان يهدموا الكشك من اساسه بالحال والساعة وان ابقوا منه شيئاً او تعوقوا عن هدمه يأمر بقتلهم جميعاً . ثم صار يقول بأعلى صوته هذا الكلب صار بده يشابه الوزراء بعماراتها . اما يعرف نفسه انه شقفة فلاح كلب . والله ساقطع راسه هذا الملعون وارميه للكلاب حتى يعتبر غيره . وهكذا بعد شتايم كثيرة بحقه سار نحو سرايته والشغيلة باشروا بهدم الكشك حالاً لكن ما فارق سليمان باشا من مكانه حتى نظر ابتدا الهدم بالكشك حسبما أمر . واذ بلغ الشيخ مسعود ما توقع خاف وارتعد لانه كان عارفاً ان سليمان باشا لا يحبه ولحظ ان هذه الحركة من حيم فكتمها في نفسه وما قدر يتظاهر ولا يتفوه بكلمة . وبعد يومين لما طلع للسرايا وقابل حيم سأله هذا عن الواقع كأنه غشيم وما له اطلاع على شيء . واذ عرفه صار يتأسف ويتلاوم على سليمان باشا ويذم هذه العملية التي هي بغير محلها لانه رجل يهودي .

﴿ المعلم حيم وعلي باشا ﴾

في سنة ١٢٢٩ كان علي باشا كما قدمنا يحب مسعود الماضي محبة كلية ويودّه ويسمع له بشهوة وجاعله من احد ندمائه ويستشيره بغالب

القضايا ويسمع راياته ويعمل بها . وغالب هذا الحب والميل الكلي له
انما كان لمعرفته الاكيدة عدم حبه لحييم لان علي باشا لحد ذاك الوقت
صار يكره حييم باطناً بزيادة وكان يقاومه في غالب الامور ويضاده
ويتكلم بحقه في ديوانه . وحييم (صار) متحقق كراهية علي باشا
الباطنية له وانما حيث علي باشا كان متسلم زمام الباب جميعه ومتساوي
بالحكومة مع سليمان باشا كما قدمنا حتى كان غالب القضايا يمشيها من
تلقاء ذاته بدون علم سليمان باشا وكان المأين المتصرف بكل شي .
فمن هذا القبيل كانت يد حييم قاصرة جداً وما كان له استطاعة
لمقاومة علي باشا ولا اقتدار على اظهار ادنى مخالفة لاوامره وانما جعل
اعتماده كله على الدخول في عب سليمان باشا وارضائه لا غير . وسليمان
باشا من سذاجته ما كان يسأل عن شي ، بل كان يميل لحييم ويسمع له
كلما يقوله ويشور به ويميل قلبياً الى علي باشا ولا يتعارضه بكلما يأمر به
ويريده ويفعله . وعلي باشا ضايق حييم في تلك الاوقات بزيادة المقاومة
وضيق عليه منافسه حتى انه جعله مرتعداً منه مرتعشاً نظير قايين وجميع
التدجيلات والمداهنات التي كان يستعملها معه حييم ما كانت تنطلي
عليه وكامل ما يقدمه له من التقرب والخدامات كان يقبله علي باشا
ليس بالممنونية بل من باب ما يجب . والمعلم حييم كان واضع اثنين
شوابصة لاجل خدمة اوضته وقضاء المصالح التي تلزم له وكان شيخ
الشوابصة رجل يقال له علي الطرشان والمذكور مع باقي الشوابصة
كانوا بخدمة علي باشا فأمر علي الطرشان بان ينبه على الشوابصة المرتبين
باوضة حييم ان يراقبوا كل ما يحدث ويصير في الاوضة ويرفعوا له خبره

ثم يعلموه بجميع ما يسمعونه عنه ومنه . ولما بلغ حيم ذلك تربطت اياديه وتحير . وما كفى ذلك حتى سلط عليه علي الطرشان المذكور اذ كان رجلاً شيطاناً يفسد مدينة ويروب البحر ويقلب جبل على جبل بحيله وحركاته فصار يراقبه بساير تصرفاته واتصل لهذا المقدار حتى انه صار يتوجه ليلاً لدار حيم ويدخل بالحيلة ويلطى في احد المحلات بدون ان ينظره احد ليراقب ما يصير . وجميع ما يسمعه ويراه يخبر به علي باشا . وفي احد الايام شاهده حيم بالصدفة واقفاً بجانب احد حيطان دار حريمه فسأل من هذا واذ كرر السؤال مرتين اخبره عن حاله بانه حاضر ليطلب شوية ماء ورد ومتحير ممن يطلب . وحيم اضطربت حواسه باطناً الا انه كتم الامر وتظاهر بانه صدق خديعته وأمر له باعطاء شوية ماء ورد ثم أمر له باعطاء محزم ملان سكاكر وبعض اشياء واعطاه طاقتين سرتي ومايتين غرش واخرجه من داره على هذا المنوال . وبعد كم يوم التمس من سليمان باشا ان يأمر له بتجديد حديد باب خان الافرنج فأمر له بذلك وتجدد له حديد متين وشنا كل قوية ورتب له بواباً ومنذ ذاك الوقت أمر البواب بان لا يفتح لاحد الا من يكون معه اشارة منه .

وبقي هكذا علي باشا يكره حيم وانما نظراً لميل سليمان باشا الكلي له ونظراً لعدم وجود من يعرف بأمور الدولتجيه نظيره فغير متفق معه ان يفرط فيه او يتظاهر معه بالخشونة التامة لان علي باشا كان متعقل ويحسب للعواقب انما كان يضايقه فقط في بعض اشياء ويضيق معاطسه وحيم عارف ان علي باشا يكرهه وانما غير مقتدر ان يتظاهر بادنى

اشارة مقاومة او معرفة بذلك لخوفه من علي باشا وكل منهم يعمل ما يوافقه وخافي غله بنفسه .

والوجه الثاني لحب وميل علي باشا لمسعود الماضي هو ان سليمان باشا كان يكرهه لكون علي باشا كان يميل لمن يشمئز منه سليمان باشا. وسليمان باشا كان كذلك وانما ما كان بينهم خصومة ولا مقاومة. انما فقط علي باشا كان يميل ويساعد الذين كان يشمئز منهم سليمان باشا نظير مسعود الماضي وعبدالحليم العدوي والقاضي وبعض اشخاص وسليمان باشا كان عنده اشخاص مكروهين من علي باشا نظير زكور اغا المحتسب المنافق وحسن قزلباس اوغلو الجوقدار وحييم ومصطفى ابازه وبعض اغوات ارذال في تصرفهم لكون علي باشا كان يشمئز طبعاً من التصرف غير المستقيم

﴿ العود الى القسط الجزاري ﴾

وفي احد الايام اذ كان مسعود الماضي في ديوان علي باشا كعادته في اثناء الحادثة انفتحت سيرة القسط الجزاري وانتهز حينئذٍ مسعود الفرصة وصار يتشكى عن الفلاحين وتظلمهم من هذا القسط وان هذا المال من اصله ظلم وان السعي برفعه افضل من الحج للبيت الحرام وانه وانه ... ووسع الكلام بالبراهين الموجبة لتحريك علي باشا للسعي برفعه وصارت المذاكرة بهذا الخصوص بينهم . فمسعود قصد بذلك ليس الخير العام بل خير المقاطعة التي كانت في عهدته وهي ساحل عتليت بما ان المطلوب عنها مبلغ وافر من هذا القسط . وعبد الحليم وغيره من

الحاضرين صاروا يساعدوا مسعوداً ويحركوا غيرة علي باشا ويقرّبوا ويبعِّدوا . وهكذا بعد جملة مجالس مال علي باشا لهذه الحيثية ورتبوا الوجه المقتضي التحرير به الى الباب العالي . فثاني يوم اذ طلع علي باشا للديوان تذاكر مع سليمان باشا بهذا الخصوص وحسن له التحرير للباب العالي فبعد ان اوضح له البراهين التي اتفقوا عليها بمجلسهم واقنع سليمان باشا حتى مال لذلك فالمعلم حيim نفر من هذا الراي وما قبله واوضح سقامته بعد ان قدم البراهين اللازمة لعدم التعرض لهذا الامر وقال من الجملة انه بتعب عظيم كلي وبمساعدة راغب افندي المأمور وبخساير باهظة توفق لقبول الدولة بهذا القسط وذكرهم بالمراجعات المترادفة التي حصلت في وقتها . والدولة ما قبلت بذلك الا شبه مرغومة مغصوبة نظراً لما حققناه لهم عن خراب البلاد وضعف حال الرعايا وتشتيتها وبشلة احوالها وهكذا سكتوا وبتوفيق الله تعالى قبلوا . وكأنهم نسوا ما عزموا عليه من طلب المال جميعه اما لطول المدة واما لتغيير وتبديل رجال الدولة من ذاك الوقت للان . وهذا السهو نحن نعده رحمةً ومنةً من الله .

فالان اذا تحرر ادنى اشارة بهذا الخصوص فلّا ينهضوا من غفلتهم وينتبهوا لمصلحتهم ويراجعوا ارادتهم الاولى ويطلبوا كل المال المطلوب بدعوى ان القبول فيه الذي صار مقدماً بامر القسط كان لاجل المُدّعى الذي تقدم بخراب البلاد وتشتيت حال العباد وضعفها الكلي وعدم اقتدارها على القوت الضروري فضلاً عن دفع شيء من المال المطلوب فلاجل صيانة البلاد والعباد من التلف قد

حصل الاصغاء الى الشكوى وقبول التقسيط . والان حيث بفضل الله تعالى قد عمرت البلاد ورجعت الرعايا لمحلاتها وعمرتها وتوطنت فيها واستراحت، واطمأنت وزالت عنها تلك المضرات وصارت مقتدرة على دفع المطلوب منها صار يقتضي تحصيل كل المطاليب منها ويرسلوا لنا مباشرين مبرمين ويلزمونا بهذا الامر الالزام الشرعي ونحن لا نستطيع نجاوب ولا نتأخر بالدفع اولاً حيث سبق منا جملة معروضات نوضح بها زيادة سعينا بعمار البلاد واستراحتها لاجل اغتنام الرضى الملوكي فاذا اردنا نتشكى كالاول يطالبونا بمضمون معروضاتنا واذا تحايلنا يوقعونا تحت غاية القصور والظلم بأنا لحد الان تاركين الملك السلطاني بحال الخراب مع ان الايالة ما أعطيت على سبيل المالكانة الا لهذه الغاية . واخيراً اذا تحايلنا بحيلة اخرى يلزمونا بان ندفع المال من عندنا نقداً . واذا كنا نريد مرحمة المديونين فنواسعهم من عندنا لان الايالة معطاة لنا مالكانة . ومن سائر الوجوه ليس لنا مهرب من هذا الشر العظيم ونكون بهذا التحرير نحن الذين نبهناهم على اذيتنا ونحن الذين فتحنا بيدنا هذا الباب المغلق . فالاوفق عندي ترك رايات زيد وعمر الذين لا يهمهم الا غاياتهم ولا يلتفتوا الا الى ما به صالحهم . وهذا الذي عندي ابديته بحق صداقتي وهو الاوفق بحول الله وقوته . صحيح ام لا ؟ فقال سليمان باشا والله صحيح .

فاما علي باشا لما نظر هكذا انغم باطناً وتكدر و كأنَّ هذا الكلام الذي يتكلم به حيم حربات داخلة بقلبه احتمله منه على سبيل المعارضة المحضة لاجل عدم انفاذ رأيه . وقد تألم ايضاً لما سمع موافقة

سليمان باشا وتشوشت افكاره . انما تربص وروض نفسه بنوعٍ ما وما جاوب وغيّر المذاكرة بغيرها وانصرف ذلك المجلس وعند عشية لما اجتمع عنده الندما المذكورين اورد لهم ما تم وما جاوب به حييم . فبدْبشنة فلاحية اخذوا يثلبون حييم ويتلفظون باقوال ذات افتراء على سقامة رأيه وان الكلام الذي تكلم به ما له خواص وبما انه يهودي فهذا كراهية منه بحق صالح الاسلام المطلوب منهم المال والحال الدولة العلية رحيمة لا تريد الظلم ومتى تقدم لها عرضحال الشكوى فلا ترده . وسعادتك يا افندينا ما تعرف تعرضاته لكل شي . فلو كانت هذه القضية فيها جزء خاص لليهود كنت شفت اجتهاده بها . والحاصل غمضوا عيونهم وعرضوا لحاهم وفتحوا افواههم وبدوا يتكلموا تاركين التمييز ناحية . وهكذا ما مضت تلك السهرة الا وقلب علي باشا ممتلي من الغم من معارضة حييم ومن مطاوعة سليمان باشا له .

فثاني يوم توجه علي باشا لديوان الحكم كعادته وجلس بجانب سليمان باشا وأمر ونهى وتمموا ساير الاشغال وبعدها تغدى مع سليمان باشا كالعادة وقام سليمان باشا ونزل لحريمه وبقي علي باشا والمعلم حييم فراجعه علي باشا وفتح مذاكرة امس بهذا الخصوص . واذ كان ديوان افنديسي موجوداً ساعتئذٍ أمر علي باشا حييم بان يفهمه عن التحرير اللازم بخصوصها . وحييم كرر مراجعة ما اشار به الامس ونهى علي باشا بنوع الرجا كي يعدل عن هذا الراي . فحينئذٍ علي باشا غضب واغتم وقال لحييم انت آمر او مأمور ؟ افهمني ما هي وظيفتك حتى اعرفك ؟ فاذا كنت صاحب الامر وانا مأمورك فافعل كما تريد وفهّمني لاعرف

حدّي . وان كنت تحت امري فانا امرك . اكتب . اكتب . اكتب . هكذا انا اريد . وانت ايش معارضتك . حينئذٍ المعلم حيم صمت وحسب الامر افهم ديوان افنديسي بعمل تسويد التحريرات اللازمة واملا عليه تسويدها . وبعد ان تحرر التسويد حسب مرغوب علي باشا أمر ديوان افنديسي بان يسرع بتبييضه واحضاره له قبل تقديمه للختم من الوزير وان يسرع بخلاص كل التحريرات المقتضية لاجل تمشية التاتار .

فالافندي حسب الامر بيض تلك التساويد وقدمها الى علي باشا واذ اطلع عليها امره بتقديمها للختم وثاني يوم تم بياض باقي التحريرات وثالث يوم حضر وختمها من الوزير حسب العادة وتوجه بها تاتار مخصوص واوليك اي مسعود وعبد الحليم وذويهم لما تحققوا ما توقع فرحوا فرحاً شديداً ومن ذلك الوقت صاروا هم وعلي باشا بانتظار حضور الاجابة كمرغوبهم وعلي باشا اضمر بنفسه حسبما افاد ندمائه انه عندما يوفق الباري تعالى بحضور اجابة المسؤول لازم يعمل الى حيم طابق يشهر به رذالته عند كل الخلق مقابلة على تعرضاته ومطاولاته .

وعند وصول التحريرات وتقديمها من طرف القبو كتخدا الى الباب العالي وتلاوتها فالذي اشار به حيم وراه وتكلم به قد صار بالتدقيق لانهم انتبهوا حالًا لهذا الامر وبالحال تحرر فرمان شريف ملوكي وأرسل صحبة اثنين من خواجكان ديوان همايون من المتقدمين فيهم من رجال الدولة . واحدهم هو سليم باشا الذي قامت عليه اهل الشام وقتلوه سنة ١٢٤٦ بعد ان صار صدر اعظم وتوجهت عليه ولاية

الشام وحضر اليها [1]. والفرمان الشريف مستطيل الشرح يحتوي اوامر شديدة ناهية قاطعة حاوية كمال التشديد والتوكيد والتهديد بطلب كامل اموال متروكات الجزار من ايالة صيدا وايالة الشام وملزمين سليمان باشا بسرعة تحصيلها وارسالها صحبة المأمورين بدون عايق . واذا تردد واراد يتعارض لمرحمة الرعايا فبما ان ايالة صيدا معطاة مالكانة ليتنعم بايراداتها يلتزم بعمل حساب المطلوبات والواصل منها عن يد المباشرين الى ذلك الوقت والباقي يدفعه من خزينته تماماً من دون ابقاء بارة . واما المطلوب من ايالة الشام بما ان المطلوبات منها اخذت من دفاتر خزينة ايالة صيدا وتقسطت عن يده ومعرفته بما ان ولايته على ايالة صيدا مؤبدة ووزراء الشام ولايتهم موقتة فبموجب هذا الامر الملوكي صار مأذون ان يحصلها من محلاتها حسبما يرى موافقاً بموجب الرخصة الممنوحة له . ومقابل هذا يدفع المال من عنده نظير المال المطلوب من ايالة صيدا . وبالامر الملوكي مقطوع ومجزوم عدم قبول العذر بوجه من الوجوه ومحذّرين غاية التحذير من ذلك . والمباشرين المذكورين صاروا مأمورين ان يتوجهوا الى عكا على وجه السرعة بالمنازل (ربما يراد بها مراحل) وبرفقتهم اربعة تاتارية من تاتارية الباب العالي وعلى هذا المنوال حضروا .

فاذ كان علي باشا والمشيرين عليه منتظرين حضور الاجوبة

---

(١) قد وصف هذه الثورة واعمال اصحابها وصفاً تاماً شاهد عيان في كتاب طبعناه باسم مذكرات تاريخية فليراجعه من اراد .

كمرغوبهم ويقايسوا الايام ويحسبوها واذا بواب عكا مصطفى عفاره حضر بسرعة لعند علي باشا واخبره حسب العادة بان اثنين من كبار رجال الدولة حاضرين من اسلامبول وصحبتهم هرتك كبير وخدم وحشم وبرفقتهم اربعة تاتارية من تاتارية الدولة لهذا الطرف . فاذ سمع علي باشا هذا الخبر اضطربت احشاؤه وقلقت افكاره وأمره بالاذن بدخولهم واستحضر حالاً باش جاويش وأمره على وجه السرعة باستقبالهم وفتح قوناقات معتبرة لنزولهم وتقديم كل ما يلزم ويقتضي واشتغل به قلق الافكار بهذا المقدار حتى انه من شدة الغم الذي دخل عليه تشوش في تلك الليلة .

فالمأمورين بوصولهم نزلوا في القوناق الذي فُتح لهم وتقدمت لهم كل اللوازم واستراحوا ذلك اليوم . وفي اليوم الثاني طلعوا لعند سليمان باشا لاجل السلام ولكي يعطوه الفرمان الملوكي . وطلعوا بجخَّة ودبدبة ودلال عظيم بهذا المقدار حتى انهم من القوناق الذي نزلوا به في السراي لحين وصولهم الى ديوان الوزير استقاموا زيادة عن ثلاثة ارباع الساعة وشحط بوابيجهم ينسمع صريفه من بُعد ثلث ساعة . واذ وصلوا الى باب ديوانه وصحبتهم الاغوات والجاويشية المعينين لخدمتهم نهض قايماً واستقبلهم الى باب الاوضة فاسرعوا حالاً وسجدوا لحد الارض لتقبيل اذياله فانهضهم من صدورهم ودخلوا سوية وجلسوا سوية فوق الحرامات المعدة لهم بالديوان . وبعد السلام حضرت حالاً الجبوقات وتنادى من باش جاويش على القهوة كالعادة وبعد شرب القهوة والترحيب بهم استقاموا حصَّة وقاموا الى قوناقهم لاجل الراحة ذلك اليوم .

فبعد توجههم اذ قرأوا الفرمان الشريف صمت المعلم حييم ولم يفه بكلمة واشغل روحه بغير اشغال وجعل نفسه كأنه اخرس ابكم اعمى اطرش والتفت الى شغله ودفاتره . واما علي باشا فسكت واخذته البهتة . واما سليمان باشا فقال الى ديوان افنديسي انا ما اعرف هذه الامور الذي اشار بها يدبرها ونهض قايماً ونزل الى حريمه . واما علي باشا فاخذه الاضطراب من هذه اللسعة وتحير كيف يعمل وصار وَيْله يداري سليمان باشا على هذه البلية وَوَيْله كيف يحتمل شماتة حييم وبما ان الضرورات تبيح المحذورات التزم بستعمل الحكمة ويغلب طبعه باستعمال الحكمة والتربص والصبر على مضض ذلك .

فبعد قيام سليمان باشا امر باخراج الخلق من خدم و كتاب وجعل الخلوة مع حييم فقط . وأمر بان يضع الجاويش الجوكلان [1] على باب الاوضة علامة للخلوة منعاً لمن يريد يدخل . وبعد حصة التفت نحو حييم وقال له يا معلم كيف هذه القضية . فقال له لا اعلم . فقال له و كيف الراي بتدبيرها . فقال له عبدكم رجل مأمور . كيف يصدر أمرك بتدبيرها نتدبر . فسكت حصة صغيرة ثم قال له يا معلم الخطأ يقع من عين الصواب وانا تحققت وعرفت ان الذي وقع خطأ . ولو سمعت رايك ما كنا وقعنا في هذه البلية وانا مقر ومعترف . ولاجل خاطري سامحني هذه المرة وحرك غيرتك . وجميع الذي تريد تقوله انا عارفه كأنك قلته

---

(١) الجوكلان ستار من نسيج ثقيل يرخى على الباب ليحجب النظر عما في الداخل .

وزيادة . والان ما هو وقت العتاب فمن خاص العتاب ان يوضح الانسان حقه . فانا عرفت حقك وأقرّ بسقامة رأيي والسلام . فلا تفتكران هذه القضية توقعت بداهة من طرف الدولة فانظر ما يحسن برأيك من الهمة والغيرة بصرف هذا المشكل وافعله واجتهد به .

حينئذ حييم تمنى واستغفر وتواضع ثم قال بحول الله افندم هذه القضية بانظارك سهلة فارجو ان يكون فكركم بغاية الراحة منها . وهكذا رجعوا لحال الصفا والمسايرة . وعلي باشا اطمأن واستراح فكره بنوع ما وانشرح . وبعد ساعة زمان قال لحييم ها انا متوجه مستريح فانت حرك غيرتك والله تعالى يخليك لنا ثم توجه الى سرايته . ومن بعد هذا قام حييم ونزل الى اوضته وتغدى ونام كعادته وعند العصر جلس وارسل طلب ديوان افنديسي واجتمع معه وتحادثوا بهذا الخصوص . فوجد ديوان افنديسي بحال الوهم الكلي من هذه القضية وحسبما فهم من المامورين انها صعبة جداً واورد له مقال علي باشا وما حصل بينه وبينه وقال له صار مقتضي ان نتكاتف ونبذل الجهد بصرف هذه القضية ليس فقط للواجب علينا من الصداقة بل لاجل خاطر علي باشا الذي هو كان سببها . فديوان افنديسي بما انه كان يحب علي باشا محبة مفرطة قال للمعلم حييم كيف متحسن عندك وماذا تريد مني ان افعل قل لي كي امشي كما تفيدني وكما تريد مني ولو كان بفقد حياتي .

وبما ان احد المامورين الواردين مع سليم باشا هو قريب له وسليم باشا صاحب حبيب له ظن حييم ان ديوان افنديسي يقدر ان يتكلم معه بما يفهمه اياه بدون خجل ولا تأخير . حينئذ حييم اوعبه ما يلزم ان

يتكلم ويتوجه لمخاطبتهم وبعد نصف ساعة هو يتوجه ويتساعدون ايضاً بما يتذاكرون فيه . وهكذا ارسله فتوجه الافنديسي وتكلم كما تفهم وقرَّب وبعَّد وجعل كلامه قاعدة اساس واذ هم بالمذاكرة حضر حييم وجلس وبدأ يتكلم ويورد لهم احوال الجزار وظلمه وكيفية اصل هذه المطاليب و كيفية تحريرها بالدفاتر و كيفية الاتعاب والمشقات التي حصلت وقت راغب افندي لحين ركز امر قسطها و كيفية المعروضات التي تقدمت من اهالي الايالتين وضاعف التوهيم خصوصاً من اهالي الجبل الذين يطلب منهم الجزء الاعظم وانه من المستحيل ان يتوفق فك القسط . واذا سمعت الرعايا بانحلال القسط يقطعوا امالهم من مراحم الدولة ويستعدوا للعصيان ومتى نفرت الرعايا فامر معلوم ان البلاد تخرب وتتشتت احوال السكان . وعدا هلاك المطلوب تهلك الاموال الميرية التي هي اضعاف مضاعفة عن المال المطلوب وتخرب الايالتين وتعود الدولة تلتزم ان تتكبد مصارفات شاقة واموال جسيمة لرد الرعايا الى الطاعة . وهيهات ان يحصل ذلك بعد سفك دماء الاسلام

واذا قلتم على الوالي حسب منطوق الامر دفع المال من عنده وانه تفوض بتحصيله حسبما يستحسن فهذا نعم يتم والوالي لا يخالف الارادة الملوكية ولو كان يبيع موجوداته وباستقراضه حيث حال فقر المنصب امر مشهور . واورد لهم كيفية دخول سليمان باشا على المنصب بحالة الخراب الكلي من حال الجزار وبعده اسماعيل باشا وابرهيم باشا وكيف انه في ذلك الاثناء تكلف من الدولة بما فوق طاقته بتعيين العساكر لمحاربة ابو مرق ومقدار مبالغ الاموال التي تكبدها لهذه المصلحة

وكيف انه وجد منصب غزة بغاية الخراب والدثار وايضاً من احوال محمد باشا ابو مرق وظلمه ومقدار الاموال التي استدانها لاجل اصلاح بشللة احوال الرعايا وكيف كان حينئذ بغاية الاتعاب والمضايقة لنظام حال المنصبين . وكم تكلف ايضاً لمحاربة يوسف باشا . وهذا جميعه صودف بظرف اربعة سنين من جملتها صودف في سنتين محل كلي بالبلاد بالتقدير الرباني من عدم الامطار . وانه التزم في السنتين مع السنة التي انفتحت فيها عكا ان يطعم الرعايا والفلاحين من كيسه واضطر لان يعطيهم ذخيرة قلعة عكا الخصوصية . ولحد الان المنصب بارك تحت مبالغ ديون جسيمة .

وان شئتم وامرتم نطلعكم على حساب المنصب من ابتداء سنة ١٢٢٠ لحد الان بايراداته ومصاريفه ومقدار الديون المطلوبة منه لاربابها لكي تتحققوا الواقع بحقيقته على هذا الوجه ومع معرفة الرعايا ان واليها في هذا الحال لكون لا محل من محلات ايالات صيدا وغزة الا وباقي عليه بقايا من سنة الى سنة وغير مقتدرين على وفائها وعمال يتكلف بالضرورة دفع الاموال المطلوبة للخزينة الملوكية بتمامها بوجه القرضة من ههنا وهنا . ومع كل هذه العناية والمساعدة الحاصلة بحقهم فعمال يتثقلوا ويتضايقوا بزيادة من الذي يمكنهم دفعه . فاذا سمعوا ان التقسيط بطل والوزير التزم ان يدفعه من عنده وهم صاروا ملزومين ان يدفعوه له حسب استحسانه فمن الذي يقدر يضبطهم عن الخوف وعن الهريبة او عن تخريب البلاد . فانا وهذا الافندي نعم اننا خادمين عند سليمان باشا الا اننا بنفس الامر عبيد الدولة العلية وخادمينها

وملتزمين ان نبدي صالحها ليس على صالح سليمان باشا بل على صالحنا الخاص . وهذا الامر الله تعالى يشهد به . فنحن بحسب صداقتنا قصدنا نعرض لديكم الواقع والنتايج التي تحصل بوجه الصدق والاستقامة . وبعده على كل حال كل شيء راجع لامركم واستحسانكم . ثم صمت الاثنان . والمامورين ايضاً ما احبوا الجواب . واذ قارب الغروب استأذنوا للقيام ونهضوا وعند خروجهم قالوا لهم في هذه الليلة نحن نفتكر وغدا بعد الظهر احضروا لنعمل مذاكرة قبل الشروع فتمنوا وتوجهوا .

وثاني يوم صباحاً بدري حضر علي باشا واجتمع في ديوان افنديسي اولاً قبل حضور حييم وساله عما توقع فاورد له ما جرى بالتدقيق فانحظ علي باشا واطمأن نوعاً . ثم بعده حضر حييم فسأله وحكى له .

واذ سأله ماذا عزم ان يعمل . فقال له الذي يدبره الله يتم . فسكت واحتمل ذلك بلذة وصبر جميل . وبعد الظهر توجه الافنديسي وحييم حسبما أومروا وبوصولهم جلسوا عندهم وتحادثوا اولاً حديث مجاملة ثم ابتدأوا بالمذاكرة ورجع حييم يورد صنوف الاضرار الجسيمة التي تحصل من اظهار هذا الامر فضلاً عن انفاذه ويبرهن عدم امكانية انفاذه بوجه من الوجوه واوضح الضرر العظيم الذي يحصل للدولة من اظهار هذا الامر وخراب الديرة وبالخصوص اورد احوال اهالي الجبل وخشونة اخلاقهم واطباعهم واوضح لهم ان مبلغ الستة عشر الف كيس المطلوبة منه التي تقسطت ليست باقية على الاهالي من اموال الميرية حتى اذا أنفك عنها القسط وانطابت بحسب الامر يصير وجه

لاقناعهم ان هذا مال ميري ما فيه ما يقال او ان ابقاه عندهم هم السبب له بل هذه اموال جرايم وعبوديات كانت تترتب على الامراء والحكام لاجل نوال حكومة الجبل . مثلاً قد يكون الامير بشير حاكماً فيحضر احد اولاد عمه ويطمع بالحكم ولمعرفته بحال ظلم الجزار وغدره وعدم ثباته على حال وعدم امنيته من احد يحرر له اعراضاً ويطالب الحكومة ويدفع عليها عبودية للخزينة مبلغ مال كذا عدا مال الميري والجزار نظراً لحاله وطمعه يأمر بتوجيه الحكومة عليه حالاً بدون تمييز ولا فحص ولا ملاحظة حال الرعايا ان كان هذا الرجل امين عليها او غير امين موافق او غير موافق مقتدر على دفع المبلغ او غير مقتدر . وذاك يبادر حالاً لظلم الرعايا بتحصيل مطاليب الميري وتحصيل العبودية التي تعهد بها وليصرف على نفسه ويصير يدفع من بعضها . فالذي يرسله يتقيد اولاً من مال الميري . واذ يحصل الجزار منه المقصود فاما ان يعزله ويولي غيره بعبودية جديدة او ان غيره يلاحظ قصوره فيحرر اعراضاً ويقدم عبودية ويلتمس الحكومة وهكذا يأخذها وتقيد بالدفاتر فوق مطاليب الجبل . والاهالي في هذه الاحوال يتغرموا بدفع الاموال الشاقة المضاعفة . وهكذا استمرت الاحوال من امير الى امير ومن سنة الى سنة الى وفاة الجزار .

فرعايا الجبل مع فقرهم وخشونة اطباعهم وغلاظة اخلاقهم ومع معرفتهم ان هذا المبلغ لا يخصهم ولا يلزمهم وان الاموال الميرية المطلوبة منهم مدفوعة بالتمام والكمال بل هم متغرمين بها اضعاف مضاعفة عنها التزموا بعد صنوف الجهد والاتعاب الكلية لان يقبلوا بتقسيط هذا

المبلغ عليهم ويتجرموا به جرماً مضاعفاً فلا يرتضوا بان تنفك رابطة قسطه ويصيروا ملتزمين بدفعه بحسب رضا الوالي . ومن الذي يقدر يمنعهم عن رفع علامة العصاوة . واذا لا سمح الله تظاهروا بالعصاوة هل تظنوا سعادتكم ان الدولة العلية مع كل اقتدارها وقوتها تقدر ترجعهم لدايرة الاطاعة . هذا أمر مستحيل . ومتى تظاهروا بالعصاوة فالّا كامل الديرة والبلاد ينحازوا اليهم ويتكاتفوا معهم وباقرب من لمح البصر يخرب الملك العثماني بعصاوة الاهالي وتحتاج الدولة بالضرورة ان تتكبد صرف الاموال الكليــة غير المحتملة لملافاة ذلك ويلتزموا ليس فقط لترك هذا المال والسماح به بل الى صرف اضعافه اضعافاً مضاعفة عنه . هذا عدا انه اذا تبعتهم اهالي ديرة الشام وطرابلس وغزة تتعطل مصلحة الحج الشريف وتتضعضع احوال الاسلام .

فافندينا سليمان باشا يقول وقد أمرنا ان نحضر لعند سعادتكم قبل ظهور الامر ونورد لكم عن لسانه النتائج الردية التي تحصل بسبب هذا فان شئتم تتبصروا بها وتتمعنوا بالصواب وتراعوا مصلحة الدولة العلية وحال بلادها ورعاياها وتتمعنوا باسباب الخلل المضرة لها وتمعنوا النظر بما يوافقها . فعلى كل حال انتم وهو رجالها وخدمها ان اردتم انفاذ الامر الشريف حرفيــاً وما التفتم الى هذه المقولات فالخاطر والامر لكم . وهو يقول انه رهين ارادتكم ورهين أمر الدولة . فان شاءت ان يحرث بلادها بالسكة والفدان فبالحال يمسك السكة بيده ولا يتأخر دقيقة بشرط ان جميع ما انعرض لكم عن لسانه يتحرر بالورق ويتقدم لكم وانتم تجاوبوا تحته بخطكم تحت امضاكم واختامكم بعدم

القبول. وحينئذٍ يفعل حسبما تريدوا. وبغير ذلك فلا يمكنه يفعل شيئاً حتى لا يدع احداً يدري بادنى اشارة عن مأموريتكم هذه. وحينئذٍ هو يقدم الاعراض للدولة العلية ويوضح الكيفية مع هذه المذاكرة ويبقى الامر لمن له الامر. ويقول ايضاً انه اذا فرضنا انه اعرض للدولة وما قبلت فلا يهجع عن تكرار المراجعة مرتين وثلاثة واربعة. اذ انه أمر معلوم ان الحاضر يرى ما لا يرى الغائب. لئلا اذا حصل بالديرة ما يلام عليه لا يعود عليه ملام بما حصل حيث انه امين الدولة على رعاياها.

فبعد ايراد ذلك جميعه صمت المأمورين ولم يجيبوا بكلمة واحدة. واوليك بعد نصف ساعة زمان اذ لم يسمعوا منهم جواباً استأذنوا على القيام ونهضوا. وعند قيامهم قالوا لهم غداً تحضروا ونتذاكر وتوجهوا.

وثالث يوم حضروا وابتدأوا بالمذاكرة. فابتدأ حييم يتكلم بما اورده امس وضاعف التوهيات. وصار يعدد لهم احوال الجبال واحوال اهالي ايالة صيدا وكم مقدار من الاتعاب والدموم التي سفكها الجزار حتى قدر بنوع ما يمنع عصاوتهم ويكبح جسادتهم ويشرح لهم معاصي البلاد وشرود اهاليها ورداوة اطباعهم وعدم معرفتهم شكل الموت وعدم خوفهم منه. وحصل ترديد الكلام فيما بينهم في هذا النهار بخلاف عن اليومين السالفين لانهم صاروا يسألوا ويفحصوا. وحييم اذ وجد السبيل لغايته لما كان مستحضراً عليه اعطى اشارة الى ديوان افنديسي بالتوجه فقام المذكور وبقي حييم وحده. واذ أخذ سبيلاً لمطاولة الكلام صار يتكلم بما يوافق لبلوغ المقصود وبعد هنيهة غيَّر السيرة

وبدى بغيرها وجعلها وسيلة لتقديم ما معه واذ تمكن من غايته اخرج خاتمين من الماس معتبرين وقدمها لهما فاخذوهما واظهرا له المحظوظية .

وبعد ذلك دخل من باب ثاني واورد لهم وفور عبوديته وانه من هالقدر ايام يتمنى ويطلب من الباري تعالى ان ينال شرف عبوديتهم فان شاؤوا عبوديته فهو يخدمهم بما يفوق طاقته بحيث يجعلهم محظوظين منه . فحينئذ مالوا اليه ولاطفوه ووعدوه باتمام مرغوبه منهم . فحينئذ اقسم لهم باقسامات مغلظة ان جميع ما انعرض لهم هو جزء مما هوملحوظ وقوعه . وانه اذا لم يميلوا لما انعرض لهم وارادوا تمشية الامر فاولًا الوالي لا يقبل الا بموجب الشرط الذي طلبه . ثانياً لا بد من مراجعة الدولة بالتكرار . فان قبلت الدولة معروضاته وان ما قبلت فمن المعلوم انه لا ينتج لهم من ذلك ادنى منفعة خصوصية خصوصاً اذا كانوا يشرحوا له حسبما هو طالب . وفيما بعد الدولة تقبل معروضه وهم يصيروا فارغين الامال منه بالكلية . وجعل روح كلامه كانه نصيحة بحقهم وحب كلي لصالحهم . واما اذا انعمل طريقة حسنة بصرف هذا المشكل فاولًا الدولة تقبل به ثانياً يحصل منه الممنونية للوزير ثالثاً تكونوا عملتم خيراً عمومياً رابعاً يكون هذا الفعل هو صالح الدولة العلية واجعلوني انا عبدكم بهذه الخدامة . حينئذ استمالوا لقوله وسألوه عن الطريقة المقتضي عملها وكيفيتها فاورد لهم كيفيتها .

وهي ان يتقدم منهم تقرير الى سليمان باشا مستوفي الشرح بطلب المامورية الواردين بها والمسارعة فيها . وسليمان باشا يجاوبهم عنها بايراد كامل ما يلزم ويقتضي مما انشرح لهم لساناً وزيادة . لانه من المعلوم ان

القلم يتكلم باضعاف اللسان . ويطلب منكم ان تمضوا السند بامضاكم واختامكم . وانتم تشرحوا عليه للباب العالي وتروهم جسامة الامر وما ينتج عنه مما تحققتموه وانكم بناء على ما لاحظتموه من وقوع الاختلالات الباهظة ما تجاسرتم ان تبدوا ولا تعيدوا بشيء قبل الاستئذان وصدور الامر . ويتقدم ذلك الى الباب العالي صحبة جفت تاتار مخصوصين . وعند حضور الجواب فان كان كالمرغوب فهو المراد وان كان بخلاف ذلك فلكل حال مقال .

حينئذ قالوا له قوي عظيم واذا تم هذا وحررنا وارسلنا كما تقول وحضر الجواب بالايجاب ماذا ينتج من سليمان باشا . فبعد مراجعات كلية تعهد لهم بخمسمائة كيس لكل واحد مايتين وخمسين كيس عدا اكراميات اتباعهم . وقد قبلوا وشكروه . وهكذا بعد ان تم ذلك نهض وتوجه دغري لعند علي باشا واعرض عليه ما توقع فانحظ علي باشا من ذلك كثيراً .

وثالث يوم تمموا تحرير التقرير الى سليمان باشا وبنوه بناية جميلة لا يلاحظ منها ادنى اشارة الى الرابطة وقدموه له وبعد يومين تحررت عليه الاجوبة اللازمة بشروحات مستطيلة حاوية ساير الوجوه المفيدة عن الاضرار والخراب ودثار الديرة والرعايا ووجوب وقوع العصيان منهم واوضحوا الاضرار الجسيمة التي تلتحق بالدولة العلية من ذلك وطلب منهم السند واوضح خضوعه واطاعته لامر الدولة باتمام كل ما يؤمر به غب اخذ السند منهم . والحاصل وفى وكفى الشرح بساير الانواع اللازمة وارسله لهم . وهم حرروا حالا المعروضات المقتضية حسبما

يفهموا مزاج الدولة لتأخذ مفعولها . وبالحال سيروهـا صحبة جفت تاتار مستعجلين وبوصولها واطلاع الدولة عليها بالحال ارجعوا لهم الجواب بان يقوموا حالا ويرجعوا للاستانة ولا يتعرضوا لامر القسط ولا بادنى اشارة . ولا يدعوا احداً يشعر بمأموريتهم ومدحوا حسن تصرفهم مع الوزير باستعمال التمهل . ثم ارسلوا تحريرات الى سليمان باشا مديح وثناء عن حسن افعاله . وان القسط يبقى كما هو . واما امر السماح به او بشيء من المـال المطلوب فهذا غير ممكن بوجه من الوجوه لانه حسب ما افادوه مراراً تقيّد بالدركنار الملوكي وابطاله من المستحيلات وان صدور هذا الامر كان لاجل التماسه فك رابطة القسط الذي هو عملها والتمس قبولها . وحيث الدولة العليـة لاحظت ان من فك هذه الرابطة ينتج اضرار جسيمة للرعـايا ويتضايقوا بسببها فلاجل رفاهيتهم وداوم استجلاب دعواتهم الخيرية صار صرف النظر عن فك الرابطة المرقومة وابقاء كل شيء على حاله مرحمة بحقهم وا كراماً لوجه الله .

فاذ حضر الجواب انسروا المأمورون و كذلك سليمان باشاوبا كثر من ذلك علي باشا . وحينئذ توجهت الخمس ماية كيس وتقدمت لهم ثم اعطي الانعامات اللازمة لاتباعهم . ربعد كم يوم استأذنوا من الوزير وتجهزوا ورجعوا الى الاستانة العلية . وحينئذ سليمان باشا صار يشكر الله على خلاصه من هذه البلية .

فالمعلم حيم حينئذ امتلك غايته وتفرنس [صار فارساً] بنوع ما وصار منتظراً الوقت الملايم لاشفاء غليل قلبه اذ تحقق ان سليمان باشا صار بغاية الممنونية له من هذه القضية . وعلي باشا انكف بنوع ما عن

ملاحقته ومضايقته الاولى واطمأن قلبه .

واما مسعود الماضي لما عرف بحضور المأمورين وصحبتهم ذاك الفرمان ركب من عكا بالحال والساعة من دون توقف وتوجه الى ساحل عتليت واستقام بكل رعدة وخيفة من نتائج هذا الامر وبقي هناك لبعد قيام المأمورين وكان يرسل سراً من يعتمد عليهم كعبد الحليم العدوي وغيره يسأل عن ذلك واخبروه بكيفية توجههم . فتمهل مقدار عشرة ايام الى ان تنسى القضية وحضر الى عكا وتوجه تلك الليلة عند علي باشا وما قدر ان يفتح هذه السيرة ولا علي باشا اعطاه سبيلاً لفتحها وربما نظر من علي باشا لوايح الغم من نحوه .

فثاني يوم طلع للسراي قبل اذيال سليمان باشا وجلس حصة زمان ثم خرج وبقي يتردد ههنا وهنا تارة عند عبد الله باشا وتارة عند كاتب العربي وتارة عند غيره الى ان قام سليمان باشا وعلي باشا وتوجهوا لحريمهم ظهرية النهار بعد خلاص الاشغال كعادتهم . وبقي حييم بمكانه وصار يحضر لعنده من لهم اشغال ومصالح ويجلسوا . فمن الجملة حضر مسعود وجلس كعادته بعد ان سلم واذ صار الحاضرون يتصاحبوا بما عندهم من الكلام تعرّض مسعود كحسب عادته بعدم تمييز الى قضية لا تخصه وصار يتكلم بها ويعايط الغريم بالمعارضة . فاذ ذاك تعرض له حييم ونفر فيه وبدأ يصرخ عليه باعلى صوته ويكدره بالكلام المر بقوله له كل واحد منكم يبقى حمار ما يعرف الدنيا ايش هي ولما يمن عليه الباري تعالى ويشلح المداس من رجليه يظن بنفسه انه صار شيئاً من الاشياء ويصير يجلس بمجالس الوزراء والحكام ويتعارض

بامور لا تخصه ولا تعنيه ويفتح باجوقه بغير ان يميز ما يخرج منه .
وبرداوة اطباعه يقحم الحكام على فتح ابواب تضرها وتضر عباد الله .
وما يعرفوا حدهم ولا ايش هم . وانما الحق ليس عليهم لانهم ناس
فلاحين بهايم بجم بل الحق على الحكام التي تجالسهم وتسمع منهم
وتقول قولهم . عليم الله تعالى وشهيد الله لولا الخوف من الله وليلا
يقال حييم وضع عقله قبال عقل فلان قليل الادراك لكنت اوريك
كيف اعمل معك يا قليل الحياء يا طويل اللسان يا خاين . قم كلف
خاطرك اطلع لعند فلاحيك وجالسهم . واعرف وحقق انه بعد الان
عليم الله تعالى وحياة راس افندينا ان سمعت او بلغني انك رجعت
وتعرضت لامور لا تعنيك تبقى تعرف ماذا يصير لك وتعود تلوم
نفسك والسلام[1] .

فمسعود بعد هذا الطابق صمت ولم يفتح فاه بكلمة . بل وضع
راسه بالارض وهو راكع على ركبه . وبعد مقدار ربع ساعة تمنى وقام
فقال له بصوت عال مع السلامة . وتوجه مسعود وغالباً اورد لعلي
باشا ما صار . وعلي باشا امره بان يطلع ويرجع لساحل عتليت ولا
يرجع الا بعد شهرين ثلاثة وهكذا توجه وغاب

---

(١) تجاوز المعلم حييم بهذا الشتم البليغ القاسي للشيخ مسعود اغضبه اشد الغضب وحفظه له ضغناً في قلبه حتى انه بعد موت سليمان باشا وتولي عبد الله باشا مكانه عظمت مكانة الشيخ مسعود حتى حمل عبد الله باشا على قتل ولي نعمته المعلم حييم شر قتلة كما هو معلوم لانه كان اول الساعين في امر توليه لولاية صيدا . راجع خبر قتله للمعلم حييم تاريخ مخائيل الدمشقي صفحة ٩٣ .

﴿ تلقيب ابن مسعود الماضي بلقب بك وابطالها ﴾

وفي سنة ١٢٢٩ لما تمكن مسعود الماضي من حب وميل علي باشا له كما قدمنـا فبما انه فلاح فرأسه ما حمل زوله وبدأ يتغضغض قدام الناس ويمدح ذاته ويجعل نفسه كأنه أخ لعلي باشا وانه عنده على كل شيء قـدير . والناس لنظرهم كثرة تردده عليه كانوا يصدقوا توهيقاته . ولذلك صار الخلق وخصوصاً الفلاحين يعظِموه ويفخِموه . واخيراً دعوا ابنه عيسى بك وصاروا ينادوه يا بك ودرج عندهم لقبه عيسى بك مدة ايام ومسعود لخفته وعدم ادرا كه قبل على نفسه هـذه المكبرة من الفلاحين وعامة الناس لكن لم يكن يستطيع يوردها بمسامع الحكام مع معرفته الاكيدة انهم اذا سمعوهـا لا يجاروه عليها . وابنه على ولدنته انحظ من ذلك وعرض جثته وصار ينبسط لما يسمع عن نفسه انه صار بك من الفلاحين . فبعد مدة سبعة او ثمـانية شهور بلغ ذلك مسامع سليمان باشا . فاذ سمع اغتاظ جداً وارسل واحداً من طرفه يقول لمسعود ان افندينا يقول لك انه من الان وصاعداً اذا سمع احـداً قال لابنك او قال عنه بك يأمر بقطع رأسك ورأسه والسلام . فمسعود خاف من ذلك ورجع وبدأ يجتهد بابطال هذا اللقب من فم الفلاحين بحيل تجعل الناس لا تعرف الواقع وبكل رعدة باقرب وقت تلاشت عنه تلك البيكاوية ورجع الى ما كان الشيخ عيسى وكانت عنده هذه اعظم من فقد حياته وانما كان يستعمل المحايلة والبوليتيكا حفظاً على ذاته .

وكان مكروهاً ليس من المعلم حييم وسليمان باشا ودايرته فقط .

بل من نفس عبد الله باشا ووالدته . وذلك لاجل انه بمدة تردده على علي باشا كان يحركه على الزواج بغير والدة عبد الله باشا . وكان دائماً يورد له المثل كثر الفروج يكثر عليك السروج . ولاجل ملاحقته هذه اشترى علي باشا سريتين بيض وتزوج بهما ووضعهم في سراي سليم باشا وكان يحبهم وصار يتردد عليهم اكثر من والدة عبد الله باشا وعلى ما قيل ان سبب تعجيل موته كان من زيادة انشغافه بهما .

﴿ عمل سبيل ماء الدركة في بيروت ﴾

وفي سنة ١٢٢٣ كان في بيروت رجل مسلم تاجر يسمى .. وما كان له ولد وفي هذه السنة اذ حان وقت وفاته عمل وصيته ومن الجملة اوصى باعطاء اثنين وعشرون الف غرش من مال تركته مصروفاً لجلب ماء الدركة [1] لبيروت . واذ توفي بدون وارث فالمتسلم اجتمع مع القاضي وختموا على بيته ومتروكاته واعرضوا عن ذلك الى سليمان باشا وسليمان باشا اصدر امره لمتسلم بيروت بجمع متروكاته من كلي وجزئي وعمل دفتر بها ممضي من الشرع الشريف وارسال صك الوصية مع الدفتر لعكا . واذ حضر المتسلم لضبط المتروكات واطلع على الوصية الموضوعة بين اوراقه قدّم الاعراض الى سليمان باشا والتمس امره بما يحسن بذلك . فسليمان باشا اذ فهم هذه الخيرية مال

---

(١) انقطع اليوم هذا السبيل الذى كان الماء جارياً فيه من اصله من المحلة المعروفة اليوم براس النبع فان جلبه من هناك الى مدينة بيروت امر عظيم في ذلك العهد اذ لم يكن فيها مياه جارية كما هو معلوم

خاطره لاتمامها وحالاً اصدر امره لمتسلم وقاضي ومفتي ووجوه بيروت بان يأخذوا المبلغ من اصل التركة ويبادروا لجلب الماء المذكور للبلدة واذا صرفوا زيادة يعرضوا عنه ليصدر أمره بدفعه من الخزينة وهكذا تم وبادروا لجلب الماء الى بيروت من مال الرجل وزاد المصروف عن المبلغ نحو خمسة ستة الاف قدموا به دفتراً ممضياً من الحاكم الشرعي وبموجبه صدر امره بصرفه من الخزينة اشترا كاً له في هذه الخيرية .

﴿ وفاة علي باشا ونصب ابنه مكانه ﴾

سنة ١٢٣٠ في هذه السنة توفي علي باشا كتخدا سليمان باشا . وذلك انه تشوش بمرض السل بما انه كان نحيف الجسم جداً وزاد عليه انه برأي سليمان باشا اشترى سريتين كرج وتزوج بهما ووضعهما في السراي المسماة بسراي سليم باشا في عكا خلاف الدار الموجودة فيها حرمته والدة عبد الله باشا واولادها . وصار يتردد عليهما بكثرة ورغب بمعاشرتهما جداً . وبما انه نحيف الجسم وصار متقدم بالعمر واولئك فتيات استحكم به المرض وبركه وبمدة قريبة لاشاه وتوفي في الدار التي فيها حرمه الاولى واولاده .

﴿ المرشحين للوظيفة العالية ﴾

وقبل وفاته اجتمع بالمعلم حييم وترجاه بملاحظة ولده عبد الله بك لعلمه الاكيد ان كثيرين من جماعة سليمان باشا منتظرين وفاته لاجل يأخذوا وظيفته واولهم كان محمد اغا ابونبوت متسلم سنجاق غزه ويافا . فهذا بما انه كان من مماليك الجزار كان يعد نفسه من العيلة وانه

مساوي الى سليمان باشا وعلي باشا ولاجل هذه الغاية كان كثير الكرم على دايرة الوزير والمصادقة معهم و كثير الهدايا والكرم على ضباط العساكر محافظين عكا خصوصاً علي اغا طوبجي باشي . فكان يوده جداً ويهاديه دائماً حتى ان الجميع داخلاً وخارجاً صاروا يحبونه ويميلون اليه ويشتهوا حكمه .

ثانياً كان مصطفى بك ابن أخي سليمان باشا الذي حضر لعنده من بلاد الكرج في سنة ١٢٢٦ وعرفه وقبله واتخذه كابن له .

ثالثاً مصطفى ابازه فهذا كان قد اشتراه اولاً علي باشا مملوكاً واستقام عنده مدة . وفيما بعد سليمان باشا اشترى سرية ابازه وبعد ان تزوجها واستقامت مدة عرفت مصطفى المذكور انه اخوها واخبرت مولاها سليمان باشا وسليمان باشا ارسل طلبه من علي باشا . فعلي باشا تردد عن اعطاءه لا معزة ولا لمعرفته انه أخ سريته بل افتكر ان سليمان باشا لما نظره ووجده جميلاً احبه محبة ردية وطلبه بهذه الدعوة فتردد عن ذلك كفاً ومنعاً لفعل الاثم فسليمان باشا اذ نظر تردده غضب وارسل له كلام قاسي جداً ...[1] حينئذٍ لما تحقق علي باشا القضية حالاً ارسل حرمه والدة عبدالله اذ كان سليمان باشا يميل اليها ويكرمها وارسل معها مصطفى المملوك المذكور وهدايا مجوهرات لشقيقته ولباقي ستات الحرم . وأمرها بان تقدمهم وتستعطف خاطره وتلتمس قبول عذره بعدم معرفته الواقع .

---

(١) ذكر المؤلف هنا كلاماً فاحشاً لسليمان باشا لم نحب ان ننقله تأدباً ورعاية لاداب القراء .

وهكذا توجهت تلك الخانم وقابلت الوزير وقدمت المملوك والهدايا . وقدمت العذر واستعطفت خاطره . فبعد ان عاتبها قبل وراق خاطره كأنَّ هذا الشيء ما كان .

فهذا مصطفى اباره بعد ان استقام عندالوزير ولاجل خاطر شقيقته اذن له بالدخول على الحرم ورتب له معاشاً بزيادة عن باقي مماليكه قعد فيه ومزق حواشيه وتفوق واستكبر وتعظم وماع كانه الدبس السايل حتى انه ما عاد يرتضي ان يساوي نفسه في عبد الله بك ابن الكتخدا ولا في مصطفى بك ابن اخ مولاه . بل صار يجعل نفسه فوق الجميع ويطلب الكرامة والاعتبار والتبجيل من الجميع باضعاف ما يلزم له غصباً . وصار عنده كراهية مجانية ردية بحق سيده الاول علي باشا وحق ابنه وعائلته بهذا المقدار حتى لو قدر لقتلهم بيده ودائماً كان يتظاهر بعدوانهم .

﴿ مأتم ودفن علي باشا ﴾

فاذ مات علي باشا اغتم عليه سليمان باشا وتكدر وحزن حزناً مفرطاً وحالاً قام ونزل الى سراي حرم علي باشا وعزى امرأته وبناته ولاطفهم وسلّاهم حتى تمموا غسله وتكفينه وحملوه بكل احتفال ومشي قدامه بكل وقار باظهار الحزن ومضى معه الى الجامع . وبعد ان صلوا عليه خرج قدامه الى المدفن خارج عكا في تربة النبي صالح وجعل له مدفناً خصوصياً ووقف على رأسه لحين دفنوه . وبعدها قدموا له الحصان فركبه ورجع الى عكا وكامل الدايرتين بخدمته وبجانبه عبدالله بك ابن

المتوفي . والجميع من الدايرتين الاماثل كانوا يفتكرون بعد وصوله الى السراي ان ينصب ابن اخيه كتخدا اومصطفى ابازه المذكور او بعد يوم او يومين يفعل ذلك او يرسل يستحضر محمد اغا ابو نبوت وينصبه وهذا كان الظن الاقرب عند الخلق كلهم .

﴿ تنصيب عبدالله مكان ابيه ﴾

فاذ وصل سليمان باشا الى السراي فعند وصوله الى الدرج نزل عن الحصان وطلع الى محل ديوان الحكم المعتاد واذ وصل وقف في صدر الايوان الذي قبال باب اوضة الحكم وهو المحل المعتاد لعمل الديوان يوم العيدين لمعايدة الخلق للوزير ويوم قرآءة فرمانات السلطنة السنية صمت ونظر الى المخلوقات . واذ نظر ان ساير المستخدمين مع ضباط العساكر وجماعتها حضرت لان المحل كان واسعاً جداً والخلايق كلها واقفة لوقوفه وصامتة لصمته وعبد الله بك واقف متمثل من جملة الخدم . تقدم من محل وقوفه ووضع يده على كتف عبد الله بك وقال باعلى صوته بمسمع الجمع ان علي باشا ما مات . هذا علي باشا . وهذا عندي اعز من علي باشا . وهذا عمدتي . واومى باحضار الخلعة الفاخرة فباللحظة حضرت والبسها له بيده ووضعها على اكتافه . فحالا صرخت جاويشية التبريك باجمعها بصوت عالي بالدعاء والتبريك وحالا عبدالله بك انطرح على اقدامه وقبلها والقاضي حالا رفع يديه وعمل الدعا للوزير . ومن بعد الدعـا نزل سليمان باشا دوغري لعند والدة عبدالله بك وعزاهـا ايضاً وطيب خاطرها مع بناتها ومن هناك طلع الى حرمه . وقبل نزوله امر

عبد الله بك ان يقف بمكانه ويجلس لقبول التبريك من الجميع . فوقف حسبما أمر وتقدم جميع الدايرتين وضباط العساكر وباركوا له حتى انه مابقي احد لا كبير ولا صغير . ثم نزل من السراي وتوجه عند والدته وبقي عندها كمالة ذاك اليوم وتلك الليلة .

﴿ موقفه في السراي مع سليمان باشا دون والده ﴾

وثاني يوم صباحاً حضر الى سراي ابيه الثانية ودخل عند سراري ابيه وعزاهم وسلاهم . وبعد قدر ساعة زمان حضر الى ديوان سليمان باشا وجلس مكان ابيه وتسلم الوظيفة . وانما ليس كما كان يجلس ابوه لان اباه كان له طراحة خصوصية بجانب طراحة سليمان باشا . وكان لما يدخل ينهض له سليمان باشا ويأمر له بجبق الدخان والقهوة . ومن بعدها يصير دخول الجبوقين سوية ومناولة القهوة سوية ويجلس متكياً نظير الوزير بكل راحة . والذي يحضر يقبل اذيال الوزير اولاً ثم يقبل ثانياً اذيال علي باشا بالسوية . وكان يأمر وينهي بحضور الوزير بامر بات بدون تمييز .

فهذه جميعها بطلت لانه حينما كان يدخل يكون دخوله كدخول باقي الخدم بكل وقار . واذ يقف في صف الخدم يومي اليه حالاً سليمان باشا بالجلوس فيعمل التمني ويتقدم يجلس داكعاً على ركبه بدون طراحة على الدوشك . فيأمر له سليمان باشا بالقهوة بدون جبق دخان فيشربها لافتاً وجهه الى ناحية ثانية بالاحترام . ولا يستطيع ان يتفوه بشيء بدون ان يؤمر ولا احد يقدر يقبل ذيله او يده قدام الوزير . وبعد ان

يستقيم حصة ويشرب القهوة يستأذن ويقوم يتوجه الى ديوانه الخصوصي وهناك يسمع الدعاوي المفوض اليه استماعها . وحينما يلزم حضوره للاختلاء والمشاورة يُطلب خصوصياً . واذا لزم له قضية يحضر ويجلس بموجب الامر ويقضيها وينهض يرجع الى محله . وهكذا كان مسراه وسلوكه الى وفاة سليمان باشا . وبعد قيام سليمان باشا من الديوان ونزوله الى دار حرمه كعادته يحضر هو يستقيم في ديوان سليمان باشا ويجلس على طراحته . واذا كان سليمان باشا غايباً او متعذراً عن الحضور للديوان يحضر هو ويجلس مكانه ويأمر وينهي بالوكالة المطلقة برأي المعلم حييم .

﴿ جلب ماء الكابري الى عكا ﴾

سنة ١٢٣٠ في السنة المرقومة نفسها افتكر سليمان باشا فكراً حسناً بان يجلب ماء الكابري الذي في خارج عكا الى عكا . وهذه المياه كان قد سحبها الجزار بزمانه في قناية مخصوصة وجلبها الى عكا . وفيما بعد انهدمت القناية من محلات كثيرة وتعطل جري الماء . وما بقي بها سوى بعض محلات وبعض قناطر . ولما نصب علي باشا البساتين في نهر المنفوخ جلب الماء المذكور لسقايتها . وحاذر ان يصير التفطن بامر دخولها الى عكا ثانياً وتجديد القناية المذكورة . وبذل جهده لمحو اثارها بالكلية . وهكذا هدم غالب قناطرها وسلب احجارها وعمّر بها . وكان دائماً مدة حياته يجتهد على اعدامها حفظاً لبساتينه . فاذ فكر سليمان باشا بهذا الفكر الخيري وتشاور به مع عبد الله بك والمعلم حييم توقفوا بنوع ما عن تحسينه له وتمامل عبد الله بك من هذا الامر وانا ما قدر يتظاهر بشيء

يوجب تعطيله واقتضى ان يلتجي الى المعلم حييم بالحارفة حتى ان كان يمكنه يجعل سليمان باشا يعدل عن هذا الامر بحسن رأيه وتدبيره ويوهم عليه بزيادة الاتعاب والمصاريف وغير ذلك . فالمعلم حييم اجابه لمطلوبه وبذل غاية جهده . وما افاده شيئاً ولا عدل الوزير عن رأيه ومرغوبه.

وبعد مدة تظاهر لاتمام هذا العزم وابتدأ حالاً ان يأمر بتدبير المهمات اللازمة لاتمام هذه الخيرية . واولاً ركب واخذ معه الالفاوات والقناواتية وتوجه الى نبع الكابري واختبروه وعملوا مقايسته وكيفية تمشية الماء . ووقع الاستحسان ان يجلبوا الماء في قناية جديدة ليس في القناية القديمة التي عملها الجزار . ولذلك اصدر سليمان باشا المراسيم المقتضية الى البلاد بالاستحضار على عمل الكلس بالثمن وتحضير وارسال الزلم للشغل بالاجرة . واخرج ورشة عكا جميعها والالفاوات وساير اللوازم . وخرج بذاته مع كل دايرته وباشر هذه العملية الخيرية بكل الجهد وشغّل جمال دايرته وبغاله وحميره بنقل الاحجار والكلس والسرّيس لحريق الاتون وابرز همة ملوكية لهذا العمل . وبظرف سنة زمانية اوصل الماء الى عكا بمشقات كلية بطريق مسافتها عن عكا ثلاث ساعات ونصف . والمحلّات العميقة عمّر فيها قناطر عالية شاهقة وجعل القناية فوق القناطر . والارض العالية جعل فيها قناية عريضة . وقبل الوصول الى عكا بمقدار ثلث ساعة مشّاها في قساطل فخار . وفي قليل من المحلّات مشّاها على قناطر الجزار القديمة بعد تصليحها . وهكذا اجتهد كل الاجتهاد حتى انه كان كل عشرين او ثلاثين يوم يحضر لعند حرمه ليلة واحدة وصباحاً يركب ويرجع للمصلحة . وجمع عنده متسلمين ووكلا

مقاطعات بلاد صفد لاجل استحضار اللوازم والانفار للعمل بكل همة.
وجميع ذلك كان بالاجرة . وبعد وصول الماء الى باب عكا وعمل الطوالع
اللازمة بين القنايات دخل وباشر عمل الاسابيل وفتح القنايات للاسابيل
والحمامات وبأقرب وقت ادخلها للبلدة ومشَّاها في قناياتها واسابيلها
وحماماتها وجوامعها .

﴿ سعر العملة ﴾

وبلغ مصروف دخول الماء المذكور الى عكا ثلاثة الاف وستماية
كيس اذ كان سعر الذهب المشخص غرش ١٠ والفرنسا سعر ٤
والفندقلي سعر ١٠ والاسلانبولي سعر ٤ والمصري سعر ٣ والاكاك
سعر ٢ والبشلك سعر ٥ واليوزلك سعر ٢٧ . وكانت هذه السنة
عليه جيدة جداً لانه صرفها بغاية الحظ والحبور وجميع الاهالي حاصلة
على غاية الراحة من كل وجه .

﴿ زوبعة عظيمة في عكا ﴾

غير انه طلع موسم الشتوية المتقدم على هذه السنة ناشفاً جداً
للغاية لكونه في نهار السبت الواقع في ١٠ ايلول سنة ١٢٣٠
اذ كانت الدنيا بغاية الرواق خالياً جوها من الغيوم بالكلية والشمس
بغاية الحدة تغير الهواء بغتةً الساعة ثمانية من النهار وصار بشدة
وبأقرب وقت يسحب الجو بالغيوم . وثارت الاهوية جداً جداً بهذا
المقدار حتى انه من جملة ما فعل بقوته العظيمة ان سبعة عشر شخصاً
من اهالي قرية البصة كانوا واقفين على سطح دفعهم الهواء بقوته واذ

لم يقدروا ان يثبتوا امامه فوقعوا عن السطح على الارض . وهكذا باضطراب ذلك الهواء وقع المطر ببروق ورعود قوية هـائلة واستقام مقدار ساعتين . وعند غروب الشمس هدأت الارياح والمطر والبروق والرعود وتلاشت . والى حد الساعة ١٠ طلع القمر وزالت تلك الغيوم والسحـاب وتلاشت بالكلية حتى لم يبقَ لها أثر . ومن ذلك اليوم لحد دخول فصل الصيف ما عاد ظهر في الجو سحاب ولا غيوم ولا وقع مطر بالكلية .

ولاجل ذلك في السنة القابلة ارتفع سعر الغلال وصارت مجـاعة انما ليست بقوية . والتزم الفقراء والفلاحون ان يأكلوا البكسماد القديم جداً الموجود في عكا وهو بكسماد مسوس مدود صاير طحين من السوس والعفونة والرطوبة وذا رائحة كريهة جداً للغاية . وسعر غرارة الحنطة ارتفع من الثلاثين والخمسة وثلاثين غرش العال الخاص النضيفة لحد الخمسين والسبعين والماية غرش . وضاجت الخلق والفقراء من هذا الغلاء وتبلبلت احوالهم .

﴿ خصب ورخص ﴾

وانمـا الباري تعالى الشفوق الرحيم المتحنن على عباده تحنن بموسم السنة التابعة للسنة التي وقع فيها الغلاء بزيادة الامطار . وابتدأ المطر ينزل على الارض بالتواصل حسب الاحتياج بدون انقطـاع من سـادس عشر شهر تشرين الاول لغـاية نصف شهر ايار . وزرع الفلاحون مواسمهم الصيفية والشتوية وجاد مطلوعها باضعاف عن

السنين السالفة واقبلت خيراتها وتوسع العباد بمعاشهم . وفي ايام البيدر في تلك السنة ابتاعت غرارة الحنطة النضيفة العال الخاص من العشرين لحد الاربعة وعشرين غرش . وفي بلاد حارثة في تلك السنة اثمرت غرارة الحنطة تسعين غرارة . وفي بلاد صفد القريبة الى المرج اثمرت الغرارة من الاربعين لحد الخمسين غرارة . وكانت سنة جيدة والفلاح توسع ووفى ديونه المطلوبة منه الى الميري والى الخلق . والمتسببين توسعوا بالاخذ والعطا بوسعة الفلاح و كثرت ارباحهم . وعنابر الوزير امتلأت غلالًا لانها استوفت مطلوباتها وديونها . وسائر البلاد استوفت راحتها ورفاهيتها ونسوا تلك الضيقة والشدة التي صادفتهم في السنة الماضية . والجميع شكروا احسانات الباري تعالى المنعم . وعدا موسم الغلال والحبوب في تلك السنة سائر المواسم من زيت وقطن وحرير وزبيب حتى در المراشي جادت واقبلت وما كان سنة احسن منها مقبلة بسائر مواسمها .

﴿ أمر ضبط مخلفات علي باشا ﴾

سنة ١٢٣١ في هذه السنة حضر خواجكان من طرف الدولة العلية لاجل ضبط مخلفات علي باشا المتوفى . وذلك ان سليمان باشا حين وفاة علي باشا اعرض للباب العالي عن ذلك بوجه الافادة بما انه كان من عهد قريب استجلب له رتبة الميرميرانية كما قدمنا . وبما انه اشتراها له بالثمن ودفع ثمنها خمسماية كيس ما افتكر ان الدولة تتنازل لان تطلب مخلفاته لكونه كتخدا سليمان باشا الذي ليس هو والياً موقتاً نظير ولاة الشام بل ولايته لايالة صيدا ولاية تملك بموجب برآة سلطانية

بمدة حياته . وقد دفع مال معجلتها حسبما ترتب عليه ذلك . وعلى هذا المنوال ليس لها حسب الرسوم ان تطلب منه زيادة عن المال المرتب ولا لها ان تتعارضه باموال وايرادات المنصب ان خسر في كيسه وان ربح له وعماره وخرابه عايد عليه والاموال المرتبة عدا مال المعجلة كان يدفعها سنوية . وله بموجب البرآءة ان يتصرف بالايالة تصرف المالك ما دام في قيد الحياة وبعد مماته تنحل المالكانة وترجع للميري يعطيها السلطان لمن اراد . وعلى هـذا المنوال كل موجودات وايرادات ومخلفات كتخداه هي منه وليست من اموال الدولة وقد سمح له بان يمد يده ويتناول من خزينته ما يريد ويتملك من ايالته ما يريد ويقتني من ماله ما يريد جوداً منه نظراً لحبه وميله الطبيعي له ولاجل هذا ما خطر بفكره ان الدولة تطلب مخلفاته .

وكيفما كانت هذه الحالة استحسنت الدولة ان تطلب المخلفات وارسلت الخواجكان لاجل ضبطها . ولما حضر قابل سليمان باشا خارج عكا اذ كان بمهمة استجلاب ماء الكابري وكان يومئذٍ ناصباً خيامه على محل يقال له جسر شناق الحمير قبال قرية المزرعة يعمر قناطر الماء العالية التي في ذاك الوادي الواقع فيه طريق الماء . واذ قابله وسلّم عليه ودفع له التحريرات الواردة صحبته ارسلهـا الى عكا وارسل صحبته باش جاويش الجقلان لاجل انزاله في قوناق لايق به وتقديم ما يلزم له وحرر الى عبد الله بك ابن علي باشا بان يتدبروا بعمل اللازم بهـذا الخصوص بدون ابطاء . وثاني يوم نزل مظهراً كأنه يريد اكرام المأمور المذكور . ثم اجتمع في كتخداه المذكور وحصلت المذاكرة بينهم

وقرّ رأيهم ان يعملوا بالحال وقفية كل الاملاك التي لعلي باشا داخل عكا وخارجها حسب رأي قاضي عكا ومفتيها الشيخ محمد افندي ابو الهدى وان يحرروا كذلك وصية المتوفى بشهادة سليمان باشا والقاضي والعلماء بان كل ما يملكه ويقتنيه بما انه من مال سليمان باشا وانعاماته فقد وهبهُ هبة شرعية لاولاده وامرأته . وقسموا الهبة المرقومة بالوجه المطابق للشريعة وباسرع وقت حرروا الاوراق اللازمة بالتواريخ المقتضية متممة بسائر اطرافها . وفي ذلك النهار ذاته استحضروا عليها .

وثاني يوم حضر المأمور وطلب انفاذ المأمورية فقدموا له صكوك الوقفيات والوصية والهبة واوضحوا له الواقع فما قبل بل انغم واظهر الغيظ لنظره ان ما كان متأملاً فيه من كثرة المنافع ضاع من يده بهذا الوجه . وتحسن عنده افساد الوقفيات والوصية وحاول ذلك . حينئذٍ سليمان باشا نهض من المجلس قايلاً ان هذه المادة لا تعنيني وانتم تدبروا مع بعضكم بالموافق لرضا الله تعالى ورضا الدولة العلية وموافقة الشرع الشريف . وانا عليَّ شغل خيري بحق العباد مرادي اطلع له لا يمكنني تركه لئلَّا يتعطل . وهذا كان بموجب الترتيب الذي تم بخلوته مع عبد الله بك والمعلم حييم . وتوجه سليمان باشا للخارج محل شغل الماء .

وثاني يوم حضر المباشر المذكور وطلب نجاز المامورية وحصلت المذاكرة بينه وبين عبد الله بك وقاضي افندي والمعلم حييم . وبعد مراجعات ومذاكرات كلية وتقديم وتأخير امتد الكلام منه بنوع ما الى التخويف بحيث انتهز الفرصة بغياب سليمان باشا وقصد ينال مرغوبه بالتهويل فالجماعة تمسكوا بابواب التوسع وليونة المجاوبة الى حين انصراف

ذلك المجلس وقام هو وتوجه الى قونقه وبات تلك الليلة بحال الصحة واصبح ثاني يوم يشكو اوجاع جسمه ونصف الليلة المقبلة توجه في سبيل الله واصبح مايتاً . وقيل بوقتها ان وفاته ما كانت سالمة من شغل آخر[1] .

فحينئذٍ عبد الله بك عمل اعلاماً شرعياً مرتباً منظوماً بحضور المباشر المذكور (كأنه حي) واطلاعه على الوقفيات والوصية وبما انهم مطابقين للشرع الشريف والقانون المنيف صادق عليها المباشر المذكور . ورتب الاعلام حسب الرسوم المقبولة وانهر من سليمان باشا الوالي ومن ارباب المجلس ما عدا حييم ومن المأمور نفسه . ثم اخذوا الاعلام وحفظوه . ثم اعلموا سليمان باشا بوفاته فأمر بدفنه وضبط موجوداته بموجب اعلام شرعي واضافوا فوق متروكاته عشرة الاف غرش مباشرية خدمته وحرروا التحريرات اللازمة بنهي المأمورية ووضعوا ضمنها نسخة من الاعلام لان الاعلام جعلوه نسختين وجعلوا كأنه تمم المأمورية وعزم على السفر فاصابه القضا الرباني بالوفاة . ووضعوا تلك التحريرات ضمن محفظة اوراقه وختموا عليها بختم قاضي افندي مع باقي متروكاته . وارسلوها للباب العالي تحت الاختام وتحت الحفظ صحبة تحريرات كافية من سليمان باشا . وبوصولها قبلتها الدولة وصرفوا النظر عن السؤال والفحص والتدقيق وهكذا انصرفت القضية وما عاد تراجع بها مرة ثانية .

---

(١) هكذا كانت تنتهي حياة كبار مأموري الدولة اذا تشددوا بطلب المال من اهله اذا كان هؤلاء رجال دهاء وحزم ويبادرون لتدبير الدواء القتال ويجهلون كل همهم باخفاء اثاره .

﴿ حضور كتخدا الدولة ﴾

في سنة ١٢٣١ في اواخر هذه السنة حضر كوسا كيخيا كتخدا الدولة العلية [١] الى الحج الشريف . واذ تمم فريضة الحج وحضر للشام حضر من الشام الى عكا قاصداً زيارة بيت المقدس. وبما انه كان من رجال الدولة العلية ومن وكلا السلطنة السنية فسليمان باشا استقبله الاستقبال العظيم بغاية التبجيل والتوقير وفتح له قوناقاً معتبراً مزيناً بالفرش الجميل وامر بترتيب المأكولات المفتخرة له ووضع لخدمته جانباً من اغوات دايرته مع جاويشية وقواصة وجوقدارية وعمل له وقاراً عظياً وامر عبد الله بك بكثرة التردد عليه من طرفه . وعبد الله بك رغب هذا الامر باطناً جداً لينال منه الخير . وهكذا اجتهد على تقديم الخدمة له بغاية الوقار والتبجيل . وبعد ان استقام كم يوم هكذا تقدم له من طرف سليمان باشا التقادم والهدايا الوافرة المرضية وكذلك عبد الله بك قدم له تقادم وهدايا وجعله يصير ممنوناً منه . ولما قام من عكا خرج معه لوداعه الى حيفا . ومن هناك رجع كما امره . وبامر سليمان باشا توجهت معه اغوات الدايرة والخدم الى يافا . واصدر براسيم مشددة لساير الطرقات لحد يافا بتقديم كل الذخاير اللازمة . وسبق ارسل مرسوماً الى محمد اغا ابو نبوت متسلم سنجاق غزة ويافا تخبيراً بتوجه

(١) المراد بكتخدا الدولة الذي يعاون الوزير الاعظم في تدبير امور الدولة وينوب عنه في الباب العالي اذا غاب عن الاستانة لقيادة جيوش الدولة في الحرب او لغير ذلك .

المومى اليه وان يحضر ما يلزم ويقتضي ويخرج بدايرته لاجل استقباله .
وبمدة اقامته بيافا يحذر غاية الحذر من وقوع ادنى قصور ومتى عزم على القيام للقدس يتوجه بخدمته ويبقى معه لحين يسافر للاستانة لانه عزم على السفر من يافا صحبة المركب البكليك الذي كان منتظره هناك .

فمحمد اغا حين وصلته هذه الاوامر رغبها جداً وانسر بها كما قيل « حبيبي مليح وجاته نسمة ريح » فبادر حالا لتحضير ما يلزم ويقتضي وحضّر القوناق اللازم وفرشه واستحضر على كل شيء . وبورود اخبار قرب وصوله ليافا خرج واستقبله عند منزلة ام خالد ومشى بخدمته لحد يافا . وبدخوله اطلق المدافع وعمل بزيادة عما امر به . وبعد ان استقام يومين توجه للقدس وتوجه بركابه وبقي معه الى رجوعه ليافا وسفره منها لجانب الاستانة العلية . وقدم له تقادم وهدايا وافرة كلية . وعلى القول انه تقرب له جداً بالعبودية والتمس منه توجيه منصب سنجاق غزة ويافا وتوابعها باسمه خاصة . وتعهد له بعبودية وافرة لاجله وبتقديم كامل المصاريف التي تلزم فوعده بذلك .

﴿ زيارته للقدس وترميم الحرم والصخرة ﴾

ولما وصل كوسا كيخيا للقدس ودخل لزيارة الصخرة والاقصى والحرم ونظر الدثار الداخل عليهم سأل عن السبب . فالخدمة وجدوا لذواتهم فرصة التشكي من الضيقة وان ايرادات الاوقاف ما تكفي المصارف الضرورية . وبما ان المذكورين حالهم معلوم بطولة اللسان

وانطلاقه ومتكاين على السنتهم وما لهم شغل غيره اطلقوا السنتهم معه وهكذا صيروه ان يوعدهم بالسعي بعمارها وتجديدها . وهكذا قام من القدس ورجع الى يافا ومنها توجه بحراً الى الاستانة .

﴿ توجيه الباشاوية الى عبد الله بك ﴾

وبوصوله الى الاستانة ارسل الى سليمان باشا تحريرات تطمين بوصوله واظهار وفور الممنونية مما شاهده منه . وارسل تحريراً لعبد الله بك كذلك يوضح محظوظيته من خدامته وضمنه فرمان ملوكي بتوجيه رتبة الميرميرانية عليه . وهذا مطلع الفرمان « انه نظراً الى صداقته بخدامة الوزير المشير سليمان باشا الخ صار له الاحسان الهمايوني بتوجيه رتبة الميرميرانية . وعليه ان يداوم على اجراء الصداقة التي توجب له بياض الوجه . » وهذا التحرير ارسله الى عبد الله بك ضمن تحريرات سليمان باشا .

وضمن التحريرات المذكورة تحرير ايضاً الى محمد اغا ابو نبوت باظهار محظوظيته من خدامته ومرسل له ضمنه فرمان بتوجيه رتبة القبوجي باشي . فسليمان باشا سلّم الفرمان المختص بعبد الله بك له ولاجل خاطره عمل ديوان حافل وآلاي معتبر وتُلي الفرمان على رؤوس الاشهاد وضربت له المدافع من قلعة عكا وحرر مراسيم التبشير لسائر الايالة . واما الفرمان المختص في ابو نبوت فحرر له مرسوماً منه ووضعه به وارسله له ووعده ان ينال بايامه مراتب الشرف . فابو نبوت نعم انه انسر بنوع ما بوصول الاوامر واظهر الافراح وارسل البشاير لسائر

المحلات الا انه انعم بزيادة من منح الميرميرانية لعبد الله بك الذي كان يحتسبه نظير ابنه . وكان يفتكر انه هو ينال ذلك وعبد الله باشا القبوجي باشي . ثانياً لحظ ان كوسا كيخيا اكتفى معه بهذه الرتبة نقط عما قدمه له وعما ترجاه به وعما وعده فيه ولذلك اظهر الجلد واخفى الكمد . وحرر جواب المرسوم لسليمان باشا واوضح عبوديته من هذا الاحسان . وجعل سليمان باشا يفهم انه قبل هذه الرتبة من توجهات سليمان باشا لا من كوسا كيخيا . ومن بعدها صار يواصل تحريراته الى كوسا كيخيا ويذكره بوعده له بمنصب غزة ويافا ويرسل له الهدايا سراً عن يد قضاة القدس الذين يرجعوا للاستانة ويكثر عليهم الاكرام منه ليجعل له حزباً يتكلمون بحقه في الباب العالي .

وفي ذلك الاثناء حضر الى عكا وانتهز الفرصة واجتمع في سليمان باشا لوحده . واذ وجد ان له ميل كلي نحو عبد الله بك مع تحقيقه ان سليمان باشا كان ذا ثبات على قوله ووداده لا يميل عنه ولا يتغير ولا يقبل الوشايات النفاقية اعرض عن التكلم بحق عبد الله بك وجعل تكلمه بالطيب معه بحق ابن اخيه مصطفى بك . والتمس من سليمان باشا ان يطلب له من الباب العالي منصب اياة غزة ويافا باسمه وان يكون هو كتخدا عنده . وجعل قصده اخلاص الخدمة لمصطفى بك حباً به نظراً لحبه القلبي الى سليمان باشا . وهذا انطلى على قلب سليمان باشا وصدقه واظهر له الممنونية والميل ولاطفه بالكلام بزيادة وحقق له حبه الاكيد لشخصه وانه مُبدأ ليس على ابن اخيه . بل على ولده الخصوصي الصلبي اذ انه معدود عنده ولد صلبي مع انه بنفس الامر

الواقع كان بخلاف ذلك.

لان كوسا كيخيا لما توجه للاستانة سعى وبذل غاية جهده بسلخ منصب غزة ويافا من عهدة سليمان باشا وتوجيهه على محمد اغا ابو نبوت فما طلع بيده لان باقي رجال الدولة حتى الملك نفسه كانوا يميلون الى سليمان باشا ومحظوظين منه ولا يريدوا ان يكدروه بادنى شي.. ولما عرفه كوسا كيخيا بعدم توفيقه بالمرام بالوقت الحاضر كتم الامر واستعمل هذه الحيلة حذراً من ان تظهر رائحة التماسه عن يد كوسا كيخيا ويكون قد وضع هذا الاساس وما يعود يتصدق عنه المقال. ثانياً قصد قصداً خبيثاً اخر وهو ان يحرك سليمان باشا لطلب المنصب باسم ابن اخيه وانه متى استمال لهذا الخداع وحرر للباب العالي هذا الالتماس يلحظ عند الدولة عدم اكترائه به ولا ينغم اذا انسلخ عنه ويعود سلخه أمراً هيناً بالتماسه له او يعود رأي الدولة باستحسان توجيهه على ابو نبوت أمراً هيناً نظراً لحال كوسا كيخيا واقتداره بالباب العالي. فالامر ما جاء معه حسب مرغوبه لان سليمان باشا اولاً لما ابدا هذا الرأي مع خدمه (كبار رجال دولته) وحسّن طلب المنصب باسم مصطفى بك وجعل هذا الرأي بداهة منه بعد رجوع ابو نبوت من عكا ليافا بمدة كم يوم منعه خدمه عن هذا وبرهنوا له استقامة هذا الراي من وجوه عديدة وجعلوه يعدل عنه الى ان جعلوه يكره اصداره للوجود فضلاً عن صيرورته. ثانياً في ذاك الاثناء توفي كوسا كيخيا وانقطع حبل الامال منه. ولما انضبطت اوضته واوراقه وجدوا بينها بعض تحريرات ابو نبوت وبعض اصدقاء القبو كتخدا اخبروا عنها.

والقبو كتخدا كتمها حذراً من تغيير خاطر سليمان باشا على ابو نبوت لانه كان يحبه نظراً الى الهدايا التي كان يرسلها له. وهذه الهدايا كان ظاهرها لاجل انه قبو كتخدا افنديه. فكان يهاديه لاجل حبه وصداقته الى سليمان باشا وباطنها لاجل يمتلكه بكثرة الهدايا وينال منه الغاية التي يريدها لكونه كان يكاتب سراً غالب رجال الدولة ويتقرب من اصحاب الكلام فيهم ويهاديهم وما كان يغفل عن المداخلات التي يلاحظ انه ينتج له منها التقرب اليهم لانه كان دائماً واضع في باله نوال مرتبة الوزارة والولاية ولا يرد نفسه عن ذلك ولا يهمل ادنى قضية ولو كان بها اقل ملاحظة لنوال بغيته. ومن ذلك انه لما كانت الست الانكليزية امتير استنهوب في يافا اخذ منها تحريرات مديح في حقه وارسلها الى الباب العالي على يد معتمده ظاناً انه ينال منها ثمرة فما افادته شيئاً .

والقبو كتخدا امر الخواجه نصري دلال ان يحرر الى المعلم حييم سراً ويعرفه عن المكاتبات التي وجدت بين اوراق كوسا كيخيا من ابو نبوت ومضمونها كي بنوع لطيف يحرص سليمان باشا منه . والمعلم حييم اطلع عبد الله بك على الواقع وفي ذلك الاثناء توقعت قضية من ابو نبوت بحق عرب الجماسين التابعين يافا وبسبب تعديه عليهم رحلوا الى غير ناحية وحضر كبارهم شاكين الى سليمان باشا. وبميل عبدالله باشا وحييم التزم سليمان باشا لان يميل لشكواهم . وعبد الله باشا بوقتها حرر الى ابو نبوت بهذا الخصوص ووضع له بتحريره بعض الفاظ وجمل مؤلمة بخلاف العادة . وابو نبوت استفاد منها روحاً اخر فاستعمل

الفحص والتدقيق من ههنا وهنا وصح له من اخذ اشارة من احداصحابه بالاستانة ان القبو كتخدا عرف بتحريراته التي وجدت هناك وانه عرّف عنها الخواجه نصري دلال. والمذكور حرر الى حييم فاستنتج من ذلك ان هذا التحرير من عبد الله باشا او هو من المعلم حييم وقد اتفق هو وعبد الله باشا عليه . فحينئذ بغض الاثنين وتظاهر في بغضتهم خصوصاً الى حييم . وصار بالسر يرسل له الاقوال المكدرة . ومن ذلك الحين وقعت المزاولة فيما بينهم الى ان اتفق الاثنان على عزله من السنجاق كما سنحرر ذلك بوقته في سنة ١٢٣٤ بعده

﴿ هرب نقيب الاشراف من طرابلس وشكايته على بربر اغا ﴾

وفي سنة ١٢٣١ المرقومة توجه نقيب الاشراف في طرابلس المسمى يحيى افندي الى استانة العلية هارباً من وجه مصطفى اغا بربر بسبب بعض حركات بدت منه . وبربر ما احتملها وزجره وحصره وكدره وضيق عليه الفضا . وهذا يحيى افندي كان من ذوي الحركات والفساد في طرابلس . وهذا المشرب كان ضد مشرب بربر وما كان يهضمه وذلك كان قيام معاشه من هذا الحال . فاذ لاحقه بربر انقطع معاشه وجاهه وصار يلتزم يقيم كاحد الناس . فالتزم يقوم ويتوجه للاستانة يتظاهر ويترايا بالصلاحية وتعريض الاثواب وادخل رجله على رجال الدولة باستعماله الورع والتدين . ولما بلغ اربه هذا وتحكم بمحبتهم فتح فمه واطلق لسانه بالثلب بحق بربر . واتصل لان يغير خاطر الدولة العلية عليه ويصدر فرمان شريف الى سليمان باشا بقطع راسه . واذ وصل

الامر الى سليمان باشا وعرف انه صادر عن وشاية المذكور حرر الى الباب العالي تحريرات كافية يطلب العفو عنه واستعمل سائر الوسائل اللازمة وارسل الهدايا لمن يلزم لهم وبالجهد الكلي بعد جملة مراجعات حصل على العفو عنه بشرط عزله من المتسلمية . وبهذا راجع ايضاً واستعمل غاية الحكمة واستجلب الامر بابقائه كما هو . وتسكت يحيى افندي عن طولة لسانه في ذلك الوقت . وانما بقي في الاستانة يتوقع فرصة اخرى . وبعد جلب اوامر العفو حرر سليمان باشا مرسوماً الى بربر آغا وعرفه ما توقع بحقه والاتعاب التي حصلت لاجله الى ان توفق واخذ العفو نامه (مرسوم العفو) له . فبربر من صداقته وعزة نفسه واستقامة احواله واملِه الكبير في سليمان باشا جاوبه جواب مضحك يتضمن التشكر من احسان سليمان باشا عليه وقال له عن ذاك هذا الملعون ان وقع بيدي لازم اقطع راسه وارسله للدولة لتعرف خيانته ولا تعود تقبل نفاق واحد مثله ومثل هكذا عبارات . فسليمان باشا جاوبه وامره بان يترك سيرته مطلقاً ولا يقارش شيئاً مما له ولا يدع احداً يسمع من فمه كلمة عنه وحرر له ذلك في شقة لوحدها وارسلها له ضمن المرسوم وبربر اطاع الامر وترك سيرته بالكلية .

﴿ سعي الشيخ بشير جنبلاط بجعل اقليم البلان تابع لجبل الدروز ﴾

في سنة ١٢٣١ تداخل الشيخ بشير جنبلاط كتخدا الامير بشير الشهابي مع اهالي اقليم البلان التابع ايالة الشام بالقرب من راشيا واستحسن ان يجعل المسلمين الموجودين فيه (مع كون هذا الاقليم

غالبه اسلام) تحت حكومة (لبنان) الدروز وبالجبروت والعنف تعاطى وسايل التكدير لهم واهالي الاقليم الاسلام قدموا الشكوى الى والي الشام والمشار اليه حرر الى الامير بشير مراراً وما ارتجع الشيخ وتعاظم تعديه واعيان الشام لما نظروا ذلك مسكوا بيد اهالي الاقليم وحركوا الوزير لمساعدتهم والوزير حرر الى الباب العالي وقدم عروض المحاضر المقدمة له وبوصولها الى الباب العالي صدر فرمان الى سليمان باشا بقتل الشيخ بشير وقطع رأسه وارساله للباب العالي وبوصول الامر حرر سليمان باشا الى الامير بشير ولامه جداً جداً لاعطايه السبيل والفرصة الى الشيخ بشير بهذا التعدي الفائق الحد وعرفه عن مضمون الامر الملوكي بقتله وقطع رأسه . فالامير اذ وصل له هذا الامر تكدر جداً نظراً لحبه الشايع بوقتها للشيخ بشير وتحير جداً كيف يفعل . وبنفس الامر افعال الشيخ بشير بهذا الخصوص كانت بغير ارادته . وما ساعه الا ان جاوب سليمان باشا بالرجا والتواقع الشديد بهذا الخصوص . ولما كرر الرجا وتعهد بكف الشيخ بشير عن معاطاة هذا الامر قبل سليمان باشا رجا الامير . ولاجل عمل وسايل لقبول الرجا بخصوصه امر الامير بشير برفع اقليم الخروب من عهدة الشيخ بشير واظهار الزعل الكلي من نحوه وحرر الى والي الشام وعرفه بما فعله بالشيخ بشير ولاطفه من نحوه والمعلم حييم حرر لاخوته بان يتعاطوا في الشام اطفاء حرارة هذه النار . وبقدر جهدهم يتلاطفوا لاخذ تحرير من الوزير موافق لمرغوب سليمان باشا . والمذكورون تمموا العملية وبحضور التحرير قدم سليمان باشا الاعراض وقرب وبعد واضعف

قوة المعروضات بحق المذكور والتمس العفو له وقدم الهدايا اللازمة وبالجهد الكلي صدر له فرمان العفو عن دمه . وبحضور الفرمان ارسل اعلم الامير بشير وامره بابقاء كل شيء على حاله مدة زمان الى اطفاء اثر هذه القضية وهكذا تم . وبعد مدة ارسل الامير تواقع على سليمان باشا والتمس صفو خاطره فقبل رجاه وامر بارجاع اقليم الخروب الى عهدته كما كان ورده لحاله الاول وانصرفت تلك الحادثة .

﴿ حضور الامير بشير الى عكا للتعزية بموت علي باشا ﴾

بعد وفاة علي باشا في سنة ١٢٣٠ كما قدمنا استحسن الامير بشير ان يحضر الى عكا لاجل تعزية سليمان باشا وولده عبد الله باشا . وبما ان حضوره الى عكا كان غريباً عن التصديق من عدة وجوه اخصها انه بعد خروجه من حبس الجزار الذي استقام فيه زيادة عن سنة وتكبد فيه آلاماً كثيرة حتم على ذاته ان لا يدخل تحت بوابة عكا وانما لرغبته القلبية ان يتقدم بامتلاك حب سليمان باشا ويحقق له زيادة اركانيته فيه وخصوصاً ليعمل اول وداد وصداقة جديدة مع عبد الله باشا رغب بالحضور لهذه الغايات وارسل استأذن من سليمان باشا على الحضور . فأذنه واوضح له بالاذن زيادة سروره من حضوره . وبعد ارسال الاذن امر باتقان عمل باب السراي وحدّده من جديد بحديد متين وزيّن السراي بوضع المدافع والجنازير وامر بتغيير فرش ديوان اقامته وانعمل له طاقم جديد . ثم امر باخراج الصيوان الكبير المفتخر الذي هو من مخلفات الجزار الذي كان نادر الوجود عند

غير وزراء ونصبه في خان الكمرك قبال القصر المعمر هناك فوق البحر من ابو نبوت لما كان هذا كركجياً . وكان معدوداً لاجل النزهة . وامر بفرش القصر المذكور بطواقم مفتخرة مع الاوض التابعة له لاجل اقامة الامير واتباعه . ونقلت اليها طواقم المنام النظيفة والحاصل تحضر لاقامته كل ما يلزم .

وبحضور الامير ووصوله لقبال عكا قابله سليمان باشا على عزمه بالتقرب للحب والاركانية بان امر عبد الله باشا ان يخرج بذاته لمقابلته بساير دايرته بكل دبدبة . وخرج عبدالله باشا بكامل دايرة الوزير ودايرته والماية قواص المرتبة في بابه مع الجاويشية والخيول المزينة بالكسمايات المفضضة يعلوها دروعة الفضة ومن خلفهم النوبة السلطانية جميعها . واغوات الدايرة أومروا ان يتزينوا بملبوساتهم ولبس القواويق والبنوش القيود[1] والاساحة التامة . وهكذا خرج وصحبته ايضاً ديوان افنديسي سليمان باشا . ولاقوه الى ارض المزرعة . واذ قاربوا لمقابلته نزل الامير بشير حالا عن مركوبه وسعى جرياً كانه يريد تقبيل ركاب عبد الله باشا . وعبد الله باشا اذ نظره نزل عن المركوب عن بعد وصار يمنعه ويحلف عليه . واذ لم يفعل ولا توقف نزل ايضاً عبد الله باشا وسعى لاستقباله . واذ قاربوا بعضهم سجد الامير حالا على اذيال عبد الله باشا ليقبلها فمنعه عبد الله باشا بكل جهد واحتضنه

---

(١) القواويق جمع قاووق بلغة الاتراك من ملبوس الرأس عندهم والبنوش جمع بنش في لغتهم رداء واسع يشلح على الاكتاف . والقيود جمع قيد في لغتهم يراد بها ذات اللون البني لبس الفخار لاكابر الجند

وقبلوا بعضهم بعضاً . ثم تقدم ديوان افنديسي ليقبل اذيال الامير فاحتضنه الامير وقبله وحالا تقدمت لهم الخيول فركبوا . واذ تاخر عبدالله عن التقدم امام الامير لحظ الامير حالاً وبدأ يستعفي ويترجاورجع الى الوراء ومشى دون الباشا بغير ارادة الباشا وهكذا مشوا لحد وصولهم الى باب عكا والمهترخانة[1] تضرب من خلفهم واغوات الدايرة اصحاب الوظائف تلعب بخيولهم امامهم مظهرين علامات الابتهاج . فاذ دخلوا باب عكا ضربت المدافع من ابراج القلعة وتمموا ضرب واحد وعشرين مدفعاً . وبوصولهم الى البنكطاش[2] نزلوا عن الخيل وصعدوا على الدرج الى ديوان سليمان باشا . فاذ اقبل الامير على باب الديوان قبل دخوله نهض الوزير قايماً وسعى الى قرب باب الاوضة واستقبل الامير . فحالاً الامير سجد على اقدام الوزير ليقبلها فالوزير منعه . فقبل الامير اذياله من قبالة الارض وانهضه الوزير بيده ومسكه بيده ومشوا سوية الى ان صعدوا على ديوان الجلوس فاجلسه الى جانبه على المرتبة المعدة له وامر بجلوس عبد الله باشا الى جانبه وديوان افندي بجانب عبد الله باشا . وحال جلوسه ترحب به وضحك في وجهه واقبل عليه بعلامات السرور وامارات الفرح بقدومه . وحالا حضرت ستة شربات السكر من دار الحرم بغاية الاتقان والزينة محمولة من عبد الله اغا اغاسي الحرم

---

(١) المهترخانة رجال نوبة الموسيقا والنوبة ذاتها .

(٢) البنكطاش تقدم ذكره في لغة الاتراك رصيف من حجارة يستعان به على ركب الخيل

القهوة ودّع عبدالله باشا وتوجه الى بلاده وعبدالله باشا استقام بالمزرعة لحد عشية ورجع الى عكا

﴿ حضور علي بك الاسعد الى عكا ﴾

وفي ذلك الاثنا حضر علي بك الاسعد من عكار لاجل التعزية وحصل له الالتفات من سليمان باشا وامر له في قوناق وبعد ان استقام كم يوم وقدم التقادم الواردة معه الى الوزير والى عبدالله باشا واعطى الاكراميات الجزيلة الى الاغوات واتباع الوزير واتباع الكاتخدا واعطى كاتب العربي الف وخمساية غرش البسه سليمان باشا خلعة فاخرة وارجعه الى بلاده مجبور الخاطر .

﴿ حضور مصطفى بربر آغا وسواه للتعزية ﴾

ثم حضر مصطفى آغا بربر والاخر حصل على غاية جبر الخاطر وقبلت تقادمه واكرم دايرة الوزير والبسه سليمان باشا خلعة فاخرة وارجعه لمحله . ثم حضر ساير متسلمي النواحي على هذا المنوال . ثم حضر محمد آغا ابو نبوت متسلم سنجاق غزة والاخر احضر تقادم واكرم الدايرة وحصل على غاية الميل من الوزير والبسه وارجعه . ثم حضر وجوه جبل نابلوس مع متسلم السنجاق وكل منهم احضر تقادم من خيل وجمال وقبلت تقادمهم وحصلوا من الوزير على غاية الالتفات والبسهم الخلع المفتخرة ورجعوا الى بلادهم . ثم حضر البعض من اعيان الشام مثل اخي علي افندي المرادي المفتي وخليل افندي العجلاني ومحمد افندي الصديقي وقدموا التعزية . فالبسهم الوزير

الخلع ورجعوا مجبورين الخاطر . ثم حضر معتمدان [1] من قبل عبدالله باشا عظم زاده والي الشام الاسبق ووالي الرقة يومئذ اذ كان له صداقة كلية مع سليمان باشا وصحبتهم تحريرات التعزية . فالبسهم وارسل الى عبدالله باشا جوابات تحريراته وارسل له هدية سبعة آلاف وخمساية غرش وعشرة غراير حنطة وعشرة غراير شعير وقنطار سمن وعشرة ارادب ارز . ثم حضر الشيخ فارس الناصيف وصحبته تقادم فقبلها سليمان باشا واكرمه وانزله في قوناق منظوم ولاطفه . وبعد ان اكرم دايرة الوزير البسه الوزير واعطاه مرسوماً بانعام عشرين غرارة شعير وعشرة غراير حنطة وارجعه مجبور الخاطر . ثم حضر علي افندي كيلاني شيخ السجادة القادرية في حماة وسليم بك عظم زاده متسلم سنجاق حماة . فقدم لهم سليمان باشا غاية الاعتبار واكرمهم غاية الاكرام وبعده البسهم وارجعهم مجبورين الخاطر مادحين شاكرين افضاله . وهكذا تواردت اكابر الديرة من سائر النواحي والامصار وكبراء عربان ديرة الشام ومن سنجاق عجلون ومن ناحية القدس والخليل . وكل من كان يحضر ينال من سليمان باشا جبر الخاطر التام ويرجع لمحله حامداً شاكراً وجميع الذين حضروا من خارج ايالة صيدا قصدوا يتقربوا الى الوزير بالعبودية والحب بزيادة على من كانوا من ايالته نظراً الى لطف مشربه مع الجميع . وفي وقتها حضر تحرير تعزية من محمد باشا ابو المرق الذي كان مقيماً في حلب يوضح به حال فقره واحتياجه للغاية . وسليمان باشا

(١) معتمدان جمع معتمد في اللغة التركية وقد تقدم ذكر هذه الكلمة بهذه الصيغة بالجمع .

البس تابعه واكرمه وارسل له جواباً لطيفاً وارسل له هدية سبعة آلاف وخمساية غرش . وثاني سنة ارسل تحريراً ثانياً يلتمس العناية ومحرره بخط يده ومن جملة المحرر به بيت شعر وهو :

من عوَّد الناس احساناً ومكرمةً لا يعتبنْ على من لجّ في الطلبِ

وسليمان باشا جاوبه جواباً لطيفاً وارسل له اكرامية ايضاً سبعة آلاف وخمساية غرش .

﴿ قتل مكاري من زحلة ﴾

في هذه السنة اي سنة ١٢٣١ كان مكارية حاضرين من زحلة التابعة الجبل الى نواحي بلاد صفد وخلاف نواحي محملين بعض اشياء حسب عوايدهم . فاحدهم كان شاباً واحسنهم وكان وحيداً لامه وكان متزوجاً من مضي خمسة عشر يوماً فقط . فاذ سنحت له فرصة السفر برفقة المذكورين جهز حاله وحمل ما عنده على بغلتين له واخذ الدراهم التي كانت عنده ومقدارها خمسة آلاف غرش وكان اغنى البقية ومشى معهم سوية تاركاً عروسته في البيت عند والدته . فاذ دخلوا اطراف بلاد صفد عزم بقية المكارية ان يرجعوا لناحية بلاد بشارة ويدوروا في اسواقها نظير سوق عديسة وسوق الخيس وسوق جويا وسوق النباطية وسوق الخان التي تصير في المحلّات المرقومة في ايام معلومة ليبيعوا ويشتروا منها ولو كان بتعب وفي ايام طويلة . وذاك ما استحسن رأيهم بل طلب منهم ان يبقوا سالكين في طريقهم ليسرعوا بقضاء حاجتهم ويرجعوا باقرب وقت الى زحلة وقصد بذلك اولا تقريب

المسافة ولاحظ حسن الربح ببيع الذي معه ومشترى ما يلزمه. وثانياً من كونه عريساً جديداً قصد سرعة العودة الى عند عروسه. فاولئك نظراً لطمعهم ما قبلوا رأيه وبعد مراجعات مع بعضهم بقوا على عزمهم وفضل هو على عزمه. غير انهم ترابطوا ان يقابلوا بعضهم في سوق الخان بالقرب من حاصبيا التابعة مقاطعة مرجعيون حيث يكون هو قد توجه الى بلاد صفد وباع واشترى لوازمه ويكونوا هم داروا الاسواق وتوجهوا الى سوق خان حاصبيا فيتقابلوا هناك ويرجعوا لبلدتهم سوية وتفارقوا هكذا وذاك توجه من ناحية قرية بنت جبيل التابعة قرية هونين المقاربة بلاد صفد. وبوصوله الى ارض قرية بيت جن التابعة مقاطعة بلاد صفد خرج عليه خمسة اشخاص من اشرار تلك الارض. واذ نظروا اليه تقدموا اليه وبدون سلام ولا كلام مسكوه وشلحوه واخذوا امتعته والبغلين اللذين معه ثم اخذوه الى وعرة صعبة جداً جداً بهذا المقدار حتى انه ما احد من الناس دخل اليها ولا جاز فيها لاجل صعوبتها. وبما انهم من رؤساء قطاع الطريق يعرفون هناك مغارة ذات باب ضيق في باطن الجبل في تجاويف الارض وباطنها متسع جداً ادخلوه اليها وذبحوه هناك وحملوا دمه الزكي على اعناقهم الشقية وخرجوا غانمين ماله وموجوداته وتقاسموها ورجعوا يترقبون لعلهم تقع لهم صيدة ثانية نظيره ومضى الامر. فرفاقه حسبما صار الاتفاق حضروا الى سوق الخان في حاصبيا في يوم ادارته واذ وصلوا فتشوا عليه ولما لم يجدوه سألوا عنه فما احد افادهم بخصوصه انه نظره ولزم ان استقاموا في السوق وباعوا واشتروا وقضوا حوائجهم وعزموا

على الرجوع الى قريتهم الى ان انتهى السوق وكل انسان رجع لمحله فانتظروا حضوره وفتشوا عليه وسألوا عنه فما وجدوه فانشغل خاطرهم من نحوه فالتزموا ان يمكثوا تلك الليلة هناك ظناً انه ربما يكون متعوقاً او تعوق لشغل يخصه ولا بد يحضر ثاني يوم المعهود بينهم . وثاني يوم اذ انتظروا الى قرب غروب الشمس وما حضر غيروا رأيهم وافتكروا انه نظراً لحال شبوبيته وحرارته واشتياقه لعروسته هم بالمسير وقضى مصالحه . واذ وجد حاله خالص قبل اليوم المعهود وان انتظاره يوجب له العاقة رجع الى القرية وحده . واذ صوبوا هذا الرأي قاموا وحملوا دوابهم وتوجهوا راجعين الى قريتهم . وبوصولهم اليها اذ بلغ والدته قدومهم ونظرت عدم حضور ابنها معهم كما توجه معهم انشغل فكرها وحالا توجهت لعندهم وسألتهم عنه فاخبروها بما توقع وكيف انهم ظنوا انه خاص اشغاله ورجع قبلهم وكيف افتكروا انه سبقهم . فاذ سمعت والدته ذلك تحركت احشاؤها ولطمت على وجهها ورجعت الى بيتها باكية العين محروقة القلب . واذ نظرتها عروسته ارتعد قلبها وخفق وسألتها عن السبب وهي جاوبتها بما صار . فالاثنتان جاوبتا بعضهما بالبكاء فاذ سمع جيرانهم حضروا الى عندهم وسألوهم عن السبب فاوردوا لهم الواقع . فالاقارب منهم انشغلت خواطرهم وساعدوهم بالبكاء والاصدقاء والمحبين صاروا يسلوهم ويوعدوهم بحضوره ويقولوا لهم الاقوال المعتادة مثلا الغايب عذره معه . وربما الآن تنظريه حاضر بخير وعافية وما على قلبه بأس ولاي شيء هذا الفال . بعيد الشر عنه وسلامة قلبه وشبابه وغير موافق البكاء على الغايب من غير شر .

وهذا فال مالكم وماله وامثال ذلك . فالوالدة المسكينة والعروسة الحزينة — وان يكن نيران افئدتهم عمال تشتعل لوعة وحزناً — امتثلوا كلام الخلق وسكتوا عن الصراخ والبكاء خوفاً من الفال . وانتظروا ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم من دون ان يأكلوا ويشربوا ولا يناموا .

فبعد ثلاثة ايام اذ لم يحضر ولا بان له اثر ورجعت المراسيل الذين ارسلهم مشايخ الضيعة الى نواحي بلاد صفد ليفحصوا عنه واخبروهم انهم ما وقفوا له على خبر . وانهم داروا جملة قرايا في بلاد صفد وسألوا عنه وما نظروه حينئذ ارسلوا اعرضوا للامير بشير حاكم الجبل بالواقع والمومى اليه اذ استعمل الفحص والتدقيق بعد جلب ارفاقه المكارية وضربهم وتعذيبهم وحبسهم وتوقيعهم بسائر الوجوه التي يمكنه ان يلحظ منها ان يكونوا هم غرماء اعدامه واخفائه وما استنتج منهم ولا دليل ارسل جواسيس من طرفه لساير نواحي بلاد بشارة وبلاد صفد وتوجهوا فحصوا ودققوا بكل جهدهم وما استفادوا شيئاً . ورجعوا اخبروه . فبردت حرارته بنوع ما وانما من بعدها اعرض لسليمان باشا بالواقع والتمس صدور امره بالفحص . والمشار اليه اصدر مراسيم مشددة لسائر متسلمين ومأمورين بلاد صفد . والمذكورين فحصوا ودققوا وجاوبوا بعدم اخذهم خبر او علم دخوله للديرة فحينئذ بقيت المكارية بالحبس وانترك الامر . ووالدته وعروسته عملوا له العزاء ولبسوا عليه السواد مع اقاربهم وهكذا انتهى الامر .

وبعد مضي خمسة وثلاثين يوماً من فقده البعض من اقارب المقتول من المكارية عدا المحبوسين بحبس الامير حملوا ما عندهم واخذوا دوابهم وتوجهوا يبيعوا ويشتروا في البلاد بالمحل الذي يتوفق لهم كحسب عادتهم غير قاصدين محلاً مخصوصاً . وبالهام وتوفيق رباني توجهوا الناحية بلاد صفد وبالصدفة صودف مرورهم من تلك الوعرة التي هي ناحية قرية بيت جن التي تشلح فيها الشاب . وكان بالتدبير الالهي معهم كلب تربيتهم حاضراً معهم بدون معرفتهم بخلاف العادة . فاذ وصلوا الى تلك الارض صار الكلب يجول في تلك الارض ويشم كحسب عادة الكلاب . فاذ اشتم رايحة النتن من المغارة عن بعد لحقها حالاً وتبعها وبقي ماشياً الى ان وصل الى المغارة وقفز الى داخلها واذ نظر جثة المايت المقتول فكانه انسان عاقل عرف ذلك فرجع حالا جريا الى عند المكارية وبدأ يعوي بين ارجلهم ويدفعهم ليغيروا طريقهم ويجول من واحد الى واحد . وكلما نهره واحد ويدفعه برجله يجري الى الاخر ويظهر لهم اشاير بحركات ذيله وتقديمه وتاخيره انه ناظر شيئاً خصوصياً . فبعد كل جهد لحظوا منه المقصود فاذ تقدمهم تبعوه وما زال يمشي ويلتفت عليهم وهم يتبعوه الى ان اشتموا رايحة النتن بقربهم الى المغارة حينئذ انتبهوا ان الكلب ناظر فطيسة . واذ وصلوا الى بابها قفز الكلب حالاً الى بابها ووقف وصار يعطي لهم اشارة لاتباعه . فلحقوه ودخلوا المغارة واذ تقدموا فيها وجدوا الجثة . واذ تمايزوها عرفوا المقتول وحملوه حالاً واخرجوه وتوجهوا به لقرية بيت جن واروه لساير اهلها وعرفوهم كيف واين وجدوه . وبعد ان

دفنوه برأي اهل البلد جميعهم وافادوهم بانهم متوجهون الى عند سليمان باشا يعرضوا له . وهكذا حضروا الى عكا واعرضوا الى سليمان باشا وحالاً اصدر هذا امراً حتمياً مشدداً الى وكيل الشاغور والجبل الحاج موسى ابوديا وامره بما ان المقتول وجد بارض بيت جن وبالقرب منها يلزم اهالي القرية باظهار الغرماء كيف كان لانه من كل بد منهم . وان ترددوا فيحرق القرية بالنار ويقتل اهلها . وهكذا شدد عليهم وارسل الامر صحبة اغا مباشر من طرفه . والوكيل توجه للقرية وجمع اهاليها وتلى عليهم الامر وامرهم حتماً باظهار الغرماء واكد لهم ان ترددوا يتمم ما امر به . وحينئذ لما نظر اهالي القرية شدة صرامة الامر وانه لا مهرب لهم من احد الوجهين وتحققوا ذلك بكل توكيد اختاروا لانفسهم الشر الاصغر وحالاً مسكوا الخمسة الاشخاص القتلة وسلموهم الموكيل . والمذكور ارسلهم الى سليمان باشا . والمشار اليه بوصولهم امر بشنقهم على باب عكا بجانب بعضهم . واذ كانوا يشلحوهم ويكتفوهم لاجل الشنق كان والد الثلاثة منهم وهو اختيار يجعر كانه ثور الجاموس ويقول آه ياحيفك يا ابو داود هكذا هولاء يمسكوك ويعملوا فيك . واما احد اولاده فمات قبل تعليقه بالمشنقة ومع ذلك تعلق بالمشنقة وهو مايت وبقوا معلقين بالمشانق ثلاثة ايام عبرة للناظرين . وهكذا تمجد الله من سائر مخلوقاته على هذا الاظهار العجيب الذي اظهره لقتل هذا المقتول ظلماً واخذ الانتقام له من اعدايه وقاتليه .

﴿ عمار جامع البحر ﴾

في سنة ١٢٣٢ عمر الوزير سليمان باشا في عكا جامع البحر الموجود للآن ورفع له منارة تشابه منارة جامع الجزار الكبير واتقنه ورتب له خدمة وامامية وموذنين ومدرسين ورتب لهم معاشات كفاية والمصروف الذي يلزم له ينصرف من خزينته · وهـذا الجامع كان سابقاً جامع غيره بالقرب منه قبال خان الافرنج وفي ايام الجزار انهدم وبقي مهدوماً لكن فقط بقيت منارته فكان كل ليلة عند عشية يحضر موذن من المرتبين في جامع ضاهر العمر في تلك الناحية يوذن بها وكانت مساحته صغيرة جداً واذ دثر بالكلية هدم سليمان باشا تلك المنارة وعمر الجامع في تلك الارض وتممه كما قدمنا

﴿ عمار جامع في عكار من علي بك الاسعد ﴾

في سنة ١٢٣٢ نفسها قدم علي بك الاسعد ملتزم جبل عكار وحاكمه اعراض لسليمان باشا والتمس منه الاذن بعمار جامع في البلدة المقيم فيها وبما انه عازم ان يرفع له منارة التمس منه الاعراض الى الباب العالي والتماس فرمان الاذن بذلك حسب العادة · وسليمان باشا اجابه لالتماسه وحرر للباب العالي وجلب له الفرمان المطلوب وارسله له ومدحه على عمله · وعلي بك بوصول الفرمان باشر بعمار الجامع ورفع له المنارة وجعل له اوقافاً لادارته

﴿ توجيه ايالة الشام الى علي باشا مع وكالة سليمان باشا ﴾

في سنة ١٢٣٢ توجهت ولاية ايالة الشام لعهدة الحاج علي باشا والي المعادن. واذ كان منعاقاً عن الحضور الى المنصب لاشغال ضرورية في منصبه الاول صدرت الارادة الملوكية بتوجيه وكالة ايالة الشام لعهدة سليمان باشا الى حين حضور واليها وصار مأموراً مفوضاً بمعاطاة احكامها وادارة اشغالها وتحصيل اموالها ومطاليبها مع تحصيل مال الدور المطلوب من سناجق نابلوس وجنين والقدس والخليل والتصرف التام بذلك. وبوصول هذه الاوامر نصب سليمان باشا متسلماً على الشام رجلاً اسمه محمد كاشف ذا عقل وادراك والبسه الخلعة الفاخرة فروة سمور واصدر بيده مرسوم الحكم العمومي طبق منطوق الفرمان الملوكي وامر بان يعمل ديوان حافل ويتلى المرسوم علناً على رؤوس الاشهاد ويتسجل في سجل محكمة الشام واصدر مرسوماً آخر عمومياً امر فيه بجمع مخلفات الوالي السابق وتحرير دفتر ممضي ومختوم من حاكم الشريعة بافراد المخلفات وعمل حساب المطلوبات الميرية وواصلاتها والباقي منها بمحلاتها بالافراد بموجب دفتر ايضاً من المحكمة. وكذلك مهمات الحج المطلوبة والموجود منها واللازم منها وعمل دفتر ممضي بذلك وارسال الدفاتر الممضية والمختومة بوجه السرعة. ثم اصدر مراسيم الى متسلم سنجاق نابلوس موسى بك طوقان وامره بالحضور لعكا وصحبته اسعد بك طوقان والشيخ عيسى البرقاوي شيخ وادي الشعير وموسى عثمان الجماعيني ويعقوب الجماعيني وقاسم الاحمد وابو عوده الجيوشي شيخ

ناحية بني صعب واولاد الجرار الحاج احمد والحاج محمد والشيخ حسين عبد الهادي وباقي وجوه ومشايخ جبل نابلوس ليأتوا مع المعلم عبده السامري كاتب سنجاق نابلوس ويوسف السامري كاتب سنجاق جنين وحرر بطلب وجوه ناحية جبل القدس الشيخ ابراهيم غوش شيخ الجبل والمعلم قسطندي برهومي كاتب سنجاق القدس والشيخ عيسى عمرو شيخ ناحية الخليل . ثم حرر الى متسلم الشام بارسال الخلع المعتادة الى وجوه السناجق المذكورين ودفاترها . والجميع حضروا الى عكا حسب الامر ووزع عليهم مال الدور بكل سهولة وحرر عليهم سندات شرعية بتوريده الى خزينة عكا باقرب وقت . ثم حرر اوامر الى متسلم الشام والى سنجاق نابلوس والقدس وغزة بتحضير كل لوازم الحج المعتادة من الحلات المرقومة من قرب وخيش وحبال وبلاس وغيرها واجتهد كل الاجتهاد بان لا يدع شيئاً في عقدة التعسير حتى في حضور الوالي لا يجد شيئاً متعوقاً بمحله . ثم انه عزل ونصب وولى في ايالة الشام ومهد ساير امورها واورد من خزينته مبلغ مال الدور الذي فرضه على السناجق الى خزينة الشام لاجل ادارة مصالح الحج وجعل مطلوب النواحي في كيس خزينته . وهكذا رتب ساير الامور على ما ينبغي وحرر الى الدولة العلية والى والي الشام بجميع ما فعله . والجميع صاروا ممنونين من غيرته . وبعده حضر والي الشام لمنصبه وتسلم احكامه . واذ وجد كل شيء مهيأ حاضراً ارسل له تحريرات التشكر وجعل نفسه كانه واحد من مأموريه وارسل اربعة روس خيل عدل تقادم . وبوصولها سليمان باشا قبلها وارسل له ايضاً تقادم من طرفه .

وهكذا بعد حضوره ساعده بامر ارسال ما يقتضي للحج المعتاد قيامه من منزلة القطراني . واستجلب الى عكا مشايخ بني صخر واكرمهم والبسهم والزمهم بسرعة قيام الحملة فان ذلك مرتب لهم وعليهم من قديم الزمان وارسل اوامر مشددة الى محمد آغا متسلم سنجـاق غزة بسرعة قيام الحملة من غزة الى معان . واذ كانت عربان بلاد غزة والتياهـا والترابين المعتادين القيام بها حاصل بينهم عداوات ومحاربات اصلح بينهم موقتاً وجعل ان يكون بينهم فترة هدنة الى حين قضاء خدمة الحج وهكذا قاموا بها بكل سهولة. ولما قارب رجوع الحج نصب الحاج علي آغا متسلم طبريا من مماليك الجزار باشبوغ الجردة (راسها) وعين معه الحاج علي آغا والحاج موسى آغا الحاسي ضباط الهوارة بايالة صيدا رؤساء معه ورتب له دايرة لايقة ووجهه بدبدبة عظيمة حسب العادة وحضر الحج معه للشام بكل راحة . وبحضور هجان التبشير ارسل حالاً البشاير للباب العالي صحبة تاتار مخصوص حسب العادة وانتهت تلك المامورية .

﴿ وصول البشارة بأخذ الدرعية من الوهابي ﴾

في اواخر سنة ١٢٣٢ حضر تحرير الى سليمان باشا من محمد علي باشا والي مصر صحبة احد معتبرين دايرته يتضمن التبشير بتوفيقه لاخـذ الدرعية من الوهابي وانتصاره بانفاس الدولة العلية عليهم ومسكه لابي السعود الوهابي واولاده وضبطه موجوداتهم . فقبل سليمان باشا تابع الوزير الوارد اليه بكل بشاشة وجاس في محل مخصوص وامر بعمل ديوان حافل وامر بتلاوة تحرير التبشير علناً وهم جالسين ليس كقراءة

الفرمان او المرسوم الحكمي . وقاضي افندي عمل الدعا لحضرة السلطان كالعادة وامر سليمان باشا بضرب مدافع لاعلان البشرى . ثم اصدر مراسيم التبشير لجميع محلات ايالة صيدا واكرم الآغا والواردين معه وحرر الى محمد علي باشا جواب المنونية معه وارجعه معززاً مكرماً .

وعلى ما تشايع على السنة الخلق في تلك الاوقات ان محمد علي باشا لما ضبط مخلفات الوهابي وجد في بلدة الدرعية للمذكورين خيرات كثيرة جداً ومن جملتها بيرين معمرين تحت الارض كانهم مخازن مملوين ريالات فرنسا (فرنكات) ووجد عند ابو السعود الوهابي سيف النبي بذاته . فاذ اخذوا المذكور واولاده تحت الحفظ لعند محمد باشا اخذوا السيف معهم . واذ قدموه له عرفه فقبله وقال الى ابو السعود هذا السيف الشريف انا لا اجسر على لمسه وانت الذي تجاسرت على مسكه ساضعه في عنقك ليكون مقاصاً وقاطعاً له . وهكذا وضعه بعنقه وارسله معه الى الباب العالي بعد ان امر بخلع اسنانه .

﴿ السعي بتجديد عمارة الجامع الاقصى والصخرة ﴾

في سنة ١٢٣٢ ان كوسا كيخيا كتخدا الدولة الذي قدمنا ذكره بانه حضر الى الحج ومنه الى الشام ومن الشام الى عكا ومنها توجه لزيارة القدس الشريف واوضحنا ما حصل مدة اقامته بالقدس من سواله عن الصخرة والاقصى والحرم وتشكي اهالي القدس له من عدم الايراد والاكرام الجسيم الذي حصل عليه من سليمان باشا واتباعه وفي وصوله للاستانة العلية كان جزآء معروف سليمان باشا له

انه اعرض على المسامع الملوكية عن احتياج المحلات المذكورة الى التصليح والترميم وحسَّن له ان يجعل هذه الخيرية في صحيفته. ومن كون سليمان باشا رجل غني ومقتدر فاذا صدر له الامر بعمل ذلك يقدر على عمله بكل سهولة. فالملك استمال لاقواله ورغب عمل هذه الخيرية خصوصاً لما تأكد ان يكون عملها براني. فحالا اصدر توقيع همايوني بهذا الخصوص وبموجبه صدر فرمان ملوكي مستطيل الشرح حاوي عبارات متنوعة ومن جملتها المديح والثناء بحق سليمان باشا بساير اعماله. ولاجل حسن صداقته صار معتمد السلطنة السنية وتوكل من طرف ملوكانيته لعمل هذه الخيرية الجسيمة وهي عمار وترميم محلات عرش الله الادنى وتنظيمها كالواجب. وغير عبارات بها يلزموه بسرعة المبادرة الى هذا العمل الديني الخيري بدون تقديم ادنى عذر او تعويق. والفرمان الشريف مشحون بكثرة المديح وتحريك الهمة والغيرة المأمولة منه. وصحبة هذا الامر ارسلوا اثنين الفاوات وعرفوه عن معاشهم وترتيبه لهم ليجريه لهم منذ وصولهم الى عكا.

فبوصول هذا الامر الى سليمان باشا انغم جداً اولا من افعال كوسا كيخيا ومكافأته لمعروفه معه بهذه القضية الموجبة الخساير الباهظة له. وانما اخفى الغم واظهر السرور وامر بتجهيز اللوازم من عكا ووجه الالفا الوارد وارسل معه بوغوس الارمني الفا النجارين بعكا. وارسل كاتباً معهم لاجل تحرير اللوازم المعلم جرجس منسى كاتب كمرك عكا. ونصب مديراً لهذه المصلحة عثمان اغا باش جوقدار. وهذا كان اختيار من معتبري دايرته وتزوج في سرية من

سراري سراي السلطان سليم ، وحرر مرسوماً الى مصطفى اغا ابن علي افندي وكيل التكية العامرة بالقدس ليكون معهم يداً واحدة بالعمل وحرر مرسوماً عمومياً الى اهل القدس الشريف وعرفهم مضمون الامر الملوكي الوارد له وامرهم بمساعدة مأموريه واجرآء الهمة بالمسارعة بهذا العمل الخيري . وارسل المأمورين لاجل الكشف اولا على المحلات المقتضي ترميمها وعلى كل محل ينظروا اللازم المقتضي له من عمار وترميم ويوضحوا ذلك في لايحة مخصوصة . ثم يعملوا مقايسات اللوازم المقتضية لذلك من كلي وجزئي من اخشاب واحجار وكلس ودهانات ومعلمين نجارين وبنائين وفعلة ويحرروا بذلك دفتراً موضحاً ويرسلوه لاجل المبادرة بجلب اللوازم من محلاتها وشدد عليهم التنبيه بعمل الهمة والمسارعة . والمذكورون توجهوا حالا واوصلوا الاوامر لمحلاتها وانعمل اولا ديوان حافل بحضور ملا افندي (القاضي) والمفتي والنقيب ومتسلم السنجاق ومحافظ القلعة والوجوه والاهالي وارباب التكلم وخدمة المحلات الشريفة وتلي المرسوم العمومي علناً على روس الاشهاد والجميع اطاعة له ولرغبتهم القلبية بعمار محلاتهم اظهروا الاستعداد القلبي وكل منهم تكلم بما يخصه وبما يعرفه . ثم حصلت المبادرة من المأمورين بالكشف على المحلات وعن العمل اللازم لها وتحرر بذلك دفتر موضح بكل ما يلزم لكل محل لوحده . وبالاختصار وجد انه لازم تغيير سقوفة الثلاثة المحلات ورفايفها على الداير وتغيير سقوفة الاروقة جميعها وتغيير الرصاص الموجود على ساير الاسطحة لكونه من طول الايام تلف . وتغيير الكاشاني الموجود لكونه ما عاد ينفع .

وتجديد ساير الدرابزونات والاشياء الموجودة . واوضحوا مساحة المحلات طولاً وعرضاً لاجل جلب الجسورة اللازمة قدر الاحتياج . ثم عملوا دفتراً بعلم اللوازم بقدر الامكان تحت الزيادة والنقصان وقدموا الدفاتر الى سليمان باشا .

فبوصول الدفاتر المرقومة اعلاه واطلاعه على هذه المهمة الجسيمة التي ما كانت في الحساب ما ساعه الا ان اصدر حالاً اوامر مشددة الى الامير بشير الشهابي حاكم الجبل وارسل له علم الجسورة اللازمة واخشاب الصنوبر المطلوبة وامره بقطعها وتوريدها الى بيروت بكل همة واجتهاد بدون تقديم ادنى عذر . واصدر امراً الى متسلم بيروت وعرفه عن ذلك وامره ان يورد الجسورة والاخشاب والقرط والالواح بالحال ويبادر لارسالها الى يافا صحبة سفن مخصوصة بدون تأخير وحرر الى محمد آغا متسلم سنجاق غزة وعرفه عن ذلك وامره ان بحضور الجسورة والقرط والواح يدبر بالحال الجمال والزلم اللازمة لاجل مشالها واخذها الى القدس بدون ادنى تأخير وشدد عليه بذلك وحذره غاية الحذر من الاعاقة والاهمال . ومنذ ذلك الحين ما فتر عن مواصلة اصدار الاوامر الى الثلاث المحلات الى ان تم نقل ساير المطلوبات . وانما حصل الى اهل البلاد ثقلة عظيمة جسيمة من ذلك لان الجسورة المطلوبة كانت واهية بطولها وسمكها . وجانب من الجمال في جبل لبنان وفي بلاد غزة والرملة ويافا واللد هلكت بسببها . والغاية حصل بامرها مشقات كلية وضاجت ساير الرعايا من جرائها . وحيث ما وجد وجه يعفى من امرها لشدة لزومها صار اغضاء النظر من طرف سليمان باشا

ومن طرف الامير بشير ومن طرف محمد آغا عن استماع تشكي الرعايا . وعلى ما قيل انه في هذه المصلحة هلك زيادة عن مايتين وسبعين جمل وقتل جانب خلق والحاصل انتقلت الاخشاب .

فبعد حضور دفاتر المقايسات وعلم لوازم العمل من القدس حرر سليمان باشا الى الباب العالي واوضح اللازم بنوع الجنكاش القريب تحت الزيادة والنقصان وانه ربما يكون اللازم اضعافاً وذلك لكي يفهمهم انها مهمة جسيمة ليس كما هونها لهم كوسا كيخيا . فالباب العالي جاوبوه بالاستحسان وساعدوه بارسال نجارين ودهانين وعرفوه عن المرتب لهم ليندفع لهم ذلك بموجبه . واستهموه غاية الاستهمام بسرعة اتمام هذا العمل الخيري وغضوا النظر عن ذكر ادنى مساعدة له بشيء من الاشياء .

ثم بعده عملوا مقايسة الواح الكاشاني اللازمة فوجدوا انه اذا ارادوا ان يشتغلوها في الشام فانها اولاً تكلف مكالف جسيمة واهية ثانياً لا يمكن تطلع حسب المرغوب حيث الكاشاني اللازم وضعه في المحلات الشريفة يجب ان يكون مكتوباً بايات شريفة وبجانب الايات نقوشات لازمة تباعاً لها . وفي بعض المحلات يقتضي ان يكون الكاشاني عليه العلامة الشريفة الملوكية . وفي محلات اخر ان تكون مصورة بايات شريفة . وحيث غير ممكن عمل واتقان ذلك الا في محله صار الاستحسان بفتح مصلحة الكاشاني في القدس . وصدر الامر بجلب المعلمين من الشام وتحضير اللازم لادارتها . ومن الجملة انطلب له تراب من مغارة بجانب مدينة انطاكية بمقام لاحد الاولياء هناك . وان

التراب المذكور يوجد ضمن المغارة . فامر متسلم طرابلس واللاذقية بجلب التراب اللازم من تلك المغارة فانجلب وأُرسل للقدس . وتكلف هذا القدر مال ومصاريف وانعمل تنور لشوي الكاشاني وانشغل بالقدس بكتابات ونقوشات جميلة وطلع عمله حسب المرغوب وزيادة . وباقي المهمات من كارسة اخشاب ومسامير وحديد ورصاص واوايل وحبال وغير ذلك جميعها تحملت من عكا وأُرسلت الى القدس اول باول مع الاموال التي تلزم للمصارف عدا الذي انشرى من تلك النواحي . وهكذا بكل اجتهاد تمموا عمل ساير اللوازم المقتضية . ثم استجلب لهم ورق الذهب اللازم من الاستانة وارسله للقدس وانتظمت ساير المحلات الشريفة بما يلزم لها من التعمير والترميم والزينة بزيادة عن هيئتها الاصلية اضعاف مضاعفة .

وعند قرب انتهائها تقدم عرض محضر من خدمة بني الله داود في القدس يتضمن الالتماس والاسترحام بترميم وتعمير تربة ومقام النبي المشار اليه . فاجابهم سليمان باشا لمسؤولهم وامر بعمل اللازم لها . وانعمل المقتضي بكل اتقان وتجدد المقام والتربة بكل انواع الزينة . واقتضى لاتمام عمل ساير المحلات بالقدس زيادة عن سنة وتسعة اشهر . وبالمقايسة تكلف زيادة عن اربعة الاف كيس وجمل هذه الخيرية في صحيفة السلطان وصحيفته .

في بستان الست فاطمة

في سنة ١٢٣٢ باشر سليمان باشا عمل بستان باسم ابنته فاطمة خانم

قبال عكا في خندق قديم يبعد عن سور عكا مقدار ربع ساعة او اقل وامر بطمر ذلك الخندق وساواه بأرض البرية وجعله اقرب بساتين البلدة وغرسه من ساير الاشجار ذات الثمار والفواكه والزهور وعمّر فيه محلات ارضية لاقامة التخومنجية (خدام المشاتل والبذور) ولوضع البقر وآلات البستنة وعمر فوقها قصراً عظيما مفتخراً يحتوي اربعة قصور كبار مفتخرة واربعة اواوين وخمس اوض بجانب القصورة والاواوين لاجل اقامة الخدم وجعل تحت القصر بركة ماء واسعة وجلب لها الماء من قناية الكابري الداخلة الى البلدة لكونها ماشية قنايتها بجانب البستان وجعل في وسط القصر فسقية وجادروان[1] يخرج منها الماء بنوافير عالية جميلة ويصبوا في الجادروان ومنه يمشي الماء في سبيل الى البركة الكبيرة التي تحت القصر . ومن البركة ينسقي كامل البستان وكوّنه تكويناً جميلاً يشرح الصدور وزيّنه بالدهانات والتزاويق الجميلة وجعل زرع الزهور كالورد والنسرين والفل والياسمين وانواع الزهور على ما يدور شبابيك القصر والقصور التي ضمنه بحيث اذا قعدت في اي محل من محلاته ان كان بالقصور ام بالاواوين ام بالاوض فمن الناحية الواحدة تشاهد من الشبابيك اشجار البستان وارضه وتحت شبابيكه الزهور ومن الناحية الاخرى تشاهد ضمنه الفسقية والجادروان والنوافير والماء سارح منهم الى السبيل . وبلّط ارض القصر جميعها بالرخام المنقوش مع ارض القصور والاواوين ثم امر بفرش ساير

(١) المراد بالجادروان او الشادروان باللغة التركية حوض الماء الذي فيه النوفرة ونوفرة الماء ذاتها . والفسقية حوض الماء الصغير الذي تخرج منه النوفرة .

المحلات وتزيينها بفرش مفتخر كل محل بطاقم شكل ونقل له الياطق [1] اللازم لاجل منامه ومنام الحرم وكامل ما يلزم لاقامته واقامتهم. وكان غالب الايام يأتي اليه ويستقيم فيه للنزهة. وغالب الاوقات يرسل يستحضر الحرم صحبة الحرم اغاسية ويخرجهم من باب السر الذي في خندق عكا ويحضروا في البرية دغري دون ان ينظرهم احد. الا ان الحرم اغاسية الستة انفار الذين كانوا عنده كان البعض منهم يمشي برفقة الحرم والبعض يتفرقوا بالطرقات امامهم ويمنعوا الناس من المرور الى حين وصول الحرم جميعهم وهكذا حين رجوعهم الى السراي يكون على هذا المنوال. والحاصل انه اتقنه وجعله محلاً يرحل اليه ويشرح الناظر والخاطر ودعى اسمه بستان او قصر الست فاطمة وبقي الى حينما عبدالله باشا اعدمه وقلع اشجاره وخربه تماماً بعد حصار عكا من درويش باشا سنة ١٢٣٩ [2].

﴿ ترميم واصلاح الديوانخانة ﴾

في اول سنة ١٢٣٢ باشر سليمان باشا بترميم وتصليح وتبليط ارض الديوانخانة المعمرة من الجزار ضمن السراي. فهذا المحل هو خلاف برج الخزينة المعمر من ضاهر العمر الذي كان يجلس فيه الوزير

---

(١) المراد بالياطق بلغة الاتراك سرير المنامة.

(٢) جدد عبدالله باشا فيما بعد هذا القصر والبستان وجعله افضل واجمل كثيراً مما كان ودعاه باسم البهجة ثم انتقل بالشراء الى المرحوم عبد الرحمان باشا بيضون واليوم ملك اولاده.

وساير دايرته . وكانت الديوانخانة محلاً متسعاً يحتوي على عدة اوض تقيم فيها مماليك الوزير وبينها وبين دار الحرم حايط عالي جداً . وموجود فيها ثلاثة قصور والكبير فيها كان غالب الاحيان يجلس فيه الوزير . وفي السهرة يسهر فيه . وله باب سر لدار الحرم يدخل منه ومفتاحه معه وهذا القصر واقع بالناحية القبلية من القصر فوق جنينة الشيخ يانس وكان على ترتيب محلات اسلامبول . والناحية الشرقية منها كانت مسقوفة في قبب راكبة على عواميد مرمر سماقي نظيفة جداً وجميلة المنظر لها اطواق نحاس اصفر راكبة على قواعد رخام وهي ستة عشر عمود . وضمن هذه القبب محل المجلس وفيه جادروان بفسقية جميلة جداً كان يخرج منها الماء بنوافير . وهذا المحل جميعه راكب على اقبية قديمة جداً . وفي وقت الجزار كان جاعل ارضها جنينة مزروعة زهوراً مرتبة حسناً وعلى دايرها مماشي من البلاط الفينيقي الصغير . وعند بابها كان دولاب دار الحرم[1] الكبير . فسليمان باشا استحسن ينظم هذا المحل عن الاول فجلب له البلاط الرخام والمرمر الملون وبلط ساير ارض الدار المتسعة ونقش حيطانها باصناف النقوشات وكذلك قصورها واوضها نظمها عن الاول خصوصاً القصر الكبير الذي كان يجلس فيه زينه زينة جميلة بالنقوشات المنوعة . وجعل تحت القبب بين

---

(١) المراد بالدولاب خزانة صغيرة من خشب في وسطها عمود تدور عليه توضع في طاقة خاصة ينقل بها ما يرام اخراجه وادخاله الى الحريم باقرب سبيل بدون حاجة الى طرق الابواب وازعاج الحريم اصحابها . وقد تكون في غرفة المطبخ والسفرة .

العواميد في جانب المحل من ناحية الشرق مجلسين عاليين عن الارض مبلطين بالرخام وجعل لها درابزونات خشب مخرم وعلى رؤوسها جعل لكل محل تسع رمانات من فضة قدر كل رمانة مقدار البطيخة الصغيرة . ونظم ايضاً محل الجادروان وزاده تجميلًا وعمل همة كلية باتقانها . وباقرب وقت تممها واول جلوسه فيها كان يوم حضور بشاير اخذ الدرعية والوهابي من محمد علي باشا . فهناك عمل الديوان وقرأ تحرير التبشير واظهر الحظ مما عمله فيه .

﴿ عزل ابرهيم اغا الكردي عن متسلمية بلاد بشارة ﴾

سنة ١٢٣٢ لحد هذه السنة كان ابرهيم اغا الكردي متسلماً في بلاد بشارة وعنده جانب من الاكراد . وبسبب ان سليمان باشا مرتب له (معاش) خمسة وعشرين بيراق لادارة محلات متسلميته ليعين فيها خيالة لتحصيل المطاليب الميرية وقضاء سائر الخدمات اللازمة ومعاش الوكلاء الذين يضعهم بباقي المقاطعات . فكان ياكل معاش البيارق ويستخدم عنده من جنسه الاكراد خدمة بدون اجرة منه . بل بما يجنوه من القرايا وبما يغرموا به الفلاحين . وصاروا مع مداخلتهم بالبلاد وترددهم اليها بالتحويلات والثقلة يلزموا الفلاحين ان يشدوا لهم بعض فدن فلاحة بالقرايا وهم يقولوا انهم يدبروها هم لكن كانوا يلزموا الفلاحين بادارتها . والبعض بالكاد يعطوهم ثمن البقر ويكلفوهم لوضع البذار وساير المصاريف مع الحصيدة والدراس والحمولة لمنازلهم . كي يخلصوا من شرور ثقلتهم . وهذا الفساد سرى من الاكراد في

ديرة بلاد بشارة واتصل بجماعة متسلمين باقي النواحي . وعدا ذلك امتدت العساكر الى هذا الامر واستعملوا الشرور في البلاد وهكذا صاروا يلقوا اثقالهم على الرعايا واتصل الامر من الاكراد والاتباع الى ضباط العساكر المرتبين في قلعة عكا والذين اقامتهم في المحلات خارج عكا مثل الناصرة وشفاعمر وطرشيحا وحيفا وصور وصيدا وجعلوا فلاحين البلاد عبيداً وفلاحين لهم . وكان الرعايا صارت باعمالهم مضغة للماضغ . فسليمان باشا اذ تحقق ذلك اشمأز وزعل . واصدر حالاً مراسيم مشددة لساير محلات ايالة صيدا بمنع وردع ساير اجناس العساكر عن الفلاحة والزراعة . وحتم وشدد بالاوامر انه بعد الان اذا طرق مسامعه ان الفلاحين قبلت مع احد من اجناس العساكر بالشدد ان كان كلياً او جزئياً ظاهراً او خفية او بالحيلة والدسيسة فاولا تلك الفلاحة تنضبط لجانب الميري بدون ثمن ثانياً يجري القصاص المريع للفلاحين ولمشايخ تلك القرية ومتسلم الناحية ايضاً . ثالثاً ينقطع خبز العسكري او الضابط ويخرج من ايالة صيدا بدون قبول ادنى عذر لاحد منهم مطلقاً . ونشر حالا هذه الاوامر لساير النواحي فانكفوا عن هذا العمل

﴿ عصاوة ومقاطعة صافيتا وطاعتهم ودخولهم في الاسلام ﴾

في سنة ١٢٣٢ اظهر العصاوة اهالي صافيتا التابعة ايالة طرابلس بجسارة كبيرهم الشيخ صقر المحفوظ وباقي كبارهم . فاذ اعرض مصطفى بربر آغا عن عصيانهم والتمس من سليمان باشا اسعافه

بالعساكر لاجل محاربتهم وردهم الى الطاعة اصدر حالا سليمان باشا امره بارسال العساكر اللازمة وجعلهم ان يكونوا منقادين الى مصطفى بربر اغا . وامره بعمل اوردي وان يمشي عليهم بالعساكر ويحاربهم ويردهم الى الاطاعة . وفوّضه التفويض التام بذلك . والمذكور بوصول العساكر قام بها من طرابلس ومشي عليهم وشغَّل الحرب وقطع منهم خمسة عشر راساً وارسلهم الى عكا. وادخلهم تحت نير الاطاعة وضايقهم جداً ورتب عليهم العبوديات الشاقة . وبعد مدة قام عنهم ورجعت العساكر الى محلاتها . واهالي صافيتا من شدة ما قاسوه في هذه الواقعة دخل عليهم الخوف والرعب وارسلوا عرضحال الى سليمان باشا يتواقعون به ويترجون ان يقبلهم في دين الاسلام لانهم نذروا وتعهدوا على انفسهم الطاعة الدايمة بحيث يرجّع اليهم مقدمهم الشيخ صقر والشيخ دندش والتمسوا ايضاً الاذن بان يعمروا جامعاً لاقامة الصلاة والعبادة وتظاهروا بانهم يريدوا يتورعوا . وسليمان باشا قبل اسلامهم واصدر مرسوماً الى بربر بذلك وامر بان يأذن لهم بعمار جامع ويرسل لهم علماء من طرابلس تعلمهم دين الاسلام والفرايض وتستقيم عندهم وهكذا تم .

﴿ خبر الفتنة التي وقعت بين اهالي نابلوس ﴾

في اوائل سنة ١٢٣٢ وقعت فتنة في جبل نابلوس بين الوجوه في بعضهم لانهم كانوا احزاباً وكل منهم له رفاق من صف الاخر . واما باب عكا فكان سليمان باشا يميل الى بيت الجرار . وعبد الهادي ابو

بكر وابنه حسين . ولما مات عبد الهادي صار ابنه حسين مكانه .
وبواسطة ميل سليمان باشا اليه ومعاضدته من المعلم حييم والمعلم حنا
ودوام مساعدتهم له بمسائله عند سليمان باشا و كرم نفسه وتحسين سلوكه
تقدم بين وجوه جبل نابلوس وانطلق اسمه وصار له سمعة بزيادة اضعاف
عن والده . لان اباه نعم كان شيخ عرابة الا انه ما كان معدوداً من
الوجوه المشهورين بل كان كبقية مشايخ القرايا . وانما كان له كلمة
بينهم بنوع ما . فاما ابنه حسين فتقدم حتى صار يعد من وجوه الديرة
واساطينها والمتكلمين فيها وصار له صفوف وحلوف نظير غيره . وعلي
باشا وابنه عبدالله باشا بعده كانوا يميلون الى بيت طوقان والى عيسى
البرقاوي . وهولاء جميعهم كانوا يكرهون بعضهم بعضاً . وكان يومئذ
متسلم السنجاق اسمه موسى بك طوقان وهو البادي باجراء الفتنة مع
موسى العثمان وقاسم الاحمد الجماعيني . وثارت الفتنة والحرب بينهم وكل
من مشايخ ووجوه النواحي تحشدوا لبعضهم . وصار ضرب البارود
الى ان وقع سبعة عشر قتيلاً من الفريقين عدا المجاريح . وبما انهم
تابعون ايالة الشام واحوالهم مع ولاة الشام في ذلك الوقت مشهورة لان
الوالي دائماً احكامه عليهم بالمداراة . والذي يريدوه من اوامره ينفذوه .
والذي لا يريدوه لا ينفذوه ولا يستطيع ان يتعارضهم ولا يمانعهم وليس
عنده قوة لمحاربتهم وترجيعهم عن هذه الاحوال . لان الوالي كان
يحضر يستقيم بولاية الايالة سنة وينعزل ويحضر غيره . وعدا ذلك كان
يلتزم بالضرورة انه من حين حضوره يتدارك تدبير مهام الحج وتحضير
لوازمه ليكون في وقت اوان مسير الحج كل شيء حاضراً مهيا . ولا

ينعاق امره ويبقى بهذه المشغولية المهمة لحين قيام الحج من الشام فيمشي به . وفي رجوعه الى الشام يجد اوامر العزل منتظرة له . وعلى هذه الكيفية كانت احوال ولاة الشام ضعيفة عن مقاومة اهالي جبل نابلوس وجنين والقدس والخليل واخضاعهم . وهؤلاء لمعرفتهم الاكيدة باحوال ولاة الشام وعجزهم عن تأديبهم واعطاء نظامهم اخذوا العصيان خاصتهم من قديم الزمان وجعلوا دابهم كثرة الحروب والفتن وسفك الدما والارتكابات المنافية الانسانية .

وبما ان اهالي تلك الجبال احوالهم غريبة اولاً بطاعتهم العمياء الى كبارهم ومشايخهم ومتأصلين فيها بهذا المقدار من الغباوة . وذلك اذا كان فرضاً قرية من قرايا شيخة بيت الجرار بل باكثر من ذلك اقارب لهم وموجود بينهم نسب قديم او حديث وكان غرضهم الى البرقاوي فتى حضرت لهم قطعة ورقة صغيرة من البرقاوي فيها «ارفاقنا اهالي القرية الفلانية يقتضي توافونا في بارودكم الى المحل الفلاني لاجل الحرب مع فلان» فاذا كانوا يتعشوا يتركوا حالا العشاء ويصرخوا ياهو ويأخذوا بارودهم ويتوجهوا بكل فرح وسرور كانهم متوجهين الى وليمة او الى فرح . ولا يلتفتوا الى شريعة ولا الى ناموس من الله يمنع هكذا احوال واعمال ولا الى قرابة واهلية ولا الى جنسية لان محارباتهم ومشابكاتهم مع بعضهم ليست مع غير اجناس . وعدا ذلك فانهم ياخذون من قراياهم النساء الشابات الجميلات لكي تمشي معهم وتحمل لهم الماء . وفي وقت اشتباك الحرب تدخل بينهم وتحرضهم على الشجاعة والاقدام برفع اصواتهم بالزلاغيط والتحريش على الثبات

لحد الموت . واذا الحرمة منهم لاحظت ان زوجها او اخاها او عمها او ابنها ايضاً توقف من تعب او عن جبانة او ضعف تصير تحرضه وتنخيه بهذا المقدار حتى انها ترفع طرف ثوبها وتظهر له ساقها وتقول له يا حيفك يا مشوم تتهامل وتدع غيرك يبوس هذا الساق . ولا تزال توبخه وتحرضه وتنخيه حتى تلزمه بان يرمي نفسه على الموت . واذا قتل بالحرب يكون عندهم راح بوقته ومات عزيزاً . والموت قليل الاعتبار عندهم . هذا عما يخص ارواحهم .

واما اموالهم فهي مباحة لمشايخهم بدون حساب . فاولاً مال الميري المطلوب المسمى مال الدور كان يطلع والي الشام بذاته وياخذ عساكره ودايرته و كتخداه وصيارفه وكتابه في اوقات معلومة وينزل بمنازل معلومة متقنة . وفي كل منزلة له ذخاير معلومة وبوصوله الى تلك المنزلة في اوقات معلومة تحضر مشايخ تلك الناحية واوادمها . والمذكورين لهم رتب معلومة عند استقبالهم الوزير . واذ يقابلوه وينالوا منه الاكرام المعتاد يبقوا بالاوردي الايام المرتبة ويترددوا على الوزير و كتخداه ودايرته حسب عوايدهم . والوزير يلبسهم الخلع المعتادة كلاً بحسب رتبته وبدلات متممة من فراوي وغنابيز بعضها جشكلي وبعضها قطني عال ومثله سرتي وجبب جوخ اسلامبولية وبنشات مخرجة وشالات كشمير وطرابيش . فبعد ان يأخذ كل منهم خلعته ويتوشح بها يجلسوا لاجل توزيع المال والذخاير والعبوديات المعتادة . فاذا كان الوزير صاحب دربة وملاعيب يعمل لهم زيادة انس وبوليتيكا لينال منهم بعض مبالغ زيادة عن المال المرتب يسموها

عبوديات وتقادم وكذلك باقي خدمه ودايرته بقدر ما يمكنهم من الملاعيب والبوليتيكا والتنازل معهم لينالوا منهم العطايا اذ ان ذلك عندهم موسم نادر لا يدوم . فالمشايخ بعد ان يوزعوا المشالح ويلبسوا خلعهم ويقدموا عليها التقادم المعتادة من خيل وجمال يأخذوا الاذن ويرجعوا لبلادهم ليجمعوا المال . وهناك ترى منهم الشفقة والمرحمة على بعضهم لانه اذا فرضاً كان المطلوب من ميري وعوايد وعبوديات وخلافه من كلي وجزني خمسين الف يوزعونها ماية وخمسين الف او مايتين الف . ومتى قال شيخ منهم الى شيخ القرية عليك توريد عشرة آلاف غرش يطيع كلمته كانها بارزة من فم الله وشيخ القرية يوزع العشرة آلاف خمسة عشر او عشرين الفاً لاجل المصاريف التي تلزم له حسب طلب مشايخ الديرة . والفلاحين كذلك يدفعوا على القاطعية بدون حساب ولا سؤال . فهذا هو مسراهم مع بعضهم .

وانا الفقير شاهدته بعيني لما توجهت باشكاتب الاوردي من طرف عبد الله باشا في وقت حرب سانور وفهمته منهم جلياً لما حضروا ووزعوا الاموال ونظرت احوالهم الغريبة عن الانسانية التي سنذكر بعضها بمحله فيما بعد في وقت حرب سانور سنة ١٢٤٥ ان شاء الله تعالى .

وهكذا الوزير يبقى بحال الاستقامة ماشياً معهم حسب الترتيب المعتاد دون ادنى زيادة . واذا نظروا منه شيئاً مخالفاً للرسوم المعتادة فلا يقبلوه ولا يطيعوه . واذا لاحظوا انه يريد يمشيه غصباً ينفردوا عنه ويرجعوا الى محلاتهم ويعطوه جواب العصاوة . وجملة مرات ارجعوا الوزراء باوردييهم غصباً . وما اكتفوا بهذا بل ارسلوا من طرفهم من

يسرق الاوردي وينهبه ويلتزم الوزراء ان يسرعوا برجوعهم على صفة الهاربين منهم ويلتزموا بان يقدموا الالتماس الى ولاة صيدا لكي يساعدوهم بامر تحصيل مال الدور . وولاة صيدا بحسب قرب الجوار وبسط يدهم عليهم من قديم الزمان من وقت الجزار يضطروا ان ينقادوا لاوامرهم خشية منهم بسبب قرب مركز حكومتهم في عكا ومتانتها وتحصينها فلا يستطيعون مقاومتهم . بل يداروهم دائماً ليبقوا مالكين اربهم من ولاة الشام . فلاجل هذه الغايات اي لاجل ان ولاة الشام كانوا دائماً محتاجين الى ولاة ايالة صيدا ومساعدتهم على اهالي الاربعة السناجق المذكورة بداعي قربهم لهم من ناحية عكا وبلاد صفد وناحية ساحل عتليت وناحية سنجاق غزة ويافا والرملة واللد وخاصة لوجود والي صيدا اولاً متقوياً في قلعة عكا المشهورة ثانياً لوجوده في الايالة على طريقة الملك من كون ايالة صيدا حكومتها مالكانة مؤبداً ما دام الوزير بقيد الحياة وليس موقتاً كولاة الشام . وعدا ذلك فان الدولة العلية جعلت هذه اليد الى ولاة صيدا بموجب اوامر منها اولاً حينما كانت في غالب الاحيان توجه منصب الشام على والي صيدا الحاقاً كما جرى وقت الجزار وكما صار سنة ١٢٢٥ كما قدمنا الشرح ثانياً حينما امرت اهالي السناجق المذكورة بالطاعة لوالي صيدا حين عصاوة محمد باشا ابو مرق كما قدمنا شرحه . ثالثاً حينما امرت مراراً سليمان باشا بالوكالة على الشام لوقت حضور الوالي وبجمع مال الدور كما قدمنا شرحه . وعدا هذا فان ولاة الشام دائماً يحتاجون الى مساعدة ولاة صيدا بالمال والرجال لاجل اعطاء نظام محلاتهم كمثل واقعة صوفين التي قدمنا ذكرها وغيرها

فهذه الاسباب جعلت مشايخ نابلوس تلتزم بالضرورة ان تطيع وتخضع لوالي صيدا اولاً لخوفهم من اقتداره ثانياً لتوطيد ظنهم انه اقرب ما يكون بتوجيه ايالة الشام لعهدته او قلما يكون الوكالة عليها حسب المعتاد ويعرفون حينئذ ماذا يكون من امرهم معه ومن الذي يقدر على تخليصهم من يده . ثالثاً ان ملاذهم وانقيادهم اليه بالخصوص كان يحصل لهم منه فوائد كثيرة اولاً للملاحظات المدروجة آنفاً ثانياً اذا وقع لاحدهم قضية في باب الشام وتعسرت ام ان الوزير مال على احدهم لينال منه غاياته فاذا لم يقدر يعدله بسائر الوجوه اللازمة فبكل سهولة يحضر الى عند والي صيدا ويلتجي اليه ويتساعد منه بالتحرير اللازم الى والي الشام الغير الممكن مخالفته ويصرف قضيته بوجه هين .

فلاجل هذه الاسباب لما نظر سليمان باشا اشتداد الفتنة والحرب في جبل نابلوس مع بعضهم وكان كما قدمنا من طبعه دائماً يحب الصلح والسلام والمحبة والامنية بين الرعايا ويجتهد على منع وقوع الاختلافات في ساير المحلات التابعة والمجاورة للايالة ولاجل اغتنام المجد والشرف وحسن السمعة وخصوصاً اغتنام رضا الباري تعالى ورضا الدولة العلية ولكون والي الشام يومئذ حرر له والتمس منه وانهض غيرته وهمته لكف هذا الفساد الواقع وحرك غيرته لاغتنام فضيلة حقن دماء الاسلام حرر مرسوماً عمومياً الى متسلم سنجاق نابلوس والى وجوهها جميعهم بكف الحرب والقتال وحضورهم جميعهم الى عكا الى ديوان سعادته لاجل رؤية الدعوى الكاينة وفصلها بالوجه الحقاني . واكد وشدد عليهم غاية التشديد بان حال وصول الامر

اليهم واطلاعهم عليه بالساعة والدقيقة ينكفوا عن الحرب بدون اهمال ويرفعوه ويصرفوا الجرود الى محلاتهم بدون ان يبق احد منهم مطلقاً ويسارعوا بالحضور الى عكا بدون ابطآء ولا تأخير . وتهددهم غاية التهديد بذلك .

فالمذكورون حال وصول الامر لهم طاعوه بالحال وانكفوا عن الحرب وصرفوا الجنود لمحلاتهم . وفي الحال ركب كل اصحاب الاسمآء المطلوبين وهم موسى بك متسلم السنجاق واسعد بك طوقان وموسى العثمان وقاسم الاحمد الجماعيني واحمد الجرار ومحمد الجرار وعيسى البرقاوي ومحمد الاحمد ومشايخ وادي الشعير وحسين عبد الهادي والجيوشي . وبوصولهم الى عكا امر لهم سليمان بالنزول في قوناقات وامر لهم بالرواتب الكافية وعليق لخيولهم وخيول اتباعهم بزيادة عن لزومهم . وثاني يوم وصولهم اذن لهم بالحضور الى ديوانـه واستقبلهم حسب عوايدهم واجلسهم حسب مراتبهم . وبعد ساعة زمان من المحادثة معهم قاموا من ديوانه الى ديوان عبد الله باشا الكتخدا وسلموا عليه . ورجعوا الى قوناقاتهم وثالث يوم امر بحضورهم . فاذ حضروا وبخهم اولاً على ما سمع عنهم بالفاظ دينية ودنيوية . وبعد ان سمعوا توبيخه جاوبوا بالاقرار بقصورهم والتمسوا العفو عن ذلك والتمسوا ايضاً بان يسمح لهم لكي يعرضوا بمسامع سعادته الواقع واستماع تقارير الفريقين وهم خاضعين طايعين لامر دولته . فوعدهم بذلك وفك ذلك المجلس وكل منهم توجه الى قوناقه وصرف النظر عن استماع تقاريرهم زيادة عن العشرة ايام . نعم كانوا يومياً يحضروا جميعهم او

يحضر بعضهم . وكان الذي يبقى منهم مقيماً في ديوانه لوقت الغدا يأكل معه ويوديهم كل بشاشة وقبول حتى ان كلّا منهم كان يفتكر ان الوزير والده الحقيقي وله فيه الغبطة الوالدية . وسليمان باشا قصد صرف النظر كل هذه المدة واستعمل معهم هذا التلطيف لاجل تبريد اخلاقهم لتهمد معهم نيران الفتنة ويبرد من قلوبهم اضطرامها وفي وقت فتح الدعوى يمكنه صرفها بينهم بكل سهولة . فلما كلوا وملوا من الانظار مع عدم امكانيتهم المراجعة صاروا يتواقعوا على عبد الله باشا ويترددوا على المعلم حييم والمعلم حنـا عورة ويترجوهم بالتوسط لصرف هذا المشكل بمليح او بعاطل باي وجه اتفق لكون قاسم الاحمد وموسى العثمان كانوا مدعين لوحدهم على موسى بك طوقان بدم ثمانية اشخاص من قرايبهم ومقسمين يمينات معظمه جداً بانهم لا يرفعوا الحرب عن بيت طوقان الا براس موسى بك واسعد بك واربعة عشر نفر من بيت طوقان عوض اقاربهم . واما بدية كل واحد ماية الف غرش وهكذا اثاروا الحرب بالديرة على هذا الوجه .

فسليمان باشا لمعرفته شراسة اخلاق (عزة نفس) موسى بك وعنفوانه وعدم اقتداره بنفس الامر على الثبات ومقاومة الجماعيني حيث نصف مدينة نابلوس من صفهم واتباعهم وقرية بيت اوذن التي هي بلدة قاسم الاحمد راكبة على كتف مدينة نابلوس واذا كان سليمان باشا لا يعطي رأياً حسناً تخرب الديرة فاستعمل معهم هذه الصورة والتصرف الحكيم ونتج منة مرغوبه لان قاسم الاحمـد وموسي العثمان من حسن تصرف الوزير ودوام التفاته وتلطيفه لهم والتمسك بالحبل الطويل بردت معهم

تلك الحرارة الاولى وصاروا مايلين من الضجر والملل وطول الاقامة الى الصرف بوجه لايق .

فسليمان باشا بعد عشرة ايام اذ لحظ بلوغ بعض الغاية المطلوبة من تقديم الالتماس من عبدالله باشا والمعلمين عمل مجلساً وجمعهم كلهم وامر بان يتكلموا كلهم بما عندهم . واذ كانت نار الحرارة فاترة من قلوب جميعهم قرروا لسعادته عن الاسباب وكل منهم قدّم دعواه باسهاب . وبعد ان سمع كل تقاريرهم تمهل موقفاً باعطاء الاجوبة اللازمة بدا يجاوبهم بالاجوبة المقتضية للشرف وتصليح العكس الذى وقع في الديرة التي هي ملك حضرة السلطان بسبب خسافة تصرفهم الغير المأمول وقوعه . وانه حيث محقق عندهم جميعاً حبه القلبي وميله الخصوصي لهم وانه متخذهم نظير اولاده فالواجب عليهم ان يتشبهوا في تصرفه وخصوصاً بما انهم جميعهم اسلام . فهذا العمل مما يوجب لهم خسارة الدارين واورد لهم الآية الشريفة (من رأى منكم منكراً فَلْيُزِلْهُ) وقال لهم اذا كان الله تعالى امرنا بازالة المنكر والمكروه فهل يجوز لنا عمله . ثم تدوّر عليهم بالحديث وقال لهم الظاهر ان طمعكم بمشغولية اخينا والي الشام عنكم بتدبير مصالح الحج الشريف جعلكم ان تتفاوتوا الحدود بهذا المقدار وجعلت عقولكم تنحجب عن معرفة ان الملك السلطاني العثماني كل منا نحن عبيده ووزراءه واجب علينا المحافظة عليه وصيانته من اناس مخلين مثلكم . وبعون الله تعالى انا وحدي بمفردي في كل وقت قادر بالنفس النفيس الاقدس الملوكي ان احميه واذب عنه واحافظ على رعاياه من سائر طوارق الخلل . انما توسعنا فيكم الظاهر اطمعكم فينا . خير لا نعمل

شزراً انق . ثم اظهر الحدة والعبوسة ورمى الجبق من يده ونهض حالا بسرعة ونزل الى حرمه حالاً ذلك المجلس . واولئك بقوا وبقي عبد الله باشا معهم بالديوان صامتين واخذتهم البهتة . وبعد حصة زمانية اخذ عبد الله باشا يتحادث معهم ويؤيد كلام الوزير الذي تكلم به . وبعد محادثات مقدار ثلاث ساعات كرروا الرجا لعبد الله باشا بالتوسط لدى الوزير . فوعدهم بان يبذل جهده . وثاني يوم خرج الوزير الى بر المدينة للتنزه قصداً ورجع المساء .

وثالث يوم عمل الوزير ديواناً وطلبهم . واذ حضروا قابلهم كالعادة واجلسهم بمراتبهم . وبعد حصة زمان قال لهم انا اول امس تكلمت معكم كلام والد لاولاده . فجميعهم سجدوا له ودعوا له ثم قال وانا عارف ان جميعكم لكم اشغال في محلاتكم وتريدوا ترجعوا اليها وصرتم ضجرانين من الاقامة هنا . فانا والله اريد ان تكونوا دائماً عندي حتى اشاهدكم واتسامر معكم . ولكن كيف العمل وحساب القرايا لا يجي على حساب السرايا . وانا اعرف ان كلامي معكم اول امس اخذ مفعوله من كونه حقاني . ياترى اصحيح هذا ؟ فجميعهم تمنوا وقالوا والله ياسلطانم نحن عبيدك في كل وقت مقرين بالقصور . وانما طمعنا بوفور مراحمك يحملنا ان نسترحم بطلب العفو ونحصل عليه كما تعودنا ونحن مقرين بالعبودية . والله يافندم لو انفذت فينا امراً برمي رقابنا ما كان فعل معنا بمقدار ما فعل ما تفضلت به . واذ اننا ساقطين بدرجة القصور فما عندنا ما نقول سوى طلب المرحمة والعفو . حينئذ ضحك الوزير وقال لهم انتم اولادي وكما تقولون رقت انكيز (شفوق) وبلادكم بلادي وانا اريد ان احكم

بينكم فان قبلتم حكمي كان خيراً . وان ما قبلتم حكمي قوموا روحوا لبلادكم وافعلوا كما تريدوا . فاجابوه على الرأس والعين والمخالف ملعون امه وابوه . وهذه قالها قاسم الاحمد . فقال الوزير اصل هذه الحركة مني انا . وانا كنت سبباً لقتل الثمانية الاشخاص . وانا الذي اوجبت المسلمين ان تحارب بعضها بعض . والذنب مني انا وانا استحضرتكم الى هنا لكي استسمح منكم . فان اردتم تسمحوا لي وتصفوا قلوبكم لبعضكم وتزيلوا منها الشر والاحقاد وتكونوا جميعكم بقلب واحد فانا اتعهد لكم اني اعطي فداها مهما انطلب من مال ومناصب ومالكانات وتوجيهات هدايا مهما اردتم اطلبوا وانا قدامكم بشرط ان تقوموا الان قدامي تقبلوا رووس ولحى بعضكم بعض وتحلفوا قدامي يمينات الصفح وتتعهدوا لي بالثبات عليها . وكل من خالفها فأنا اكون خصمه . هيده (هيا) قوموا.

فحالا نهضوا وبدوا يقبلوا رؤوس بعضهم ولحاهم . ويحضروا ويقبلوا اذيال سعادته ويدعوا له حتى خلصوا . واذ جلسوا امر باحضار القهوة ومدحهم وآنس لهم . ثم قال للشيخ قاسم الاحمد يا شيخ قاسم لا يكون الا خاطرك . وانا آمر موسى بك ان يعطي دية المقتولين الشرعية اضعافاً لتدفع لهم ولاهلهم . وانت سامح الجميع لاجل خاطري . فسامح وانصرف المجلس . فثاني يوم صباحاً ارسل الوزير طلب موسى بك لوحده . واذ حضر أمره بان يحرر سنداً الى قاسم الاحمد بدفع تسعين الف غرش دية المقتولين . فحالا حرر المذكو السند بيده وسلمه للوزير . وبعد ان اخذه الوزير امر كامل المشايخ . واذ حضروا

وجلسوا وشربوا القهوة خاطبهم بكلام حلو وأكد لهم انحسابيتهم به (اختصاصهم به) ثم اوضح لهم ممنونيته من انقيادهم له ووسع لهم صدره بزيادة . وبعده امر حالاً باحضار خلع لايقة من فرى سمور والبسهم جميعهم . وسلم السند الى قاسم الاحمد قدام الجميع وصرفهم لمحلاتهم مسرورين حائزين تمام الخاطر[1] .

(١) كان اهل بلاد نابلوس في عهد المؤلف على طريقة العشائر العربية و كلهم من اصل عربي الا قليل من بقايا السامرة . ومن ثم كانوا على شيء من الاستقلال في حكم بلادهم اذ كان حكامهم منهم وفيهم . وكان يستلم الحكم من قبل وزير الشام رجل من آل طوقان لكثرة عزوته بقومه مع لقب بك ويقال له متسلم الحكم او السنجاق . ولسبب بعدهم عن ولاة الشام وتحصنهم في قلاع وجبال حصينة ولكونهم رجال اشداء شجعان بعصبية مكينة على دين الاسلام استطاع شيوخهم ان يجعلوا لهم شأناً عظيماً ويحافظوا على استقلالهم بحكم بلادهم .

ومن اشهر قلاعهم قلعة سانور التي عجز كثيرون من كبار وزراء الشام وعكا عن اخذها منهم . وقد اخذها عبد الله باشا صلحاً بعد حصار شديد برجال الامير بشير وامر بهدمها الى الارض .

ومن الذين نالوا من آل طوقان رتبة لوزارة صالح باشا الذي تولى ايالة الشام بعد طرابلس سنة ١٠٩٨ هـ (١٦٨٦ م) . ومنهم مصطفى باشا الذي تولى تخت مصر سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٢ م) وقد اشتهر برد غارة الشيخ ظاهر العمر الزيداني عن مدينة نابلوس وكان قد استولى على معظم بلاد فلسطين واطراف بلاد نابلوس .

وقد وقفنا على فرمان سلطاني باسم احدهم محمد بك طوقان يستنهض السلطان همته ليكون عوناً لسليمان باشا مع رجاله لرد غارة الانكليز عن سواحل صيدا بعد احتلالهم سواحل مصر في اول ولاية محمد علي باشا الذي استطاع بعزمه وبرجاله على ردهم عنها بدون مساعدة سليمان باشا كما هو مشهور . وفي هذا الفرمان ذكريات شتى تشوق مطالعتها لكثيرين في هذه الايام التي استولى فيها الانكليز على مصر وفلسطين

معاً باتخاذهم حجة لذلك حماية البلاد واهلها من رجال الاتوك . وهذا الفرمان تكرم به جناب الماجد حيدر بك طوقان فنشكره لذلك. وهذا تعريبه :

صدر هذا الفرمان العالي الموشح بالتوقيع الرفيع الهمايوني الرافع لاعلام المفاخر والمعالي من الديوان العزيز السلطاني المحفوف بالنصر الرباني والتعزيز الصمداني منهياً الى قدوة الاماثل والاقران وصفوة الاماجد والاعيان طوقان زاده الحاج محمد بك ابقى الله مجده وزاده .

انه لما تحقق من الطائفة الخبيثة المسقوبية خرب الله ديارهم برجفاته القوية نقض حبال المواثيق والعهود وحل عقال الاواصر والعقود تحقق من جانب سلطتنا السنية على مقتضى همتنا العلية ان نسير طلائع الغزو اليهم ونسيل بحار الجيوش عليهم على ما افتى باجابه شيخ مشايخ الاسلام وحكم باستيجابه احكم العلماء والاعلام كما قال الله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . ثم ان طائفة الانكليس خذلهم الله تعالى بكل تنكيب وتنكيس قد وافقوهم على مواقفة المسلمين ومحاربتهم وحالفوهم في مخالفة الموحدين ومقاتلتهم فهجموا الى الديار المصرية على حين غفلة من اهلها وتسلطوا على بنادر دمياط وابي قير ثم الاسكندرية واحتلوا سواحلها . وقد كرَّ عليهم الاجناد المصرية المنصورة كراراً واذاقوهم مرارة القهر والخذلان مراراً حتى عرفوا ان الله اشد بأساً واشد تنكيلاً وغادروهم ملعونين اينما وقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً . وانهم وان لم يجدوا في كرتهم الخاسرة الا الخزي والخسار ولم يغنموا من وجهتهم الباسرة الا الانهزام والانكسار والابتلاء بالقتل والسلب والاسار ولم يزالوا مع جبنهم متجلدين على اظهار البسالة ومع ضعفهم متمردين في ابراز الصولة والاصالة حتى كتبوا الى الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم وزيرنا سليمان باشا والي صيدا كتاباً بالعبارة الافرنجية يقولون فيه انهم يطلبون من الوزير المشار اليه ان يتردد تجارهم بسفائنهم المشحونة ببضائعهم الى سواحل الشام ويتجروا فيها بلا احتراس ولا احتشام وان لم يساعدهم على ذلك يصبون على تلك الممالك امطار المهالك ويريدون بذلك ان يمكروا بالمسلمين وقد مكروا ومكر الله بهم والله خير الماكرين . وارسل الوزير المشار اليه ذلك الكتاب الافرنجي الى سدتنا السديدة التي كل من يلتجي اليها فهو نجي فاذا مفاد ذلك الكتاب المكتتب بكل ارتياب واكتئاب

﴿ ترميم برج الحديد ﴾

في هذه السنة سنة ١٢٣٢ من شدة تلاطم الامواج كما قد قيل بالامثال «يا خوف عكا من هدير البحر» هدم البحر بقوة عظيمة جانب من ناحيه برج الحديد خلاف التي انعملت سنة ١٢٢٦ كما تقدم. وفي وقتها سليمان باشا وجه المقالعجية والحجّارة و كشفوا بمحل خارج

ان يملكوا سواحل صيدا ويتغلبوا على ذراري المسلمين من بلاد صفد وحيفا وعكا ويافا ويصيدونهم صيدا. وقد أوجب الوزير المشار اليه على نفسه ان يتخذ بقوة الفؤاد مدافعة اعداء الدين ويشمر عن ساق الاجتهاد في مقارعة الكفرة والمشركين. لكن تجنب الاجانب يتوقف على توافق القلوب والقوالب وتلافف الاطراف والجوانب وقال رسول الله على الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوف يشد بعضه بعضا. فعليك ايها الطوقان زاده المومى اليه ان تتهيأ لما يشير به اليك الوزير المشار اليه وتستعد بالعدة الوافرة والعدة المتكاثرة لورود الامر من لديه وتحرض المشايخ برقاوي على الحضور في معارك الجدال متمثلاً بقاله حرض المؤمنين على القتال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا الكفار باموالكم وانفسكم والسنتكم وكونوا مجمين على جمع ادوات الجهاد اطراف النهار واناء الليل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل. فعندما يرد اليك امر الاستنفار من الوزير المشار اليه فاحتشد بالجيش الكثير المعول عليه ثم انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله متدرعين بدروع التيقظ والانتباه وتجيبونه في اي زمان دعاكم وتسرعون الي مكان امره بسعاكم قاصدين اعلاء كلمة الله وخفض رايات المشركين صادقين في حماية حمى الاسلام والذود عن الحريم والبنات والنين. فقد امرتكم بما امر الله به من اتباع اميركم فاتبعوه بالاذعان والتسليم وليحذر الذين يتخلفون عن الحق ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم. تحريراً اواخر شهر جمادى الاولى لسنة اثنين وعشرون ومايتين والف.

بمقام قسطنطينية المحروسة

عكا يسمى القرانيف من ناحية الشرق . وهي أرض فيها اثارات قديمة من عمار عكا القديم . فاذ بحثوا هناك وجدوا حايطاً طويلا ينوف عن اربعين ذراع وعلوه نحو خمسة اذرع وجميع حجارته قطعة واحدة (بقياس واحد) كانهم موزونين بقياس واحد طول الحجر ذراعين وعرضه ذراع وسمكه ذراع . فانحظ سليمان باشا بزيادة من هذا التوفيق وخرج بنفسه ونصب صيوانه مقابله الى حين انخلعت كل حجارته وانتقلت على العربيات من الطوبجية الى محل الفتح . ثم باشر تعمير المحل الذي سقط بكل اتقان ومتانة وفي اقرب وقت انتهى امره .

﴿ عمار سور يافا من جهة البحر ﴾

في اواسط سنة ١٢٣٢ التمس محمد اغا ابو نبوت متسلم سنجاق غزة ويافا الاذن من سليمان باشا بعمار سور الى يافا من ناحية البحر حيث كانت بدون سور . وكان يحصل من هذا اذية بالغة على المحلات والمخازن الكاينة على كنار البحر . وكان البحر في كل سنة في ايام الشتاء يدخل اليها بقوة ويهدم اغلبها والبقية يعدمها ويعطل الارزاق التي فيها . وحسّن له ان يجعل هذه الخيرية في صحيفته . وهذه القضية قصد ابو نبوت بها غايات له . نعم ان البحر كان يعمل تلك الاذايا في كل سنة على المحلات الواقعة على كنار البحر الا انها بحسب العادة ما كان يعبأ بها . ولحد تلك السنة ما سأل عنها لا هو ولا من كان قبله من الحكام . الا انه من بعد حكومته

في يافا وضع في عقله جلب المنصب باسمه والاستقلال فيها كما اوضحنا سابقاً ومن حين ما تصور هذا التصور بدأ يعمر ويرمم في ابراج واسوار يافا من ناحية البر . وهكذا بذل جهده حتى عمرها جميعها وجعل لها بناءً جديداً ووضع لها مدافع وجعلها بعقله مشابهة لعكا مع انها هي وابراجها وخندقها ليست بشيء من الاشياء مقابل عكا . واذ انقطع امله من جلب المنصب باسمه كما قدمنا الشرح فيما سلف فالغنى الذي اتصل اليه لحد ذلك الوقت جعله يطمع بتحصين يافا من ناحية البحر وصار يظن انها متى صارت محصنة من ناحية البر والبحر فاذا لم يقدر بجلب المنصب ولم ينل مرامه او اذا شاع امره وتكدر او تغير خاطر سليمان باشا عليه وعزله من المتسلمية يمكنه ان يعصى فيها وبعصاوته ينال مرغوبه لانه لحد ذلك الوقت صار ممتلئاً من الخيرات باضعاف مضاعفة عن ابو المرق .

فسليمان باشا قبل التماسه واذن بعمار سور وابراج البحر حسبما طلب وبالحال باشر باستجلاب الاحجار اللازمة من قيسارية الجديدة الكائنة بقرب يافا ووجه حجّارة وشغيلة لاجل خلع الاحجار وصار يرسل السفن لجلبها وبكل همة واجتهاد استجلب الاحجار والكلس ولوازم البناء . ومن زيادة اجتهاده توجّه بذاته الى قيسارية وكشفوا على محل كبير بعقد متين فامر بهدمه . واذ كانت الشغيلة تهدم اطرافه وهو واقف ضمنه سقط عليه ذلك المحل على غفلة ووقع تحت الردم . ولاجل توفيقه فبالارادة الالهية سقط فوقه حجران كبار جداً طول الواحد اكثر من ثلاثة اذرع وصودف سقوطهم بالتجالف فعملوا فوق رأسه قنطرة

محكمة منعت عنه قوة الردم القتالة . فالشغيلة والخدم بادروا حالا بكل جهدهم بالبحث والتفتيش على محل وجوده . وبعد جهد كلي عرفوا محله واذ كشفوا عنه وجدوه على آخر نفس واخرجوه وهو غايب عن الوجود واستعملوا له العلاجات اللازمة من قيتموتا (كذا) وجلود خواريف سخنة ودهانات وارواح وغير ذلك . فبعد ثلاثة ايام عاد اليه وعيه . وبعد عشرة ايام ملك صحته وبقي هناك الى ان تم هدم ذلك المحل ونقل حجارته الى يافا . وبعده رجع الى يافا وباشر بناية الاسوار بكل همة واجتهاد . واذ كانت مياه البحر تتغلب كان يلزم الشغيلة بمقاومتها ويشغلها داخل المياه وهو بذاته كان يشلح ثيابه وينزل الى البحر ويقف في الماء لحد عنقه من الصباح الى المساء ويشغل الشغيلة ولا يجعل لهم وسيلة للاعتذار والتوقف عن الشغل من كثرة المياه . وهكذا صرف جل اجتهاده ومكنته وفي اقرب وقت تم عمل سور البحر حتى اوصله باسوار البر وجعل يافا على ما يدور مسورة بالابراج والاسوار ومحصنة بغاية ما يكون . ثم قدم اعراضاً الى سليمان باشا واوضح له ان قلعة يافا بما انها صارت قلعة حصينة ومصونة باسوار وابراج كافية على دايرها فاذا ما كانت مصونة ايضاً بمدافع كافية يخشى عليها من غدر الاعداء الافرنج اذ متى عرفوا انها ضعيفة يحضروا اليها بالقوة ويملكوها ويجعلوها مركز خيانتهم على الملك العثماني . ولاجل ذلك التمس منه صدور امره بجلب مدافع كافية لها وارسال مقدار عدد من المدافع اللازمة على عدد المرامي المفتوحة في ابراجها واسوارها

وسليمان باشا اعتباراً لخاطره وليظهر رغبته بامر عمار السور

وبغير ملاحظة الى قصده الخفي اصدر حالاً مرسوماً عمومياً الى طرابلس مستوفي الشرح افادهم به ان قلعة يافا بما انها حصينة وهي بوغاز بيت المقدس صارت مطمح الانظار فلاجل حفظها وصيانتها من الاعداء وحفظاً للملك العثماني المحروس قد حصل السعي باستجلاب وارسال المدافع اللازمة لمحافظتها كما قد تحصنت قلعة عكا وقلعة طرابلس بجانب من المدافع لاجل تحصينها وبما انه موجود في قلعة طرابلس مدافع زيادة عن لزومها والجميع قلع حضرة مولانا السلطان فيلزم بالحال ان يخرجوا اثني عشر مدفعاً وينزلوها من القلعة ويرسلوها بحراً الى يافا. وشدد عليهم الامر بذلك. وبوصول الامر حصلت المبادرة لانفاذه وأرسلت الاثنا عشر مدفعاً من طرابلس الى يافا. ثم امر بارسال ثلاثة مدافع صغار وخميرة صغيرة من جبخانة عكا. وعلى هذا الوجه نظَّم ابو نبوت ابراج واسوار يافا. وحسبما أومر من سليمان باشا قنع موقتاً بالمدافع التي ارسلت اليها وكف عن المراجعة بطلب خلافها.

حضور الامر السلطاني لصالح الارمن في القدس

في سنة ١٢٣٢ ذاتها صدر امر شريف وموقع عليه بخط شريف مستطيل الشرح خلاصته بما ان بيت المقدس هو ملكه وملك ابيه واجداده الملوك المعظمين يسوغ له باي وجه كان ان يفعل فيه كما يشاء وليس لاحد حق التعرض والممانعة. وبناء على ذلك قد انعمت الان ملوكانيته على طايفة الارمن بان يعملوا قداسهم في القبر المسمى قبر سيدنا عيسى نظير الروم والافرنج من دون معارضة ولا ممانعة من

طرف احد . والارمن بعد ان اعرضوا هذا الخط الشريف على باب الشام واخرجوا بموجبه المراسيم اللازمة من واليها قدموا الاعراض الى سليمان باشا وارسلوا له الخط الشريف والتمسوا صدور مراسيم شريفة منه بموجبه وقدموا لخزينته ماية الف غرش خدامة وخمسة وعشرين الف غرش لاكرام دايرته وثلاثة الاف الى كاتب العربي والفين غرش عوايد مهردايرية . وسليمان باشا قبل التماسهم وهديتهم وامر بتحرير المرسوم العمومي اللازم فتحرر حسب مرغوبهم طبق الخط الشريف . وكاتب العربي اخذ الخمسة آلاف التي له وعوايد المهردايرية حسبما قدمنا الشرح عنها . والروم في وقتها مانعوا ودافعوا عن هذا الامر وما قبل منهم لا في الباب العالي ولا عند سليمان باشا ومضى الامر .

عمار الاخور الكبير

ثم لما كثرت الخيل في طويلة سليمان باشا . والدوالك المعدة لرباطها ما عاد وسع اقتضى ان امر ببناء اخور متسع ضمن السراي يسع رباط نحو ماية حصان فبني وتنظم كالواجب . وبعد اتمامه امر بافراز الخيل الخاصة العال لركوبته وركوبة مماليكه وربطت فيه . وباقرب مدة امتلا من الخيل الخاص العال . واما باقي خيله الوسط والدون وخيل باقي دايرته فكانت مربوطة في المحل المعدود لها المسمى دوالك تحت يد سانسباشي الذي كل وجاق السياس تحت يده . وكان ذلك في سنة ١٢٣٢

﴿ احضار الرجل القاتل في بلاد صفد من حاصبيا ﴾

في سنة ١٢٣٢ خطف رجل من عرابة من بلاد صفد حرمة من العرب وهرب بها . واذ لحقه ابوها وادركه لكي يستخلصها منه اندار عليه الرجل وقتله وفرَّ هارباً الى حاصبيا واحتمى عند امرآئها الشهابيين . فمشايخ القبيلة اذ تحققوا ذلك حضروا عند سليمان باشا وشكوا له عنه فحالاً امر باصدار مرسوم مشدَّد لامرآء حاصبيا لارسال القاتل المذكور لاجل ترتيب قصاصه بالقتل لانه فاعل جنايتين يستحق لاجلهما القتل . فالامرآء جاوبوا بالمحاماة عنه وارووا الوزير بما انه صار نزيلهم فلا يمكنهم يسلموه . والتمسوا العفو عنه . فالوزير ما قبل التماسهم وجاوبهم بان هذا القاتل ممن يسعون في الارض بالفساد فوجب اعدامه عبرة لغيره . وشدَّد عليهم بسرعة ارساله . فاذ نظروا زيادة التشديد حرروا مكتوباً للامير بشير وجعلوه واسطة لصيانة شرفهم . والامير بشير اجابهم لمرغوبهم وحرَّر حالاً الى سليمان باشا بهذا الخصوص والتمس صرف النظر عن طلب الرجل فتجاوب الجواب المقنع المشدَّد بعدم قبول التماسه . وانه اذا أجيب يصير كاين من كان يتجاسر على عمل هكذا قبايح واعظم منها ويتوجه يجعل له حماية وملجأ وهذا الامر مما يوجب سلب الامنية فلا ينبغي السكوت عنه والمطابقة عليه .

فاذ وصل الجواب للامير ما قنع به بل استحسن ان يجاوب ويكرر الالتماس . فصدر له الجواب من عبد الله باشا يتضمن الملام

الكلي والتوبيخ على هذه المجادلة في هكذا امور موجبة سلب امنية العباد ومغايرة لرضى الباري تعالى . ولامه كثيراً على المطابقة مع امرآء حاصبيا ولام امرآء حاصبيا لاجل قبولهم مثل هذا الرجل الشرير . وفي اخر الجملة اورد له الحديث الشريف « ان من ربط الكلب العقور على بابه فانما اثمه على الذين يربطونه » وجعل ذلك تورية له ولهم . وبوصول هذا التحرير ارتجع الامير وحرر الى الامرآء بارسال الغريم فأرسلوه حالاً . وبوصوله امر الوزير بشنقه على باب عكا .

﴿ قتل الشيخ جرجس باز واخيه من الامير بشير ﴾

في سنة ١٢٢٢ (١) لما لاحظ الامير بشير الشهابي نظرية سليمان باشا نحو الشيخ جرجس باز الذي كان كتخدا له وميله الكلي نحوه وقضاء ساير المصالح له خصوصاً لما نظر ان اهالي الجبل مايلة بكلية الحب القلبي نحوه خشي منه وحذر من عاقبة ذلك ورأى بصواب ان المذكور صار قادراً ان يحرك عليه الديرة وكل وقت يمكنه ان يعزله ويولي من يشاء مكانه من بيت شهاب ويجعل حكومة الجبل تحت ادارته . وافتكر بانه اذا اراد يعمل طريقة لاعدامه لا يقدر اولاً لانه لا يتفق معه نوال مرغوبه ثانياً لا بد من وقوع حركة عظيمة بالديرة ورجوعها عليه باضرار كلية . فلذلك تربص وبقي على حاله مع المذكور غير مظهر له ادنى اشارة يلحظ منها الاختلاف . واذ كان حضر في احد الايام لعنده

(١) فات المؤلف ان يذكر الحوادث اللآتي ذكرها في محلها من كتابه بتاريخها فذكرها في اخر الكتاب فاحببنا ان نذكرها هنا

في دير القمر حسب عادته صباحاً فعلى بغتة غافله وسحب خنجره وضربه في صدره انفذه الى ظهره وحالاً قام عليه وكمل قتله . وبالحال امر بقتل اخيه وضبط ارزاقهم واملاكهم وكلما يتعلق بهم وجعل ذلك اليوم يوم عرمرم . وقدم الاعراض الى سليمان باشا بانه وقع عليه شبهة خيانة بالحركات والفساد في البلاد فوجب قتله والتمس من الوزير ان يصدر له امراً خصوصياً بان يردع ويمنع كل من يتعاطى حركات الفساد في البلاد ويؤدبهم . فامر له بذلك . ومن جملة المرسوم يقول ياولدنا ليس كل من خرج عرج . ولا كل من افسد نال مرام [1] .

﴿ ترتيب الكاديك من سليمان باشا لبعض محلات في صيدا ﴾

ثم انه في سنة ١٢٢٣ لما كرر سليمان باشا الرجاء الى الباب العالي بخصوص الاملاك التي ضبطها الجزار من اصحابها بالظلم والقهر وتقيدت في دفتر مخلفاته واستعطف خاطر الدولة العلية بارجاعها الى اصحابها وتعهد بان يدفع بدلها من عنده من ماله وما صار قبول لالتماسه كما قدمنا بيان ذلك في محله بصدور الاوامر الحاتمة الجازمة بابقاء كل شيء على حاله مع الالتفات التام على المحلات لدوام عمارها فالتزم بحسب الامر ان يطيع ويسكت ويلتفت الى ادارة المحلات . واذ نظر ان

(١) ذكر مخائل الدمشقي في تاريخه الذي طبعه حضرة الاب العالم لويس المعلوف اليسوعي خبر قتل الامير بشير لجرجس باز واخيه عبد الاحد غدراً باكثر اسباب بوجه يختلف بعض الاختلاف وهو اقرب للصواب مما ذكره المؤلف مما بلغه من اصحاب الامير في عكا مثل والده حنا العورة .

المحلات المرقومة لسبب وجودها بيد المستأجرين وقتياً تخرب وتندثر واجرتها تتدنى وتسقط لكون الدار التي فيها خمسة محلات ومستأجرها رجل يقيم فيها فاذا وقع شباك فلا يعمله من كيسه. واذا طلب من الميري كلفة عمله لا تساعده ولو تكلف ان يدفع نصف الكلف فيلتزم بان يتركه. وفي مدة قريبة يلحقه الشباك الثاني والثالث الى الباب واخيراً يسقط السقف ويخرب البيت كله واذا كان شاطراً يبيع حجارته. والبعض صاروا يخلعوا الاخشاب قصداً من المحلات ويبيعوها نظراً لفقرهم ولكون المحلات قديمة. ولحد ذلك الوقت من حين ضبطها هي بيد المستأجرين على هذا المنوال.

ولاحظ سليمان باشا انه اذا بقيت هكذا متروكة من دون عمل طريقة موافقة تخرب تماماً وتضيع سدى ويكون لا اصحابها انتفعوا من رجوعها لهم ولا الميري انتفعت من ابقائها تحت الضبط فضلاً عن ان الدولة توطد الظن بان الوزير سعى قصداً بخراب المحلات مقابلة لعدم قبول التماسه بخصوصها. ومن ذلك يصير متهماً عند الدولة العلية بدون ان ينتج فايدة حسنة له ولا لغيره.

ولاجل هذه الملاحظات عمل مذاكرة بتدبير راي صائب بهذا الخصوص. وبعد مذاكرات كلية قرّ الرأي بان تعطى المحلات الى السكان على سبيل الكاديك بشروط اولاً على المستأجر ان يدفع مقدار اجرة ذلك المحل المرتبة عليه سنوياً دفعة واحدة على سبيل العجلة للخزينة ثانياً يتعهد بان يدفع الاجرة السنوية عدا ذلك في كل سنة كما هي مرتبة بدون نقصان. ثالثاً يتعهد بعمار المحل وترميمه وعمل جميع ما

يلزمه لدوام عماره في الوقت الحاضر والمستقبل الى ما شاء الله تعالى من كيسه من دون ان يكلف الميري الى شي٠٠ رابعاً يقبل على نفسه انه اذا ما عمل كل ما يلزم لعمار المحل ودوام عماره مؤبداً من كيسه ان يرغم من طرف الحكم على عمله . واذا بعد التنبيه ما فعل فالحكم مخير برفع المحل من يده وابطال كاديكه . وليس له حق ان يطلب شيئاً مما دفعه ولا مقابل ما فعله قبلاً في المحل . وتشترط له الحكومة بان المحل الذي يأخذه بوجه الكاديك بالشروط المرقومة يبقى في يده ويد ذريته وذرية ذريته الى ما شاء الله تعالى ويتصرف به تصرف المالك بملكه (ما عدا الهدم) لا ينازعه منازع ولا يعارضه معارض باي وجه كان ولا تقبل عليه زيادة ولو صار المحل يستحق اجرة اضعاف الاضعاف . وبهذا الوجه يتوطد امل المستأجرين ويحترسوا على المحلات ويلتزموا بعمارها وتحصل المنفعة لهم وللميري وتكون هذه المحلات قد انصانت من الخلل والدثار وسقوط الاجرة .

واذ استحسنوا هذا الراي عرضوه على مفتي عكا يومئذ الشيخ محمد افندي ابو الهدى التاجي فافتى بانه مطابق لقواعد الشريعة الغراء . وحينئذ قدم الوزير الاعراض الى الباب العالي وشرح الكيفية باطرافها والرأي الذي استحسنه مع الفتوى الصادرة بخصوصه وتأييده . فحسن هذا الرأي في الباب العالي وصار مقبولاً وصدر به الامر الملوكي بالاذن باجرائه على هذا المنوال . وبحضور الامر امر الوزير بالمناداة علناً وطرح ساير المحلات في كل الايالة لكل طالب وراغب . والذي اراد محلاً من ساير الاصناف اخذه وتحرر بيده سند الكاديك من سليمان باشا تحت

امضائه وختمه وصار بيده على سبيل التملك ما دام يراعي الشروط المرقومة بسند الكاديك[1] .

---

(١) الكاديك على ما في محيط المحيط كلمة اعجمية عقار للحكومة في يد الرعايا يدفعون عليه مالاً مربوطاً كل سنة . ويسمى المال المذكور بالكاديك ايضاً . وهو نفس الحكر كما عرفه الكتاب المذكور وهو احتباس الوقف من عقار تحت مال مرتب معين . وعندنا صك من هذا القبيل بامضاء وختم عبد الله باشا خلف سليمان باشا بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٣٨ هـ ١٨٢٢م ننقله هنا :

الباعث لتحرير هذا الصك الشرعي :

هو انه بحسب تصرفنا من طرف الدولة العلية والسدة الخاقانية صانها رب البرية بكامل المحلات والمسقفات التابعة الى اقلام الميري مع كامل محلات الملك القديم المضبوط من المقتول ضاهر العمر واعوانه لجانب الخزينة العامرة السلطانية ومفوض ذلك جميعه لعهدتنا بوجه المالكانة بموجب براءات شريفة سلطانية مخلدة بيدنا ونظرنا بان هذه المحلات العايدة الى الميري دايماً الذين يستاجروهم لا يسعون بعمارهم بل المحل الذي يحتاج الى المرمة يتركوه من غير ترميم وشاهدنا بان هذه المحلات المذكورة اذا بقيت تحت يد المستاجرين في مدة وجيزة يأول امرهم الى الدثار والعدم الكلي حيث المستاجر لا يعمر ولا يرمم ومعاذ الله اذا اضمحلت تلك المحلات يصير نقص وتدني على اموال الميرية السلطانية فنظراً الى صيانة الميري وعدم خراب محلاته تحسن عندنا تفويض كامل المحلات لكل طالب وراغب بشيء معين على طريق الكادك بشرط ان يدفع الاجرة المعينة على ذاك المحل سنوياً لجانب الميري من غير نقصان ومهما لزم الى المحل من بناء وتعمير وترميم يعمره ويكلفه من ماله من دون ان يطلب شيئاً من جانب الميري . وان ما بادر بتعميره يجبر على ذلك من طرف السياسة . ولاجل مقابل تعميره وترميمه فوضناه بكادك ذاك المحل يتصرف به بمدة حيوته وولده من بعده بحيث يكون مراعياً الشروط المذكورة وعلى هذا المنوال استفتينا افتخار العلماء الكرام وزبدة الفضلاء الفخام السيد محمد افندي ابو الهدى الحنفي المأذون بالافتاء يومئذ بمحروسة عكا المحمية

﴿ ما فعل ابو نبوت مع سليمان باشا اذ كان نائماً ﴾

ثم في سنة ١٢٢٩ كان سليمان باشا له عادة قديمة يتوجه للصيد ويغيب اربعة خمسة ايام واوقاتاً جمعة وجمعتين . واننا هذا التطويل بالغيبة تركه وصار يغيب كل مدة يومين او ثلاثة يتنزه بالمحلات المذكورة ففي احد الاوقات في هذه السنة خرج كعادته وغاب اربعة وفي الليلة الرابعة اذ وجد انه ما عاد يحصِّل البوابة مفتوحة امر بنصب الخيام في ارض ابو عتبة بالقرب من عكاوبات هناك .

وكانت عادة الوزراء في تلك الاوقات انه متى كان الوزير بائتاً في الخارج لما يعزم الوزير على المنام في آخر السهرة ينادي الجاويش

فافتانا بجوازه . فبناء على هذه الفتوى الشريفة حضر بتاريخه لدينا و ديل رهبان طايفة الكاثوليك في محروسة صيدا طالب وراغب وضع يده على نصف الدار الشهيرة شركة الرهبان المذكورين التابعة لاملاك الميرية في باطن محروسة صيدا التي شهرتها بمحلها كافية على تحديدها ودفع كاذكها الى خزينتنا مبلغاً قدره وبيانه ثلاثون غرش وتعهد بدفع الاجرة المعينة على نصف الدار المذكورة بكل عام بالتمام والكمال وتعهد ايضاً بتعمير وترميم كل ما يقتضي الى نصف الدار المذكورة . وبحسب تعهده بالشروط المرقومة فوضنا له كادك نصف الدار المزبورة وصار مأذوناً بوضع يده ويد وارثه من بعده عليها فلا ينازعه منازع ولا يعارضه معارض بوجه من الوجوه على حسب شروط باقي الكادكات المتداولة بايالة صيدا وحررنا له هذا السند لكي يكون بيده ويد وارثه من بعده الى ما شاء الله تعالى سنداً لمحل الحاجة اليه . تحريراً في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٣٨

السيد عبد الله

محل الختم والي صيدا حالا

باعلى صوته كالعادة وحينئذٍ يتحضر كل المرتبين من الخدم لوظيفته فاولاً يقفلوا طوزلق الصيوان الكبير على دايره ويرخوا البوابة ثم يطبقوا التنورة الداخلة ويفرشوا فيه للوزير ياطق منامه . وبعده يتقدم اصحاب الخدمة ويشلحوه اثوابه ويقدموا له اثواب النوم . ومتى البسوه يخرجوا واذ ينام يتقدم اربعة مماليك نوبتجية كل اثنين يسهروا ساعتين واحد عند رأسه وواحد عند رجليه لئلا ينكشف جسمه او احد اعضائه من تحت الغطآء فيتلاطفوا ويغطوه . وفي كل ساعتين ينبهوا رفاقهم لذلك الى ان يطلع النهار وينتبه الوزير . واما في خارج التنورة في زقاق الصيوان فيجلس عشرة قواصة بواريدهم بيدهم ويظلوا بالنوبة ما طال الليل بدون ان يغفلوا الى حين طلوع النهار . واما خارج الصيوان فكل القواصة تنام على دايره مساحة وبواريدها في يدها الى حين طلوع النهار . وقبال باب الصيوان الواحد الذي لناحية التنورة ينتصب بالحال جادر يجلس فيه احد اغوات الكارلكية بالدور كل ليلة على واحد ومعه عشرة اغوات وثلاث جاويشية وأربعة قواصة يظلوا طول الليل الى حين طلوع النهار وهم مرخصين ان يتسلوا بلعب الدستهكور وغيره بالهدو بدون ان يسمع الوزير وينتبه . فهذا امر ترتيب منام الوزير في تلك الاوقات اذا كان خارج حريمه .

وكان محمد آغا ابونبوت متسلم سنجاق غزة له دالة كبيرة عند سليمان باشا وعلي باشا كما اوضحنا ذلك فيما سلف وكان له عادة ان يحضر في بعض الاوقات الى عكا هكذا على بغتة لوحده . وذلك انه يلبس كبوت ويركب هجين ويحضر معه نفر توتونجي وهجان ويقوم

مساء من يافا ويصل الى عكا صباحاً او يقوم صباحاً من يافا ويصل الى عكا مساء. وهكذا كان له حركات يقصد ان يشابه بها حركات الجزار ويجعل ان حضوره لمهمات جسيمة وتكون ما هي شي بل ليشغل عقول الخلق في عكا ويافا ويدخل هكذا على الوزير بغتة.

وفي احدى الاوقات قام نظير عادته على هذه الصورة من يافا صباحاً وكانه تعوق في الطريق فما قدر يحصّل عكا بالنهار ووصل نحو الساعة الرابعة من الليل ونزل على باب عكا. فاذ سأله العسكر محافظين برج البوابة واخبرهم عن نفسه من هو سألهم عن الوزير فاخبروه انه في الخارج. فاستعلم اين يكون فافادوه انه كان بمحل كذا واليوم حضر وبات بالقرب ودلوه على مكانه. وبعد ان استراح وجد النهار مطول اشراقه فافتكر ان يتوجه الى الاوردى ويكبس الاغوات فقام وتوجه واذ وصل وجد اصحاب الاوردي جميعهم نايمين فتقدم الى عند صيوان الوزير فوجد جادر المرتبين فيه مطفي نوره وجميعهم نايمين. فتقدم الى الصيوان فوجد كل القواصة على دايره نايمين ففتح احد ابوابه وفشخ من فوق القواص ودخل فوجد القواصة الذين في الزقاق نايمين جميعهم. فتقدم الى التنورة وفتح طرف احد ابوابها ونظر واذا الوزير مكشف جسمه ومرمي الغطا عنه والاثنين مماليك المرتبين لمحافظته نايمين ايضاً مع رفاقهم الاخر. فتقدم وفتح باب التنورة بكل رشاقة ودخل وغطى الوزير وقفل بابها وخرج وقفل باب الصيوان ثم رجع الى باب عكا

اذا كان قارب طلوع النهار ولما ظهرت الشمس فتحوا الباب فاول من دخل هو . فاحد البوابين توجَّه حالاً اخبر سليمان باشا بحضور محمد اغا فقام الوزير حالاً ركب وحضر الى عكا . واما محمد اغا فتوجَّه دغري الى السراي . واذ صعد الى ديوان الوزير وجد علي باشا مقيما فيه فاستقبله وسلم عليه وترَحب به وساله في اي وقت حضر . فاخبره ولما ساله ماذا عمل طول الليل واخبره بما فعل فحالاً احتد علي باشا من ذلك . واذ هم بالكلام كان سليمان باشا وصل ودخل اولاً للحريم وطلع الاغوات عند علي باشا ليقفوا امامه فاذ دخلوا ووقفو بدأ يتخلق عليهم ويكدرهم ويقول لهم خبز كم حرام يا انجاس يا ارديا مستحقين كلكم القصاص . واذ هو بغاية الحدة بهذا طلع الوزير فنهضوا لاستقباله . واذ دخل وجلس التفت الى علي باشا وقال مال ولدنا الباشا زعلان . فسكت اولاً ولما كرر عليه السوال اخبره الواقع . فقال له ياولدنا هؤلاء كلاب ارذال . وانا لست متكلًا عليهم ليحافظوا علي . فالله خير حافظ . وانا والله لي قلب ان اشلح بالزلط وانام وحدي على راس تل الفخار . ولا اخاف من احد . فانا ما اذيت احد حتى اخاف ان يؤذيني احد والسلام .

﴿ عمار سبيل البوابة في عكا ﴾

عودٌ . — سنة ١٢٣٣ استحسن سليمان باشا ان يعمل سبيلًا قبال بوابة عكا لانه اولاً كان يحب الاقامة هناك بعد الظهر . ثانياً لاجل الذكر المخلد . وثالثاً لاجل منفعة المخلوقات خصوصاً الذين يحضروا

ويباتوا على باب عكا. ولذلك سحب له الماء من قناية ماء الكابري. وامر ببناية سبيل جميل على كتف السور لناحية البحر وجعل له قبة مركبة على اربعة عواميد رخام تعلو مقدار ستة اذرع. وفوق العواميد اربعة قناطر. واتساعه سبعة اذرع في سبعة اذرع. وجعل ضمنه تحت القبة فسقية مربعة باتساع ذراعين وضمنها جادروان وضمن الجادروان كوشه (نقشة) من رخام مخرمة ولها ستة نوافير. والماء يخرج بالنوافير وينصب الى الجادروان. ومنه يخرج في سبيل الى حوض بجانب السبيل لاجل سقاية الدواب. وينصب الماء من الحوض الى البحر. ووضع في اربع جوانب الجادروان ثمانية طاسات من نحاس مربوطة بسلاسل طوال من نحاس لاجل شرب الخلق. وهكذا طلع سبيلاً مفتخراً جداً وكان نافعاً الى الصادي والغادي. ورتّب له خادمين بماهيات من الخزينة لخدمته ودوام تنظيفه ولئلا يتعطل سياق الماء فيه. وبقي هكذا الى وفاة سليمان باشا. ومن بعده بقي دايماً. الا انه ما عاد صار اكتراث به وانقطع معاش الخدام وانسرقت الطاسات. وفي وقت حصار عكا من درويش باشا خرب وما عاد تعمر بالكلية.

﴿تشويش سليمان باشا الاول وشفاوه﴾

في اول سنة ١٢٣٣ تشوش سليمان باشا تشويشة ثقيلة جداً وامتد به هذا التشويش نحو اربعين يوماً. وفي هذه التشويشة ضاجت المخلوقات وضجت بالدعا الخيري لاجله. وبعد ان وصل الى

درجة العدم خلّصه الباري تعالى من ذلك الخطر عن يد طبيب افرنجي يسمى فرنسيسكو . فهذا كان قد حضر من اوروبا ورتبه سليمان باشا عنده حكيم باشي . وكان ذا معرفة تامة بكار الطب والجراحة . ومن جملة ما عمله انه اخرج سلطعون (سرطاناً) من رأس مملوك سليمان باشا كما يأتي .

﴿ اخراج السلطعون من راس سليم مملوك سليمان باشا ﴾

كان عند سليمان باشا ولد مملوك يسمى سليم اشتراه من نقولا سيّور من اهالي الشام . وكان الولد لطيفاً وجميل الخلقة كورجي الاصل . وكان سليمان باشا يحبه جداً . فالولد المذكور تسلط عليه وجع الراس الشديد . وكان لما يصيبه يطرحه ويعدمه الوعي تماماً وكان يصيبه معظم الوجع في جبهته فوق عيونه . واذ يشتد عليه كانت ترى جبهته منتفخة جداً وكان شيء يتحرك داخلها . وما دامت جبهته منتفخة هكذا كان يشتد عليه الوجع بما لا يوصف . ويدوم طريح الفراش لا ياكل ولا يشرب ولا يوعى الى ان يهمد انتفاخ جبهته فيصير رويداً رويداً يخف عنه الوجع الى ان يمتلك راحته بنوع ما . وهكذا لازمه هذا المرض مدة مستطيلة . ولاجل ذلك تغيرت احواله وضعف جسمه كلياً وسليمان باشا كان دائما مغموماً عليه ويريد يجد من يداوية ويشفيه ليعطيه مهما اراد . والحكماء المرتبين بخدمة بابه مثل اولاد صوان وادم الافرنجي النبوليتاني الذي قدمنا ذكره كانوا يعالجونه بدون

معرفة او بدون ان ينفعوه بشيء . وانما بالتلطيف والمداراة فقط ليخف عنه ألم المرض من ذاته . فبعد حضور فرنسيسكو وترتيبه بكم يوم صادف سليم المذكور وجع الرأس المعلوم وانطرح كالعادة . وبما انه كانت وظيفته صبوحياً[١] عند الوزير فاذ سال عنه وعرف انه مصاب بمرضه امر فرنسيسكو بمعالجته ووعده بالاكرام ان شفاه عاجلاً . الا ان سليمان باشا ما افتكر انه يقدر يشفيه تماماً بالحال . وانما تأمل ان يكون باسرع وقت وليس نظير بقية الحكماء . فاذ توجه المذكور ونظره واختبر علته وعرفها حضر الى عند سليمان واخبره بانه عرف علته وانه بعونه تعالى يعالجه ويشفيه منها شفاء كاملاً بشرط ان يأمر المملوك باطاعته ويأمر بعدم معارضته بالعلاج من طرف احد . ويأمر بان يتساعد بجميع ما يطلبه ويريد عمله . فسليمان باشا امر حالاً بكلما طلب وذاك توجه واحضر آلة الجراحة وامر بان يمسك المملوك اربعة رجال تحفظه من المعافسة ثم امر بمسك راسه من رجال اشداء كي يضبطوه جيداً وحالاً بكل رشاقة شق جلدة راسه من بين عيونه وفتحها من ههنا وهنا الى قمة راسه ثم استخرج بالآلة من قرعة راسه تحت تلك الجلدة قطعة لحم متحركة كانها سلطعون ولها رجلين السلطعون ولها كحف نظير كحفه ورجليها شابكة وكامشة على الرقيق من لحم الراس وكانت تشبه القرادة او قمل الطبع . وهكذا بكل رشاقة ولطف وعياقة

---

(١) الصبوحي عند الاتراك الخادم الذي يجب عليه ان يقابل مولاه صباحاً قبل الجميع ويقتضي ان يكون جميل الوجه بشوشاً يحمل لمولاه في جبينه الوضاح امارات السعد منذ الصباح .

استخلصها من رأسه ووضعها في صحن ابيض نظيف وامر بغطائها . وبكل رشاقة وصنعة رد جلدة الرأس الى محلها وخيَّط موضع القطع ووضع عليه الادهان واللزق التي كان مستحضراً عليها وربطها عليها . وامره بان ينام بكل راحة مدة ست ساعات بدون ان يحرك رأسه الى هنا او هناك . واذا تعب يجلس ويستريح ويرجع ينام كما رتبه . ووضع عنده اناساً تحافظ عليه من مخالفة هذا الترتيب . وبالحال اخذ الصحن وتوجَّه الى عند سليمان باشا واراه ما اخرجه من راس الولد . والباشا اذ جسَّه بيده ووجده يتحرك اقشعر بدنه ورفع يده عنه . ومدحه كثيراً وانعم عليه بثلاثة آلاف غرش وزاد له خرجه . ورغب به كثيراً وكان دائماً ينعم عليه ويكرمه . ثم خرج فرنسيسكو من عند الوزير وارى الناس تلك العلة الردية وانا شاهدتها من الجملة . وبعد ان نظرها كل الخلق امر بدفنها . والولد صح من تلك العلة تماماً كل زمن حياته .

عود . — فهذا فرنسيسكو اذ تشوش سليمان باشا كان هو مشوشاً بداء الحمى الدموية وطريحاً بفراشه بدون وعي فصار باقي الحكماء تعالج الوزير . ومن عدم معرفتهم صار يتقدم بالضعف ويتزايد عليه المرض كما قدمنا حتى ضاجت الخلق وفرنسيسكو ما له علم بشيء من هذا . وفي احد الايام اذ ملك وعيه من الحمى بلغه زيادة تشويش سليمان باشا وضجة الخلق من ثقل مرضه . واذ سأل عمن يعالجه وعرف نهض حالاً من فراشه نظير المجنون . وتوجَّه دغري الى السراي ودخل الى عند المعلم حييم وسأله صارخاً بوجهه ماذا

فعلتم بالباشا ومن الذي اذن لكم ان تعالجوه بغير علمي ؟ لانه عرف ان حييم كان متعلقاً برجل من اهالي حماة يدعي انه طبيب وكان في كل سنة يحضر الى عند حييم نظراً لمحسوبيته عليه من قديم الزمان . واسمه جرمانوس وهو اختيار مسن . وحييم لكي يحصل له من سليمان باشا على كثرة الانعام كان يمدح به وينزله عنده في بيته ويكرمه كثيراً وعلى القول انه كان يعمل له اسحاراً وكان يلبس قاووقاً احمر . وكان يومئذٍ صدفة في عكا فأمره حييم بمعالجة الوزير وصار يعالجه هكذا بعدم معرفة الى ان اوصله الى درجة العدم .

وبعد ان صرخ فرنسيسكو في حييم هكذا توجه دغري سريعاً ودخل مع الحرم اغاسي الى عند الوزير في دار الحرم . واذ تقدم ونظره في ذاك الحال متلاشياً غاب عن وعيه ثم جسّه واختبره (فحصه) وحالاً خرج مسرعاً ورجع الى عند حييم وصار يصرخ ويتلاوم عليه ويفوتر عليه وصارت بينه وبين حييم كبيرة . وحتم بان لا احد من الحكماء يدخل على الوزير ولا يعطيه شيئاً . ثم نهض وطلع الى عند عبد الله باشا واظهر له حريته . ثم اخذه ونزل استأذن من الحرم اغاسي ودخل هو وعبد الله باشا وحييم الى عند الوزير ولاطفه ونبهه وتعهد بحضور الاثنين انني بعون الله تعالى من هذه الساعة الى غدٍ مثل هذه الساعة ادعه يجلس في فراشه لوحده بحال الصحة وهكذا تم وقدّم له العلاجات اللازمة . وبعد مضي اربعة وعشرين ساعة استراح الوزير راحة كلية ازود مما تعهد ومن زيادة فرحهِ بنفسه أذن الوزير لجميع خدم بابه بان يدخلوا الى عنده الى دار الحرم ليشاهدهم ويشاهدوه ويطمانوا . ودخلنا جميعاً وقبلنا اياديه

وحصل السرور العام للجميع . وهكذا بقي الحكيم يلاطفه ويعالجه مدة عشرة ايام اخرى الى ان قام من الفراش . واستاذن المعلم حنا بدخوله الى عنده فاذن له فدخل هو واولاده فقبلنا اياديه ودعونا له . وهو اظهر لنا السرور التام . وبعد كم يوم ملك صحة جسمه بالتمام وخرج الى ديوانه وصار يستعمل المتنزهات والانشراحات . وبعد مدة استحسن الطبيب ان ياخذه الى حمام طبريا فتوجه في دايرته

﴿ اخذ قلعة القدموس وهدمها ﴾

في سنة ١٢٣٣ اذ كان سليمان باشا غائباً في طبريا وبخدمته المعلم مخائيل عورة حضر تحريرات من مصطفى اغا بربر متسلم طرابلس يخبره بها عن عصاوة اهل القدموس وتمكنهم بالقلعة ويلتمس من سليمان باشا امداده بالعساكر والاذن بضربهم وردهم الى الطاعة . ويكرر فيها الرجاء بذلك بزيادة . وحرر ايضاً الى عبد الله باشا بتكرار الرجاء بذلك . فبوصول التحريرات حرر عبد الله باشا حالا اعراض الى سليمان باشا ووضع المعروضات ضمنه والتمس امر سليمان باشا بما يحسن لعامه الاكيد ان بوصولها يامر سليمان باشا باجابة المطلوب كالعادة . فلما قراها له الكاتب امره ان يحرر الجواب بعدم اجابة التماسه وان يترك هذه القضية ولا يحرك بها ساكناً . وامر ان يتحرر جواب الى عبد الله باشا بان يجاوب بربر بان يترك معاطاة مصلحة القدموس ولا يتعرض لمقارشتها مطلقاً . فاذ وصل الجواب الى عبد الله باشا تعجب جداً من ذلك وما عرف الباعث لهذا الامر واذ هو بالمداولة فيه مع حيم حضر سروجي من طرابلس وصحبته تحريرات

من بربر تتضمن تكرار الالتماس بسرعة ارسال العساكر . وانه من حين تقديمه الاعراض الاول جهز العساكر الموجودة عنده في ايالة طرابلس واستحضر على كل ما يلزم لتمشية الاوردي ويلتمس الامر بارسال الخيام والقرب والعساكر ليمشي بالاوردي بوصولهم . فاذ وصل هذا الاعراض ارسله عبد الله باشا الى الوزير وكرر الالتماس بما يحسن . فامر الوزير بتحرير جواب له كالاول بالمنع تماماً . فاذ سأله الكاتب عن سبب هذا المنع اجابه قايلاً ان سبب منعي انما هو لانني اعرف قلعة القدموس جيداً واعرف انه لا يوجد قلعة اصعب منها . ولا يمكن ان تؤخذ بضرب المدافع ولا بالقنابل لانها قطعة واحدة من حجر . وغير معلوم ان كانت منقورة من الصخر ام انها من قدميتها صايرة صخراً واحداً . واذا تظاهرنا بمحاربتها نفشل ولو ضيّعنا جميع الذخاير والجباخانات والاموال . وانا ما بدي اغرّر بنفسي لاجل خاطر وعنفوان بربر . فحرر له امراً ان ياكل خرا ويقعد في ادبه ولا يعمل لي مقالات توجع راسي وتسبب لي كسر الناموس . وعشية ذلك اليوم الذي ارسل عبدالله باشا اعراض بربر اغا حضر سروجي آخر من طرابلس وصحبته تحريرات من بربر مشحونة بالتواقع والرجاء بقبول التماسه . و كذلك ورد تحرير مكرر منه الى عبد الله باشا ومكركب به الدنيا بكثرة الرجاء بهذا الخصوص . فحينئذ عبد الله باشا حرر اعراض الى الوزير و كرر عليه الرجاء واوضح له الاستحسان بقبول التماس بربر آغا . وحرّر عبدالله باشا مرسومين الى أجليقين اغا وابراهيم اغا الملا ديوان

كان (؟) بان يقوموا بكامل بيارقهم[1] ويتوجهوا بسرعة الى عند بربر اغا ويمشوا معه ويبذلوا جهدهم بصدق الخدمة . واعرض للوزير بانه جهز الخيام والقرب ونزلها بحراً الى طرابلس . وحرر للكاتب بانه كيف ما كان الحال ينبغي ان يقنع الوزير بقبول الالتماس وختم المراسيم وان يعرفه عما فهمه من السبب الموجب لتردد الوزير عن القبول بخلاف العادة لان هؤلاء ناس كفرية والجهاد فيهم واجب لانهم عصاة واعداء الدين . وبوصول هذه الاعراضات تمرمر سليمان باشا وانما حيث نظر ميل عبدالله باشا وحيم وملاحقة الكاتب له لختم الاوامر قال له وهو ماسك لحيته اني ساذكرك بما سوف ينالوه من البهدلة على ملاحقتهم بهذا الشان الذي يريدوا به يضيعوا ناموسي فالكاتب ختم الاوامر وارسلها الى عبدالله باشا وعرفه ما قاله الوزير . وبوصولها خشوا من هذا المحذور . ولكن ارسلوها على صفة التوكل . وبربر بوصول العساكر مشي على القلعة وبالتوفيق الرباني توفق للانتصار بالتدابير والملاعيب لا بالحرب والقتال . وهرب امراء القدموس واخلوا القلعة . فدخل اليها بربر وهدمها ولاحق آثار امراء القدموس وادرك اثنين منهم ومسكهم وقطع رؤوسهم وارسلها الى عكا مع اعراض التبشير . وبوصولها انسر سليمان باشا جداً جداً ليس بالانتصار بل بالاكثر من فرحه بخلاصه من خوف الفشل . وهكذا بربر اغا رتب العبوديات اللازمة واعطى نظام المقاطعة ورجعت العساكر الى محلاتها .

---

[1] المراد بالبيارق هنا فرق خاصة من الجند غير الجند النظامي

﴿ وكالة سليمان باشا على ايالة الشام وجمعه مال الدور ﴾

في سنة ١٢٦٣ اذ تعوّق حضور والي الشام الى منصبه بسبب اشغال عرضت له التزم لسبب العائق عن حضوره سريعاً ان ارسل تحريرات مخصوصة الى سليمان باشا يوضح له عذره عن سرعة الحضور وانه اذ كان قيام الحج قارب ويقتضي تحضير لوازمه وخصوصاً المال وبما ان جـل اموال ايالة الشام المخصوصة لخدمة الحج الشريف هي مال الدور المطلوب من جبل نابلوس وجنين والقدس والخليل واذ انه لا يقدر ان يحضر بسرعة لجمع مال الدور قد وكله مكانه وكالة مطلقة بكل احكام ايالة الشام وان يجمع مال الدور والتمس منه الغيرة لمساعدته بذلك واصدار الاوامر المشددة بتحضير كل لوازم الحج وجعلها في محلاتها والعناية بما يخوله بياض الوجه امام الدولة العلية . ومع ذلك مرسل له تحارير من الصدارة العظمى ومن رجال الدولة بهذا الخصوص . وبوصولها اجابة للمسؤول وان يكن ذلك ثقلة عليه اصدر سليمان باشا حالا مرسوم الحكم اللازم الى وجوه واعيان الشام بتقرير المتسلمية على القايمقام الموجود فيها حيث انه ممدوح السيرة وشرح بالمرسوم كل مايلزم ويقتضي لتامين الاهالي وقطع دابر ارباب الفساد وتامين الطرقات واعطاء راحة ابناء السبيل وردع كل متعدي ومتطاول ومتجاوز الحدود . وشدّد باجراء احكام الضبط والربط بمطابقة الشرع الشريف والقانون المنيف وبعمل ديوان حافل وتلاوة المرسوم فيه على رؤوس الاشهاد واستجلاب الدعوات الخيرية لحضرة السلطان . ثم شرح فيه الشرح الكافي مع التشديد

الوافي بتحضير كل لوازم ومهمات الحج الشريف ووضعها متممة بساير محلاتها داخل الشام وخارجها . وحذّر الجميع من ابدآء ادنى مهاونة . ثم اصدر المراسيم اللازمة لساير متسلمين ايالة الشام وعرّفهم عن وكالته وحضهم كثيراً على محافظة الرعايا وامنيتها والابتعاد عن الظلم والعسف وحذرهم من ذلك كثيراً وامرهم بسرعة جمع اموال ومطاليب الميري من محلاتها وايرادها بوجه السرعة الى خزينة الشام مع ايراد المرتبات لمهمات الحج . وامر بارسال دفتر مال الدور المطلوب من سناجق نابلوس وجنين والقدس والخليل مع الخلع والبدلات المعتادة على وجه السرعة . واصدر المراسيم بطلب مشايخ ووجوه وكتاب السناجق لاجل توزيع مال الدور . ونفدت اوامره الى ساير المحلات وتحضرت ساير لوازم الحج في محلاتها وحضرت دفاتر وخلع الدورة . ثم حضرت وجوه السناجق وحكامها وكتابها وتوزع مال الدور عليهم بكل سهولة واخذوا خلعهم وتوجهوا الى محلاتهم لاجل جمع الاموال وتوريدها الى خزينة عكا . وكان يومئذٍ متسلم القدس كنج احمد آغا عم محمد اغا ابونبوت الذي سبق ذكره . فهذا صار متسلماً بالتماس صهره المومى اليه ومتسلم سنجاق نابلوس وجنين موسى بك طوقان المقدم ذكره .

وبعده حضر والي الشام . واذ وجد كل شي حاضراً مهيأ ومرتباً في ايالة الشام حسب مرغوبه وزيادة ارسل تقادم الشكر والثناء الى سليمان باشا . وجاوبه هذا بالتهنئة بقدومه والوعد بكل ما يلزم لمساعدته وحيث الى وقت حضور الوالي كان باقياً من مال الدور زيادة عن سبعماية كيس وقد ادرك وقت قيام الحج حرّر الى سليمان باشا والتمس منه المسارعة

بطاب المبلغ فاجابه سليمان باشا لمرغوبه وارسل له المبلغ الباقي من خزينته مساعدة له وابقى الوزير قيمة ذلك من مال الاربعة سناجق لخزينة عكا. وقد قصد بذلك وجهين حسنين الاول انه جعل والي الشام يكون تحت منته وجميله بانه ساعده من ماله ووفر عليه هذا القدر مصارفات وتكاليف شاقة مع تعيين عساكر ومامورين لاجل تحصيل الاموال من السناجق. وهيهات بعد الجهد ان يتحصل قدر نصفها او ثلاثة ارباعها والباقي يدّعون فيه انه ممتنع الحصول أو أن اربابه رحلوا او خربوا. ويحتاج الى مصارفات بمقداره او اضعافه ولا ينتج منه شي. ثانياً جعله ممنوناً له بمساعدته له بسرعة ايصال المال لاجل مداركة ومزاحمة طلوع الحج الذي لو لا تسهيله بذلك لكان تعطل. وبهذا الوجه ساعده في بياض وجهه عند الدولة العلية. ثالثاً جعل بالخصوص اهالي الاربعة سناجق المطلوب منهم المال تحت فضله و ممنونيته. وجعلهم ان يفهموا منه انه حباً بهم ولاجل ميله الخصوصي لنحوهم قد حمل خزينته هذه الثقلة الشاقة لاجل مواساتهم ورفاهيتهم حتى لا يحصل لهم اضامة من طرف والي الشام بمضايقتهم بسرعة طلب المال لشدة لزومه لاجل مصلحة الحج. وبذلك جعلهم يغرقوا في فضله ويلتزموا بالضرورة ان يسارعوا غاية المسارعة الى توريد المال المطلوب الى خزينة عكا بالتمام والكمال قبل اوقاته المعينة من دون ان يحتاجوا الى غير طاقين مراسم أرسلت لهم بان يستهموا بتوريد المال. وهذه الاسباب التي ذكرناها هي التي جعلت اليد العليا لوالي صيدا في الاربعة سناجق وجذبهم الى طاعته اكثر من طاعتهم الى والي الشام وسلوك اوامره عندهم. وبهذه

العملية ما خسر سليمان باشا شيئاً من خزينته ولا ارسل نقدياً سوى ماية الف غرش من اصل المال الذي كان اكثره وارداً الى وقتها من السناجق والغلاقة اخوة حييم حاسبوا بها خزينة الحاج عن ثمن مطلوبات قدموها لايالة الشام . وعدا ما ذكرناه فبهذه العملية حصل الربح التام الى بيت حييم شحادة بثمن المطلوبات المرقومة وانحسم ثمنها باسرع وقت اذ كانت خزينة سليمان باشا بيده وتحت امره كما ان خزينة الشام كانت تحت يد اخوته بما انهم صيارف بموجب براءة سلطانية وجميع ما يلزم الى الوزراء وحرمهم من ملبوسات ومجوهرات والى دوايرهم من خلع ومن كلي وجزئي يقدمونه هم ويحسبونه بالثمن الذي يريدونه ويقيدونه كما يحسن عندهم من دون ان يسألوا من طرف احد . والوزراء تختم لهم على الاوراق التي يقدمونها بدون مراجعة ولا فحص .

ما وقع لجعفر اغا مع المعلم حييم

في سنة ١٢٣٣ لما قارب دخول شهر مارس من هذه السنة كان محمد اغا ابو نبوت متسلم سنجاق قد اخذ اشارة علم باطلاع المعلم حييم على تحريراته الى كوسا كيخيا بطلب سنجاق غزة باسمه كما قدمنا بيان ذلك ولاجل ذلك تراول (تخيل وظن) من المعلم حييم بسبب ذلك التحرير الذي توجه الى محمد اغا وصار هذا يرسل له بعض كلام تمرقع وتخويف فالمعلم حييم بما انه يهودي وقلبه كقلب النساء ضعيف ويخشى من وقوع ادنى مخايلة كان يداري دائماً بكل جهده ليس امثال محمد اغا الذي كان يعد نفسه اخاً لسليمان باشا وشريكاً له بل من هم ادنى منه ، وكان

بالظاهر يودي الشجاعة والاقدام ويتكلم بصوت عالي ويوبخ بجسارة . وانما كان له رواقب وعيون على كل الناس في كل شيء . ومتى احس بانثلام خاطر احد من قبل عياطه يبادر بالحال الى ملاطفته واستجلاب خاطره باي وجه اتفق له . فان كان من الكبار فبتقديم الهدايا الكثيرة له اذا كان يعرف لزومها له . واذا وجد انه يستجلبه بابعاده عن عكا بتسلمية مخالاً يسعى له بها ويتممها . والحاصل انه كان يفعل بالوجه الذي يتفق له . ومع ذلك كان يميل الى خرافات الحرز والسحر ويصدقها ويرسل من طرفه معتمدان يوثق بهم لكل من يتعاطى هذه الصنعة الخبيثة لينظروا له توفيقاته . وكان لما يحضر اولئك الدجالون ويعرفوه عن لسان السحراء انه موفق تقوم نفسه ويرتفع قلبه . وقلة ما يعود يكترث باحد . ولما يرى بعض وساوسه اليهودية يزيد معه ضعف القلب ويصير بحالة المداراة للجميع . ومن الجملة اتفق له قضية مع احد مماليك الجزار اسمه جعفر اغا قصدنا ايرادها ليعلم من ذلك كم كان سليمان باشا حاوياً من بساطة القلب والاركان بخدمه وكم كانت نيته سليمة وقلبه عديم الشر وكيف كان يتصرف المعلم حييم ببساطة سليمان باشا .

كان جعفر اغا المذكور من مماليك الجزار وكان رجلاً مهاباً طويل القامة ذا هيئة شجيعة ونفس قوية . ولما كانت ولاية الشام في عهدة سليمان باشا في سنة ١٢٢٦ كما قدمنا ولسبب وقوع كثرة الحركات في سنجاق حمص واذية رعاياه من العربان ارسله سليمان باشا متسلماً على حمص وامره ان يجري شجاعته بكف ثقلة العربان عن اهله . والمذكور توجه

وخدم بما امكنه . وعدا مرتباته والايرادات الوافرة التي انتجها من السنجاق في مدة متسلميته دخل ضمنه جانب من نفس مال ميري السنجاق . ولما انعزل سليمان باشا عن ولاية الشام وعمل حساب المنصب ومن الجملة حساب سنجاق حمص ظهر داخلاً على جعفر مبلغ وعدا الذي اورده لوقت قيام سليمان باشا من الشام لعكا بقي عليه ماية وعشرين الف غرش . وبما انه من خاصة سليمان باشا وحذراً من تكدير والي الشام الجديد له قيد سليمان باشا المبلغ المرقوم على خزينته الخاصة . واما باقي المال فقيده على الخزينة الملوكية في ايالة الشام وقدَّم حسابه للباب العالي . وبعد خصم الحساب وتقديمه حضر الى عكا وابقى جعفر اغا بمتسلمية حمص حيث تعهد بتوريد المطلوب منه الى خزينة عكا وانقبل منه هذا التعهد . وبعد حضور والي الشام الجديد بمدة استحسن الوالي عزله من متسلمية حمص . وغب ان قدم محاسبة السنجاق عن مدة متسلميته بولاية الوالي الجديد بالتمام والكمال حضر الى عكا واستقام في بيته في عكا وترتب في الباب نظير اقرانه وتعين له ماهية وخرج وعليق نظير باقي مماليك الجزار .

وبعد مقدار سنة اذ كان جعفر اغا واقفاً في ديوان سليمان باشا مع جملة الاغوات والمعلم حييم جالساً بجانب سليمان باشا يشتغل بالدفاتر مع كتَّاب الدفتر والديوان حابك بالاغوات وارباب الوظائف والمسافرين الاكابر اخذ المعلم حييم بالقصد دفتر البقايا واطلع بوغجة (نفذة حساب) الماية وعشرين الف غرش المطلوبة من جعفر اغا ووضعها امامه ثم رفع راسه الى جعفر اغا وقال له يا جعفر اغا الماية وعشرين الف

غرش المطلوبة منك لخزينة افندينا اي وقت توفيها ؟ اما كفى مواسعة لحد الان ؟ اما يلزم ان تدفعها بدون تحويل ؟ ما هذه الملاكعة ؟ هذا المال دخل ضمنك وافندينا حمل اضامته على خزينته وما رضي يخشرك ولا قبل يسامك لوالي الشام لاجل تحصيله منك . اما كان يقتضي ان تشكر المعروف وتدفعه من ذاتك وتخلص منه وتشكر احسانات افندينا ؟ لاي وقت نبقى شاغلين فيها الدفاتر وننقلها من دفتر الى دفتر ؟ عن اذنك كثرتها بهذا القدر . وكان هذا الكلام منه بصوت عالي بسماع الكل والجميع ينظرون الى جعفر اغا . ولما قال له عن اذنك اظهر الانوراب ثم وضع راسه بالدفتر .

جعفر اغا صمت ولم يتكلم بكلمة . ثم قال له حينئذ سليمان باشا صحيح ياجعفر اغا كثرتها لاي سبب مخلي المال عندك ؟ هل مرادك تاكله؟ هذا لا يصير . روح دبره وادفعه ما عاد يقتضي مواسعة وصبر اكثر من الذي صار . حينئذ جعفر اغا تمنى للوزير من دون ان يفوه بكلمة وبعد حصة صغيرة خرج من الديوان وتوجه الى بيته

ولما صار المساء بعد ان تعشى وصبر لحد الساعة ثلاثة من الليل قام لبس حوايجه وتقلد سلاحه الكامل اي وضع خنجره في زناره وجوز طبنجات في حزامه وتقلد قرابينا وحشاها رصاص واخذ بيده بارودة محشية رصاصاً وتقلد سيفه . وامر خدامه بان يشعل الفنار ويمشي امامه الى خان الافرنج الذي دار المعلم حييم ضمنه وله بوابة حديد كبيرة متينة وله بواب مخصوص بماهية وفي كل ليلة بعد اذان العشي بنصف ساعة يسكر الباب ولا يعود يفتح لاحد الا لمن ياذن حييم بدخوله

وخروجه ممن يترددون عليه للسهرة عنده . وفي وقت دخولهم ياذن لهم وفي وقت خروجهم يخرجوا بدون مانع ويسكر الباب

فحين وصل جعفر اغا الى باب الخان وجده مسكر فقرع عليه بكل لطافة . واذ سأل البواب من يقرع الباب قال له افتح يا حاج علي انا جعفر اغا حاضر اسهر عند المعلم حييم حسبما ترابطنا بالنهار . وتعوقت للان لسبب انه كان عندي مسافرين . فاذ عرف البواب انه جعفر اغا وبما انه كان له سمعة قام حالاً فتح له . فدخل بكل سرعة وصعد على الدرج ودخل الى دار المعلم حييم البراني قبال الكنيس الذي كان عامله في داره البرانية لاجل الصلاة . وفي صدر الدار المرقومة باب داره الجوانية التي هي محل اقامته . والباب المذكور مقفول والخدامين نايمين في الدار البرانية داخل الاوض وغافلين بنومهم . وتلك الليلة بما انها كانت ليلة السبت ما حضر الى عند حييم احد في السهرة . فارجع جعفر اغا خدامه بالفنار الى خلف وامره ان يواري نوره كي لا يظهر من شقوق الباب وتقدم هو الى الباب وحده وقرعه بقوة . فانسأل من داخل من هذا ? فقال انا افتحوا . واذ استغربوا الامر حيث ما في عادة ان يحضر احد في ذاك الوقت فاعطوا الخبر الى حييم فقلق لذلك وقام بذاته وحضر حالا الى وراء الباب وامر الخدام بان يسأل ثانياً من في الباب . فجاوب جعفر اغا بخشونة قايلًا انا افتحوا . حينئذ تقدم حييم وفتح الباب . ولكون ما معه ضو سأل من هذا فتصدر جعفر اغا على وسع الباب وقال له انا . اما تعرفني ? ووضع يده على الخنجر . فاذ حققه حييم قال له : جعفر اغا ? قال نعم جعفر خرا وتقدم عليه وقال انا حاضر

لاجل اعطيك المال المطلوب لكونني دبَّرته كما امرتني . فاذ تحقق حييم قصده ارتعدت فرائصه باطناً وما ساعه الا انه تجلد . وحالاً خرج من باب الدار قائلاً اهلاً وسهلاً افندم . ايش هذا التخجيل ؟ ثم تقدم عليه ومسكه من يده وصرخ بسرعة بطلب شموع للنور ودخل هو واياه الى اوضة الكنيس وصار يلاطفه ويقول له هذه القضية قد ازعجتك ؟ يا للعجب أما لاحظت جنابك قصدي الحسن بحقك فيها ؟ اذا ما فعلت هكذا كيف اعمل حتى ادبر امرها ؟ وانا محسوبك وخاصتك . فقال له انا ما بدي محسوبية . بل انا محسوبك وعبدك يا معلم ولولا اكون عبدك ما قدرت تفعل معي ما فعلته وكيف تريد ادفع لك المال ؟ انا حاضر خصوصي لاجل هذه الغاية . فقال له افندم المال وعزيز راسك وصل تماماً وكمالاً . وهذه مادة علكة لا يجوز ان نأخذها بجد . ثم حضرت حالاً الاركيلة والجبق والشربات واخذوا يتحادثون . وبعد حصة حضر صدر محليات معتبر اكلوا واكتفوا وأعطوا للخادم كفايته . وبعد القهوة نهض جعفر اغا للتوجه وهو مغضب وخرج بدون كلام . فلحقه حييم الى عند باب الدرج وودَّعه . ثم قال له صباح الاحد تفضل شرف الى عند اخي موسى له مع جنابك كلام . ثم قال له بحفظ الله وهكذا توجه .

فصباح الاحد اذ طلع جعفر اغا الى السراي حسب عادته وجد خادم موسى اخي حييم واقفاً في باب اوضة الخزينة ينتظره فتقدم نحوه سراً وقال له معلمي يترجاك ان كنت تريد شرف الى عنده . فقال له متى نزلت ابق افوت عليه . وصعد الى برج الخزينة محل اقامة الوزير ودائرته

وبقي يقيم ههنا وهنا بين اغوات الدايرة من دون ان يدخل الى ديوان الوزير لحين حضور حييم . وبعد ان الوزير عمل الخلوة المعتادة مع حييم والكتخدا وكاتب العربي وتليت التحريرات الواردة من الاطراف والاكناف وصار الاتفاق على اجوبتها وكاتب العربي تمم ساير اشغاله وخرج الى شغله الخاص وانفكت الخلوة ودخلت كتاب الدفاتر الى شغلهم ودخلت الاغوات ليقفوا في ديوان الوزير حسب عوايدهم صبر جعفر اغا حتى عرف ان الكتاب ابتدوا بشغل الدفاتر ثم دخل ووقف امام الوزير مع الاغوات . وبعد حصة اخذ حييم دفتر البقايا واطلع بوغجة اسم جعفر اغا . والتفت الى ميخايل الملك اول كتاب الدفتر وقال له بصوت عال بحماقة الى متى هذه البوغجة تنقلوهـا من دفتر الى دفتر على الفارغ ؟ كم مرة قلنا لكم ممتنعة الحصول ؟ اشرحوا تحتها انه صدر امر افندينا برفعها حيث انها ممتنعة الحصول . انتم حمير طرشان قليلين الفهم نسائين . بده الواحد يبقى عليكم عينك عينك . بدكم مثل معلم الكتاب يعلمكم ا ب ت ث حتى تفهموا . عدوا علي اوادم . ايش هذه الحيونية ؟ متى قال الواحد لكم كلمة اسمعوها . لست انا رب العزة حتى اعرف الذي تنسوه والذي تفطنوا به حتى افتش على الذي تنسوه واراجع تفطينكم به وتعليمكم اياه . كلكم حمير وبهايم . والحاصل عمل لهم طابق افتراء بصوته العالي يا له من طابق . ثم اخذ قلمه و كتب بيده تحت تلك البوغجة انه حيث حصل الفحص والتدقيق على هذا المبلغ ووجد ان جعفر اغا بمدة متسلميته على سنجاق حمص صرفه بالضرورة لاجل الخدامات اللازمة يومئذ لمحافظة السنجاق وبعد الفحص

عنه وجد انه صرفه في محله . فصدر امر سعادة افندينا ولي النعم المعظم برفعه عنه وقيده بالمصروف الهالك من كونه ممتنع الحصول . ولاجل ايضاح صدور امر سعادته بذلك اقتضى هذا الشرح هنا ليعلم ان قيد هذا المبلغ باطل . وبعد كتابة ذلك قراه بمسمع سليمان باشا وجعفر اغا . وقال له اويله ديلمن افندم ؟ فقال سليمان باشا اولور[1] . حينئذ رمل الدفتر وطبقه ورماه بين الدفاتر والتفت الى شغله . وجعل ان يلحظ سليمان باشا ان هذه المصلحة تمت معه بنوع الصدفة لا بالقصد . وبعده خرج جعفر اغا من الديوان كعادته ونزل ليتوجَّه الى بيته وبطريقه مر على موسى وبدخوله عنده استقبله بغاية التفخيم . واذ سأله عن سبب طلبه قال له اخي امرني بان ادفع لجنابك هذه السبعة الاف غرش وهذه البوغجة . حينئذ ضحك واظهر الممنونية وامر خدامه فتسلمها وقام وتوجه لبيته مسروراً . ومثل هذه القضية قد جرى كثير . وهذه القضية حررتها كما فهمتها . اما حضوره ليلًا الى بيت حييم فقد فهمته من ابراهيم فرانكو خادم حييم لانه كان يعزني ويحكي لي كل شيء تحت السر . واما الذي حصل في ديوان الوزير اول وثني فهذا حصل في سماعي ونظري اذ كنت اجلس في ديوان سليمان باشا لاجل قيد المراسيم وكانت اقامتي قبال سليمان باشا تماماً وكنت انظر واسمع كلما يحدث وافهمه .

---

(١) عبارة تركية تعريبها اليس هكذا يا مولاي ؟ فاجاب سليمان باشا صحيح .

﴿ سفر سليمان باشا الاول الى يافا ﴾

عود : ولنرجع الى السياق الاول وذلك اذ كان حييم وحاله هذه ولما لحظ تكدر خاطر ابو نبوت من نحوه تبرغت (قاق) . وحيث ما وجد امكانية لاستجلاب خاطره عن يد احد اضطرب باطناً خوفاً من ابو نبوت فعمل وسيلة مع سليمان باشا وحسَّن له التوجه الى يافا لاجل نشاط جسمه لكونه بعد ذلك التشويش ما حصل على عافيته المعتادة ومدح له بمناخ تلك البلاد . وبعد ان اقنعه بجملة براهين حتى مال لقبول رايه حسَّن له ايضاً ان يتوجه معه وياخذ دفاتر المحاسبة والكتَّاب ويجروا محاسبة السناجق هناك عن السنة المارسية . لسبب دخول مارس الجديد . وبذلك ينتج فايدتان الاولى توفير كركبة حضور الكتاب ثانياً ترتيب مال المنصب وتعين المال المقتضي لاجل ماندات وعلايف العسكر وتحويله باوقاته . وسليمان باشا استحسن ذلك وامر بالاستحضار الى السفر . وثالث يوم قام من عكا وبرفقته المعلم حييم وصحبة المعلم حييم كتاب الدفتر المعلم ميخائيل المالك والمعلم يوسف قرداحي وكاتب العربي المعلم ميخائيل عورة . واذ عرف محمد اغا بقيام الوزير حضر لاستقباله في منزله ام خالد وهي بعيدة عن يافا نحو ست ساعات . وبدخولهم الى يافا نزل الوزير ودايرته في سراي محمد اغا وكان يومئذ باشكاتب في سنجاق غزة ويافا المعلم سمعان الصالح وتحت يده قسطندي صهره كاتب خزينة يافا وكاتب يد الاغا سالم ابن المعلم سمعان وباقي كتاب يافا من اهلهم واقاربهم .

﴿ الياس باسيلا وسمعان صالح ﴾

سمعان الصالح المذكور كان كاتباً عند محمد باشا ابو مرق كما قدمنا ويقتضي ان نشرح الان كيف اتصل حتى صار باشكاتب بمدة محمد اغا .

ان محمد اغا قبل ان يتوجه الى متسلمية سنجاق غزة كان امين كمرك عكاء . وكان عنده كاتباً رجل يقال له الياس باسيلا كان محبوباً منه جداً جداً ويعزه معزة الاخ لاخيه وكان مؤتمناً على ماله وساير ما يتعلق به وكان يثق بهذا المقدار به حتى انه كان يأتمنه على حريمه ومنحه الفرصة بان يدخل على حريمه في اي وقت اراد بدون مانع . وكانت الحريم تحضر عليه وتطلب منه لوازمها وهو يجلبها لهن . وكان محمد اغا يتباسط معه امام حريمه بدون تكليف ولا منقود . وكان هذا الياس باسيلا رجلاً بسيط الطبع يحب السكوت قصير اللسان عن التكلم بحق الناس مطلقاً ويحب فعل الخير ويميل لعمل المعروف ويرغب الصدقة على الفقراء بسخاء كلي . فهذا الطبع وروح البساطة الذي كان فيه جعله يكون محبوباً ليس عند ابونبوت الذي كانت محبته له خصوصية فوق العادة بل عند الجميع . وكانت مفهوميته ليست قوية بهذا المقدار . بل ان طبعه المايل للسكوت وعدم التكلم جعل الناس يظنوا به انه حكيم عاقل . والغالب ان الذين طباعهم هكذا يظن بهم هذا الظن لان العقلاء من دابهم عدم الميل الى عربدة الكلام ويحتسبون كثرة الكلام من سقامة التصرف .

فلما توجه ابو نبوت الى يافا بعد اخذها من ابو مرق كما قدمنا شرح ذلك اخذ معه المعلم الياس المذكور . ولما توطد بتسلمية السنجاق من سليمان باشا وتفوض التفويض التام فيها جعل عمدته المعلم الياس وسأمه ساير مصالحه . وصار عنده نظير المعلم حييم عند سليمان باشا مائناً متصرفاً وحبه له والمعاملة التي كان يعامله بها بقيت على حالها بل بزيادة . وحسب عادته كان يدخل على حريمه بدون مانع ويلاعبه ويباسطه وثاني سنة من حكومته التمس له من سليمان باشا جلب براءة باشكاتب السنجاق فجلبها له . وكان يدفع عليها مال ميري سنوي ثلاثين غرشاً . ولما وصل الى يافا حضر المعلم سمعان الصالح المذكور وعمل وسايل وارسل وسطاء الى المعلم الياس ليستخدمه تحت يده . وهذا نظراً لطهارة قلبه وتمكنه من محبة محمد آغا وبساطة اطباعه قبله ووضعه بخدمة الكتابة تحت يده ورتّب له الرواتب التي كانت له في ايام ابو المرق . وكذلك استخدم ابنه سالم وصار هذا وابوه كتّاب اليد . والمعلم الياس قصد بذلك عمل الخير وعدم اطفاء وجاقه لكونه قديماً بالخدمة وحتى يفهم منه بعض ما يلزم ويقتضي من امور السنجاق بما انه جديد في هذه الوظيفة . واما ابو نبوت فكان يكره سمعان وابنه وما يحبهم ولكن لاجل خاطر المعلم الياس قبلهم بالخدمة . وكان دايماً المعلم الياس يعاملهم باللطف والاعتبار ويساعدهم بكل ما يلزم لهم . ولما ينزل الى عكا لاجل اجراء الحساب السنوي ويأخذ كتاب الحساب بالخزينة وكتاب السناجق يأخذهم معه ويلتمس لهم انعام الوزير وخلعة نظيره ونظير باقي الكتاب .

وبمقدار ما كان المعلم الياس رجلاً رقيق الطبع والنفس صاحب وجه ضحوك ويرغب خير الخلق وعمل المعروف وعدم الاذية والضرر وقصر اللدان والتجنب عن كل امر متعب النفس والجسد ومايل للسخآء وارضاء خواطر الخلق وجميل الوجه ابيض الشعر ذا خلقة ضاحكة كان بضد ذلك المعلم سمعان . كان اولاً قصير القامة ذا خلقة عبوسة اصفر اللون وهيئة الكآبة غالبة عليه لئيماً حقوداً مايلاً للاذية والضرر مكافياً المعروف بالضد قاطعاً حبل الوداد والمعروف مع كاين من كان وعديم الاركانية لاحد لا يأتمن احداً حتى ابنه اذ كان هو وابنه ساكنين في دار واحدة فكانت حرمته تختفي عن ابنه اذ انها ليست امه وحرمة ابنه تختفي عنه . ولما يحضر احدهم للدار يستأذن اولاً حتى تختفي امرأة الاخر ويدخل الداخل الى عند امرأته . وكانت الدار معمراً في وسطها حاجز لاجل هذه الغاية . وكان معبرها من باب واحد . وكان منشح الطبع يده محجوزة بالكلية عن العطآء وممدودة للاخذ نظير الجراد يأكل وما يصرّف . والحاصل ما كان له صفة ممدوحة . وباكثر من ذلك كان يميل كثيراً للغدر ومقابلة المعروف والاحسان ليس بعدم الوفاء فقط بل بتعويضها بالاذية . وهذه كانت احواله المشهور بها .

واما المعلم الياس فكان لا يبالي منه بهذه الاحوال ولا يسأل . واذ استقام بالمنصب سنة زمان فهم احواله ومع حب الخلق له فاق بمعرفة احواله من سبقه . وفي أقرب وقت صار عنده معرفة تامة وخبرة كافية بساير رسوماته واعماله . وصار يتصرف بها حسب خبرته ومع

التوفيق الذي كان مصادفه صار له سمعة حسنة وصيت جميل . ولما كان يحضر الى عكا كان يصير له طنة ورنة واعتبار عظيم خصوصاً من الفقرآء والمحتاجين الذي كان يسخي عليهم بسخاء وافر . وكان بمشواره يتكلف عليهم في وقتها بزيادة عن عشرين الف غرش من عطايا وبخاشيش وهدايا وغيرها . واذا مشي بالاسواق كانت الفقرآء تبقى تلاحقه راكبة اكتافه ويلحقوه للسرايا والى محل نزوله في الليل والنهار وما كان يطرد احداً فارغاً . بل يعطيهم بدون تمييز ولما يسافر يلحقوه الى نصف طريق حيفا . وليخلص من مزاحمتهم كان يرمي الغرش على الارض حتى يلهيهم عنه وهكذا كان يقبل الدعا والمحبة من الجميع والباري تعالى وفقه بزيادة .

فاما المعلم سمعان فاضمر له الشر وابقاه مكتوماً في نفسه مترقباً الفرصة التي تلوح له ليكافيه على معروفه بنفث سمومه . في اواخر سنة ۱۲۲٦ واوايل سنة ۱۲۲۷ لما صار ذلك الطاعون العظيم في عكا وسرى منها الى البلدان وصل الى يافا في اقرب وقت . ولما ظهر في يافا خاف الياس جداً جداً واذ تذاكر مع المعلم سمعان قال له سمعان انا لا اخاف الطاعون وقضية الحماية منه عندنا مكروهة . فاذا كان حاصل عندك خوف فلا تخاطر بنفسك وادخل الخباء وانا وابني هنا ملازمين الخدمة . وكل شيء يلزم نفيدك عنه . وكما تامرنا نفعل . فانت ربيتنا وعمرت بيوتنا وعملت معنا كل هذا المعروف لاجل مثل هذا اليوم وحسّن وهوّن له امر الخبآء والزمه به . ونظراً للخوف الذي اعتراه اعتقد الطيب في المعلم سمعان واركن اليه اركان مسيحي وعزم على

دخول الخباء والتمس الاذن من محمد اغا بذلك . فالمذكور تردد اولًا عن اعطائه الاذن لانه كان يكره جداً جداً ذكر الكرنتينا والذين يستعملوها نظراً لوحاشة طباعه . وبعد اللتيا والتي مع جملة مراجعات اذ نظر الياس ان الطاعون امتد بيافا وكثر جمله عظم الوهم يخرج حالا منها ويتوجه الى الرملة ويعمل كرنتينا هناك . حيث ان يافا محلاتها ضيقة ومحشورة جداً وراكبة بعضها فغير ممكن ان ينعمل فيها كرنتينا . فتوجه الى الرملة واستقام في دير الافرنج وقفل عليه مطمئناً بنوع ما . وبالخصوص لامله الكلي وغبطته العديمة الوصف عند محمد اغا .

﴿ عزل الياس باسيلا واخذ شمعان صالح مكانه ﴾

فبعد كم يوم اذ وجد سمعان الفرصة سنحت له فتح فاه وبدا يتكلم بحق الياس باسيلا ويرمي بحقه . ويوري محمد اغا رداوته بحقه وان الحب العظيم والمساعدات والعنايات والالتفاتات والجاه الذي قبله منه قد ضاع باطلًا لانه في وقت اللزوم تركه وهرب يختفي من حكم الله سبحانه . واذا كان هذا حاله مع الله ويهرب من حكمه ولا يقبل امره فكم يكون حاله مع العبد . وانا الذي ما كنت تسأل عني ولا تلتفت الي . بل كنت تقبل المذكور وتكرهني قد خاطرت بنفسي وبولدي ايضاً حباً فيك حتى تعرف مبغضيك ومحبك ولله تعالى الحمد قد كشف عن بصيرتك في هذه الايام الصالحة وعرفت الصادق من الخاين . وصار يردِّد مثل هذه الاقوال

لملاحظة ابو نبوت . وبقي هكذا الى ان غيَّر خاطره على الياس باسيلا وحوَّل قلبه من المحبة الى الكراهية . فابتدا يكرهه وينكد عليه ويرسل يامره بالحضور ويتهدَّده ويكدّره . وجعله في تلك الايام شغلته وعملته . وما ترك يوماً يمضي من غير ان يرسل يكدره . ولولا وجوده في دير الافرنج لكان اخرجه منه غصباً وقتله .

ولما انتهى الطاعون ارسل الياس يستأذنه بالحضور فغضب وجاوب المرسال بان يقول له بقسم اذا استقام في هذه البلاد زيادة عن ثلاثة ايام فدمه في عنقه وكل من يراه يقتله . واذ تحقق الياس ذلك بالتوكيد ووجد ان الرجل تغيَّر بالكلية وغير ممكن استجلابه بوجه قام من الرملة خفية وبكل سرعة وحضر الى عكا . وحصل التواسط لدى محمد اغا في وقتها من علي باشا ومن المعلم حييم وتراجع مراراً بحق المعلم الياس فما قبل وتظاهر بالنفور الوحشي حتى انه قال لمعتمده بان يعرض الى علي باشا بانه اذا ارتغم برجوع الياس لعنده يقتله ولو قُتل بجانبه . وهذا آخر كلامه . فعلي باشا والمعلم حييم نظراً لمعرفتهم حال المذكور وشراسة اخلاقه وشدة عنفوانه نصحوا الياس بالبعد عنه اذ كانوا يحبوه محبة صحيحة وخيَّروه اذا كان يريد يستقيم كاتب في خزينة عكا . فما قبل وكبر عليه الوهم من ابو نبوت ليلا يمتد شره اليه في عكا فالتمس الاذن بالاقامة في بيروت فاذنوا له بذلك . فقام من عكا وتوجه الى بيروت واستقام فيها يتعاطى السبب بشغل وقتي على نوع التسلية وصحبته المعلم نقولا غرغور .

﴿ سابا باسيلا وابو نبوت ﴾

وبقي في يافا سابا باسيلا اخو المعلم الياس لاجل المناظرة على داره وبستانه الذي له في يافا . وكان سابا رجلاً بهلولاً بسيطاً . وكان محمد اغا يحبه ويميل اليه حينما كان اخوه عنده وبعد بغضته لاخيه ما كدره . وفي احد الايام اذ كان حاضراً من البستان الى يافا صدف ان ابو نبوت كان جالساً على باب المدينة وسابا راكباً حماراً بدون ركابات . فاذ اقبل للباب قالوا له انزل الاغا قاعد بالباب . فقال لهم بصوت عالي بسماع الاغا مليح يحسبني الاغا حمل زبالة محمل على حمار . فهل بستليق ينزله ؟ فسمع الاغا وضحك . واذ وصل لقباله وهو راكب سأله عن حاله وصار يباسطه فوقف سابا ودعا له . واذ كان معه كلب سأله عنه الاغا فقال له هذا عندي من قديم وحافظ ودادي ولا يفارقني وهو احسن من ابن ادم الذي لا يحفظ الوداد مثلك . فاذ سمع ذلك صمت وسابا دخل الى محله ونظراً الى سذاجته ما افتكر بشي٠ .

عود — والمعلم الياس بقي في بيروت لحد سنة ١٢٣٠ لما حضر الى عكا محمد اغا لاجل التعزية بوفاة علي باشا . وبملاحقة الرجاء من المعلم حييم والمعلم حنا عورة اذ كان له عليه محسوبية كبيرة ومن الخواجا انطون كتفاكو صفي خاطره من نحوه وارسل استحضره من بيروت واخذه الى يافا وجعله كاتباً على مصالحه ودوايره وسلمه خزينته والمصالح المتعلقة به . وبقي سمعان الصالح كاتب السنجاق والمعلم الياس ما له شي٠ من مصالح الميري ورتب له معاشاً كافياً ووضع تحت يده

كاتبين اذ كانت دايرة اشغال محمد اغا واسعة جداً . وبعد مـدة نقله الى القدس حيث ارسل حريمه ابنة الكنج احمد مع اولادها وجواريها الى هناك واستقام الياس في القدس يتعاطى مصالح محمد اغا ويصرف على حريمه الى حين عزله من يافا .

فالى هنا ذكرنا حال هؤلاء الشخصين . واما باقي احوالهم وحياتهم وكيف انتهت حال سمعان بقطع رأسهِ جزاء له من حسين باشا وكيف بعدها توفقت احوال الياس ووفاته بالقدس على فراشه بخدمة باشكاتب سنجاق القدس في ايام عبدالله باشا فسنذكرها فيما بعد في محلها بمدة حكومة عبدالله باشا ان شاء الله تعالى .[1]

---

(١) لم نقف اصلاً على اثر لتاريخ عبدالله باشا الذي اشار اليه المؤلف ولعله لم ينجزه .

ذكر صديقنا الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف شيئاً من ترجمة سمعان صالح ومقتله بعرض كلامه عن ترجمة حفيده الياس صالح حسب رواية رفيق صالح (في مجلة النعمة من سنتها الثانية صفحة ٢٧٧) ما لا ينطبق تماماً على ما ورد في هذا التاريخ ولا على الاصول التي نشرها الدكتور اسد رستم فيما يخص فلسطين في المجلد الاول من « الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا » قال الاستاذ حفظه الله

« وكان والي فلسطين ابو نبوت وايالته تابعة لدمشق فقام عليه الفلسطينيون واغلقوا باب يافا بوجهه بعد عودته من عكاء لظلمه . فأتهم سمعان صالح بالثورة واضمر له السوء . فسعى به لدى وكيل والي دمشق حسين باشا احد غلمان سليمان باشا وصديق ابي نبوت ورفيقه . فاستقدمه حسين باشا لمحاسبته فخاف من غدره وبعث بولده سالم عوضاً عنه وتهدد والده بقتله اذا لم يقابله في دمشق فاضطر استبقاء لحياة ابنه ان يذهب الى دمشق فسجن فيها وبعد يومين شاع قرب وصول والي دمشق الاصيل الذي كان صديقه . فانتهز الوكيل حسين باشا الفرصة وعجل بشنقه مع زوج ابنته قسطنطين برهومه الذي رافقه من يافا وبعد انزالهما كان برهومه بقي حياً . فصودر وفرَّ

﴿ محاسبة ابو نبوت ﴾

ولنرجع للسياق الاول وبعد وصول سليمان باشا الى يافا وحضور سائر اعيان الاطراف والاكناف من سناجق غزة والرملة والقدس والخليل ونابلوس لمقابلته وصحبتهم التقادم واجراء التلطيف مع الجميع ابتدا حييم يعمل محاسبة حكومة ابو نبوت . ولكي يرضي خاطره قبل المحاسبة التي تقدمت وقيّدها جميعها بدفاتر خزينة عكا بدون ان يراجع منها نفدة واحدة . ومن الجملة اذ وصلوا بالمحاسبة الى قيود مصارف مطبخ ابو نبوت ومصارفه من اكراميات وانعامات لدايرته ولمن يلوذ به والى الواردين لعنده من الاطراف والاكناف ومصارف حرمه فعمل مقايسته مع مصروف مطبخ الوزير في عكا جميعه فوجد مصارف مطبخ ابو نبوت مقدارها مرتين وزيادة . واذ سال كاتب المحاسبة صهر المعلم سمعان — وكان بارد الطبع ثقيل اللسان الثغ — عن زيادة هذه المصاريف الباهظة المختصة بالمطبخ اجابه يا معلم اسكت هذا بطن ما بده اقلام ولا سوال . لحذراً من ان يكرر السوال له عن شيء وهو يخبر عمه وعمه يلقيه باذان محمد اغا على نوع المفسدة حسب

الى الرملة فسكنها وعاش عدة سنوات ثم ارسل حسين باشا وضبط جميع عقارات سمعان صالح ومقتنياته في يافا والقدس واطلق ولده سالماً فسكن القدس وسلالته فيها » .

والواقع ان يافا كانت تابعة عكا كل مدة ولاية سليمان باشا وكل مدة ولاية عبدالله باشا . وحسين باشا المذكور كان متسلماً ليافا من قبل عبد الله خلفاً لمصطفى بك ابن اخي سليمان باشا . وكان حسين باشا قد وقف على جلية اعمال سمعان صالح وعلى مفصل امر المكيدة التي حاكها بحق ابي نبوت صديقه ورفيقه القديم من عهد الجزار .

عوايده سكت عن السوالات وقيَّد ساير المحاسبات كما قدموها . وبموجب المقايسة وجدت مصارفه من الاكراميات والانعامات بمقدار مصاريف سليمان باشا . والخلاصة انه في تلك المحاسبة ظهر القب على العاتق اي الايرادات قبال المصاريف تماماً من دون ان يتقيد له شيء زيادة . وغالباً هذه المحاسبات تصورت هكذا باشارة ابو نبوت لينظر عند تقديمها عمل المعلم حييم بخصوصها ويبقى يدبر حاله ويجعل قضية المحاسبة سبباً ليخلص من غايلة ما كان مفتكراً به . فالمعلم حييم اذ كانت غايته الوحيدة استجلاب خاطره وازالة الشبهة من نحوه عمل له حسب مرامه وقيَّد محاسبات السنجاق واعطاه مرسوم قطع العلاقة من سليمان باشا . ثم اجتمع فيه سراً وافهمه مقصوده بامر ترتيب تحويل مال العساكر على مال السنجاق . وحسبما صار الاتفاق بينهم عمل ترتيبه واعرضه على الوزير واستاذنه لكي يلزم محمد اغا به وجعله انه امر باهظ فوق الطاقة . واذا قبل به محمد اغا فيكون قبوله منه امراً عظيماً . والوزير بحسب بساطته قبل قوله وتوهيقاته واستحضر محمد اغا وبعد المذاكرة اطلعه على ورقة الترتيب . فاولاً توقَّف محمد اغا واعتذر واخيراً اظهر القبول اطاعة للامر وحينئذ مدحه سليمان باشا واظهر له الممنونية . وثاني يوم اعطاه مرسوماً بخمسين الف غرش على سبيل الانعام وساير الاوامر التي طلبها من سليمان باشا تحررت واستجاب خاطره والبس المعلم سمعان وابنه واعطاهم الانعامات المعتادة . وصار اذ ذاك المعلم سمعان عند المعلم حييم الجزء الذي لا يتجزى . ومحمد اغا اكرم دايرة الوزير

والكتاب ورجع سليمان باشا الى عكا .

《 انعام سليمان باشا على محمد اغا بسرية 》

وبعد رجوع سليمان باشا الى عكا اصدر له مرسوم التخبير مع استحسان ساير خداماته وقبولها ومحظوظيته منه . وبعد كم يوم اخرج سرية من سراريه من دار حرمه وارسلهـا صحبة الحرم اغاسي الى محمد اغا وبرفقتهم مرسوم التبريك بها والدعا له . وبوصولها قبلها وادخلها حرمه وقدم جواب المرسوم صحبة الحرم اغاسي والتشكر من احسانه .

《 المعلم حييم وسمعان صالح وابنه 》

والمعلم حييم ليكرم سمعان الصالح على سعيه معه بنوال مرغوبه وليبقيه مركز الافادة وعيناً له لقبه قبوكتخدا عند ابو نبوت خصوصاً بما ان سمعان المذكور تقرب عند المعلم حييم بوجه ثاني اي بايجاد ناس يعرفون القلم والسيمونية والاسحار وصار ياخذ منهم الافادات عما يخص حييم ويرسلها له سراً . وبهذا الوجه ملك المعلم حييم ملك الرقبة وصارت كلمته عنده مطاعة اكثر من كلام التلمود . ولاجل ذلك الزم سليمان باشا بان يطلب لسالم ابنه براءة صرافة غزة . وفي اقرب وقت حضرت وبحضورها صدر مرسوم عمومي من سليمان باشا الى سنجاق غزة طبق مضمونها بموجبه يتناول المذكور ايراداتها وارسله له وتقيد في سجل محكمة غزة .

﴿ يوسف دميان وابو نبوت ﴾

وكان موجوداً في يافا قنصل للانكليز رجل يقال له يوسف دميان كان مقبولاً عند دولته ومحبوباً منهم ومكروهاً عند ابو نبوت بما لا يوصف . وسبب هذه البغضة ان القنصل المذكور قديم في يافا ومن قبل حكومة محمد باشا ابو مرق حتى صار لقدميته كانه واحد من اهالي يافا وكان غنياً بماله وكان ابو المرق يحبه ويطلب دائماً منه غرش على سبيل القرضة وهو يعطيه ويواسمه حسب مرغوبه . وكانوا محبين لبعضهم وكان القنصل صاحب شآمة وناموس يحب السلوك الحسن واستقامة الاحكام . فلما تولى ابو نبوت فقلة ما اعجبه تصرفه وصار يشمئز منه . وانما لا يتعرض له بشيء . ولما فعل تلك الافعال باول حكومته بمسكه على مرتين اولاد النصارى وادخالهم في دين الاسلام غصباً عنهم وعن والديهم قد كرهه تماماً وصار يتعرض له في غالب الامور ويقاهره . وصار ابو نبوت يحرّر بحقه الى سليمان باشا المرة بعد المرة ويلزم الباشا بتكرار الرجاء ان يحرّر بحقه الى الباب العالي لاجل عزله . وسليمان باشا لاجل خاطره حرر مرتين وتجاوب بعدم القبول بل بعدم معارضة القنصل المذكور وبالتوصية التامة به . ومنذ ذاك الحين تظاهروا بالبغضة ضد بعضهم . وابو نبوت من حنقه من القنصل وقصر يده من نحوه صار يعمل له حركات تدعو الناس للضحك عليه .

ومن جملتها ان القنصل كان عنده معرفة بصنعة الطب وكان يعالج من يلتجي له مجاناً . وكانت الخلق تحبه لهذه القضية بوجه خصوصي

فابونبوت لكي يكيده استحضر رجلًا حلاقاً من حلاقين يافا اسمه روفان وامره ان يعمل حكيم البلدة ويدور يحكم . ثم كان موجوداً محل بطريق مرور القنصل فابو نبوت افتكر بخسافة عقله ان يغيره عن هيئته ويجعل فيه مزلقات حتى اذا فات القنصل يزلق وعسى تنكسر يده او رجله . وكان يفعل مثل هكذا حركات صبيانية بكلية عقله ليكيد بها القنصل وذاك اي القنصل كان يقاومه باشياء توجب له الكيد والغم كثيراً كان يتأوه ويتشكى منها محمد اغا امام كل الناس . وكان يلبس القنصل دايماً غنبازاً طويلًا بشراريب ذهب مقصب ويركب الحصان المرخت ويقصد محلات اقامته ويمر امام الاغا بالدبدبة والهيبة غير مكترث به ولا سائلًا عنه . وكان باقياً للقنصل مبلغ دين عند محمد باشا ابو مرق لوقت قيامه من يافا فحرر الى ألجي الانكليز وطلب المبلغ والالجي طلبه من الباب العالي وفي الباب سالوا عن موجودات ابو المرق وتحققوا انها ضاعت في الحصار وما بقي له سوى سرايته في غزة . فصدر الامر السامي من جانب الصدارة العظمى الى سليمان باشا تخبيراً بمطلوب القنصل من ابو المرق وحيث انه ما وجد له شيء يمكن الوفاء منه سوى سرايته فقد صدر الامر الملوكي باعطائها الى القنصل يوسف دميان مقابل ماله ، واذ ذاك فقد صارت بموجب الامر الهمايوني ملكاً مؤبداً للقنصل يتصرف بها كما يشاء ويريد . وان يسلمها له بالحال بدون مراجعة . فبوصول هذا الامر اصدر سليمان باشا حالا مرسوماً عمومياً بختم الايالة الى سنجاق غزة تخبيراً بورود الامر السامي وصدور الارادة الملوكية والامر الجازم بتسليم سراية ابو

مرق الى القنصل المذكور ليتصرف بها كيفما شاء واراد بدون ادنى معارضة من طرف احد لكونها صارت ملكه وان يتقيد المرسوم بالسجل المحفوظ ويكون مرعياً ودستور العمل الى ما شاء الله تعالى ·

فاذ وصل المرسوم الى القنصل وارسله الى ابونبوت غاب هذا عن الوجود وخرج عن حدود المعقول وتوقف عن اجرائه وقدّم حالاً اعراض الى سليمان باشا وارسله صحبة هجان مستهم مستعجل وشرح به شرحاً مستطيلاً خلاصته ان هذا الامر ذل عظيم على الاسلام لا يجوز قبوله · لانه كيف يسوغ ويجوز ان سراية الوزير الذي هو من اجل امرآء الدولة وشريف ابن شريف تؤخذ من اولاده الاشراف وتعطى الى الافرنج · ويستدخل ويسترحم بزيادة لابطال هذا الامر ويلتمس المراجعة به للباب العالي · فسليمان باشا بردّ حرارته الصبيانية بجواب مختصر · وهو قد اطلعنا على تحريركم وكامل ما ذكرتموه بخصوص سراية ابو المرق في غزة الصادر الامر السامي باعطائها الى الخواجا يوسف دميان نظير الدين الذي له عنده · وجميع ما ذكرتموه صار معلوماً · فيا ولدنا اذا كانت الدولة العلية صاحبة الامر هكذا ارادت واستحسنت فنحن ما يكون عندنا سوى اطاعة الامر بدون خلاف · لزم افادتكم ·

فهذا الامر احرق صمايم فؤاده وصيره يهيم كالمجنون · والقنصل اذ تأكد حاله حرر الى الاستانة واستجلب فرماناً شريفاً بالتوصية التامة بخصوصه · وبحضور الفرمان نزل الى عكا لابساً الثياب المفتخرة بكل جخة وقدّمه الى سليمان باشا وطلب منه مراسيم مشددة موكدة بموجبه ·

فصدرت له حسب مرغوبه . حتى ان ابو نبوت كره حياته ولو امكنه لقتل نفسه من شدة كيده وحسده . وبقيت هذه المشاحنة والكراهية بينهم الى حين انعزل ابو نبوت وقام من يافا .

﴿ مصطفى اغا بربر ويحيي افندي ﴾

ثم في سنة ١٢٣٣ يحيي افندي الطرابلسي الذي توجه من طرابلس الى الاستانة واستعمل الضدية لبربر وسعى بحقهِ الى ان اخرج فرماناً بقطع رأسهِ وقدم سليمان باشا الرجاء والاسترحام بحقه وصدر الامر الملوكي بالعفو عنه كما شرحنا فيما سبق . فالمذكور اذ تحقق ان تعبه ضاع سدى وعلم بالقرينة ان بربر اغا بعد ذلك نظراً لاطباعه يزيد عما كان اضعافاً بقي في الاستانة يترقب الفرص . وبخداعاته ومداخلاته رتب الابواب اللازمة لاتمام عمله الاول . واذ لاحت له الفرصة رمى به وصدر الامر المكرر بقتل بربر . واذ وصل الامر الى سليمان باشا انغم جداً حرصاً بالحري على شرفه وناموسه اكثر من حياة بربر . فاقتضى ان كرَّر اعراض الرجاء الى الباب العالي بطلب العفو عنه واحتاج الامر الى اربعة مراجعات . وبعد كل الجهد حصل القبو كتخدا على الامر المطلوب بالعفو وارسله له . وجميع ذلك حصل وبربر ما له علم بشيء من الواقع ولا سليمان باشا أخبره . وباثناء ذلك حضر منه اعراض يلتمس به الاذن بالتوجه لاسقاط فريضة الحج فجاوبه حينئذٍ سليمان باشا بالمنع . واذ كرر الاعراض واوضح غمه من منعه جاوبه سليمان باشا وعرَّفه حينئذ الواقع بالتفصيل واوضح له ان غريمه لم يزل بالاستانة

مصراً على خباثة اعماله بحقك . فمن المعلوم متى عرف انك خرجت من ايالة صيدا ولو ساعة زمان يكون الامر قد سبقك . فان قبلت بهذا الامر عرفنا حتى نعطيك الرخصة بالتوجه . وان تبصرت العواقب تجد ان منعنا لك هو صلاح بحقك . فاذ وصله هذا الامر جاوب بالعبودية والتشكر وتربص . ويحي افندي توفي بعد مدة في الاستانة وانقطع شرش فساده وخلص بربر اغا منه بتوفيه واستراح من شره .

﴿ تمهيد تلول عكا ﴾

لما حضر الفرنساوية سابقاً وحاصروا عكا في وقت الجزار وبقوا على حصارها زيادة عن الستين يوماً عملوا متاريس من تراب قبال عكا من ناحية الشرق لناحية الشمال وكانوا يتترسوا بها ويحاصروا عكا وكانت هذه نظير تلول مقابل القلعة وبعد قيامهم بقيت كما هي فالجزار غض النظر عن قيامها وابقاها تذكرة وشرفاً واما سليان باشا استحسن هذه السنة رفعها وامر باخراج شغيلة الورشة والدايرة باجمعها حتى الكتاب جميعاً والعسكر وضباطهم وهو وكتخداه عبد الله باشا خرجوا ما عدا المعلم حييم والمعلم حنا عورة وخرجنا جميعنا بهذه الاجرية العظيمة لاجل رفع المتاريس وفرش ترابها على الارض لمساواة ارض البرية وهكذا كان يشغل العالم بدون تمييز كأنهم فلاحين او بحرية حتى ان الغالب من الكتاب وغيرهم من اصحاب الرفاهية حصل لهم اذية بالغة في ايديهم واجسادهم وثاني يوم لما نظر غالب طائفة الكاثوليك ما طلعت للشغل زعل وامر بتسكير كنيستهم وبقيت مسكرة اربعة وعشرين

ساعة . واخيراً امر بأن يدفعوا الى ز كور اغا المحتسب ثمانماية غرش ويفتحوها . فدفعوا وفتحوها . وكان وقوع هذه القضية منه بخلاف مألوف طبعه . وانما جل الكامل بصفاته الالهية التي لا تقبل التغيير .

﴿ البشارة بولادة السلطان عبد المجيد ﴾

وفي سنة ١٢٣٣ باوائـل هذه السنة المبـاركة حضر فرمان عالي شأن ملوكي يحتوي التبشير بما جاد وانعم به المولى تعالى بولادة السلطان عبد المجيد خان . وذلك الفرمان الشريف ما سبق حضور نظيره بما حوى من الالفاظ الشريفة والجمل اللطيفة والفصاحة . وبوصوله لبس سليمان باشا بدلة الالاي وعمل ديواناً حافلاً وتلي الفرمان الشريف علناً على روس الاشهاد وامر بضرب المدافع ثلاثة ايام واظهار الافراح والتهاني والمسرات والاماني . وفي الحال امر بنشر هذه البشرى لساير محلات ايالة صيدا . وامر ان يعملوا بكل محل ديواناً حافلاً ويتلوها على الخاص والعام ليعم الفرح والسرور القاصي والداني والقريب والبعيد ويستجلبوا الدعوات الخيرية في اوقات الايجابة لحضرة السلطان نصره العزيز الرحمان . والمحلات الموجود فيها مدافع امر بان يعملوا فيها شنك (تنويراً) ثلاثة ايام ويظهروا غاية الافراح والسرور والحظ والحبور وكان يشرف هذه المراسيم الى محلاتها صحبة اغوات مخصوصين من الدايرة ويعين لهم فيها خدم مخصوصة او اكراميات تندفع لهم وتتقيد على الخزينة . وهكذا بعد ان أعطى الاكرام اللازم الى المباشر الوارد بهذه البشرى اخذ المذكور الاجوبة ورجع الى الاستانة .

﴿ عمار البوايك بقرب برج الحديد ﴾

في اواسط سنة ١٢٣٣ استحسن سليمان باشا ان يعمّر بوايك [1] في عكا بجانب سور البحر الواقع ناحية الشمال من عكا بجانب برج الحديد وبرج كريم . وحالاً امر بتدوير الورشة وباشر بذاته عمارها وكان يومياً ينزل ويجلس هناك قبال الشغيلة . وفي اقرب وقت تمم عمار اربعة بوايك كبار جداً معقودين بالحجارة والطين .

﴿ فقير غني ﴾

في سنة ١٢٣٣ كان في عكا سوق يسمى سوق ظاهر العمر موقعه بين بوابة السباع وباب السراي . وكان يوجد فيه نحو ماية وعشرة دكاكين على الجانبين . وهو مسقوف جالون بخشب . والدكاكين مسقوفين بخشب . وفي آخره من ناحية بوابة السباع سبيل ماء . وفي آخره من ناحية السراي دكان صغيرة والدكاكين كان يسكنها العقادين والخياطين وفي آخره السداجين وفي اطرافه بعض جبوقجية [2] وبياعين خردق ورصاص وبارود وفي الدكان الصغيرة المرقومة كان مقيم رجل فقير اختيار كسيح عاجز لونه كلون الكهرباء . وكان كل يوم صباحاً يحضر عتال يحمله ويوديه الى باب الجامع . والظهر يحضر يرجعه الى محله وبعد الظهر كان كذلك يأخذه وعند المساء يرجعه . وكان السرايدارية

(١) البوايك جمع بايكة يراد بها مخزن لباعة الحبوب .

(٢) المراد بالجبوقجية باعة مواسير الدخان وهي تركية . والسداجين محرّفة باعة السجاد . والعقادين باعة الحرير المعقود قيطاناً وبرياً .

(اهل السراي) يجمعون ما يفضل من طبايخ مطبخ سليمان باشا ومن السفر التي ترسل الى المسافرين واغوات الدايرة ويساووها في الصحون في الظهر والمساء ويحضروا بها الى قدام الدكان المقيم فيها الفقير المذكور يبيعوها للغرباء والمحتاجين . واول حضورهم يشيلوا منها حصة للفقير المذكور صحن ارز وفوقه احدى اليخنات التي تكون موجودة مع غير اشياء . والفقير يأكل منها ويطعم العتال الذي يحمله . وكانوا يظنوا به فقيراً . وفي كل يوم الظهر والمساء لا بد ان يعطوه ذلك .

وانا الفقير محرّره من صغر سني لحين موته اعرفه مقيماً في هذه الدكان وملبوسه قميص عتيق شكله العياذ بالله وعلى رأسه قطعة طربوش وهو يلحق من العمر نحو ثمانين سنة . فبهذه السنة حضر العتال في احد الايام صباحاً ليأخذه حسب عادته فوجده مايتاً فاعطى خبراً عنه الى المغسّل وكيل الاموات . فبادر ليدبر له عدة الغسيل والكفن وعدة الاموات . ثم حضروا ورفعوه من دكانه الى الجامع وهناك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه واخذوه دفنوه وصار له جنازة مليحة لان كثيرين كانوا يعتقدون صلاحه فارادوا يشتركوا باجره ثم رجعوا الى دكانه ليجمعوا حوايجه ويرموها لانها زبالة لا تنفع . فوجدوا في آخر الدكان اربعة جرار . واذ تقدموا اليها وجدوها مسدودة وثقيلة فحملوها وفتحوها وجدوا ضمنها ارزاً مطبوخاً ميبّساً من الذي كان يعطى له للاكل فحينئذ صاروا يترحموا عليه . ومن هذا الامر والنشاحة الردية به لاحظوا غير ملحوظ فتمايزوا في الدكان بجانب مقعده اشارة عالية عن الارض واقعة تحت موضع رأسه . فبحشوا التراب قدر شبر وجدوا اكياساً وضمنها

عملة منوّعة وجميعها صنف ذهب . فاذ اخرجوها كلها ضبطوها بلغت ستة وثلاثين الف غرش و كسور . فحالاً ابدوا يلعنوه ولا يترحموا عليه وتوجهوا اعطوا الخبر الى سليمان باشا فامر باحضارها الى الخزينة قائلاً انها احق منه هذا اللعين . وهذا الرجل قد صار سبب لامتداد الالسن على الفقراء .

﴿ مرض المعلم حييم وارسال هدية له ﴾

في سنة ١٢٣٣ المعلم حييم وجعته عيونه حسب عادته وبقي اربعة خمسة ايام ما طلع للسراي . فعبد الله باشا استحسن وراى مناسباً ان يتكلم مع سليمان باشا بان يرسل الشيخ محمد الخطيب من طرفه يسأل خاطره ويرسل له معه تذكرة من الوزير مختومة بوصول (إعطاء) على عشرة الاف غرش بنوع الاكرام لاجل مصروفه . واذ حسّن له ذلك قبله وامر به . فحالا تحررت التذكرة وانختمت وتفهّم الخطيب بان ياخذها وينزل لعند حييم يسأل خاطره من طرف الوزير ويعطيه الورقة فالخطيب فرح بهذه المراسلة ظاناً ان حييم يصير ممنوناً وينال منه الاكرام لاجلها . واذ توجه كان الوقت قرب العصر . واذ وصل ارسل استأذن للدخول فاذن له واذ دخل عليه وجده رابط عيونه ومسكر الشبابيك وباب المحل المقيم به ومظهر غاية الالم . وعند دخول الخطيب ترحب به حييم ولما جلس سلم عليه وسأله عن حاله ثم قال له افندينا ارسلني مخصوص اسال خاطرك — فصار حييم يدعو له . — وحالا قال له وقد ارسل معي هذه الورقة لجنابك . فاخذها حييم وتقدم الى الباب

وكشف عن عينيه وقراها . واذ عرف مضمونها غاب عن الوجود ورجع جلس بمكانه مقطب الوجه . ثم شق طرف التذكرة وناولها للخطيب وقال له خذها وارجعها . وانا من خير افندينا عندي ما اقدر اصرفه . ولا تظن ان شقّي لها استهوان بشرفها حاشا وكلا . وانما حتى لا يُعمل بها احطياطاً او ليلا تتسلمها الايدي ويختلسوها . وانت قل الى الذي ارسلك — واعنى بذلك عبدالله باشا — ان حييم لو كان محتاج عشرة الاف غرش ما خدم باب عكا . ثم قطّب وجهه وكف عن الكلام وامر للخطيب في جبق قهوة . وبعد القهوة استاذن الخطيب ونهض وتوجه على غير استوآء لانه اولا انغم اذ كان مفتكراً ان ينال اكراماً فما نال شيئاً بل سمع ونظر ما يكدّره . ثانياً احتار كيف يجاوب وخشي ان يجاوب بالواقع ويقع بالشبكة لانه كان يخشى من حييم والحاصل توجه مغموماً واستحسن ان يتوجه الى بيته ولم يرجع الى السراي اولا لان الوزرا، كانوا غير موجودين في محلهم . ثانياً افتكر ان يبقى يفتكر غدا بجواب مناسب مرضي الطرفين .

فثاني يوم مع شروق الشمس طلع حييم الى السراي رابط عيونه كانها بركة دم فدخل وجلس كعادته . واذ سأله سليمان باشا وعبد الله باشا عن حاله جاوبهم بالدعا، والتفت الى عبد الله باشا وقال له هذه راياتك ان تحسّن لافندينا يعطيني عشرة الاف غرش خرجية اتعيَّش بها . انا اذا كان بدي عشرة الاف غرش او عشرين الف ما بدي وصلة ليدي ولا اترجاك تعمل لي واسطة . فقال سليمان باشا والله يامعلم انا ما عندي خبر . قال ولدنا الباشا هكذا مليح . قلت انا مليح . فقال له نعم افندم

سعادة الباشا افتكر انني مقيم في بيتي وعمال استدين ولذلك شفق علي . قال هذا وسكت وعبدالله باشا سكت وما جاوب وبقوا الى وقت الظهر . فقام سليمان باشا وبقي عبدالله باشا فتقدم لجانب المعلم ليعتذر له فبدا حيم يصيح ويقول انا كنت اظن بنفسي انني باتعابي شريك الراي وشريك السعادة [١] وما عرفت انك جعلتني كاحد الخدمة الذين يتصدق عليهم . بارك الله فيك من هكذا تاميل والّا لا . والحاصل عمل له قشرماي منظومة . وذاك يقول له لا والله يامعلم فكري ما هو كما لحظت انت . انا فكري نوع وظنك نوع . ولا تلاحظ في هذا الملحوظ . وذاك يطوّل ويقصِر الكلام مقدار نصف ساعة . وبعده طاب حيم الخطيب واخذ منه التذكرة واعدمها . ثم نهض ونزل الى بيته وعبد الله باشا توجه لسرايته .

﴿ الزلزلة وما جرى بسبب الكلام عنها ﴾

في سنة ١٢٣٣ صار في احد الايام زلزلة قوية اقوى من العادة . والخلق خافت منها . وثاني يوم عند الظهر بعد ان قام سليمان باشا ونزل الى حريمه حسب عادته بقي عبد الله باشا في الديوان وعنده خلايق من وجوه جبل نابلوس والشام وغير محلات بقوا عنده لاجل المنادمة . فبأثناء المنادمة معهم انفتحت سيرة الزلزلة التي حصلت تلك الليلة وتوسع

(١) كان المعلم حيم يعد نفسه شريكاً بالراي لسليمان باشا والامين على كل اموال الايالة يسوغ له ان يأخذ منها بدون حساب وبغير واسطة . ومن ثم عدّ ارسال ورقة الحوالة بواسطة عبد الله باشا اهانة وتحقيراً له

بها المقال ثم صاروا يتكلموا عن كيفية الزلازل واسبابها وكل منهم صار يتكلم بما عنده من الآراء بخصوصها . فبعد ان اوردوا جملة ما يقال وما لا يقال وحييم ساكت يكتب في الدفاتر قال عبدالله باشا ان الراي الصحيح الاكيد الذي اعتمدت عليه عامة الايمة في كتب ديانتنا ان الثور الذي هو حامل الدنيا على قرونه لما يتعب ويريد يستريح ينقلها من ناحية الى ناحية اخرى . ومن هذه النقلة تتزعزع وتتزلزل . فاذ سمع حييم قبل ان يتم عبدالله باشا كلامه رفع راسه لنحوه وقال له بصوت عالي الله يرضى عليك دشرنا من راياتكم و كتبكم بلا ثور وبلا مور . ايش هذا الثور وايش هذه الخرافات ؟ هذه ابخرة تنحبس في الارض ولما تخرج تنفد بقوة فتتزلزل الناحية التي تخرج منها نظير الصاعقة والشاهد على ذلك انه ربما في بيروت ما صارت زلزلة . فاذا كان ثور كما تقول فلماذا لا تزلزل كل الدنيا ؟ فعبد الله باشا خجل وسكت وقد اعياه الجواب والبقية جميعهم سكتوا . والبعض منهم صادقوا قايلين نعم والله صحيح ما تقول يامعلم .

﴿حريق اصلان اليهودي بالتهاب البارود﴾

في سنة ١٢٣٣ سوق ضاهر العمر الكائن في عكا ما بين بوابة السباع وباب السراي الذي تكلمنا عنه آنفاً في آخره دكاكين يبيعوا فيها رصاصاً وباروداً . فاحد الدكاكين كان مقيماً فيها رجل يهودي اسمه اصلان كان يبيع باروداً ورصاصاً وخردقاً وكان في دكانه برميلين بارود داخل الدكان . وفي البسطة علبة فيها بارود . وكانت الدكان المقيم

فيها مع ثلاثة دكاكين ملاصقين لها واربعة دكاكين مقابلها بنايتهم عقد .
وفي احد الايام ضحى النهار اذ كان عمال يشرب اركيلة في دكانه صدف
عاصفة هوآء رفعت شرارة من نار الاركيلة واوقعتها على علبة البارود
فمع نزولها اخذ البارود وبلحظة اتصلت ناره الى البراميل التي ضمن
الدكان . وفي الحال والعياذ بالله خرجت النار واحرقت اليهودي وجعلته
قطعة لحم وطيرته خارج الدكان نحو عشرين ذراع ثم انهدمت الدكان
والثلاثة دكاكين الملاصقين بها والاربعة دكاكين المقابلين لها وقتل
فيهم شخصين . وكان حاضراً من بوابة السباع خوري ماروني يسمى
الخوري يوسف في تلك الساعة وتلك الدقيقة فمن عزم النار اذ كان
بعيداً عنها مقدار خمسين ستين ذراعاً حرقت وجهه ودفعته بعزم عظيم
الى محل بعيد عن مكانه زيادة عن عشرين ذراع ووقع مغشياً عليه .
فاخذوه داووه وبقي يتعلل نحو شهرين . والدكاكين جميعها ما طلع منها
شي . حتى حجارتها تكلست جميعها . وقتل ايضاً شخصين وانجرح اربعة
اشخاص كانوا مارين وكان يوم مهول .

﴿ عمار السوق الابيض ﴾

سنة ١٢٣٣ هذا السوق بعد ان صارت فيه هذه الكاينة بمقدار
ستة سبعة اشهر عزم سليمان باشا على هدمه جميعه وتغيير بنيانه وحالاً
امر بذلك فانهدم وانفتح له اساسات عقوده وتعمرت دكاكين معقودة
جميعها بالحجر والطين . وانعمل له زقاق عريض ما بين الدكاكين ارتفعت
حيطانه اعلى من حيطان الدكاكين وانعقد جمالون وانقصر بالكلس

الابيض وتروقت الدكاكين بالدهانات مع حيطانها وتسمى هذا السوق السوق الابيض وهو باقي الى اليوم .

﴿ عداوة عبدالله باشا لابي نبوت ﴾

سنة ١٢٣٤ وقد تكلمنا سابقاً عن النفور الذي وقع بين ابو نبوت وبين حييم وعن تلك المزاولات التي لاجلها احتاج حييم لان يأخذ سليمان باشا الى يافا لاجل ملافاة شر ابو نبوت واستجلاب خاطره وعن التفاته الى خرافات السحرة والرقائين واستعمل رجلاً درزياً من قرية جواس عن يد تابعه سعيد الدرزي وصار كل وقت يسحر له سحراً بشكل ومن الجملة قال له ان موته يكون عن يد واحد اسمه محمد . فاذ سمع ذلك توطد ظنه بانه هو محمد اغا ابو نبوت دون سواه . وقلقت افكاره واضطربت حواسه وصار عديم الراحة ولسبب خوفه من ابو نبوت ومن عدم اقتداره على اذيته نظراً لحب وميل سليمان باشا له . وليس سليمان باشا فقط بل كامل دايرته وخواصه . فرتب رأياً خبيثاً اذ اجتمع في عبد الله باشا وبدا يظهر له حبه وميله الخصوصي وكم من الاتعاب قاسى لاجله واراه ان حبه القلبي جعله ان يعادي ابو نبوت معاداة شديدة لاجل انه ساعده على اخذ وظيفة الكاتخدا بعد وفاة ابيه وقرَّب وبعَّد له بشواهد وبراهين وحركات . وبعد كم يوم جذبه بكليته لغرضه واوقع بقلبه الكراهية العظيمة لابونبوت والمزاولة الكلية منه حتى انه صار يكرهه كراهة طبيعية فاذ تحقق ذلك حييم اركن بأن صار له عضد لبلوغ اربه وابتدا سنة ١٢٣٤ ان يستعمل المناكفة مع ابونبوت .

فأولاً صدف في وقتها ان ابو نبوت لسبب ملاحقة غوارنة الجماسين لاجل الحرمة التي اراد يأخذها منهم بالقهر ولاجلها رحّلهم وشتّتهم من محلاتهم فوجدها عبدالله باشا وسيلة كبيرة لفتح باب المنافرة معه لكون الغوارنة المذكورين راجعوا الشكاية بحقه . فصار عبد الله باشا يحرّر له تحريرات قاسية موجعة بخلاف المعتاد . واذ نظر ابو نبوت اختلاف المشرب جاوب عبد الله باشا ومن جملة جوابه قال له ارجوكم بأن تنظروا اليّ بعين الحب الواحدة ولا يكون نظركم لي بعين عدم الحب العمياء . واعنى بذلك عن حييم لكونه بعين واحدة . فحييم عرف المعنى وصار يستعمل الوجوه المكدرة له . وباثناء ذلك حوّل على سنجاق غزة بجانب كلي من مال الميري الى ماندات وعلايف العساكر وجعل ابو نبوت يتلبك بخلاف العادة . فالتزم ابو نبوت ان يرسل عبد الله افندي مفتي غزة . وكان هذا صاحب قلم ومقام عند سليمان باشا وعند ابو نبوت . فاذ حضر واجتمع في عبد الله باشا وحييم وسألهم عن سبب النفور الواقع اوردوا له جملة قضايا مما كانوا يسمعون عن ابو نبوت بالسنجاق من المظالم التي كان يجريها . وبوقتها حرروا له مرسوماً من سليمان باشا بخط غريب عن القاعدة الديوانية لانهم كتّبوه الى المعلم ميخائيل عورة بخط نسخي نظير كتابة العلماء قصداً منهم ليفهم ابو نبوت بان سليمان باشا كتبه بغير علمهم وبغير طريقة الكتابة الرسمية واوضحوا له فيه جملة قباحات اوجبت تغيير الخاطر من نحوه وارسلوه له . ثم تلافوا عبدالله افندي واكرموه وبجّلوه وجعلوه يقول بقولهم وينحاز عن محبة ابو نبوت .

فابو نبوت اذ وصله هذا الامر انذهل لكونه غريب الشكل والخط عما كان يصله عادة من سليمان باشا وتحيّر كيف يعمل . فالتزم ان يجاوب بالاعتذار والنفي والرجاء بان يتعامل كعادته بعدم قبول الوشايات الكاذبة بحقه . ومنذ ذاك الوقت اختصر وعدل عن كثرة التحريرات كعادته السابقة وصار بكل عشرة ايام يرسل معروضاً باللازم الضروري . فحييم اذ تراكم عليه الخوف من الوسواس الذي دخل عليه من سحر زلمة جواس راكبٌ مع عبد الله باشا على ملاحقته . واذ حضر عنده عبد الله افندي مفتي غزة الذي أُمر بوقتها من ابو نبوت ان يبقى في عكا ولا يخرج ما لم يقف على رواق خاطر سليمان باشا من نحوه وبقي نازلًا في الجامع الكبير وكان دايماً يتردَّد على سليمان باشا وعبد الله باشا وحييم . وفي احد الايام اذ اجتمع في سليمان باشا وتلاطف سليمان باشا معه وفهم حسن باطنه من نحو ابو نبوت حضر الى عند عبد الله باشا وحييم كانه اراد يعاتبهم عن ابو نبوت . وبمجرد تكلمه معهم فهموا اجتماعه في الوزير لوحده . وحينئذ انغموا جداً واستعدوا الى المظاهرة الفعليَّة .

وثاني يوم حرَّر حييم تسويد مرسوم بخطه واعطاه الى المعلم ميخايل عورة ليحرّره الى ابو نبوت بخط نسخي غريب . وخلاصته انه حضر لطرفنا جناب عبدالله افندي . واعرض لدينا عن الوسواس الحاصل لكم من ملاحظتكم تغيير خاطرنا من نحوكم ومعاملتكم من طرفنا بخلاف مأمولكم وبخلاف ما تعوَّدتم عليه من جانبنا وتلتمسون عن يده ان تعرفوا الاسباب الموجبة لذلك لاجل راحة فكركم وتوضحون

عبوديتكم لطرفنا وما ذكرتموه معا حملتموه لحافظة الافندي صار معلومنا. فنخبركم اما انحراف خاطرنا من نحوكم فهو حقيقي وذلك لجملة اسباب ومن جملتها اولاً المكافاة الغير المنتظرة التي ظهرت منكم بتعرضكم لما هو فوق طاقتكم وسعيكم بطلب منصب سنجاق غزة باسمكم حسبما استطلعنا ذلك ممن يوثق بهم وتحقق عندنا. الامر الذي ما كان لايقاً صدوره منكم بعد معرفتكم الاكيدة ان منصب غزة ويافا هو بولايتنا بالاسم فقط واما بالفعل فنحن صارفين النظر عنه بالكلية حباً بكم. فما اكتفيتم بهذه النعمة بل جملتم تطاولوا لما هو اعظم بطلبكم الاستقلال. ومن حيث ان هذا فعلكم فمن اين لكم ان تحققوا صدق مدعاكم بدوام العبودية؟ وعلى هذا المنوال لا يكثر عليكم اذا تماديتم للسعي بطلب منصب ايالة صيدا وطرابلس ايضاً باسمكم. الامر الذي نقول انه بحوله تعالى وقدرته هو بعيد عن العقل تصديقه فضلاً عن صيرورته. وربما ضعف بصيرتكم بالعواقب حسّن لكم الفعل الاول وصوَّر لكم محسَّنات الفعل الثاني وتقحَّمتم عليه. ولو افتكرتم بعين البصيرة النيرة ان الذين يعرفوكم وجعلتموهم وسايط لبلوغ غايتكم لا يعرفونكم بل لا يجاوبونكم على خطابكم الا اعتباراً لخاطرنا فقط.

ثانياً تماديكم البليغ باستعمال الظلم المكروه منا على الرعايا الذين هم وديعة رب البرايا. ومن جملتها قضية عرب الجماسين التي لاجل امرأة دنية وطَّيتم اعتباركم ومقامكم لاجلها واردتم تخطفوها منهم بالغصب والقهر الامر الذي عدا كونه منافياً لرضى الباري تعالى ورسوله الاكرم هو منافي لحقوق الانسانية ومغاير لشرف رتبتكم. فهل يا ولدنا اذا

اراد احد ادنياء الناس يفعل فعلكم هذا فهل يجوز لكم بموجب حقايق الاحكام ان تسكتوا عنه ولا تقاصوه ؟ واذا كنتم انتم تفعلوا ذلك فكيف يجوز لكم تقاصروا غيركم لاجله ؟ وكيف ما تصور لكم ما تقول المخلوقات بحقكم ؟ ومع ذلك فكيف ساغ لكم ان تقطعوا قبلاً ذكر الذي فعل الزنا في بلاد غزة وتقطعوا يد الذي فعل السرقة وترموا الشخصين بكل قساوة في الكلس غير المطفي وتميتوهم بهكذا ميتة قاسية ضداً لقوله تعالى واذا قتلتم فاحسنوا القتلة . فهكذا قضايا وغيرها اوجبت تغيير خاطرنا عليكم . فان كان مرادكم استجلاب رضانا فاتركوا هذا المسلك الردي واسلكوا الطريق المرضي لله تعالى وبذلك تحوزوا منا الرضى .

ثم سلموا هذا المرسوم الى عبدالله افندي ليرسله له . وقد ارسله المذكور له وما جاوب عنه محمد اغا الا بعد نحو عشرين يوم جواب تكذيب لما انعرض بحقه . وانقطع عن المعروضات تلك المدة .

وبعد مقدار شهرين ثلاثة حضر سمعان صالح كاتب السنجاق لاجل اجرآء المحاسبة كالعادة . وبحضوره اجتمع في حييم وقرّد له عن زيادة بغضة ابو نبوت له واستعداده لاذيته حسبما فهم منه ولو بفقد حياته وكذلك استعداده لاذية عبدالله باشا واعدامه ايضاً . وانه كان يقول دائماً من اين لهذا الولد حق ان يكون كتخدا مع وجودي ؟ وبنفس الامر ابوه ما كان له هذا الحق . وهو قد اغضى النظر عن صيرورته كتخدا تفضلاً منه . وان خيانة والده وخيانته وخيانة حييم تحت يده . وفي كل وقت يقدر يثبتها وانه لازم يجعل لهم يوماً من الايام

المشهورة . واقوال مثل هذه ابرزها سمعان من مكنون قلبه قاصداً بها زيادة التقرب لقلب حييم .

فاما حييم فتأكد صدق مقال زلمة جواس وجعل جل قصده ابعاد ابو نبوت ليخلص منه مفتكراً بخسافة ظنه الخرافي انه متى مات ابو نبوت لا يعود هو يموت ولا يوجد من يقتله . ويعيش في الدنيا سرمداً ولذلك اجتمع في عبدالله باشا واحكى له كل ما سمعه من سمعان صالح . وكان قد اوصى سمعان ان يضاعف ما قرّره له من خصوصية عبد الله باشا . ثم طلب سمعان واستحضره الى عند عبد الله باشا واستحكاه عما يتكلم به ابو نبوت بحقه . فقرر سمعان حسبما امر وضاعف القول . وعبد الله باشا اضطرب باطناً . ثم صرف سمعان وصاروا يتذاكروا بامر ابو نبوت وبقوا يومين ثلاثة في هذه المذاكرة السرية بدون ان يعلم احد ما يحصل بينهم واخيراً بعد ان اتفقوا على ما رتبوه تكلموا مع سليمان باشا وميلوه لمرغوبهم بالغصب لا بالرضى .

وان سأل القاري من اين فهمت ذلك حيث تقول ان مذاكرتهم سرية وما احد اطلع عليها . وانت من اين عرفتها وعرفت عدم رضى سليمان باشا كما تقول ؟ فاجيبه انك بعد ان تنظر ما قاله سليمان باشا لي لما قرأت له عرضحال ابو نبوت الذي ارسله له بعد عزله من يافا فحينئذ تصدق فهمي ذلك بوجه الصدق .

﴿ تدبير عزل ابو نبوت ﴾

ثم اجتمعوا بسمعان وتشاوروا في كيفية العمل الذي يقتضي لرفع ابو نبوت من يافا خوفاً من انه اذا صدر له مرسوم العزل بداهةً يعصى في يافا نظراً لتحصينها ولكثرة غناه ويصعب الامر بعزله . فحينئذٍ سمعان اشار عليهم وقال بما ان ابو نبوت الان غايبٌ عن يافا لانه توجه قبل حضوره باربعة ايام الى غزة لاجل مصالحة العرب ولكي يدبر امر مشال الحملة التي قارب وقتها يلزم حالاً وسريعاً ان يصدر مرسوم عمومي من طرف افندينا الى يافا بعزل ابو نبوت من متسلميتها وان يتوكل بمحافظة البلدة كجك مصطفى اغا كبير ضباط الارناووط المقيم في يافا ويصدر له مرسوم خصوصي يشعر بنصبه محافظاً والتشديد عليه بمحافظتها ومنع دخول ابو نبوت واتباعه اليها كلياً لا بالليل ولا بالنهار وتصدر اوامر الى كامل العساكر الموجودين في يافا بالمحافظة عليها وتعريفهم بنصب كجك مصطفى اغا محافظاً الى توجه المتسلم الجديد . وان يكونوا تحت امره بالمحافظة ومنع ابو نبوت واتباعه من الدخول اليها وانه اذا حضر ابو نبوت واراد ان يدخل غصباً يمنعوه بضرب البارود والمدافع . وقال لهم ان يسرعوا بارسال هذه الاوامر قبل رجوع ابو نبوت لانه ربما لا يتعوق في غزة . ولولا حركة العربان القوية والتزامه لامر الحملة ما كان قام ولا تحرك من يافا لانه من مدة طويلة من حينما لحظ تغيير المشرب معه استعد للمقاومة والعصاوة . ويافا الان متممة من كل شيء

حيث فيها ذخاير بكثرة وجباخانات ومدافع بكثرة وعساكر كافية ولا تقدروا على مقاومته .

حينئذ استصوبوا هذا الرأي وصباح اليوم الثاني اجتمعوا في سليمان باشا واخذوا يوردون له حال ابو نبوت وما سمعوه من سمعان على اعتماده على العصاوة ويؤكدون له ذلك من اجتهاد ابو نبوت على تحصين يافا وغفلتهم عن قصده وخصوصاً عن تطابه المدافع والقنابر والمهمات واركانيتهم في صداقته .وحيث الآن ظهر المكنون مما تحققوه من كاتبه وعمدته بوجه الحيلة والتوقيع فما عاد واجب السكوت عنه . وحقايق الصداقة اوجبت عليهم لان يسرعوا بمداركة هذا الامر . وكانوا اوصوا سمعان بانه متى طلبوه لديوان الوزير يتكلم بما اودعوه له ثم لما طلبوا سمعان اخذوا يسألونه عن حال محمد ابو نبوت وتصرفه وعزيمته وسمعان تكلم وجزم بان الذي يعلمه جيداً ان ابو نبوت عازم على العصاوة في يافا وانه من مدة طويلة يسمعه يتنغَّم بذلك وانه حسبما هو فاهم ومؤكد انه ربما متى رجع من مشوار غزة لا بد ان يتمم ما عزم عليه لان نيته ثابتة في ذلك . فبعد ان اورد كل مقولاته اصرفوه ورجعوا للمذاكرة مع الوزير بهذا الخصوص ولكي يميلوا خاطر الوزير الى قبول ما عزموا على فعله ورتبوه اخذوا يوردون له عدم لياقة اقامة مصطفى بك ابن اخيه بدون وظيفة ولا منصب . وانه حيث ابو نبوت ابتدأ بهذا الفساد في تلك البلاد فما عاد يجوز الاركان اليه ولا ابقاءه ولا الاركانية بغير مصطفى بك حيث يافا صارت حصينة بهذا المقدار ولا يستريح الفكر الا بوجود ابنك الذي هو مصطفى بك .

والاثنان اي عبد الله باشا وحيم قصدا بهذا الامر وجهين موافقين لصالحهما فالوجه الاول موافق لصالح عبدالله باشا لانه ما دام مصطفى بك مقيماً في عكا امام عمه فاذا لم يتغيَّر عمه اليوم من تلقاء ذاته بدون تحريك احد لصالح ابن اخيه وتفضيله على الغريب باعظم الرتب التي هي رتبة الكتخدالية فلا بد ان يتغير غداً . ومن محال ان تدوم هذه الحال بان يكون ابنه بعيداً عنه والبعيد مقرباً . ومحال ايضاً ان يسمح بارساله الى خلاف محل وتصعب عليه مفارقته . وعدا ذلك فلا يوجد محل لايق به لانه اذا عزل بربر فلا يليق ان يوضع ابنه مكانه ولو كان منصب طرابلس كبيراً . وبدون هذه الحركات التي استعملوها لا يمكن عزل ابو نبوت اذ ان كل دايرة سليمان باشا من اغوات ومماليك تكره عبد الله باشا وتميل لمصطفى بك نظراً الى لطافة طبعه وحسن مسايرته وتواضعه للجميع . وباكثر من ذلك حرم سليمان باشا يحبوه ويميلوا له وباعظم من هذا ابنة عمه وخطيبته ابنة سليمان باشا المعقود عقده عليها . وبناء على هذه الاسباب فوجود مصطفى بك في عكا سالب من قلب عبد الله باشا جميع انواع الامنية والراحة ولا يوجد سبب من الاسباب ولا دواء من الادوية يوافق لشفاء هذه العلة العضالة سوى قيام مصطفى بك وابعاده عن عكا ولا يوجد سبب موافق لذلك احسن من هذا السبب .

واما الثاني فهو موافق لصالح حيم اولاً لخوفه الجسيم من ابونبوت نظراً لما سمعه منه وعنه . ثانياً لما علمه من قول حذار جواس . فوجود ابو نبوت في يافا سالب منه ساير انواع الراحة والامنية . وقد تصوَّر

تصوراً حياً انه لا يستبعد على ابو نبوت ان يقوم بذاته ويحضر الى عكا ويدخل عليه ويقتله سواء كان في السراي او في اوضته . فلا يتعارضه احد ولا يصير عليه شي٠ . وهذا التصور تجسَّم بين عينيه وصار لاجله مرتعداً مرتعشاً لان من الذي يتعارض ابو نبوت او ماذا يصير به لاجل قتله واحد يهودي فيضيع كانه شخاخة على رمل .

فهذا الوجه الاول والاعظم والوجه الثاني لاحظ ان دوام وجود عبد الله باشا في وظيفة الكتخدالية اوفق له جداً جداً من غيره سواء كان ابو نبوت او مصطفى بك لان ابو نبوت هذا حاله معه . ومصطفى بك بما انه ابن الوزير فلا يقدر يتمادى معه . ويخشى جداً من دخول الايادي الغريبة معه وامتداد الالسن بحقه لان مصطفى بك رجل ساذج للغاية . فوجوده كتخدا مضر بجيم جداً . واما عبد الله باشا فانه اولاً كان صغير السن يومئذٍ . ثانياً مطروح تحت المِنّية له بانه بسعيه صيَّر سليمان باشا يترك ابن اخيه وابو نبوت وغيره من مماليك الجزار اخوته الذين كل منهم مستعد واهل لقبول هذه الوظيفة بحق الاستحقاق وان يجعلها له رغماً عن الجميع وقبوله معاداة جميعهم لاجل خاطره . ثالثاً معرفة عبد الله باشا الاكيدة لذلك وبالاكثر معرفته ان حييم في كل وقت قادر ان يغيِّر خاطر سليمان باشا ويعزله . ولذلك يلتزم ضرورة بالانقياد له وموافقته في كلما يريد وعلى الخصوص لمساعدته التامة له بابقاء ودوام مد يده لاموال الخزينة والتصرف فيها كما كان ابوه علي باشا .

وعلى هذا المنوال اتفق الاثنان كل منهم على نيته الخاصة

المكنونة في ضميره واتفقوا على ابعاد مصطفى بك من عكا لاجل غاياتهم هذه وجعلوا هذا غيرة منهم على صالح سليمان باشا من غدر ابو نبوت وغيرة على صالح مصطفى بك . وان ابو نبوت الى حد ذاك الوقت شبع وامتلا وفاض عنه ويكفاه الانعام والخيرات التي نالها من منصب يافا . ومصطفى بك صار احق بها وعلى الخصوص لان يافا غير ممكن تسليمها الى غير مصطفى بك . وهكذا بتزويق الكلام والرايات والبراهين قبل سليمان باشا بذلك لاجل صالح مصطفى بك لينظره صار حاكم ويصحبه بالجيوش والعساكر ويمنحه رخصة الحكم .

فاذ وافقهم على هذا الراي حرَّر حييم حالاً تسويد المراسيم التي اتفقوا عليها بمشورة سمعان . واذ كان سمعان المذكور افهمهم بحب ابونبوت الكلي الى المعلم حنا عوره كاتب العربي وميله له ترجاهم ان لا يدعوه يعرف هذا الامر لئلا يرسل اشارة او يحرّر له بخلاف المطلوب ولذلك توهموا من رجاله واستحضروا المعلم يوسف قرداحي احد كتاب الدفتر واعطوه التسويد لكي يحرر المراسيم بخطه . وأمروه بان يجلس في محل لوحده بدون ان يشعر به احد وحذّروه وخوّفوه من ذلك . والمذكور فعل حسبما أمر وحرَّر المراسيم طبق التساويد وقدمها لهم . وهم ختموها حالاً من سليمان باشا وظرفوها وارسلوها صحبة ساعي خصوصي الى كوجك مصطفى اغا اذ خشوا ان يرسلوها صحبة تاتار او سروجي او خيال خزينة ليلا يسمع احد ويظهر اثر للامر ويصل لابو نبوت ويضيع التعب . وبقوا هكذا جميعهم مضطربين ومبلبلين الى بعد رابع يوم اذ رجع الساعي بالجواب من كجك مصطفى اغا ارناوود يخبر

بوصول الاوامر وانه بادر لانفادها وانه رتب اقامة العساكر في اسوار وابراج البلدة لاجل المحافظة اللازمة وكذلك وضع عساكر لمحافظة القلعة وانه رتّب الطوبجية جيداً للمحافظة وعبّى المدافع وعمل ساير الاستعدادات اللازمة حسبما أُمر وزيادة . وانه جعل اقامته في الابراج التي ناحية البرية مع كامل انفاره وانه تلى الاوامر في البلدة ونادى بالامان وانه وضع عساكر ايضاً في الاديرة لاجل المحافظة عليها وموضح زيادة يقظته .

«توجيه سنجاقية يافا على مصطفى بك»

انحظوا حينئذ من ذلك غاية الحظ وسليمان باشا استحضر حالاً ابن اخيه مصطفى بك وألبسه خلعة المتسلمية فرجية سمور عال العال مفتخرة نظير خلعة حاكم جبل لبنان وانعم عليه اذ ذاك بخنجر مجوهر بالماس عال مفتخر جداً يساوي زيادة عن خمسماية كيس . ورتب له دايرة اغوات واصحاب وظايف للخدمة عنده وجاويشية وقواصة بمقدار المرتب عند ابو نبوت وأمر له بطاقم مطبخ وبتحضير ما يلزم للسفر . ثم اصدر اوامر بطلب جانب من العساكر البيادة والسواري المرتبين في الايالة وامرهم بسرعة الحضور الى عكا ليرسلهم معه كي يكون دخوله الى يافا بالدبدبة والهيبة والوقار . ثم امر باصدار مرسوم الى كوجك مصطفى اغا محافظ يافا وعرّفه بنصب مصطفى بك متسلماً على يافا . وان محمد اغا ابو نبوت باقي عليه متسلمية سنجاق غزة . وارسل له مرسوماً باسم ابو نبوت يتضمن انه بحسب الاقتضاء رفعنا عنك

متسلمية يافا فقط ووجهناها لعهدة ولدنا مصطفى بك وابقينا عليك متسلمية سنجاق غزة والرملة واللد . فاقتضى افادتك لكي تتعاطى رؤية امور وادارة المحلات التي في عهدتك بكل همة واتقان وتبذل غاية جهدك باعطاء راحة الرعايا ورفاهيتهم واستجلاب دعواتهم الخيرية كما هو مأمولنا بك . وان شاء الله تعالى ما تشاهد من طرفنا الا دوام الرضى والتوجه التام وعرَّف مصطفى اغا بان يرسله له ثم امره بان لا يحصل منه ادنى غفلة عن دوام المحافظة الى حين توجه مصطفى بك المتسلم .

وتربص الوزير عن ارسال مصطفى بك الى محل مأموريته الى حضور جواب ابو نبوت وتحقيق ما يظهر منه بعد معرفته عزله عن حكومة يافا وصار مصطفى بك في عكا يدخل ويخرج وامامه الجاويشية والقواصة وصحبته اغوات دايرته . وفرح فيه عمه لما شاهده هكذا . وصار يدخل عليه ويجلس امامه بجانب عبد الله باشا .

﴿ عودة ابو نبوت الى يافا ﴾

وبعد اربعة او خمسة ايام من توجيه المحافظة على كجك مصطفى اغا ويومين من وصولها الى يافا حضر ابو نبوت راجعاً من غزة الى يافا كعادته من دون ان يعلم بشيء . فاذ وصل الى باب يافا وجد ابوابها مقفولة فانذهل من ذلك وسأل عن السبب فحالاً نهض كجك مصطفى اغا ووقف على السور وقال له تفضل ارجع الى محل متسلميتك . فما في اذن بدخولك الى يافا .

فقال له ولماذا ؟ وبامر من هذا ؟

قال له بامر افندينا سليمان باشا .

قال له واي وقت صار هذا الامر ؟

قال له منذ يومين .

قال له ازل اطلعني عليه .

قال له انا لست مأذوناً لان ازل الى عندك . ولا ان اطلعك على الامر الذي صدر لي . بل انا مأذون ان احافظ على البلدة وامنع كائن من كان من الدخول اليها الى حين حضور المتسلم .

قال له ومن هو المتسلم ؟

اجابه لا اعرف .

قال له وانت مأمور خصوصي بان تمنعني يا مصطفى اغا ؟ انا محمد ابو نبوت .

فقال له نعم افندم انا هكذا مأمور . وانا عبد مأمور . واذ رآه اظهر الغيظ واراد ان يتقدم الى ناحية الباب غصباً قال له افندم ارجع الى محلك بلا كلام . وانا عبد مأمور . افندينا امرني بان لا امكنك من الدخول الى يافا . وهكذا امرني اذا حضرت واردت تدخل اليها ان امنعك . فان اطعت وامتنعت ورجعت كان خيراً . وان اردت تتقدم لتدخل بالغصب فامنعك بضرب البارود والرصاص والمدافع . وهؤلاء ناس ارنا ووط لا يعرفوا غير افندينا والسلام .

فاذ سمع ذلك محمد اغا وتحقق بالعيان عزيمتهم على منعه بالنار رجع في طريقه وتوجّه الى غزة . وبوصوله قدّم اعراض الى سليمان باشا يخبره عن قيامه من يافا الى ناحية غزة لاجل مصلحة العربان ومصلحة الحملة في

هذين اليومين بعد ما عمل ساير ما يقتضي من صدق الخدمة رجع كعادته الى يافا . واذ وصل الى بابها وجد بوابتها مقفولة . واذ اراد يدخل الى محله فكجك مصطفى اغا ضابط الارناوود منعه . ويوضح كيف تم ذلك معه وانه انذهل من هذا الامر الذي هو بغير سبب محوج فان كان لاجل تهمته بامر طلب منصب سنجاق غزة ويافا باسمه فهذا لا يلزم ان ابرهن كذبه لان افندينا يعرف انه كذب ونفاق بحقي لكي يغيّروا خاطر افندينا علي والشاهد على ذلك أني من مدة سنين حضرت خصوصي وتواقعت على اعتابكم والتمست ان تطلبوا منصب يافا باسم ولدكم مصطفى بك وهذا لايق بحقه لانه ولدكم . وانا ان شئتم فابقى في خدمته بوظيفة كتخدا او بغير خدمة والذي تأمروا به ما شئتم فانا عبدكم . واينما وضعتموني وامرتموني أقيم واخدم بالصداقة . فاذا كان ذلك كذلك فكيف يتصدّق عني هذا الحال ؟ وكيف سعادتكم سمحتم ان تبيعوا ولدكم في ارخص الثمن وتصدقوا فيّ كلام الوشاة ؟ فانا حسب امركم رجعت الى غزة وها انا مقيم رهين امركم . وحاشا ان افعل الخلاف او اتردّد عن كلما تأمرون به ويحسن لديكم .

فاذ وصل هذا الاعراض صحبة هجان خصوصي مستهم فالمعلم حيم قراه وارسل طلبني انا محرره واعطاني اياه وقال لي توجه لعند افندينا اقرأه له . فاخذته ومضيت فوجدت الوزير جالس على المسطبة التي قبال بوابة السباع وكان الوقت بين الصلاتين فاذ تقدمت وقابلته سالني ما هذا . فقلت له عرضحال حضر من محمد اغا ابو نبوت . فقال اقترب مني وامر الوقوف جميعهم بالتوجه وبقيت واقف بجانبه وحدي . فقال اقرأ

حتى نشوف . فصرت اقرأ له وكل جملة يقول اي نعم . اي والله . ثم صار يتنهَّد ويقول اي والله صدق صحيح . اي نعم والله صحيح وهكذا حتى خلصت قراءته . فنظرت اليه فاذا وجهه معبوط كانه الزفت . فقال لي روح يا ابني ايش نقول ؟ لا حول ولا قوة الا بالله. فتوجهت . ولما سالني حييم ماذا قال لما قرأته فقلت ما قال شيء .

فقال ابداً ابداً ما قال شيء ؟ ولا فهمت منه اشارة شيء . وانا لاي شيء ارسلتك ؟

فقلت له ما قال شيء سوى انه صار يتنهَّد . واذ كنت عمال اقرأ قال اي والله . قال حييم هكذا قال ؟ اجبته نعم . فصمت وانعبط بعد ان كان مبسوطاً . وبعد حصة قريبة حضر لعنده الى الاوضة عبدالله باشا ولا اعلم ماذا تم بينهم .

واما كجك مصطفى فارسل الامر الصادر عن يده لابو نبوت بعد وصوله عقيب رجوعه عن يافا . فاذ وصله تكدر بزيادة وما ساعه الا انه حرر جوابه مظهراً الطاعة له ومن ذاك الحين ابتدا بجمع موجوداته وما يخصه من الديرة ويرسل حوائجه واشياءه الى القدس . ثم ارسل عرضحال الى سليمان باشا والتمس منه الاذن بارسال حريمه وموجوداته التي في يافا المختصة به صحبة اتباعه وعدم معارضتهم وممانعتهم من طرف احد . فاصدر له مرسوماً بذلك . فاذ وصله المرسوم ارسله الى كجك مصطفى وارسل اتباعه لاجل اخراج الحريم والموجودات . فكجك مصطفى امرهم بالاقامة خارج يافا وان يدخل منهم اثنين فقط يخرجوا الحريم والموجودات . فالتزموا الطاعة ودخل فقط اثنان واخرجوا الحريم

والموجودات التي امكن اخذها بالبر اخرجوها الى البر . والتي لا يمكن اخـذها الا بالبحر نزلوها في البحر صحبة السفن وارسلوها الى غزة . وهكذا بعد ان تمموا اخذ الموجودات من يافا توجهوا بها مع الحريم الى غزة . ومن ذالك الوقت صار ابونبوت يجمع امواله وموجوداته وغلاله ومواشيه من ساير محلات سنجاق غزة والرملة ويافا واللد والقدس ويقطع محاسباته وعلاقاته حتى على القول حمل امواله على مائتين وسبعين جملاً عدا جمال ودواب دايرته من بغال و كدش وبهـايم وغيرها . وارسل قام حريمه التي بالقدس وارسلها عن طريق الخليل وابقى بالقدس فقط حرمته ابنة الكنج احمد مع اولادها الصغار .

﴿ سفر ابي نبوت الى مصر ﴾

وبعد ان تمم جمع كل متعلقاته قام من غزة بهرتك عظيم جداً مع حريمه ومماليكه والذين كان اغتصبهم واستسلمهم وما بقي من دايرته الا القليل . وهؤلاء ابقاهم ليرفعوا له الاخبار عما يتم من كل محل وعن كل شي . وبعضهم كان مرتباً لهم معاشاً من عنده وتوجه الى ناحية مصر . وقبل وصوله ارسل علماً الى محمد علي باشا وعرفه عما توقع بحقه وانه حاضر الى رحابه وقيع على اعتابه ومسافر الى حماه ومستظل براحمه . فاذن له بالحضور فاذ وصل قبله محمد علي بالاكرام وامر له في قوناق وترتيب الرواتب فقبلها وبعد ثلاثة ايام قدم اعراض الشكر والتمس قطعها اذ عنده ما يكفيه لمعاشه وما حضر الا لاجل الاستظلال بظل مراحمه فقط . وبقي في مصر يتردد على محمد علي باشا الى وقت وفاة

سليمان باشا وولاية عبد الله باشا. وهناك نشرح ما توقع بخصوصه وكيف انتهى امره.[1]

﴿ سفر مصطفى بك ﴾

لما فهم سليمان باشا ان محمد اغا رجع الى غزة واستكن وما حرك ساكناً ولا ظهرت منه حركة وكانت قد حضرت العساكر التي اصدر امره لها بالحضور الى عكا امر بارسال مصطفى بك بالتوجه الى يافا

(١) ذكر عبد الرحمان الجبرتي في صفحة ٣٢٤ من المجلد الرابع من تاريخه انه «في ٧ رجب سنة ١٢٣٤ حضر الى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بك ابو نبوت معزولا عن ولايته فارسل الى الباشا يستأذنه في الحضور الى مصر فاطلق له الاذن فحضر وأنزله بقصر العيني وصحبته نحو خمسماية مملوك واجناد واتباع واجتمع بالباشا واجله وسلم عليه واقام معه حصة من الليل ورتب له مرتباً عظيما وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية اتباعه فمن جملة ما رتب له ثلاثة آلاف تذكرة كل تذكرة بالفين وستمائة نصف فضة في كل شهر خلاف المعين من اللوازم من السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والارز والفحم والشمع والصابون فمن الارز خاصة في كل يوم اردبين وللعليق خمسة وعشرين اردباً في كل يوم»

ثم ذكر في صفحة ٣٢٦ انه « في غرة صفر سافر محمد اغا المعروف بأبي نبوت الشامي الى دار السلطنة باستدعاء من الدولة وذلك انه لما حضر الى مصر ونزل برحاب الباشا كما تقدم وكاتب الباشا في شأنه الى الدولة فحضر الامر بطلبه وأكد (مشدداً) بالاكرام فعند ذلك هيأ له الباشا ما يحتاج اليه من هدية وغيرها وتعين للسفر صحبته خمسة وثلاثون شخصاً أرسل اليهم الباشا كساوي وفراوي وترك باقي أتباعه بمصر أنزلوهم في دار بسويقة اللالا يزيدون عن المائتين ويصرف لهم الرواتب في كل يوم والشهرية»

ثم تعين ابونبوت سنة ١٨٢١ والياً على ايالة سالونيك في اول ثورة اليونان على الدولة العثمانية في سبيل استقلالهم بحكم بلادهم فابلى فيهم حينئذ شر البلاء كما عهد فيه.

وبرفقته العساكر والدايرة التي رتّبها له . واصدر له مرسوم المتسلمية وخرج عبد الله باشا معه للوداع وتوجّه صحبته سمعان صالح كاتب السنجاق وبوصوله الى يافا استقبله العساكر وسلموه البلدة وعمل ديواناً حافلاً تلي فيه مرسوم المتسلمية وضُربت المدافع من القلعة وحصل السرور للجميع بحضوره ما عدا اصحاب ابو نبوت والمايلين لغرضه اذ انغموا جداً . ومنذ ذلك الحين سمعان صالح جعل شغلته وعملته الاخبار عن ابو نبوت بانه عمل سوّى ترك نهب كذا حمّل كذا . حرّك فتنة كذا . وصار كل يوم يرسل اثنين من الهجانة بتخبيرات متنوعة عن ابو نبوت . واقتضى ان يطلب سليمان باشا ضرورة كل عساكر الايالة المرتبين في ايالة صيدا وطرابلس من خيالة وبياده من ساير الاجناس وما ابقى سوى التوفنكجية ومحافظين عكا والباقي سحبها من الايالتين وارسلها الى سنجاق غزة والرملة ويافا لاجل المحافظة عليها ورتب اقامتهم هناك لاجل المحافظة خوفاً من حركات ابو نبوت

﴿ نظر في سفر ابي نبوت واستلام مصطفى بك مكانه ﴾

ومدّعاهم بالمعقولية ما افاد شيئاً بسبب زيادة الوهم الذي احاق بهم من توهيمات سمعان صالح العديمة الاصول لان جبانته وعدم ادراكه او قصده الخبيث بان يجعل باب عكا يعرفوا ان ابو نبوت غول عظيم فاتح فاه ليبتلع المسكونة وهو بحسن تدبيره يهديها جعلهم هذا الوهم ان لايفتكروا ان ابو نبوت من نظره غضب سليمان باشا عليه وارسال العساكر بالتوارد الى السنجاق كبر عليه الوهم وخاف ان يرسل

سليمان باشا يمسكه واذا قتله يطمع في امواله التي تبلغ اضعاف مال سليمان باشا الذي اخذه جميعه من مال الرعايا بالظلم والجبر ومحقق جيداً ان اهالي السناجق نظراً الى فعله القبيح معهم لا يحبه احد منهم ولا يحموه ولا يساعدوه وبادنى اشارة يمسكوه مسك اليد وربما يقتلوه وينهبوا جميع ماله ومن هذه الامور ضاق به الفضاء وصار يتكرم على عربان بلاد غزة لتقدم له جمالاً للمشال ولكي يتصاحب معهم وينسيهم شروره معهم ويخلص من شرهم قبل ان يشيع خبر زعل الوزير عليه . وهكذا بقي اولئك في نية وهو في نية حتى نفَّد كل امواله وارزاقه وموجوداته ومواشيه وادخلها الى الاقليم المصري وقام من غزة بكامل دايرته التي معه ولحق اغراضه . فحالاً ارسلوا البشاير من يافا الى عكا بسفره . وبوصولها اصدر سليمان باشا حالاً مراسيم توجيه متسلميات سناجق غزة والرملة ويافا واللد وتوابعها على مصطفى بك كما كانت على ابو نبوت . واذ تكامل ارسال كل عساكر الايالات امره سليمان باشا بترتيبها بمحلات السناجق خصوصاً بالقرب الى يافا لئلَّا يرجع ابو نبوت بالعربان ويجمع عربان مصر ويحضر يأخذ يافا .

وسمعان صالح ما وجد في زمن حياته وقت يجري فيه رذالته وقلة عقله احسن من هذا الوقت لانه ركب وتمطَّى ودندل رجليه وماع وساخ كانه الشمع الدهني وجعل هذه القضية دابه وصار يومياً يحضر مرسالين ثلاثة منهم تاتارية ومنهم هجانة ومنهم خيالة باخبار افكية كاذبة وبكل تحرير ينزل ابو نبوت في منزلة ويجعل انه احضر القبيلة الفلانية ولبَّسها وارسل من القبيلة الفلانية مراسيل لخلاف قبايل . وانه وجه جواسيس

الى بلاد غزة ليحركها وانه وانه . . . مع ان ابو نبوت خرج من غزة وبقي سايراً في طريقه يطوي الطريق بالليل والنهار مسارعة حتى وصل الى مصر وما التفت يميناً ولا شمالاً ولا كلم احداً . بل كانت حالته حالة من هو ناظر ان الجبال والاحجار والاشجار عساكر لاحقة له لتمسكه وتسلب نعمته والحاصل سمعان بهذه الحركات ملك غايته فلوجاءه ملاك من السماء واخبره انها ستحصل له لما كان صدقها وجلس حينئذ على سدة المجد حاكماً في سنجاق غزة كما يريد ومصطفى بك عنده سفر حافظ منزلة فقط متى امره ياكل فيأكل . واذا امره بشيء . فلا يقدر يسأله عنه . وكيفما امره يفعل والذي كان يريد يتفرج على كبريا بدون تمييز فلينظر الى سمعان .

﴿ خبر قتل ابن القبلاوي والبحث عن القاتل ﴾

سنة ١٢٣٤ كان موجوداً في عكا من خاص اسلامها رجل اسمه مصطفى القبلاوي كان رجلاً اختياراً ومهنته صاحب دكان يبيع فيها قهوة وتنباك وله ولد عمره نحو ثلاثة او اربعة عشر سنة جميل الخلقة ذو منظر لطيف وكان واضعه عند رجل نصراني يسمى سليمان خرا الناشف كارُه مراكجي (اسكاف) ليتعلم الصنعة كان يحضر عند معلمه يومياً . وقصد والده بوضعه عند هذا الرجل لكي يتعلم الصنعة ويتربى تربية مضبوطة عند معلم نصراني . وفي احد الايام انتظره والده ليحضر من عند معلمه عشية النهار كعادته لحد الغروب بل بعد الغروب بمقدار نصف ساعة وما حضر فانشغل فكر والده . وقام وتوجّه الى بيت اخيه وسأل عنه فما وجده . فدار على اهله واقاربه بيتاً بيتاً وسالهم عنه فما وجد

احد نظره . فرجع الى بيته . واذ عرف ان الولد ما حضر أشعل الفنار وتوجه لعند معلمه وسأله عنه . فقال له المذكور بعد ان دقت نوبة العصر انصرف من عندي وعلى علمي انه توجه الى البيت وما عدث نظرته . وحينئذٍ انشغل بال الاب واشتعل قلبه وحضر الى بيته بحالة ميشومة . وما نام تلك الليلة وما صدّق ان النهار يطلع حتى نهض حالا ونزل للسوق وبدى يفحص . وبقي طول النهار يفحص ويسأل عنه فما احد لباه بخبر . فهام هو ووالدته في تلك الليلة وجعلوا دابهم البكاء والنواح . واجتمع عليهم اهلهم واقاربهم . وثالث يوم صارت القضية على ألسن ساير الخلق من اسلام ونصارى .

وثالث يوم بالتدبير الرباني اذ كان طالعاً والده خارج باب عكا مع اناس لاجل التسلية على المصيبة فبوصولهم الى شاطىء البحر التفت احدهم الى ناحية البحر التي تحت القلعة فوجد الكلاب مجتمعين وبالصدفة التزم لاراقة الماء فانحاز عنهم الى ناحية اجتماع الكلاب واذ تقدم وجد امامهم رأساً فتقدم لينظره واذ وصل بالقرب منه وجده رأس انسان فصاح للبقية فحضروا . واذ نظروا الرأس وحققوه وجدوه رأس الولد بذاته . فصاح والده حينئذ ولطم على وجهه وصار يضرب جسده . واهله كذلك وسمع الخلق الذين خارج البلدة فتقدموا مسرعين لينظروا الخبر . واذ نظروا الراس وعرفوه ارتعدوا وفي قرب ساعة اجتمع عليهم زيادة عن ثلاثماية نفر . وصار كل واحد يتقول قولاً . واخيراً اخذوا الرأس بالبكاء والنحيب وتوجهوا به الى ديوان سليمان باشا وطرحوه امامه باكين العيون مستغيثين برحمته وانصافه .

فالوزير اذ نظر الرأس وفهم القضية من فم والده اضطرب وامر كتخداه عبد الله باشا ان يفحص هذه القضية جيداً . وقال له لازم اظهارها باي وجه كان . ثم قال الى والده اذهب ادفن رأس ابنك ولا تعرف غريمه الا مني . ثم قال الى عبد الله باشا : قم من هذه الساعة وفتش على الغريم . وحياة راس السلطان اذا ما اظهرته بكيفك تعرف شغلك .

فوالد المقتول اخذ الرأس ونزل الى بيته وعملوا مناحته وغسلوه ودفنوه وجلسوا للمناحة عليه . وعبد الله باشا ابتدأ بالفحص . وثاني يوم استحضر الباشا والده وسأله عن عمر الولد وعن كيفية مرباه وفي اي مكان واضعه هل في المكتب او بصنعة . فاخبره عن عمره وعن صنعته وعن معلمه . حينئذ امر عبد الله باشا باحضار معلمه وسأله عنه واستفحصه . فقال له معلمه انه من مدة شهرين زمان احضره والده ووضعه عندي لكي يتعلم الكار وصار كل يوم يحضر صباحاً وبعد العصر عند خلاص النوبة من السراي ينصرف من الدكان الى بيته . وفي تلك الليلة حسب عادته انصرف وعلى علمي انه توجه الى بيته حسب عادته . وبعد ان توجه من الدكان لا اعلم كيف توجه .

فسأله الباشا عن تصرف الولد كيف هو فقال على ما نظرت ان الولد عاقل هادي وتصرفه حسن . وفي مدة اقامته عندي ما شاهدت منه ثقلة ولو وقت فقده ما فارق ترم حضوره ووقت ذهابه ولا يوم .

فقال له الباشا وهل عندك صناع خلافه . فقال نعم عندي ولدين ثلاثة وجميعهم يشتغلوا طول النهار

فقال له الباشا لما توجه الولد للانصراف من عندك في الليلة الاخيرة

أما سألته شيئاً . فقال له ما سألته حيث مالي عادة اسأله ومن المعلوم انه ما توجه الا الى بيته .

فقال له عبد الله باشا يا نجس اذا كان قاعداً عندك لاجل ينضب ويتعلم ويتربى ولما يتوجه اما تسأله الى اين متوجه ولا تنبه عليه ان يتوجّه الى بيته . فاجابه يا افندينا ايش حاجتي معه لاسأله لما يتوجه ومعلوم انه يتوجه الى بيته .

فقال له الباشا من نكرانك وعدم سوالك الولد يستبان ان لك علماً اين توجه من دكانك . فلازم تقر اين توجه . وان حاولت الخلاف اعدم حياتك عنه بالضرب فبدا الرجل يحلف ايامين ان لا علم له ولا خبر ولا يعرف اين توجه . ويقول هل انا ابوه او امه او ربه حتى التزم الخصه وايش يعنيني من سواله . فما قبل الباشا كلامه . وحالاً امر باحضار الفلق واذ حضر امر بالقائه تحت الضرب . فانضرب مايتين وخمسين عصاية على رجليه حتى غمي عليه وغاب عن الوجود وهو يصرخ مظلوم يا افندينا مظلوم يا ناس . وما احد يسمع له . واذ غاب عن الوجود كفوا عن ضربه ووضعوه في الحبس .

وثاني يوم افتكر عبد الله باشا بمحل وجود الرأس . فاستحضر والده وساله اين وجد راسه . وقام توجه معه واستحضروا الرجل الذي شاهد الرأس اولاً وساله كيف تم له حتى نظره فاخبره بما تم . فاشتبه الباشا فيه بسبب ان هذا الرجل ما انفرد في ذاك الوقت عن بقية الناس عبثاً بل عنده اشارة او علم بذاك . فحتى يخفي عن الخلق معلوميته احتج بانه اراد في تلك الساعة يريق الماء وبالحيلة سحب ابا الولد مع البقية الى

تلك الناحية كي يخبرهم عنه متى نظر الراس . فالذي يعرف بوجود الراس لا بد ان يعرف محل وجود الجثة . ثم قال للرجل اين نظرت الراس ؟ فاراه الرجل محله واحكى له كيف نظره كما تقدم . فقال له الباشا واين الجثة ؟ فاجابه انا يا افندم ما اعرف اين الجثة حتى ولا أعرف ان هذا الراس راس الولد ولاجل ذلك ناديت على الجميع ليتفرجوا . واذ حضروا عرفه ابوه .

فقال له الباشا اما تعرف هذا الولد لما كان حياً ؟ فاذ نظر الرجل كثرة الفحص التبك وتلجلج لسانه وتحيّر بالجواب مفتكراً اذا قال يعرفه يقول له لماذا تغشمت وتجاهلت عليه لما نظرت رأسه . واذا قال ما اعرفه يكذبه الخلق . والذي افتكر به حصل . فقال يا افندينا انا اعرفه لما كان طيب وانما ما عرفت ان الرأس رأسه ولا صار لي فرصة لاتمايزه وحدي بل اذ نظرته حالاً صرخت عليهم ليحضروا وحالاً حضروا ونظروه واول من عرفه ابوه وصاح فقال الباشا هذه اكبر شبهة عليك يا خبيث مع كونك تعرف الولد طيب وتقول انك ما عرفت رأسه ولما سألتك عن معرفة الولد صرت تشاور عقلك وانا شايف حيرتك بالجواب . ثم قال خذوه للحبس . فحالاً اخذوه للحبس . وامر حينئذٍ باحضار فعلة وتمايز تلك الارض وامر ببحش نواحي وجود الرأس من الاربع جهات مقدار سبعة ثمانية اذرع وعمقوا حتى ظهر الماء لان المكان على شاطئ البحر فما وجدوا شيئاً ولا اثراً للجثة .

فحينئذٍ رجع الى السراي وامر باحضار الرجل الذي اشتبه به وكرّر معه الفحص اولاً بالتمليق والوعد بالطيب والامان والراي

بقسم ان كان عنده خبر او علم عن الذي قتله واقسم له انه اذا كان هو قتله واقرّ يعفي عنه ويدفع دية الولد لوالده من كيسه . وان كان قتله غيره وله علم به فعليه ان يشير اليه وهو يعفي عنه ويعطيه اكرام . واذا لم يقبل امانه وقسمه فلا بد من اظهار الغريم ولو افنى وجوده وموجوده وتكون حينئذٍ ميتته اشرّ الميتات .

ثم امر بعض الحاضرين ان يتكلموا معه . فبدا الرجل يقسم ويغلظ الايامين ان ما له علم ولا خبر ولا دراية ولا اشارة ابداً كلياً سوى الذي صار وقد احكاه . وحينئذٍ امر الباشا الحضار بان ياخذوه على ناحية ويفحصوه ويأمنوه ويطمِنوه ويعدوه بكل طيب وانه يفعل له كلما يريد اذا اقر . ويخوّفوه من غائلة الانكار لانها وبال عليه وعدم . فالمذكورون نهضوا واخذوه على ناحية وتكلموا معه وقرّبوا وبعّدوا وتوعّدوا ووعدوا وعملوا غاية الجهد وما سمعوا منه الا ما تكلم به . حينئذٍ بعد كل جهد رجعوا الى عند الباشا واخبروه وصاروا يتكلموا معه على تبريره .

فالباشا ما التفت الى تبريرهم وامر بارجاعه الى الحبس فاخذوه اليه . ثم امر باحضار سليمان معلم الولد وبحضوره اخذ يتهدّده ويتوعّده بالموت ان بقي مصراً على عناده بالانكار وكذلك وعده بالاكرام اذا اقر . فبدا الرجل يحلف ويقسم ويتدخل ويبكي وينوح . وقال له يا افندينا انا رجل معلم صنعة وطول النهار ملتهي بشغلي ومعاشي . والاولاد الموجودين عندي لاجل التعليم اعلمهم بقدر جهدي وكيف يمكن ان ولد يكون قاعداً عندي ليتعلم اطابق على اعدامه خصوصاً بما انه ولد

مسلم وانا رجل نصراني . فاذا ما خفت من الله فاخاف من سعادتك ومن الناس . لله وللرسول يا افندينا ارحمني واشفق علي . انا صاحب عيال واولاد . الله تعالى لا يشقي لك عاقبة يا افندينا . وصار يبكي وينوح .

فحينئذٍ الباشا بمقتضى البشرية شفق عليه وامر باحضار الاولاد الصناع الذين في الدكان عنده وقبل احضارهم استحضر اباه لوحده وساله عن الولد وكيف مسراه وعند من يلتي ولمن يعاشر وهل يعرف له رفقاء مخصوصين وايام احاد واعياد النصارى لما يكون معلمه مسكراً دكانه اين يتوجه الولد ولمن يعاشر . فابوه أخذ يبرّر تصرف الولد وحسن تربيته وانه من وعيه ما عرف له عشير خصوصي . واليوم الذي يسكر معلمه دكانه يقيم اوقاتاً بالبيت واوقاتاً يتوجه لبيت عمه واوقاتاً عند اقاربه يلعب مع اولادهم . فامر الباشا باحضار اولاد عمه واقاربه واذ مضوا ليحضروهم حضر الاولاد رفاقه في دكان معلمه . فاخذ الباشا بلطف يسألهم عن كيفيّة معاشرتهم مع الولد وكيف هم معه . فالاولاد صاروا يجاوبوا اجوبة صبيانية لانهم صغار من عمره . والتزم الباشا ان يطيل روحه عليهم بالسؤال والفحص وما زال ينقلهم من سؤال الى سؤال الى ان اوصلهم الى يوم فقده والى ساعة انصرافه من عند معلمه فسألهم لما انصرف من الدكان الى اين مضى ؟ فقالوا له ما نعرف اين راح . نحن ايش يعرفنا اين يروح . فاطال روحه وقال لهم او لا تعرفوا لاي ناحية مشي ؟ هل يا ترى الى ناحية باب السراي او لتلك الناحية ؟ فواحد قال راح من هذه الناحية ورفع يده من دون ان يعرف لاي ناحية . فقال له الباشا لاي ناحية ؟ فقال من هنا واشر بوجهه . واذ ما استفاد

الباشا منه سأل البقية . فاثنين جاوبوا راح من ناحية باب السراي وقال واحد من الناحية الثانية . وصاروا يتناقروا مع بعضهم وكل واحد يكذب الاخر ويؤيد قوله . وصار الحاضرين وهم جم غفير من الناس — وانا الفقير كنت حاضراً — يضحكوا على الاولاد ومن طول عقل الباشا ومن هذه السوالات لهؤلاء الاولاد .

حينئذٍ قال الباشا للولدين الذين قرّروا انه توجّه لناحية باب السراي وانتم لما صرتم تلعبوا معه ناحية باب السراي بعد ان انصرفتم من عند معلمكم من الذي غاب رفيقه؟ انتم غلبتموه ام هو غلبكم؟ وقد جعل هذا السوال تبخيتاً عليهم . فقال احدهم نحن صرنا نلعب بالحاح وفضلنا نلعب لعند باب الجنينة جنينة الرمل قبال باب السراي وبعده خطف مني الحاح وهرب الى السوق الذي هو السوق الابيض ولحقته انا لاخلصه منه وهناك تحشّدوا له اولاد من قرايبه وضربونا وراحوا هم واياه ونحن رجعنا وصرنا نلعب وحدنا . وبعده رحنا الى بيوتنا . فقال لهم هل تعرفوا الاولاد الذين تحشّدوا له وضربوكم؟ فقالوا لا ما نعرفهم ثم قالوا نعم نعرفهم . فقال لهم اما تعرفوا اسماءهم؟ فقالوا لا . لا نعرف اسماءهم . فقال لهم ومن اين عرفتم انهم اقاربه؟ فقالوا له لانهم ضربونا وراحوا هم واياه . فقال لهم اوما تعرفوا اين راحوا هم واياه؟ فقالوا له لا ما نعرف ونحن لما لحقونا حتى يضربونا هربنا منهم من اخر السوق لقبال الدكان . وما عدنا شفناهم . فقال لهم ولحد ذاك الوقت كان بعيد المغرب؟ فقالوا ما نعرف . فقال لهم وانتم لكم عادة كل ليلة تلعبوا؟ فقالوا له اي نعم كل يوم نلعب . فقال وبعد اللعب كيف تعملوا؟ اجابوه

نروح على بيوتنا. فقال وبيوتكم بعيدة عن بيته؟ فقالوا نحن نعرف؟ ما نعرف اين بيتهم . فقال لهم وايش تلعبوا مع بعضكم؟ فقالوا نلعب بالحاح والدوش ونتغالب . فقال لهم ويوم احد النصارى لما يكون معلمكم مسكر ايش تعملوا وايش تلعبوا؟ فقالوا له نلعب بالدوش والعواتيل ونطلع برا نجيب طرفا لاجل العواتيل . فقال لهم ولما كنتم تطلعوا تجيبوا طرفا من برا هل كان يروح معكم؟ فقالوا كان يروح وهو كان يدلنا على الطرفا . فقال لهم ومن اين تجيبوا الطرفا؟ فقالوا له من عند بساتين القبارصة هناك الطرفا وعواتيل كثير وعندنا بالبيت عواتيل كثير . فحينئذ الباشا استنتج من هذه السؤالات نتايج مليحة . وهذه السؤالات صارت منه بعد ان وانسهم لما استحضرهم واعطاهم مصاري واجلسهم الى جانبه وصار يسألهم بكل ملاطفة وجعل نفسه كانه ابوهم او امهم . ثم قال لهم ومن كم يوم طلعتم وجبتم طرفا؟ فقالوا له تلك الجمعة كان المعلم مسكر عنده عيد فحضرنا الى الدكان وجدناها مسكرة وما عرفنا انه عيد عند المعلم . فقال لنا حتى نطلع على الطرفا فرحنا نحن واياه وجبنا طرفا ورجعنا لعبنا .

واذ كان عمال يسال هؤلاء الاولاد حضر الاولاد الذين امر باحضارهم من اقارب الولد . واذ مثلوا امامه قال لاولاد الدكان ان يدلوه على الاولاد الذين ضربوهم وراحوا هم والمقتول . فقاموا ودلوه على اثنين منهم حينئذ الباشا استحضرهم الى جانبه واجلسهم وصار يوانسهم ويلاطفهم واعطاهم ايضاً مصاري وصار يستحكيهم حتى عرف انهم ما عادوا يخافوا منه ثم سالهم لماذا ضربوا هؤلاء الاولاد ولحقوهم

وصار يذكرهم بما توقع سابقاً كما اخبر الاولاد. فقالوا له هؤلاء كانوا عمال يضربوه فنحن حامينا له وخلصناه منهم. فقال لاي سبب حاميتم له؟ فقالوا معلوم هذا قرايبنا كيف نخلي هؤلاء الغرب يتعدوا عليه. فقال لهم وبعده كيف عملتم انتم والولد؟ فقالوا مشينا وصرنا نلعب وبعده طلعنا براة البوابة وصرنا نلعب على الشط. وبعده زعلنا فقلنا له حتى نرجع للبلد فقال لنا روحوا حتى نجيب طرفا فما رضينا ونحن رجعنا للبلد ورحنا لبيتنا. فقال لهم: والولد رجع معكم؟ فقالوا لا. فقال واين راح؟ فقالوا لا نعرف. فقال واين بقي؟ فقالوا له اما قلنا لك بقي على الشط. فقال لهم: ولما رجعتم شفتوه بقي على الشط؟ قالوا اي نعم. فقال: وما قلتم له شي؟ فقالوا قلنا له روح حتى نروح على بيوتنا فقال لنا انا ما بروح هذه الساعة. بدي اروح اجيب طرفا. ونحن دشرناه ورجعنا.

حينئذ امر الباشا باحضار بوابين البلدة مصطفى عفارة وصالح حبيشي سريعاً. فاذ حضروا قال لهم هؤلاء الاولاد يقولوا انهم في اليوم الفلاني طلعوا هم والولد لبرا البلد. وعند الغروب رجعوا الى بيوتهم. والولد بقي برا البلد. ياترى لما طلعوا شفتوهم؟ فتفكروا قليلاً وقالوا له نعم شفناهم. فقال: وكيف شفتوهم؟ فقرروا مفصلاً عن كيفية شوفتهم. فسال الاولاد صحيح. فاوموا باحناء رقابهم. فقال للبوابين: وبعد رجوع هولاء الاولاد هل نظرتم الولد رجع ودخل البلدة بعد دخول هولاء لحينما سكرتم البوابة؟ فاذ تفكروا قليلاً قالوا له: ما عدنا نظرنا الولد دخل الى البلدة ابداً. فقال لهم. ولماذا ما سالتم عنه

او اقلما اعطيتم خبراً لوالده . فقالوا له يا افندينا الله يطيل عمرك . نحن ايش يخصنا من ذلك . نحن ناس مصلحتنا محافظة البوابة . وناس كثير تدخل وما تطلع . وناس كثير تطلع وما تدخل . فاذا كنا بدنا نسأل هكذا سوالات بدنا نصير اولياء وبدنا نصير ملائكة والجق نقدر نحفظ ذلك . هذا كان ابوه واجب يفتش عليه لا نحن

وثاني يوم استحضر الباشا اباه وقال له لما سالتك عن ابنك وعن تصرفه وعن تربيتك له جعلت روحك من الاوليآء وجعلته من الانبيآء الصالحين وقد استبان من الفحص ان ابنك اشقى منك ولد فلاتي معكوس عديم التربية . وهذا القصاص هو من الله تاديباً لشقاوته من صغره وتاديباً لك ولامه لعدم تفتيشكم عليه وحسن تربيته . ونفر فيه وطرده من امامه . وقال له لولا الخوف من الله ولاجل صيانة شرف الحكم لئلا تمتد الاشقيا لفعل القبائح كان الواجب تاديبك على عدم اعتنائك بضب ابنك وتربيته من صغر سنه .

ثم امر باطلاق سليمان معلم الولد واستسمح منه واعطاه خمسين غرش ليسامحه على العصي التي ضربه اياها وابقى الرجل الذي وجد الراس محبوساً لحين تنوير الدعوى .

ثم امر باحضار البوابين واذ حضروا قال لهم لازم تفتكروا طيب في اليوم الفلاني الذي هو يوم فقد الولد من كان اخر من طلع من البلدة وما عاد رجع الى ان سكرتم البوابة وتفيدوني عنه . ولازم تعلموا ان هذه الافادة ما بدي اياها منكم بالتخمين والقفش بل بوجه الصحة والتاكيد واعرفوا طيب ان عدم اعتنائكم بالفحص الجيد

والاعراض الحقيقي عواقبه وخيمة عليكم ويوجب عليكم الضرر . فاياكم من اعراض الكذب والزور . وتوجهوا وعلى مهلكم لما تفتكروا طيب تجاوبوني وانا ما بدي عجلة على الكذب .

فبعد ان توجهوا اخذ بالمذاكرة مع الحاضرين بوجه الشنكاش فبعضهم قال على ظني ان هذه القضية اخرها يصفي على الطوبجية . فقال له عبدالله باشا باي نوع ؟ فقال انا افتكر ان الطوبجية نظراً لحالهم فلا يبعد عنهم مثل هذا الفعل . وغالبهم بكل ليلة يطلعوا لبرا ويدوروا في البراري وربما يكونوا مصادفين هذا الولد ونظروه جميل الخلقة فاخذوه وافترسوه .

فقال الباشا ان هذا الظن لا يبعد . انما اذا كانوا اخذوه وافترسوه فكيف قتلوه ؟ ثم قال الرجل ربما — وغالب الظن — انهم قتلوه حتى لا يظهر امره . فقال الباشا مسلم ولكن كيف وُجد رأسه تحت القلعة وما وُجدت جثته ؟ فاذا كانوا قتلوه فيما يقال فلازم ان يدفنوه لان قتلهم اياه انما هو ليخفوا امره ويخفوا قباحتهم فمن باب اولى لازم ان يدفنوه ويغمقوا بدفنه حتى لا تظهر له لا رائحة ولا اثر . وبعد دفنه من الذي عرف وقطع راسه ووضعه في هذا المكان الظاهر . هذا مستحيل منهم . واذا كان قطع راسه اخر فلا بد ان الذي قطع راسه يكون له مقصد . فان كان قصده ليشهر فعلهم بذلك فهذا محال لانه عوضاً عن ذلك كان يحضر يخبر الحكومة وينال عن ذلك جزاء الاكرام والاجر ايضاً . وان كان قصده كراهية الولد فهذه الكراهية ما لها محل لان هذا ولد صغير ليس له عدو يشمت به او يبغضه فكيف الحال ؟ فقال له المتكلم

والله يا افندم انها مشكلة والله سبحانه يظهر الحق ببركة سعيك . فقال له الباشا ان شاء الله تعالى وسكت وما عاد تصوّر وجهاً اخر .

وفي تلك الساعة طلبه سليمان باشا فقام وتوجه لعنده . وبوصوله سأله عن قضية الولد فاخبره بالفحص الواقع . فقال سليمان باشا ولحد الان ما وقعت الشبهة ولا الظن على احد ؟ فقال له عبد الله باشا لا وانما الباين لحد الان ان الشبهة بدها تقع على الطوبجية . وحكى له ما لحظ من امرهم . وانما ما كان كلامه بنوع التحقيق . فقال سليمان باشا ان هذا الظن لا نقدر نقول عنه لا قريب ولا بعيد . ونسال الله تعالى ان يظهر الحق . بالله عليك ابذل جهدك بالفحص والتدقيق الجيد عن هذه القضية لانني مغموم لاجلها كثيراً . وهذه وقوعها ذلّ عظيم علي وعليك وسمعتها عاطلة كثير بحقي . فاياك ثم اياك تعطي بها ادنى غفلة .

فهذه الحادثة سمعها البعض من دايرة الوزير اصحاب الطوبجي باشي فخرج حالاً وتوجه دغري لعنده واسمه دوهجي علي اغا — وكان من المكرهين لعبد الله باشا باطناً والمحبين لمحمد اغا ابونبوت — واورد له ما كان في المجلس وجعل ان المذاكرة التي حصلت بايقاع الظن على الطوبجية سليمان باشا قلة ما وافق عبد الله باشا على رأيه وظنه وكذبه وان الوزير حامى عن الطوبجية وجعل المذكور نفسه انه كان من المتكلمين والحامين عنه وعن الطوبجية . وحينئذٍ الطوبجي باشي حمي راسه وبعد الظهر حضر الى عند سليمان باشا وفتح بوغازه وبدا يكذب المقولات بحق الطوبجية ويبررهم ويورد صنوف ضبطهم وضبطه لهم . وبعد ان تكلم كثيراً قال باقسام مغلظة افندينا يأمر بتدقيق الفحص .

واذا ظهر ادنى اشارة او شبهة على الطوبجية فيشارط على راسه ويتعهد بدمه . وكرر ذلك اربعة خمسة دفعات . وحينئذٍ الوزير افاده ان ما بلغه ما له صحة . وما وقع شبهة على الطوبجية ولا احد قرّر عنهم شيئاً . وانما انورد اقوال على وجه التخمين بغير تحقيق . وانا ما صدّقت ولا اصدق عنك وعن جماعتك . فانت عندي صادق . وهذه المادة واقع عليها الفحص والله تعالى يظهر الحق . ولكن بلكي يا علي اغا واحد بغير علمك وبغير اذنك بادي منه جهل وفاعل ذلك . فقال له وعزيز راسك افندم ان كان يقع ادنى شبهة على احد فانا الذي قتلت الولد . امان افندم . وسجد على اقدامه والتمس الفحص الحقاني وان لا يؤخذ احد بالزور لاجل النفسانيات . فقال له لا تفتكر . انا لا اوافق الا على الحق . انت روح ولا يكون لك فكرة .

فثاني يوم حضر البوابين وقرّروا الى عبدالله باشا انه في ذلك اليوم الذي قال لهم عنه قبل ان يسكروا البوابة بمقدار خمس دقائق خرج من البوابة ثلاثة انفار طوبجية حاملين بواريدهم . والذي لحظوه من هيئتهم انهم ارادوا يباتوا في الخارج ليتصيدوا ولا يعلموا ماذا عملوا ولا الى اين توجهوا وما سألوهم .

وقبل ذلك بحصة من الزمان حضر من اخبره عن حضور الطوبجي باشي الى عند الوزير وما تم بينهما وباي وجه انصرف المذكور . فاذ سمع تقرير البوابين تحيّر في نفسه كيف يتصرف بهذا الامر لانه اذا تعاطى صرامة الفحص والتدقيق عن الطوبجية تلحظ عليه النفسانية التي انتسب اليها من اقوال الطوبجي باشي وايامينه وتعهداته الى سليمان باشا

وصار مختشياً ان لاتظهر الدعوى عند غيرهم وبميله للفحص عن الطوبجية يسبب لنفسه خصومة معهم وكراهية عدا ملاحظة وقوع فتنة منهم لاجل التهمة بهذه المادة القبيحة ولاجل ذلك اخذ يجول بفكرته في هذا الامر. ثم سأل البوابين وهل الطوبجية المذكورين ثاني يوم حضروا؟ فقالوا له ثاني يوم ضحوية النهار حضروا . فقال وبواريدهم معهم ؟ . فقالوا نعم . ونظرنا في اخراجهم على اكتافهم اثار وعلامة صيد طيور .

فاظهر قدام الناس عدم الاكتراث بهذا الامر . ثم استحضر البوابين الى قربه وقال لهم بدي منكم تفحصوا لي اين توجه الطوبجية المذكورون في ذاك اليوم وباي وقت شافهم الناس . وتفتكروا ايضاً ربما يخطر بفكركم ايضاً من خرج من البلدة قبلهم ولو بخمس او عشر دقائق وكذلك تفتكروا طيب من الذي دخل الى البلدة ثاني يوم اول الناس ان كان من اهالي البلدة او من الغرباء . ولازم تدققوا الفحص وتفيدوني على وجه الصحة . فقاموا من عنده وتوجهوا ليفحصوا افكارهم . وبعد توجههم توجّه واحد من الذين سمعوا تقرير البوابين الى عبد الله باشا واخبروا الطوبجي باشي وزوّدوا ونصّوا بتقرير ما توقّع . فالمذكور ازداد حمية براسه وحالاً قام وحضر الى عند عبد الله باشا وبدا يصيح ويحقق صداقته وصداقة جماعته ويطلب منه ان لا يضع الطوبجية بمقاومته ويجعلهم آلة الفساد . وانهم ما انسمع عنهم مثل هذه النقائص التي عمال يجتهد ليثبتها عليهم وبدا يحلف ويقسم باعلى صوته انه اذا حصل فحص طيب اللهم يكون بحق الله بغير نفسانية اذا ثبت ادنى شبهة على احد من جماعته فيكون بالواقع قد فعله هو لان جماعته

لا تقدر تفعل شيء بدون علمه واذنه وقام وارتفع وخبَّط وشبَّر وكبَّر .

وعبد الله باشا لاطفه وسايره وما استعمل معه ادنى اشارة من الحدية . بل بكل لطف وطولة روح اقسم له ان اشتبهاته به مالها صحة وعديمة الوجود . وحقق له حبه اياه ومعرفته باستقامته وضبطه باكثر مما ذكر . وان الذي قاله البوابين عن الثلاثة انفار طوبجية الذين خرجوا قلة ما اعتبره ولا استنتج منه نتيجة وخصوصاً لما قالوا انهم ثاني يوم حضروا ومعهم في اخراجهم طيور مصطادينها . فاذا كان ناس غرباء مثل هؤلاء طلعوا الغروب من البلدة وثاني يوم رجعوا فمن اين تقع عليهم الشبهة بقتل الولد مع كون البينة التي استفدناها ان الولد طلع من البلدة بعد اذان العصر قبل خروجهم بمقدار ساعة ونصف . فهنا كل عاقل يعرف ان المذكورين بعيدين عن الشبهة بشأن هذه القضية . وانا يا علي اغا والله العظيم وحياة راس افندينا هذه القضية عنايتي فيها اولًا لاجل شرف احكام افندينا وشرفي ولاجل تبرئة وجاق الطوبجية من كون هذا الوجاق هو محافظ القلعة واهاليها ومحافظ حياة افندينا وحياتي . وبمثل هذه الاقوال ارضاه بنوع ما وصرفه من عنده كانه راضي منه .

فالطوبجي باشي قام وتوجه الى قوناقه وجعل طريقه على باب السراي واذ وجد سليمان باشا مقيماً على باب السراي تقدم ووقف وفتح السيرة وجعل مبداها بما انسمع عن لسان البوابين وبدا يحلف ويقسم ويكرر الايامين بتبرير الطوبجية وضبطهم وانه اذا ظهر عليهم شبهة تكون القضية فعله هو . وسليمان باشا ما جاوب المذكور الا ما قلّ من الاجوبة .

وتلاومه لاجل اضطرابه من هذا الامر ثم صرفه من عنده بقوله له روح انت لا تفتكر انا موضعك وزيادة .

وثاني يوم حضر البوابين لعند عبدالله باشا وقالوا له فحصنا ودققنا وحدّ ما قدرنا ان نعرف ان حسن عروق من اهالي عكا وكاره معتر شغيل في المينا كان طلع عصرية النهار لبرا وثاني يوم صباحاً حضر ونظن انه اول من دخل ودخل فلان وفلان وفلان من محل الفلاني ومن بلد الفلانية ومن محل الفلاني . واما من اهالي عكا او بساتينها فما دخل غير هذا . فحالا عبدالله باشا امر باحضاره فنزلت الشوابصة فتشوا عليه وسالوا عنه فوجدوه غايباً .

لان حسن عروق المذكور لما تأكد شدة الفحص الواقع بالتواصل يومياً وعدم الغفلة وسمع ان البوابين اعرضوا للباشا عن الثلاثة الطوبجية الذين طلعوا في تلك الليلة فحالا صادف شختورة متوجهة لبيروت فنزل فيها وسافر تلك الليلة من عكا وبوصوله الى بيروت اخذ زوادة وفحص فوجد شختورة مسافرة الى طرابلس فتصاحب مع البحرية اصحابها ونزل فيها وسافر الى طرابلس .

واما عبدالله باشا فلما حضر الشوابصة وقرروا له انه سافر استحضر روساء المينا وسالهم عنه فاخبروه انه سافر في شختورة متوجهة الى ناحية بيروت وما يعلموا ان كانت توجهت الى بيروت او دخلت لغير محل . واذ استعلم منهم عن وقت سفره وفهمه امر باحضاري انا محرره وامرني بان اسرع واحرّر امراً منه باسم متسلمين صور وصيدا وبيروت وطرابلس واعرفهم عن حسن عروق وشهرته وشكله وانه في اي محل انوجد بالحال

يرموا عليه القبض ويرسلوه الى عكا تحت الحفظ وان اشدّد الامر بزيادة .
وبالحال حررت الامر وقدّمته له ختمه وارسله صحبة سروجي مستعجل
وامره بسرعة المسير بدون ابطاء وامر باعطائه خمسين غرش خرجية
ترغيباً له على سرعة السير وحذّره من العاقة . وخرج السروجي على
دواب المنزل مثل النار . وبوصوله الى صور انفحص عنه وما انوجد
فحضر الى صيدا واذ فحصوا عنه وما وجدوه حضر الى بيروت وحالاً
استحضر المتسلم رئيس المينا وساله وامره بالفحص عنه . واذ نزل الرئيس
وفحص بالمينا ودقق علم انه توجه الى طرابلس . فحالاً المتسلم ارسل
السروجي الى طرابلس وبوصوله عند بربر استحضر بالحال رئيس المينا
وامره بكل حتم ان يفحص عنه ويجده واذ شدّد عليه نزل مسرعاً جداً
وبوصوله الى المينا صار يفحص عنه فوجده مستحضراً للسفر وواضع
الرجل الواحدة بالبر والثانية بالقارب الذي عزم ان يسافر فيه فحالا
تقدم اليه ومسكه من اكتافه واخرجه للبر واطلعه لعند بربر اغا والمومى
اليه بدون سوال ولا كلام كتّفه وارسله تحت الحفظ صحبة خيالة من
عنده واعرض كيفية ايجاده بأن التوفيق الرباني صيّر وصول الامر
قبل سفره الى بر الترك بدقيقة زمانية .

وبوصوله الى عكا انحظ عبد الله باشا غاية الحظ واستحضره واراد
يستفحصه . فقال الرجل يا افندم انا احكي لك الحكاية من اولها الى
آخرها . لا تسأل غيري ولا تتعب . فقال له احكي ولا تخف . فقال له
يا افندم احكي والله اعلم انا رجال هذا حالي طفران والروح عند خالقها .
ويوم الفلاني — واعني عن يوم فقد الولد — ما صار لي شغل بالمينا ولحد

بعد الظهر ما كان موجود معي ولا بارة ولا قدرت اسحب سحتوت لأتغدى . فمن طفري بعد العصر خرجت براة البوابة وصرت اتمشى على الشط وانا طفران . ونظرت الولد يلعب على الشط وانا بعرفه فتقدمت الى عنده وصرت اتكلم معه وفهمت منه انه بده عواتيل طرفا فقلت له انا بقطع لك فتمشينا ناحية وجود الطرفا . والله العظيم يا افندينا ما في بفكري اثر غش بل مروؤة فقط لاني احب الولد والله سبحانه يحب الجميل . واذ بعدنا عن البوابة وصرنا بالقرب من عامود الغطايس قال الصبي بدي ارجع رايحة البوابة تسكر والبوابين عمال ينادوا . فاذ رايته عزم على الرجوع رجعت معه . واذ وصلنا لقبال الشيخ مبارك وجدنا ثلاثة انفار طوبجية ومعهم بواريد فتقدموا علينا وسألوني بالتركي ايش هذا الولد فقلت لهم من البلد كان يشم الهواء وراجع الى بيته وانا ماسك بيد الولد . فاذ نظروه لعبت عينهم عليه وصاروا يتحادثوا معي ويطاولوا الكلام والتهينا بالحديث حتى سكرت البوابة . فصار الولد ينعوص وبده يركض . فالتفت ورأيت البوابة سكرت فقلت له البوابة سكرت تعال حتى نروح نبات في بستان القصر . وانا بكرة بقول لابوك انك كنت نايم بجانب قبر في الشيخ مبارك . واذ كنت هناك وصليت المغرب وحضرت لاتوجّه لانام في البساتين وجدتك نايم وما اخذت عليك النومة فاخذتك ونيمتك في البستان . واخلي ابوك يصدّق وما يقول لك شي . واذ انا اكابه والطوبجية واقفين سألوني ايش القضية . فاخبرتهم انه خايف من تسكير البوابة عليه ونومه برا من ابوه . فقالوا له ما في ضرر لا تخف

ثم اخذوني من يدي وقالوا روح حتى نتعشى سوى على النعمين . معنا عشاء طيّب . فانا طمعت بالعشاء لاجل انني جوعان كثير ومشيت معهم . فصاروا يتكلموا معي بخصوص الولد وطلبوه مني . فانا بالاول مانعتهم كثير وهم صاروا يلحوا معي الكلام حتى وصلنا الى عند القوس التي على كتف النعمين وكان صار الوقت عتمة . فهناك وقفوا وطلبوا الولد فاذ اردت امنعهم عنه داروا سلاحهم نحوي وقالوا نقتلك احسن او تخلينا وانت شريك معنا . فوالله يا افندينا خفت منهم واغواني الشيطان فقبلت معهم على مرغوبهم . فتقدموا واخذوا الولد . . .[1] والولد يبكي ويستجير ولكن من يسمع له .

وبعده قالوا لي تعال حتى نقتل الولد ونخبيه لئلّا يحكي عنا . فانا اولا امتنعت وانما تهددوني بالقتل وخفت منهم ومن الفضيحة وطاوعتهم فتقدموا الثلاثة ومسكوا الولد وصاروا يعاقبوا فيه ومطوه وصاروا يذبحوه بسكاكينهم وكلما تعب واحد يتقدم الثاني والثالث . وبعد ان ذبحوه قطعوا راسه وطمروا جثته بالرمل هناك وغمقوا عليها وحملوا الراس وما دفنوه مع الجثة . فسألتهم لاي سبب فقالوا ربما وحش او كلب يشم الريحة ويبحش على الجثة ويطلعها فتعرف فالاوفق ان نشلحه ثيابه ونطمرها في موضع ونطمر جثته في موضع ثاني والراس نطمره في موضع بعيد كثير حتى لا يُعرف . فاذا انكشف الراس لا يعرف . واذا انكشفت الجثة لا تعرف لانها عريانة . وبعد ان طمرناه عريان وطمرنا حوايجه بمحل ثاني بعيد عنه حضرنا بالراس

(١) حذفنا تتمة اقرار حروق على نفسه وعلى شركائه حياء وتأدباً .

لتحت القلعة ودفناه هناك ورجعنا بعد نصف الليل وعدنا تعشّينا وانا ما نمت . ولما طلع النهار قمت ودخلت البلد والطوبجية فارقوني بالليل وقالوا لي السترة سوآء والفضيحة سوآء . وانا جيت لموضعي ونمت الى بعد الظهر ثم قمت نزلت افتش على شغلة فالى عشية ما حصّلت ولا بارة . فتوجّهت لعندهم وقعدت وافهمتهم اني جوعان طفران فتعشيت معهم فسألوني هل سمعت شي . فقلت لا . وبقيت داير مثل عادتي . ولما رأيت سعادتك لست مبطل الفحص والتفتيش وسمعت البوابين قالوا لك عن الطوبجية فقلت ياصبي قربت السيرة . قم اهرب . فقمت وهربت . وهذه سيرتي والله يا افندينا لا نقّصت ولا زوّدت .

فقال له عبد الله باشا قلت الصحيح . والطوبجية هل تعرفهم وتعرف اساميهم ؟ فقلت له كيف ما بعرفهم فلان وفلان وفلان معينين عند طوب اوسته سي[1] فلان . واقامتهم بمحل الفلاني وبرج الفلاني . فاذ سمع عبد الله باشا هذه التقريرات اعتبر هنا ايها القاري كم مقدار من السرور والحظ والابتهاج استولى على قلبه اذ كان لحد ذاك الوقت منذ ثمانية وثلاثين يوم وثمانية وثلاثين ليلة يفحص ويدقق ويفتش وصار قاطع الامل من اظهار هذه القضية للوجود وكيف باقرب وقت تنوّرت وخرجت من العدم للوجود وكيف انه بواسطة اظهارها انتصر وتأيد على اعدائه وحساده وزالت من قلبه تلك الغياهب المظلمة التي استولت عليه من التقولات المائقة بحقه وتلاشت استعداداتهم الباطلة عليه .

(١) عبارة تركية يراد بها معلم او صاحب المدفع .

وفي الحال نهض مسرعاً الى عند سليمان باشا الى باب السراي . واذ اقبل عليه ووقف امره سليمان باشا بالجلوس . ثم قال له مسرعاً اني ارى في وجهك سروراً . ايش الخبر ؟ فتمنى وقال اي نعم بفضل الله تعالى وبير كة توجيهات انفاسكم قد ظهرت غرماء ابن القبلاوي القاتلين له . فقال ومن هم ؟ اخبرني الكيفية . فاعرض له ما توقع من تقرير حسن عروق باطرافه واسماء الطوبجية وطوب اوسته الخاص بهم وقوناقهم . فالوزير حالاً دعى لعبد الله باشا بالتوفيق واظهر له غاية المحظوظية . وانا الفقير كنت في وقتها واقف بالقرب من مجلس سليمان باشا وسامع كلامه وقد ارتكبت في تلك الساعة امة ربيعة ومضر ووقفوا للفرجة . وامر الوزير حالاً باحضار الطوبجي باشي على وجه السرعة . فتوجهت اربعة قواصة مسرعين جداً وبلحظة عين استحضروه الى امامه . فاذ وقف التفت سليمان باشا بكليته اليه وقال له ويلك يا كلب تحضر الى عندي وتفتح باجوقك وتقول انا مضبوط وطوبجيتي مضبوطين وتحلف وتقسم انه اذا ظهرت على احدهم شبهة تكون انت القاتل . ها ان الخيانة ظهرت من ذقنك ياخاين[1] ... روح احضر هؤلاء الملاعين قوام . والا والله الان بقطع راسك يا كلب يا خاين . فصار الطوبجي باشي يرتعد وتقدم وسجد ليقبل اقدامه فرفسه في صدره . وقال له قم جيب الغرماء يا خنزير . فصار يتواقع ويتذلل ويقول امان افندم امرك على الراس والعين . والتفت على عبدالله باشا وبدا يتدخل بحفظ حرمة وجاق الطوبجية . وبعد جملة تداخيل امره الوزير بان في هذه الساعة الان لازم

(١) حذفنا جملة كبيرة تركية لفحش ما تضمنت من كلام الشتم

تخنقهم وتقتلهم . وانا لا اقوم من هنا الا حتى اراهم خارجين برا البلدة وان تعوقت والله العظيم وحياة راس السلطان اقتلك واقتـل كل طوبجيتك . وارسله بنفرة كاية وصوت عالي . وكنت ترى في تـلك الساعة وجه سليان باشا كانه قطعة غام سوداء .

وحين توجه الطوبجي باشي ارسل في ظهره ستة قواصة يباشروا عليه بقتل الثلاثة انفار وسرعة اخراجهم . وبعد جملة رجاوات تقدمت من الطوبجي باشي عن يد ضبـاط العساكر سمح سليان باشا باخراجهم من البلدة مجرورين من ارجلهم مثل الكلاب الفطايس . وحينئذٍ امر لعبد الله باشا بخنق حسن عروق . وان يخرج من باب الحبس مربوطـاً برجله الواحدة مجروراً على الارض نظير فطايس البهايم لحد مغارة القتلى برا عكا . وانما بعد حضور الطوبجية القاتلين . فحالاً قام عبد الله باشا وامر بخنق حسن عروق وتشليحه وعرف جماعة سكبـان باشي ان يخرجوه مسحوباً كما امر الوزير ورجع الى عند الوزير استقام في محله ينتظر معه خروج المقتولين .

ومن تلك الساعة في كل دقيقة صار سليان باشا يرسل قواصاً يتحوّل على الطوبجي باشي حتى ارسل عليه اثنين واربعين قواصاً . وقبل الغروب بنصف ساعة حضر الثلاثة انفار الطوبجية مقتولين ومحملين في محمل واحد . فاذ وصـلوا بهم الى قبـال باب السراي اوقفوا الطوبجية الحاملين لهم وامروهم حالاً بانزال حسن عروق مسحوباً برجله والعياذ بالله تعالى وهكذا نزلوه من درج الحبس وراسه يضرب على درجاته ومروا به من امام سليان باشا وعبد الله باشا يلعنوه . واذ خرجوا من باب

السراي امر الباشا بان الساحبين لحسن عروق يمشوا به قدام ويتمهلوا بمشيهم . والحاملين الثلاثة انفار يمشوا خلف راس حسن عروق . وهكذا خرجوا بهم بهذه الزفّة الشنيعة والمخلوقات من بني وبني يرشقوهم باللعنات والشتايم الى ان اوصلوهم الى مغارة القتلى . وهناك رموهم فيها وقفلوا بابها ورجعوا . وحينئذ الوزير نهض وتوجه الى حريمه مسروراً مظهراً غاية السرور من همة عبد الله باشا . والمشار اليه توجه لسرايته محظوظاً طرباً بما ناله من التوفيق والاقبال

« سفر سليمان باشا الثاني الى يافا »

في سنة ١٢٣٤ بعد ان وجّه سليمان باشا متسلمية سنجاق غزة والرملة ويافا واللد وتوابعها على ابن اخيه مصطفى بك وارسل له كامل عساكر الايالات ووضعهم بالسناجق المرقومة لاجل المحافظة عليها من شر ابو نبوت كما توهم سمعان الصالح واوهمهم بارائه السخيفة كما قدمنا استحسن سليمان باشا ان يقوم بدائرته ويتوجّه الى يافا لاجل ملاشاة الفسادات التي القاها ابونبوت في الايالة قبل قيامه ولقطع دابر الفساد من تلك الديار وامر بان يتوجه بصحبته المعلم حييم والمعلم حنا عوده كاتب العربي وحالاً حصلت مباشرة الاهتمام بالسفر وباقرب وقت تحضرت كل اللوازم . ونهار الاثنين الواقع يوم ثاني العنصرة في ١٥ شوال سنة ١٢٣٤ ضحى النهار خرج سليمان باشا بكامل دايرته وبصحبته النوبة والموسيقى الكاملة وتقدمته قبل يوم الاطواغ الثلاثة وامامه البيراق والسنجاق وبرفقته خيل اليدكات (المجنبة) وكامل الجمال والبغال محملة الخيام والمهمات .

واما المعلم حييم فاخذ معه كتّاب الدفتر المعلم ميخايل الملك والمعلم يوسف القرداحي . واما المعلم حنا فاخذ معه لكتابة العربي ابنه ابرهيم محرر هذا التاريخ ومؤلفه وخرج عبد الله باشا وكل دايرته للوداع واذ وصلوا الى نهر النعمين قبال عكا وقطعوه للناحية الاخرى نزل سليمان باشا وجلس في خيمته الشمسية وتقدم عبد الله باشا وودّعه ودعا له . ثم تقدمت الحرم اغاسية وودّعوه وكذلك دايرة الباشا . وبعد هذا تقدمت له سفرة الطعام فاكل وشرب قهوة ثم قام ركب وتوجّه الى حيفا . وانتصب الصيوان والخيام للدايرة خارج حيفا الى ناحية يافا فنزل هناك . وعند الغروب تعشى مع كامل دايرته . وبعد المغروب بنصف ساعة انهدّت الخيام وتحملت الى منزلة الطنطورة وكان قد سبق صدور الاوامر من الوزير للشيخ مسعود الماضي تخبيراً له بعزم الوزير على القيام الى يافا ليباشر بتحضير الذخاير اللازمة من شعير ولحم وحطب وخبز وتبن وغير ذلك في المنازل الواقعة من حد حيفا الى ام خالد . ففي حيفا تقدمت الذخاير المحضرة فيها وبعد الغروب بساعة ركب الوزير بكامل دايرته والموسيقى تضرب خلفه والقمر اذ ذاك ليلة بدره والدنيا بغاية الرواقة الى حد منزلة الطنطورة . وفي الليل وصل اليها ونزل في صيوانه والمخلوقات نزلت في خيامها . وتقدمت الذخاير للمطبخ وفي وقت الظهر تفرقت سفر الطعام على ساير الخلايق الموجودة بزيادة عن كفايتها وبقي في الخلاقين قريب نصفها وبقي اربعة عشر خروف مذبوحة مسلوخة ينادوا عليها العيش يا جوعان عدا الروس والمقادم والمعاليق واجواف الغنم الذي انطبخ بعد الذي قد أخذ لاجل طبيخ العشاء . وبقي تل

عظيم من حطب . وغنمت اهل الطنطورة كل تلك الذخاير . وبعد آذان المغرب بنصف ساعة بعد ان جعل الوزير ذاك النهار يوم صفا. انهدّت الخيام وتحمّلت الى منزلة ام خالد .

انما لما توجّه عصرية النهار الامير اخور وسايس باشي ليتسلموا العليق لخيل الوزير من خاصة وعامة قدّموا لهم شعيراً قديماً فما قبلوه وطلبوا شعيراً جديداً فجاوبوهم بعدم وجود شعير جديد . فارسلوا حينئذٍ علماً الى مسعود الماضي لحضر . واذ طلبوا منه شعيراً جديداً جاوبهم بعتاوة نفس جواب فج بعدم وجود شعير جديد غير ملتفت الى عدم محبة كل دايرة الوزير له حتى الوزير نفسه . واوليك مع بغضتهم الكلية لشحه وجدوها نعم الوسيلة فتوجهوا حالاً الى عند الوزير وقالوا له ان مسعود مراده يموّت خيلك باعطائه شعيراً قديماً معفناً . ولما طلبنا شعيراً جديداً قلما يكون لخيل ركوبة افندينا زعل علينا ونفر فينا وطردنا والامر امرك . ونحن لا نقدر نقود الخيل على هذا العليق واذا امرتنا نقطع من معاشنا ونشتري لهم عليق . فحينئذٍ الوزير امتلأ غيظاً وغضباً على مسعود وامر باحضاره . واذ حضر قال له بكل شراسة اخلاق ويلك يا مسعود انا البلاد بلادي والرعايا رعاياي . وانت ايش حدك يا كلب حتى تقول بعطي وما بعطي . كانك تعطي شي من كيسك او تعطي صدقة عنك روح خذ شعيرك وعبيه في ... وانا اذا كان لي بلاد اعرف ادبرها واعرفك حدك او اعمل اكثر من هذا العمل . ثم نفر فيه وطرده من قدامه قايلاً له ان بقيت بالاوردي ساعة اشنقك . فخرج مسعود مرتعداً مرتعشاً بحالة يُرثى لها . واذ انا مقيم بجانب والدي بالجادر

والا مسعود حاضر على وجهه واجلا ووجهه كوجه الاموات . وبحضوره سقط على الارض بجانب والدي قايلا له دخل الله ودخلك يا معلم حنا دخل حريمك . دبرني هذا الوقت وقتك . فوالدي انذهل من هذا المنظر وقال له بلهفة ما بالك يا شيخ مسعود ايش صاير لك ؟ فقال له دخلك يامعلم حنا رحت قتل ظلم انا وقيمك . وحكى له القضية .

فاخذ والدي يلومه على نشاحة طبعه وعدم ملاحظته وقال له مايتين غرش لهؤلاء اكرامية كانت توفر عليك هكذا صاعقة . فقال له صار الذي صار . بحياة اولادك وعيالك ساعدني . فقال له اركب خيالة واستحضر شعيراً جديداً حالا . فقال له ارسلت خمسة خيالة وهذه الساعة يحضروا ووالله لو وجدنا الامس ما كنا قصرنا . قال له والدي وانما الان لازم يوجدوا ولو دفعوا على كل حبة ذهباً . فحالا والدي قام وابقى مسعود بالجادر وتوجه لعند المعلم حيم واحكى له الواقع واخذه وتوجه معه لعند الوزير . واذ دخلوا باسطهم الوزير بالكلام وبعد دقيقتين فتحوا سيرة مسعود فتغير وجهه وتخلق وجزم بقتله . فلاطفوه وتواقعوا عليه وبرهنوا له ان عدم اعطاء الشعير ما كان عن تردد منه كما ظن الامير اخور وسايس باشي . وانما لانه حيث الشعير ما استوى بعد بهذه البلاد إلّا شي قليل في بعض المحلات وهو مرسل خيالة لساير قرايا الساحل لجلب الشعير ولما طلبوا منه العليق قال لهم خذوا الان من هذا الشعير . ولما يحضر الشعير الجديد لخيل الخاصة يعطى لكم . فما قبلوا وانغموا منه . ونحن حققنا جيداً ان خيالته جميعها بالقرايا لاجل جلب الشعير وكان وكان . وحاشى قضية جزئية مثل هذه تكدر خاطر

افنديتا وشالوه وحطوه وقدموا وبعدوا وتواقعوا وتلاطفوا وبالف جهد روقوا خاطره وجعلوه يامرهم باحضاره ·

فوالدي قال لي توجه احضر مسعود · فجريت مسرعاً وبشرته بصفو الخاطر عليه وطابته · فنهض وبدا يهرول واذ هو في الطريق تصادف حضور الخيالة بالشعير الجديد واخبروه بذلك · فقال لهم سلموه جميعه الى السايس باشي ومشي معي الى حد الصيوان فنهض والدي وخرج وادخله معه وقد اخبرناه بحضور الشعير · واذ تقدم وقبل اذيال الوزير اعرض له والدي بحضور الشعير الجديد تصديقاً لما اعرضوه فراق وجهه وصفى خاطره عليه وانصرف هذا الحادث ·

وبعد اذان المغرب بساعة قام الوزير من الطنطورة الى منزلة ام خالد ووصل اليهاقريب الصبح ونزل في صيوانه ونام الى بعد شروق الشمس · فبعد ساعة اقبلت وجوه جبل نابلوس واعيانه جميعهم الى ملاقاة الوزير وبعد الاستئذان دخلوا الى عنده فاستقبلهم بكل ترحيب واجلسهم عنده بكل اكرام وبعده امر لهم بنصب الجوادر والخيام اللازمة لهم ولمن حضر معهم · وفي وقت الطعام والعليق ارسل لهم ما يفيض عن لوازمهم وبقي في تلك المنزلة طول النهار · وعند العصر اصدر مرسوماً لمصطفى بك يعلمه بحلول ركابه في منزلة ام خالد واذن له بالخروج لمقابلته في منزلة العوجاء · وعند المساء بعد ان تفرق الطعام وقطعت الخيل عليقها بعد المغرب بنصف ساعة انهدت الخيام وتحملت الى منزلة العوجاء مع الاغراض والمطبخ · وبعد المغرب بساعة ونصف ركب للوزير التختروان وتوجه لمنزلة العوجاء · ومن هناك تتوارد العساكر

للاستقبال من ساير محلات السنجاق . واذ وصل صباحاً الى تلك المنزلة كنت ترى الخيام منتشرة في تلك البقاع مثل نجوم السماء . وصيوان الوزير الكبير انتصب في راس اعلى التل من تلك الارض في قاطع النهر . وانتصب باقي الخيام لرجال الدايرة والعساكر والمسافرين على ماميدور الصيوان حتى ملأت التل ومنه الى تلك البقاع وحواليه مقدار زيادة عن ساعة زمان طولاً وعرضاً وبدأت ضباط العساكر تدخل لتقبيل اذياله وترجع الى خيامها . وتحملت الذخاير والشعير من يافا الى تلك المنزلة . وفي ذاك النهار حضر الشيخ ابراهيم ابو غوش ومشايخ جبل القدس والشيخ عيسى عمر شيخ مشايخ جبل الخليل ومشايخ الجبل (الخليل) برفقتهم متسلم القدس الذي كان من طرف الدولة العلية وكان اصل وظيفته مابينجي وكان ذا رتبة عالية معتبراً جداً . فاذ حضروا استقبلهم الوزير بكامل الترحيب وامر لهم بالخيام والترتيبات اللازمة . ثم حضر مصطفى بك بكامل دايرته فانحظ الوزير بمشاهدته بزيادة وامر له بالخيام اللازمة له ولدايرته . وكان يوم سرور عظيم وصفاء وكيف لا يوصف . وبقي في تلك المنزلة ذلك اليوم وتلك الليلة . وبعد نصف الليل قام من منزلة العوجاء الى محل يقال له ام حرارة بعيد عن يافا ساعة . ووصل الى هناك قبل ان يلوح الفجر بمقدار ربع ساعة ونزل هناك وارسل امراً بترتيب العساكر وهو ان عساكر الديوان كان[1] الخيالة تركب خيولها . وتمشي الالاي بكل بيارقها قدام الالاي الوزير الى

(١) الديوان كان هم حرس الوزير وهي تركية مركبة من ديوانه ومعناها الباس والشجاعة وكان بمعنى الاصل والصدر فيكون حاصل ذلك العساكر الشجعان .

ناحية يافا وعساكر البيادة تقف صفوفاً على الناحيتين من ذاك المحل الى باب يافا . وفيما بين الصف والصف فسحة طريق لسلوك الاي الوزير وكلما مر على صف واخذوا سلامه يفرغوا بارودهم ويتقدموا الى قدام . وعساكر الهوارة تفرد بيارقها وتمشي بخيلها خلف الاي الوزير وتلعب بالخيل والرماح والسيوف والبارود وكذلك عساكر الديوان كان واما الاي الوزير فرتبه هكذا أمر باخراج ستة عشر كحاية (طقم) مشغولة بالفضة البيضاء والمطلية بالذهب وجميعها حريرية تجر من ظهر الحصان الى الارض مع كامل طواقها المفتخرة المطلية بالذهب وباشلق (راسية) الواحدة بمقدار البطيخة نحو رطلين وعلى ظهورها انوضعت اتراس الفضة المطلية بالذهب وعلى جوانبها السيوف والدبابيس المفضضة المطلية والبسوا منها ستة عشر حصان . ثم امر بان السروجية التي تجرها تلبس بنشات حمر وردي والاميراخور بان يلبس قاووق وبنش قيور وردي بشمسات صرما على صدره وان يركب حصاناً مزيناً ويمشي خلف الستة عشر يدك الماشيين وراء بعضهم بالميزان ويكون الاميراخور بعيداً عنهم مقدار خمسة اذرع فقط . ثم امر بان اغوات الكارلكية جميعها تلبس قواويق وبنشات قيور بشمسات صرما وبخناجرها وتتزين بملبوسها وتتقلد سلاحها وتحمل الرماح بايديها وتمشي خلف الوزير بمقدار اربعين ذراع ويلعبوا بالرماح كل ستة خيالة سوا والبقية يكون مع الدايرة صف بغاية الترتيب بدون ان يتقدم احد . ويكون خلفهم باقي الدايرة والسناجق والبيارق . واما السنجاق الاخضر الكبير الوزيري مع البيراق الابيض فيكونوا محمولين من السنجقدار

والبيراقدار امام الوزير بعيداً عنه بمقدار اربعين ذراع حسب رتبتهم . ومن خلف الاميراخور الموسيقى مع السايسخانة (دواب الحمل) السايرة خلف الدايرة ومن خلفهم بيارق الهوارة . واما الوزير فلبس القاووق على راسه ولبس على بدنه بدلة القصب . وهذه كانت قد حضرت هدية من ملبوس السلطان سليم الى الجزار . وهي قصب على حلها صرما مفتخرة ما لها نظير . وتقلد في حزامه خنجر الالاي الكبير الذي جميعه الماس عال وقبضته كانت بمقدار البرتقالة . وكان في الشمس يلمع كانه الكوكب . وفرد الوزير لحيته البيضاء الطويلة على صدره ولبس السيف المجوهر المفتخر وركب حصاناً احمر عليه سرج جميعه مطلي بالذهب ومشي بكل هدو في الوسط بين البيارق والسناجق ما بين اغوات الكارلكية . ومن فرحه بابن اخيه مصطفى بك قرّبه لجانبه ومشى معه .

فالمعلم حييم اذ شاهد المذكور ماشياً معه ارسل له رجلاً كان قديماً قواص باشي اسمه علي جابي كانت له خدمة قديمة عند الوزير وقال له توجه الى عند مصطفى بك وقل له ما في قانون ان يمشي احد في مثل هذا الوقت بجانب الوزير . فتوجّه ذاك مسرعاً واذ قرب عند البك قال له يا بك يا بك . فالتفت الوزير وسأله ما بالك . فقال افندم المعلم ارسلني اقول للبك كذا . فقال له الحق معه . ثم قال لمصطفى بك ارجع الى خلف وامش مع الدايرة . فرجع وصار سليمان باشا كلما مر على صف من صفوف العساكر البياده يرمي عليهم السلام من طرف سلام اغاسي (بواسطته) . واوليك ياخذوا سلامه ويفرغوا بارودهم ويسرعوا من غير ناحية الى قدام .

وخرجت العلماء من قضاة ومفتين ونقباء ومدرسين وايمة من اهالي يافا وغزة والرملة واللد والمجدل حاضرين للاستقبال . وكلما وصل منهم ناس ينزلوا عن خيلهم ويدخلوا ما بين عساكر البياده ماشين فيقف الوزير لحضورهم واذ يصلوا القدامه يقبلوا ركابه ويرجعوا فيامرهم بالركوب ويرجعوا لخيولهم يركبوا او يحضروا الى بين الدايرة . وتواصل قدوم المخلوقات من ذاك المحل الى باب يافا عدا العلماء اعيان البلدان واختياريتها واوادمها .

فاذ وصل الى قدام باب يافا كنت ترى هناك منظراً مبهجاً كون عساكر الديوان كان وعساكر الهوارة من قدام موكب الوزير ومن خلفه وعساكر البيادة من جوانبه وقد خرس صوت البارود بين ايديهم لانك كنت ترى لميعه فقط من دون ان تعرف بين صوت وصوت بدون انقطاع ولعب الخيالة بالرماح والسيوف من قدام ومن خلف والوسط من اغوات الدايرة كانهم الشواهين الكاسرة مما يكل عنه الوصف . والوزير في الوسط راكب كانه ملاك بلا مثل . وهيئته وقيافته وبهجته مالية قلوب ساير هذه المخلوقات . حتى كنت ترى ان الارض والجبال والاحجار فرحانة مبتهجة . فاذ وصل الى عند باب يافا صعدت العساكر المرتبة لمحافظة يافا واصطفت جميعها على الاسوار وبدأت تضرب بارود بالتواصل وبدأت الطوبجية تضرب المدافع وفي تلك الساعة انصمت الآذان عن السماع . والمخلوقات من نساء ورجال وبنات واولاد مالئة البراري والاسوار حتى انه ما بقي احد من المدينة ضمن البيوت لا كبير ولا صغير حتى الغالب من سكان الرملة

والبلد والقرايا المجاورة حضروا قبل بيوم لاجل الفرجة . وكان دخول الوزير الى يافا فريداً ما سبق مثله ولا لاحد من ملوك الزمان . وبقي ضرب المدافع والبارود يشتغل من العساكر خارج المدينة ومن داخل المدينة على ما يدورها الى بعد دخول الوزير الى البلدة بثلاث ساعات .

ونزل الوزير بدايرته الخاصة في سراي ابو نبوت . واما باقي الدايرة فانوضعت في محلات بالقرب منها وجلس الوزير في ديوانه وبدأت المخلوقات تتوارد لاجل السلام عليه . واما المعلم حييم فنزل بالسراي واخذ اوضتين لاجل اقامته مع خدمه وتدوير اشغاله . واما المعلم حنا فنزل هو وابنه والمعلمين كتاب الدفتر في دير الافرنج . وكانت سفر العشاء تتوجه لهم من مطبخ الوزير الى الدير عند المساء وعند الغداء تتوجه الى السراي . وقد أعطوا المعلم حنا اوضتين مفروشتين الواحدة لاجل اقامته واقامة ولده ومن يحضر لعنده وواحدة للخدامين . ونترك الان غلاقة الشرح ونرجع الى غيره مما حدث في تلك السنة وبعده نرجع الى هذا .

﴿ حضور اكوب ورتبت ﴾

في سنة ١٢٣٤ قبل توجه سليمان باشا الى يافا بمقدار ستة ايام حضر من الاستانة العلية اكوب ورتبيت وبيده امرين ملوكي وعليهما توقيع شريف ملوكي باسم سليمان باشا بمسك شخصين ورتبيات من ورتبتية الارمن بالقدس وارسالهم الى الاستانة لاجل ترتيب جزائهم بالقتل حسب الخيانات التي قدم الشكاية عليهم بها اكوب ورتبيت وان يكون

ارسالهم الى الاستانة بالحفظ عن يد سليمان باشا . وقد التمس من الوزير امرين بموجبهم فتحرر على موجبهم مرسومين الى القدس بختم الايالة ودفع على كل مرسوم بامر الوزير الف وخمسماية غرش للمعلم حنا عورة رسوم المهردارية حيث الرسوم المذكورة كان دايماً منعم بها الوزير على المعلم المذكور بساير المراسيم التي تصدر من ديوانه حيث هو كان يختم المراسيم بالختم الكبير . وقد توجه بالاوامر سرعة قبل قيام الوزير من عكا بيومين .

فبطرك الارمن بالقدس اذ بلغه ذلك اخفى حالاً الشخصين المطلوبين وهرّبهم وقدم حالاً الاعراض الى الباب العالي بتكذيب شكاية اكوب ورتبيت والمحاماة عن الشخصين وتبريرهم والتمس العفو عنهم وبموجب ذلك حرّر الى بطرك اسلامبول . وبوصول الاعراضات انقلبت الدعوى وحصل عنهم العفو وصدر الامر الملوكي بقطع راس اكوب ورتبيت وضبط الاموال الكلية التي اختلسها من مال دير الارمن بالحيلة . وصح من اخذ له علم بهذا الامر الملوكي من اصحابه وحالاً سير له تاتار خصوصي واخبره به سراً . فاذ وصله الخبر[1] وتحقّق انه صار غريم لبطرك الاستانة وبطرك القدس ولكامل من يقول بقولهم وصدر الامر بحقه جمع ما يخصه وقام خفية من القدس وحضر الى بيروت واستقام فيها مختفياً وشلح عنه ثياب زي الورتبيت ولبس زي العوام وسمى نفسه يعقوب اغا[1] وصار يتردّد على يوسف مسعد من تجار بيروت وبعد مدة تزوّج ابنته وتداخل مع بطرس ابوت قنصل

(١) هو يعقوب ابيكاريوس والد اسكندر وحنا ابيكاريوس

الانكليز في بيروت وبلاد سوريا ودخل في مذهب الانكليز . والمذكور اعطاه الحماية وحماه عنده . وبعد مدة وجه عليه وكالة الكنشلارية في صيدا . وارسل اخذ له مراسيم من عبد الله باشا بتأييد وكالته . وعبد الله باشا اذ كان حضر له الامر الملوكي بقتله بعد وفاة سليمان باشا وعرف انه احتمى عند قنصل الانكليز صرف النظر عن انفاذ الامر وتركه . ولما طلب منه ابوت مراسيم وكالة صيدا امر بها وحضر يعقوب استقام في صيدا وبقي فيها الى وفاة ابوت فرجع لبيروت واستقام بعياله واولاده بحماية الانكليز وكان محبوباً منهم وعمر داراً في بيروت وسكن فيها وبقي فيها الى حين وفاته وترك اربعة اولاد ذكور اثنين واناث اثنين .

﴿ حضور المطران زخريا والاوامر السلطانية التي بيده ﴾

في اوائل هذه السنة ١٢٣٤ حضر زخريا مطران طايفة الروم غير الكاثوليك في عكار من طرف سيرافيم بطرك طايفة الروم بالشام وصحبته فرمان ملوكي (١) باسم سليمان باشا يتضمن توضيح الشكايات الافكية المتقدمة من بطاركة اسلامبول والشام بحق طايفة

(١) لم نجد لهذا الفرمان صورة او اثراً اصلاً على ان عندنا غير نسخة من فرمان بهذا الشان باسم البطريرك نفسه بتاريخ سنة ١٢٣٥ . ونظن انه لم يكن بيده عند دخوله في هذه الدعوى سوى البرآة السلطانية بالبطركية بدليل قول المطران وكيله في المحاكمة « دعواي هذه البرآة » ولم يزد . وعدا هذا فان الفرمان الصادر سنة ١٢٣٥ ليس فيه ادنى اشارة الى هذا الفرمان السابق له بقليل وكان حقه ان يذكر فيه كما ذكر فيه ما سبقه من الفرمانات بهذا الشان .

الكاثوليكيين الروم الملكيين وخروجهم من طاعتهم واتباعهم طائفة الافرنج . وانهم اخذوا جملة كنايس من كنايسهم التي من جملتها كنيسة صيدا . وانهم تعدوا على حقوقهم المفروضة لهم على الرعايا . وحسب التماسهم صدر الامر الموكي بكل تشديد بان تتخلص الكنائس من يد الكاثوليكيين وتعطى لهم وكذلك يلزم طايفة الروم الكاثوليكيين بان يعطوهم عوايدهم على الاكاليل والجنازات والعمادات وغير ذلك . واحضر المطران زخريا صحبته مكاتيب الى المعلم حييم من البطرك المذكور ومن اخوته وابن عمه سلمون توصية بمساعدة المطران وانفاذ الامر الملوكي . وبوصوله الى عكا توجّه الى عند حييم واعطاه المكاتيب واطلعه على الامر واخذ منه وعداً بزيادة المساعدة بانفاذه حرفياً وهو عزم على ذلك . فاذ بلغ طايفة الكاثوليك ذلك اضطربوا من هذا الامر . وكان في وقتها موجوداً في عكا الخوري سابا كاتب الذي كان يومئذٍ رئيس عام[1] دير المخلص . وكان حييم يحبه جداً جداً نظراً لفصاحته وانفراده بالعلوم .

---

(١) اذا تحرّينا الدقة بهذا الشان يجب ان نقول ان الخوري سابا كان قد اعتزل الرياسة العامة في اوائل ايلول سنة ١٨١٨ بعد قضاء عقدين او مجمعين مدة ست سنوات . ثم اعيد انتخابه للرياسة العامة سنة ١٨٢١ وكان في خلال ذلك مدبراً وسافر الى عكا في سبيل المدافعة بدعوى كنيسة صيدا التي كان يهم امرها كل طائفة الروم الكاثوليك ولا سيما دير المخلص انفوذ كلمته وعلو منزلته عند ذوي الشان في عكا ولبنان . وكان لا محالة له يد تذكر وتشكر في سبيل نجاح هذه الدعوى كما هو مشهور وان حاول المؤلف رحمه الله ان يبخسه حقه ويقلل من قدر عمله .

﴿ الخوري سابا الكاتب ﴾

وهذا الخوري سابا اصل والده روم وكان مقيماً في صيدا واصله من طرابلس ووالدته كانت كاثوليكية .[1] وكان الخوري سابا هذا في زمن عاميته وشبوبيته يتصرَّف تصرُّفاً غير ممدوح بسلوكه وملبوسه . وعدا ذلك كان يكره طايفة الكاثوليك كراهية عظيمة بهذا المقدار حتى انه اذا نظر في طريقه رجلاً كاثوليكياً ماشياً عن يمينه يدفعه ويلزمه بان يمشي عن شماله . وكان يتظاهر بشتيمة الكاثوليكيين بغير خوف حتى انه لما كان يدخل الى الكنيسة ويجد قداس الكاثوليكيين يجلس على الكرسي ويلتفت بوجهه نحو النساء ويصير يظهر الاحتقار والضوضاء بضرب رجليه على ارض الكرسي ودندنة الغناء[2] وما احد

(١) اسم والده نقولا . واسم جده سابا حمصي الاصل . وكان نقولا كاتباً في ديوان ايالة طرابلس ثم في صيدا حيث تزوج وولد له سابا المذكور الذي هو صيداوي بمولده ونشأته وامه وان لم نعرف اسمها ولا اسم اسرتها لكن نظن انها من بيت منسى .

(٢) كنيسة مار نقولا القديمة جدَّد بنيانها الطيب الذكر المطران افثيميوس صيفي بماله الخاص بموجب حجة شرعية سنة ١٦٩٠ محفوظة عندنا فهي كاثوليكية محضة براعيها ورعيتها لان المطران المذكور جعل كل الروم في ابرشيته تابعين الايمان الكاثوليكي غير ان مخائيل وبطرس السكروج اخاه اذ كانا في اوج عزهما كتاباً في ديوان الجزار التمسا ونالا ان يكون الروم غير الكاثوليك الذين يترددون الى صيدا مذبح من مذابحها الثلاثة يقدس عليه الكهنة الذين يأتون بهم من خارج . واذ لم يكن لهم حينئذ كاهن ولا رعية في صيدا لبثت الكنيسة بدون حاجز يفصل الفريقين الى ان جاء اليها واقام فيها البعض من فلسطين ومن وادي التيم فصاروا يأتون بكاهن من خارج صيدا . ولسبب عدم وجود حاجز يفصل الفريقين في الكنيسة كان يقع فيما بينهم بعض المخاطرات والمنازعات الى ان قام فيها الحائط الفاصل سنة ١٨٥٠ بامر الحكومة .

٣٨ سليمان باشا

يقدر يتكلم معه لكون والده بخدمة وزير صيدا ومتقدماً عنده .

واذ كان بهذا التصرف المنحوس المعلوم عند الجميع كما ان كراهيته لساير جنس الكاثوليك معلومة في احد الايام استاذنت والدته من والده بالطلوع الى دير المخلص لاجل التبرك بزيارة الدير وزيارة احد اقاربها الرهبان فيه اذن لها وتوجهت مع اتباعها واستقامت مدة كم يوم . فولدها سابا المذكور افتكر بان يتنزه واستحسن بان يتوجه الى دير المخلص ليحضر والدته وقصد بذلك اولاً شم الهواء بالذهاب والاياب ثانياً اظهار كراهيته لاقامة والدته في الدير زيادة عن ثلاثة ايام ولكون طلوعها ما كان بارادته لكراهيته الطبعية للرهبان ثالثاً قصد ان يكدرهم باي وجه اتفق له محتسباً ان ذلك جهاد ممدوح له . فاذ توجه ووصل الى الدير وبات تلك الليلة اصبح ثاني يوم متلاشياً منه كل تلك الافكار والعزمات والحركات الردية . وثالث يوم تجهزت والدته للرجوع الى صيدا وطلبته ليتوجه معها فما قبل وطلب منها ان يبقى في الدير . وتركته في الدير ونزلت وما امكنها اغتصابه معها نظراً لمعرفتها حاله . واذ سالها والده عنه اخبرته بانه بقي في الدير . وبعد كم يوم ارسل طلبه خايفاً ان يكون باقامته في الدير مستعملاً مع الرهبان تلك الاطباع الفظة الغليظة ومخجولاً بنفسه منهم خصوصاً لما علم بالاكرام الذي تقدم منهم لامراته مدة اقامتها . فجاوبه سابا بالرفض والاعتذار عن النزول . وثالث يوم ارسل طلبه حتماً فجاوبه بكتاب خصوصي ان نزوله من الدير صار امراً مستحيلاً وانه عزم في هذه الجمعة ان يدخل في صف المبتدئين في الرهبانية . فوالده اذ لم يصدق ذلك بجملة وجوه نظراً لمعرفته بحال تصرفه المشهود

ارسل يطلبه ثالثاً فجاوبه بانه بموجب استئذانه الاول منه دخل في طغمة المبتدئين واختار العيشة الرهبانية[1] . واوضح لابيه انه من المستحيل خروجه من الدير . فاذ تحقق والده هذا حينئذ غاب عن الوعي والصواب من الانذهال والغم . فالانذهال لاجل هذا الامر المستغرب وقوعه كيف حصل بغتة بدون ان يتقدمه سبب له . والغم لاجل انه كان وحيداً له وكان عازماً في اثناء ذلك على زيجته وكان يستحضر عليها . وما ساعه الا ان قام حالاً وتوجه الى دير المخلص ليعمل تدبيراً موافقاً لهذا الامر . وبوصوله اذ بلغ ذلك سابا اختفى عن وجه ابيه وما حضر لعنده . واذ طلبه المرة بعد المرة وما كان يحضر ترجّى الرئيس العام ان يامره بالحضور . واذ امره الرئيس بقوة الطاعة المقدسة حضر ودخل على والده بغاية التواضع والذل مغيّراً اثوابه وحالته تغييراً هذا حده حتى ان والده لما نظره هكذا تقلقلت واضطربت حواسه من التعجب فادناه اليه وجعل يتكلم معه ويسايره وبعد جملة معالجات حتى كلَّ لسانه ما استفاد شيئاً واستقام اربعة ايام وصرف كل جهده في سبيل ذلك وما استفاد . واذ وجد ان رجوعه امر مستحيل رجع الى صيدا بغاية التعجب ممجداً الله . ووالدته من الناحية الواحدة كانت تبكي على فقده وعلى فقد فرحها به وبعرسه ومن الوجه الثاني كانت فرحانة بكل قلبها مما انعم الله به

---

(١) دخل سابا دير المخلص سنة ١٧٧٢ وبعد ان قضى في الابتداء سنة واحدة لاغير ابرز نذوره الرهبانية في ١٤ نيسان سنة ١٧٧٣ . وفي اول تشرين اول سنة ١٧٧٥ ارتسم شماساً في كنيسة دير المخلص وفي ١١ شباط سنة ١٧٧٨ ارتسم كاهناً في كنيسة مار توما في صور بوضع يد مطرانها برثانيوس لوجود والدته واهله هناك .

عليه بهذه النعمة الخصوصية الفائقة .

واستمر سابا في الرهبنة . وبعد ان تمم كامل الفرايض اللازمة والسنن المعروفة صاروا يرقوه بالدرجات الى ان صار كاهناً وقد صرف جهده بدرس العلوم . واما علم النحو فقد تعلمه اذ كان عامياً عند الشيخ يوسف الحر من علماء جباع وتممه مع علم الصرف والاعراب والمنطق عند الشيخ احمد البزري .[1] وبعد ان صار كاهناً التمس الاذن وسافر الى رومية[2] ودخل مدارسها وتعلّم علم اللاهوت الادبي والنظري وعلم الهندسة والفلسفة والفلك وصرف جملة سنين حتى بلغ ساير العلوم بكل اتقان وتمم علم المنطق وتعلّم اللغات اللاتينية والفرنساوية والطليانية واليونانية على قواعدها كاتباً قارياً متكلماً .

وانا الفقير سمعت من فمه مراراً قال لي انه لما كان في رومة يدرس علم اللاهوت كان المعلم الذي يدرس عنده كل يوم ساعة ونصف مقيم في

---

(١) الشيخ احمد البزري عالم وفقيه مشهور من صيدا تولى فيها الافتاء ثم تولى القضاء في لبنان على عهد الامير بشير الكبير ومات سنة ١٢٣٤ فرثاه تلميذه المعلم بطرس كرامة بقصيدة عامرة منشورة في ديوانه المطبوع صفحة ٢٣٨ مع تاريخ لضريحه .

(٢) لم نعلم متى سافر الاب سابا الى رومية . لكن وقفنا على رسالة من الاب العام القس انطون الجمال الى وكيله في رومية بتاريخ ٣٠ ايلول سنة ١٧٨٦ يسمح بها للاب سابا بالبقاء في رومية سنتين لاتمام دروسه حسب طلبه وطلب الاب الوكيل وطلب الكونت انطون فرعون . ويظهر من مضمون هذه الرسالة ان الاب سابا سافر الى رومية في مدة رياسة الاب مرتينوس خليل باجازة البطريرك ثاوضوسيوس الدهان نحو سنة ١٧٨٢ .

محل بعيد عن محله ثلاث ساعات [1] وكان يلتزم يومياً ان يمضي الى عنده ماشياً ليتعلم بالساعة والنصف المعينة له صيفاً شتاءً بدون انقطاع . وفي ايام الشتاء والثلج لا يمكنه يتعوّق عن الوقت المعين حتى انه كان يقف في الطريق جملة مرات من ثقل الثلج الذي كان يتعرم فوق قلنسوته حتى تغوص براسه الى تحت عينيه وينفض عنها الثلج زيادة عن العشر مرات . وقد احتمل مثل هذه المشقات الجسيمة وصرف جملة سنين حتى بلغ غايته باكتساب واتقان العلوم ورجع مزيناً بها . الا انه وُجد محروقاً من السوداء التي كانت استولت عليه بحصر افكاره استولت عليه جملة امراض حتى اصابه ايضاً داء الفالج الذي عطل وارخى الشقة الواحدة من جسمه . نعم انه شفي وصار يستطيع المشي الا انه كان مشيه ضعيفاً وبقي هكذا كل زمن حياته . وكان رجلاً لطيفاً بمعشره عريض اللسان بتكلمه فصيحاً جداً ومنطقه لا يوجد اجمل منه ولا مثله وكان يشمئز جداً جداً من ادنى كثافة . ولا يحب الا معاشرة اللطفاء والظرفاء اصحاب الذوق والفهم وكان يكره بما لا يوصف قليلي المذاق والتربية وقليلي الفهم وما يأبى تخجيلهم . وكان في ايام الصيف لما تغلب

---

(١) لا يخلو هذا التقدير من مجازفة ومبالغة . على اننا لم نجد للاب سابا ذكراً في سجلات مدرسة مجمع انتشار الايمان ولا في سجلات مدرسة القديس اثناسيوس حيث كان يدرس رهبان دير المخلص عادة . ولعله كان يتلقى دروسه في المدرسة الجرمانية التي ادارتها بيد الآباء اليسوعيين وهي ابعد المدارس عن دير القديس كيرلس الاسكندري خاصة رهباننا في شارع Longara حيث كان يقيم سابا . وربما كان يأخذ درساً لدى استاذ خاص في احد الاديرة والله اعلم .

عليه السوداء بزيادة حتى ما يعود له طاقة للاحتمال يدخل غالب الايام الى مخدعه ويقلع اثوابه جميعها ويصير يكب على راسه الماء البارد . وكان هكذا يصرف اياماً بجملتها على هذا المنوال . وكان محبوباً من ساير الاكابر اصحاب المراتب . وكان اذا توجه للاقليم المصري يقبلوه كانه ملاك الله خصوصاً المعلم غالي عزيز ذاك الاقليم بوقتها (١) والخواجا باسيلي نخر قنصل دمياط (٢) وعزيزها وكان هذا روم المذهب وذاك قبطي كاثوليكي . وكان يجني للدير اموالاً وارزاقاً جزيلة .

ومع هذه العلوم التي حصلها مرض السوداء العظيم الذي استولى

---

(١) كان المعلم جرجس غالي المذكور ديناً تقياً ذا غيرة على جميع الكاثوليك ومن اعظم رجال الخير في مصر وقد جعله محمد علي باشا على الضرائب وجبايتها في مصر وارياقها واذ نفذت كلمته وكثر غناه وكثر اتباعه من الاقباط الكاثوليك كثر حساده من الاقباط غير الكاثوليك وكثرت وشاياتهم به حتى قبض عليه محمد علي باشا وعلى اخيه فرنسيس وخزنداره سمعان واستصفى اموالهم والقاهم في السجون وعذبهم كثيراً ليقروا له على اموالهم حتى ماتوا من شدة ما قاسوا من العذاب بضرب الفلق وغيره .

(٢) كان باسيلي نخر من اشهر تجار دمياط ثروة وجاهاً وكرماً وعلماً . وكان يحسن اليوناني والايطلياني والفرنساوي والتركي كالعربي وله في العربي بعض مؤلفات دينية جدلية . وباقتراحه الف الاب سابا رسالته في سر تثليث الاقانيم والتجسد المطبوعة في اول رسائله وقد حذف الطابع مقدمتها التي يقول فيها « سألني بعض الخلان المنعوت بجميل الصفات والفخر جناب الماجد الخواجا باسيلي نخر » . وكان قنصلاً لدولة فرنسا في عهد نابوليون بونابرت الذي تعرف به مذ كان في مصر واهداه خاتماً كريماً . ولما ولد ابنه ملك رومية اقام له في دمياط عيداً عظيماً اشترك فيه كل النصارى واقام الاب سابا قداساً حافلاً ختمه بخطاب بليغ بذكر مآثر الرجل العظيم ودعا له ولابنه وقد حضره باسيلي نخر باثوابه الرسمية .

عليه ما قدر في مدة حياته ينفع احداً من علومه ولا صنف سوى كتاب واحد يسمى رسالة النفس الناطقة قد اودع فيه من ساير العلوم التي عنده و كراسية صغيرة فيما يخص الثالوث الاقدس فقط[1].

فهذا نظراً لحاله هذه كان المعلم حييم يحبه ويوده جداً ولازم في كل سنة يرسل يطلبه اذا كان في دير المخلص ويستحضره الى عكا وفي كل ليلة يتوجه الاب سابا الى عنده بالسهرة ليتنادم معه ويتنعم بمعاشرته وكان يصحب معه الخواجا طنوس القنواتي من تجار عكا. ومن هذا التردد صار للخواجا المذكور نوع محسوبية على حييم.

واذ بلغ الخوري سابا حضور الاوامر مع المطران زخريا سألوا في احد الليالي حييم عنها فافهمهم مفادها. واذ سالوه كيف يتحسن رايه بخصوصها اجابهم بانه لا بد من انفاذها بالتدقيق. واذ قدموا له الرجا والتواقع بمنع ذلك وما صار فايدة قاموا في تلك الليلة من عنده على غير استوآء (رضى). وثاني يوم اخبروا باقي الكتّاب والطايفة فحصل الغم عند الجميع والزموهم للتكلم معه ثانياً. وفي تلك الليلة راجعوه بهذا الخصوص واستعملوا ساير وسائل التذلل والخضوع. وذكروه بضعف طايفة الكاثوليك وانها من القديم مختصة به وبوالده وبعيلتهم وجميع هذا ما افاد. واقنعهم بانه غير ممكن الا انفاذ الامر. وكذلك ثالث ليلة ورابع ليلة راجعوه. وفي رابع ليلة قسّى لهم الكلام والمشرب حتى التزموا السكوت فالطايفة اذ سمعت ذلك اضطربت.

---

(١) بل له غيرها تاليفاً وتعريباً لم تصل الى المؤلف وقد طبع قسم منها في بيروت سنه ١٨٧٩ بعنوان الرسائل الجلية لا يسعنا وصفها ولا ذكرها كلها هنا.

وفي احد الايام اذ كان الخواجا طنوس القنواتي عند والدي المعلم حنا وعمال يتذاكر معه بهذا الخصوص وفي كيف يكون العمل اذ لحد ذاك الوقت ما كان والدي متظاهراً بشيء بهذا الخصوص وتاركاً الشخصين ان يتكلموا كما يريدوا حيث كانوا يوروا الخلق انهم عند المعلم حييم جزءاً عظيماً. في وقتها انا واخي ميخايل صرنا نتكلم بنوع الغيرة موردين ان هذا الامر لا يتم ابداً. وان هذه الجبانة الواقعة لا تنفع بحق الطائفة ولازم عمل تدبير موافق لعدم انفاذ هذا العزم. لان السلطان لا يسمح باعدام رعاياه لاجل اعراضات كاذبة تقدمت له. ويقدر الوزير في كل وقت يعرض عنها ويوضح كذبها. وايش هذا السكوت لانه من المعلوم اذا حضر احد يضربني وما منعته يميتني. وكلام مثل هذا. فحالاً طنوس القنواتي بدأ يولول ويخبط بيديه على وجهه وراسه ويقول بالله عليكم لا تروحونا بعنفوان جهلكم. نحن ناس ضعفاء ما لنا قدرة. انتم لستم عارفين الواقع. نحن عارفين الجوانية. يابو مخايل من شان الله تعالى امنعهم ولا تدعهم يرمونا في بلاء. نحن صار لنا اربعة ايام نتواقع على المعلم حييم واخيراً جاوبنا كذا كذا. فوالدي بوقتها ضحك على عقله وما جاوبه. ونحن جاوبناه بان حييم ليس هو افندينا ولا ملكنا والسلام.

﴿ امر ما كان سابقاً ﴾

وهذا الامر الوارد صحبة المطران زخريا الان كان قد ورد سابقاً في سنة ١٢٢٦ لما كان سليمان باشا والياً في الشام وكان هناك وصحبته المعلم

حيم ووالدي المعلم حنا . فبوقتها بطريرك الروم بالشام ارسل استجلب هذا الامر وبحضوره ليده اجتمع في حيم ودفعه له والتمس منه اوامر من الوزير بموجبه فالمعلم حيم في وقتها حذراً من والدي ما امكنه يوافق البطريرك على مرغوبه وابقى الامر عنده وثاني يوم اجتمع بوالدي واعطاه الامر فاذ قرأه اظهر الغم وقال له ايش المقصود من اعطائك لي هذا الامر ؟ هل تريد جنابك تساعد البطرك على انفاذ هذه الدعوى الكاذبة ؟ هذه دعوى من اصلها ما لها صحة . وهذا الامر الشريف صدر على موجبها . ومن المعلوم ان الفتوى على قدر النص . فانا اترجى افندينا ان يأمر بالفحص عن الدعاوي المبني عليها هذا الامر . فان كانت صحيحة فيجري مفاد الامر وان كانت غير صحيحة فيجاوب على الامر بما يحققه عنها . وعلى كل حال افندينا امين على رعاياه ولا يقبل البهتان والاكاذيب . يامعلم هذه طايفة وهذه رعايا لا يخربوا بالهين لاجل خاطر البطرك وترويق اكاذيب اعراضاته .

فاذ لحظ حيم من والدي الغيظ والعزم على المقاومة قال له لماذا زعلت ؟ انا اعطيتك الامر لكي تطلع عليه فقط . وتربة ابي عندي خاطرك بألف بطرك . ومن الان اذا سمعت ان هذا الامر ظهر فلك علي حق العتب . وانصرفوا مع بعضهم وهكذا ارضى خاطر والدي . وفي تلك الليلة استحضر حيم البطرك الى بيته وارجع له الامر . وقال له خذه واخفيه ولا تظهره لانه غير متفق نفوذه حيث افندينا لا يفوت خاطر كاتبه المتقرب اليه ويخرب طايفته لاجل هكذا اعراض كل الخلق تعرف انه افكي عديم الصحة . وان اظهرته وما سمعت مني فلا

تقدر تنفذ فيه بل تفشل . وهذا حدّ ما عندي قلته لك بوجه النصيحة . واخيراً تعاهدوا بان لا يدعوا والدي يعرف .

حينئذٍ البطرك اخذه وتوجّه . وثاني يوم ارسل علم لوالدي بانني في هذه الليلة مرادي احضر لعندك في السهرة فتأهب له والدي بكل ما يجب له من التكريم . وانما استعد لمقاومته اذا فاتحه بهذه الدعوى . فالبطرك اظهر لوالدي كمال الحب واللطف وعاتبه بروح المحبة واظهر له الممنونية وترجاه بالتوجه لعنده ليفتخر به واكد له محبة البنوة . وبعد استعماله ساير صنوف البوليتيكات توجه . وثاني يوم ارسل هدية لوالدي صندوق شمع كافوري ابيض وصندوق صابون ممسك وطاقية جشكلى هندي وساعة ذهب . وامر خدامه ان لا يقبلوا شيئاً من والدي اذا اراد ان يعطيهم بخشيش بل يضعوهم ويرجعوا سريعاً وهكذا فعلوا . وبقي هكذا يتردّد على والدي بكل جمعة مرة ويلاطفه ووالدي يتوجّه لعنده الى حين رجوعه لعكا وذاك الامر انطمس خبره كلياً فلما توفي ذلك البطرك[1]

---

(١) كان في سنة ١٢٢٦ ه (١٨١١ م) بطريركاً اثناميوس او اثيموس القبرصي . وخلفه سنة ١٨١٣ سيرافيم المشار اليه . ونظن ان المراد بالاوامر السلطانية نفس البرآءة التي يعطيها الباب العالي للبطريرك بتقرير البطريركية له وخضوع كل الروم لامره ضمن حدود بطريركيته حسب انهاء بطاركة القسطنطينية الذين كانوا يستمدون هذه البرآءة لكل بطاركة الروم بدون استثناء الروم الكاثوليك منهم فكان هؤلاء يُعدون حكماً بموجب ذلك من رعيتهم هم وكهنتهم ومطارنتهم . ومن ثم كانوا يعاملونهم معاملة الحاكم بامره اذ يضطرونهم الى دفع الرسوم لهم كانهم رعيتهم ويوجبون عليهم الصلاة معهم جبراً وكرهاً ويستولون على كنائسهم الخاصة بهم .

وقام غيره الموجود يومئذٍ استحضر المطران زخريا وارسله به الى عكا كما قدمنا .

عود : واما طنوس القنواتي فقد قام بعد حصة من عند والدي وتوجه . والمعلم حييم بقي على عزمه . وبعد يومين أطلع عليه سليمان باشا وترجاه بانفاذه . واذ كان المطران زخريا يطلب بوقتها اولاً تسليم كنيسة صيدا صدر الامر لمتسلم صيدا تخبيراً بالامر الملوكي الوارد مع المطران وطلبه الدعوى على الكنيسة وان يامر طائفة الكاثوليك بان يوكلوا من يختاروا ويرسلوا الوكلا لاجل روية الدعوى مع المطران في عكا . والطائفة في صيدا حسب الامر وكلوا اربعة اشخاص منهم وارسلوهم الى عكا وبحضورهم امر سليمان باشا برؤية الدعوى فيما بينهم بالوجه الشرعي بحضور القاضي في السراي وجعل عبد الله باشا نائباً عنه في المجلس وامره برؤية الدعوى بينهم بحسب وكالته عنه . فثاني يوم حضر القاضي للسراي وجلس في مجلس خصوصي قبال ديوان الوزير ونهض عبد الله باشا وجلس وكيلاً عن الوزير وحضر المطران وجلس بجانب القاضي والوكلا الواردين من صيدا وقفوا في المجلس وانفتحت الدعوى .

فاولاً انسأل المطران فابرز البرآءة التي بيده وقال انا دعواي هذه البراءة . فاذ تليت قالوا له : وماذا تريد الان؟ قال اريد كنيسة صيدا . هذه لنا والكتالكة قد اخذوها بالسرقة منا .

فسال القاضي الوكلا عن هذه الدعوى . واذ ارادوا ان يبرهنوا عن صحة تملك طايفة الكاثوليك لها عارضهم المطران وقاطع كلامهم بالصراخ والتكذيب ووقف قايماً والبرآءة بيده وقال هذه البرآءة اصدق منكم .

فاذ ارادوا ان يكملوا قولهم نفر فيهم القاضي وقال اسكتوا يانصارى خلونا نسمع . اقعد يامطران ايش تقول ؟ وصار يسمع له وصار ذاك يتلاشق ويعدد ان هولآء ناس كذابين مزورين . وهذه كنيستي وهولآء حرامية اخذوها بالسرقة . فقال القاضي فهمنا ولكن بدنا اولاً نسالهم عن دعواهم بها وبعده يظهر الحق . انت استريح . ثم قال لهم القاضي ايش هذا الشلش؟ الظاهر انتم سكرانين وحاضرين لهنا وما عمال تعرفوا ايش تقولوا . ما تحكوا دعواكم من اولها ؟ فقالوا ياسيدنا قد حكينا والمطران قاطع علينا . وها نحن نرجع نعرض لك . ورجعوا من الاول . واذ تقدموا بالكلام لحد جوهر البرهان نهض المطران قايماً وبدا يصرخ ويكذبهم كالاول . واذ ارادوا ان يقاوموا تكذيبه نفر فيهم القاضي وقال لهم اسكتوا يانصارى . اقعد يامطران واحكي . فقعد وبدا يحكي حكيه الاول والقاضي مال نحوه وصار يسمع له واعرض عن الصيادنة وصاروا واقفين كالمجرمين مقطوعين من رجاء المساعدة . وبعد ان استوعب القاضي كامل ما تحسن ان يتكلم به المطران باي وجه كان طمنه امامهم ولاطفه . ثم قال للصيادنة احكوا . بدنا نخلص منكم . فاذ بدوا يتكلموا اظهر نحوهم الزعل وبدا يصيح عليهم ويشتمهم ويقول قد بلينا والله بمحنة مع هؤلاء السكرانين . ولا اعرف ايش يقولوا حتى نفهم دعواهم . وغير ذلك من اقوال كسر الخاطر . ثم ان عبد الله باشا ساعده بنوع ما وانما ليس نظيره . فصار الصيادنة يترجوا بان يرحمهم ويطيل روحه حتى يخلصوا كلامهم . واذ بدوا يتكلموا نهض المطران حالاً كعادته والقاضي ايضاً حسب عادته

وصار يقول لهم اسكتوا يانصارى والله انكم اوجعتم روسنا من غير فايدة . احكي يامطران . وهكذا كان لتمام الاربع مرات . وكان لحد ذلك الوقت صار الظهر . فنهض القاضي لاجل الصلاة وانفك ذاك المجلس والباشا طلع لديوانه والمطران قام مظهراً على نفسه علامة الغلبة والسرور مع جماعته . والصيادنة مع جميع طايفة الكاثوليك حاصلين على غاية الغم من النفسانيات الظاهرة اجكره (جهراً) بحقهم

ونحن حضرنا عند والدنا واخبرناه بما توقع . وانفهم ان القاضي نال مرغوبه من المطران فوق خاطره ولاجل ذلك مائل كل هذا الميل معه عدا توصية حييم له . والمطران حضر دغري من المجلس الى عند سليمان باشا وحييم وجلس عندهم بغاية السرور .

فوالدي اذ سمع ذلك وتحقق الواقع انغم جداً . وحالاً ارسل تابعه يوسف الفران الى عند الخوري انطونيوس الفاخوري وباقي كهنة الطايفة يقول له من هذه الساعة ارسل تنبيه لكامل الطايفة رجال ونساء واولاد كبار وصغار ان يحضروا في هذه الليلة الى الكنيسة واعملوا زياح احتفالي للقربان المقدس على نية الشعب ليتعطف الله على الحنو والمساعدة له وان يكون ذلك ثلاثة ايام متوالية ويقدموا لله تعالى طلبات وتوسلات ويحثوا الشعب على ذلك . وهكذا تم .

وفي اليوم الثاني ما صار مجلس لانه كان يوم الجمعة واذ حضر الصيادنة صرفوهم الى ثاني يوم . ثم حضر المطران ودخل لعند سليمان باشا وبحضور حييم احكي بكل حرية . والى وقت قيام سليمان باشا ونزوله لحريمه قام المطران وانصرف مسروراً . واما الصيادنة فعشية الخميس الذي كان

فيه المجلس حضروا في السهرة لعند والدي وحضر معهم ما ينوف عن سبعين نفر من الطايفة مع كل الكتاب وجميعهم حزينين مما توقع. وصار الصيادنة يبكوا ويتشكوا من الظلم والنفسانية الحاصلين لهم. وحصلت مكالمات كلية واخيراً قال لهم والدي انا لي رجاء كبير بمراحم الله. وانتم لا تنغموا مما توقع. القوا رجاكم على الله واتكلوا عليه وهو بيده ناصية الحكام والولاة يميلها كيفما يشاء. فصاروا ينخوه ويترجوه بان يحرك غيرته على طايفته. والحاصل صار كلام كثير ثم انصرفوا.

فثاني يوم نهار الجمعة بعد قيام سليمان باشا من الديوان قبل وقت صلاة الجمعة ونزوله الى دار حريمه دخل والدي لعند حييم وجلس بجانبه وساله عن رأيه بهذه القضية فقال له انا ايش يخصني؟ المطران احضر امراً وقدّمه للوزير والوزير امر باجرائه. فانا ايش حدي حتى اتجاسر على ممانعة نفوذه. والمطران يعرف بالتركي والعربي اشطر مني. ونسي وتعامى ما حصل في الشام اذ في ذلك الوقت كان بغير حالة. فقال له والدي نحن لسنا قايلين شيء عن اعراض الامر وافندينا امر برؤية القضية شرعاً ونصب وكيلاً عنه. وانما النفسانية الواقعة بحق الجماعة من طرف القاضي كيف تدبيرها؟ فقال له يامعلم حنا انا رجل يهودي ومداخلتي بهذه الامور عبث فارجوك تعفيني وتقبل عذري. وصمت.

حينئذ والدي قال له يا معلم هذا دين وهذه طائفة. وانا يهون علي ان اموت انا واولادي قبل ان ارى خراب قومي وطايفتي بعيني. فعن اذنك اذاً حيث تقول انها لا تخصك فلا تعتب اذا تعاطيت مصلحتي بما يوافقني ولا تندم. فقال له وحياة راسك وبموجب ذمتي وشبابي انا اريد

وافرح . وهكذا خرج والدي من عنده وتوجه دغري لعند عبدالله باشا .

فاذ دخل عليه وجده عمال يتوضى وقارب الخلاص . فاذ نظره الباشا قال له تفضل يا معلم حنا . فتمنَّى والدي وبقي واقفاً ناحية الى ان خلص وتنشَّف وجلس مكانه . فتقدم والدي بكل سرعة ومسك اقدامه وقال له كنت اتمنى ان الباري تعالى ينعم علي بان اموت قبل وفاة والدك ولي نعمتي العادل الكريم الشيم صاحب الناموس المنصف . وليس انا فقط بل اولادي وعيلتي وكامل طايفتي اوفق وايسر من ان نشاهد الذل والخراب والاذية في ايامك . الامر الذي ما كنت اتأمل ولا افتكر ان اصادفه في اوقات ابن علي باشا العادل المشهور . فكيف حسن عندك تضيع شرف والدك الذي صرف حياته لاجل تربيتك عندي على الحق والعدل لكي توافق خاطر اعداء الدين على من هم عبيدك وارقاء نعمتك ونعمة ابيك يا حيف على تعبي عليك ويا حيف على املي فيك . وحالاً سقطت دمعته على وجهه .

فالباشا انبهر من هذا الامر وصار يقول له ايش هذا الكلام يا معلم حنا وايش الواقع ؟ خبرني انا ليس لي علم بشيء مما تقول . افهمني صريحاً ايش الواقع ؟ فقال له وايش بده يوقع اكثر مما وقع بخراب طايفتي امامك وتسليمها للنفسانيات والزور والبهتان . فقال له وانت جنابك من طايفة الكاثوليك . فقال له اما تعرف ذلك سعادتك ؟ وليس انا فقط بل وكل عبيدك الكتاب الذين عمال يبكوا الدم من عيونهم . فقال له والله هذا حد علمي . والله العظيم ما كنت مفتكراً الا انكم من

جماعة المطران . وانا ايش يعرفني ذلك ؟ فلو كنت عارفاً وتغاضيت فلك العتب . ولو كنت اخبرتني قبل الان ونظرت مني اغضاء النظر عن مساعدة طايفتك كان حقك تعاتبني . فمن الان ريّح فكرك . وهذه المادة عندي . وصارت لك دينة علي . وتربة علي باشا طاب ثراه لا اعمل فيها الا مرغوبك . فاراد والدي يقبل اقدامه فمنعه الباشا واستغفر ثم مسكه بيده واجلسه الى جانبه فقبل والدي يده وكرر الرجاء فصار الباشا يحلف له ويطمنه . ثم امر له بالقهوة وقال له روّق فكرك وريّح بالك . هذه صارت شغلتي . واذ صار وقت الصلاة نهض الباشا وراجع والدي بالتطمين . ونزل والدي مطمئناً نوعاً وما اخبر احداً بما توقع حتى انه نبّه علي بان لا اقول لاحد شيئاً مما توقع لاني طلعت معه .

ويوم السبت صباحاً طلب الباشا القاضي الى عنده وعمل معه خلوة مقدار ساعة ونصف في ديوانه . وبعد هذا نزل معه الى المجلس المعد لسماع الدعوى وكان قد حضر المطران ودخل الى عند سليمان باشا وجلس عنده وصار يتكلم معه والكتّاب وقفوا من برا ينظروا اليه والى كلامه واشاراته . ويتمرمروا ويضطربوا ويحضروا يخبروا والدي وهو يضحك من اقوالهم . ثم نبّه عليهم بان يرجعوا وكل منهم يجلس في مكانه .

واما الزياحات بالكنيسة فكانت في كل ليلة تصير بكل احتفال باجتماع كامل الطايفة من الكبير للصغير . وكنت ترى الدموع تتساقط من عيون الناس على الارض كالمطر مع التوسلات المترادفة . فاذ بلغ طايفة الروم ذلك فواحد منهم يسمى عودة القبّي كان ملتزم سوق

الدلالين في عكا ثاني يوم في وسط السوق قال لجماعة طايفة الروم والله الكاثوليكية زاحتكم بزياحاتها . يا كلاب قولوا لهذا المطران ...[١] يروح من هذه البلد بحشمته احسن له من الخروج بالبهدلة . وصار يصيح هكذا بسماع الاسلام والنصارى ويقول والله ياعمي ما بيزيحونا الكاثوليك الا بزياحاتهم .

فاذ جلس الباشا والقاضي امروا باحضار المطران والصيادنة فحضروا وانتصب المجلس فابتدا القاضي بالسوال من الاول فنهض المطران وقدّم البرآءة الشريفة وقال انا دعواي هذه البرآءة واراد يعربد كعادته والصيادنة واقفين مرتعدين من الخوف مما جرى اول امس . فالقاضي نفر في المطران وقال له اهدا يامطران . هل نحن عمال نسألك ؟ نحن عمال نسال النصارى عن مدّعاهم . ثم قال احكوا يانصارى فاذ بدوا يتكلموا عزم المطران ان يقاطع عليهم كعادته وجلس على ركبته واخذ البرآءة في يده . واذ بدى يتكلم متأملاً ان يقاطع كعادته نفر فيه القاضي وقال له اسكت يامطران مالك عمال تعمل هكذا ؟ اهدا اهدا . احكوا يانصارى ومال اليهم بالاصغاء . فاطمأنوا وزال عنهم الخوف نوعاً وصاروا يتكلمون . وباثناء ذلك نهض المطران والبرآءة في يده وصار بده يحكي ويقاطع فانتهره القاضي بغضب وقال له بالحق يامطران انك عبيط ضبّ برآءتك بيدك . انت تظن عمرنا ما شفنا برآءات غير هذه . هنا لا يسلك الا الحق اذا كان بيدك مية برآءة . اسكت واقعد في ادبك . فهمد المطران وجلس متعجباً بنفسه . وقال القاضي للجماعة

(١) كلام فاحش بحق المطران لم نحب ان نذكره تأدباً .

كملوا يانصارى دعواكم فرجعوا يتكلموا . واذ هم عمال يتكلموا نهض المطران رابعاً واراد ان يتكلم فأسكته القاضي وقال له لا يسمع لك كلام ما لم يتمم خصمك كلامه . وقال للنصارى كملوا تقريركم فصاروا يتكلموا وبدون صبر نهض المطران ايضاً والبرآءة في يده وصار يقول هذه البرآءة اصدق من قول هؤلاء الكذابين . فقال له القاضي والله البابن ما احد كذاب غيرك . انت بدك تقيم الدعوى بالسيف وافندينا ما امر تنشاف الدعوى بالسيف ولا حسب مرادك . افندينا امر تنشاف بالشرع الشريف والشرع لا يجاوزك على عملك هذا يامطران . ايش هذه الحال ؟ وحينئذٍ الباشا ردعه ايضاً باقوال قاسية قايلاً له اقعد باقل من ادبك ولا تكثر العربدة . انت رعية السلطان وهؤلاء ايضاً رعايا السلطان . انتم مقدمين اعراض عن دعوى ومدعين انها صحيحة وغرماكم تثبت عدم صحتها . فبعد استماع تقريرهم يسألك انت ايضاً عن ما عندك بعد سماعك تقريرهم . وبعد سماعه يحكم الشرع الشريف بالحق . فهكذا يكون اثبات الحق . ما هو بالعربدة . كم مرة قلنا لك اهدا . توعا . استهدي . ما كنت تركز . ايش هذا ؟ حينئذ التزم المطران السكوت منذهلاً من حال هذا التغيير وتغيرت سحنة وجهه وتلبك في حاله .

وامروا الصيادنة حينئذ بان يكملوا تقريرهم فكملوه ومن جملة ذلك ان الكنيسة المرقومة اصلها للسريان الكاثوليك . ملكاً والطايفة المرقومة مع تداول الزمان انقرضت وتكاثر وجود الروم الكاثوليك . والروم الكاثوليك استوهبوها من اصحابها السريان هبة شرعية . حينئذ طلب منهم القاضي بينة تشهد على صدق دعواهم فتعهدوا باحضارها

وانحل المجلس [1]. والصيادنة حالاً حرَّروا الى صيدا وطلبوا الشهود واذ حضروا صار المجلس وحضر الشهود من اسلام محملين الشهادة من نصارى وبحضور المطران استنطقهم القاضي عن شهادتهم فابدوها وقُبلت شرعاً. وقد اتضح في المجلس الشرعي حقيقة ثبوت تملك الكنيسة لطايفة الروم الكاثوليك وحكم القاضي بها. انما قبل صب الحكم تماماً انحل المجلس فالباشا اعرض لسليمان باشا ما توقع ثم حضر المطران وبدا يتواقع ويبكي. وبعد جملة مذاكرات رأى سليمان باشا لاجل كف القال والقيل بين الطايفتين ولاجل الاراحة من مدعيات الروم المتنوّعة في كل وقت ولقطع السبيل للسؤالات والاجوبة من طرف الباب العالي ان يحصل موافقة بين المطران والصيادنة بقسمة الكنيسة وان يكن حق تملكها قد ثبت لطايفة الكاثوليك فانا امون عليهم بترك النصف وراحة فكرهم من مقالات الروم وشكاياتهم في كل وقت وهكذا تم الراي. والباشا استحضر الصيادنة ولاطفهم وقال لهم من المعلم حنا تفهموا الراي الصايب الذي استحسنه افندينا وانا.

ثم طلب عبدالله باشا والدي وافاده عن الكيفية التي حصلت مراعاة

---

(١) لا حقيقة لذلك اصلاً وانما هو حيلة شرعية دبرها عبدالله باشا ارضاء لخاطر المعلم حنا عورة ولسائر كتاب ديوانه بدون مخالفة لمضمون البرآءة السلطانية. ونظن ان هذا التدبير كان بعلم المعلم حييم ولعله لم يقبل الا بما دبره هو مع سليمان باشا وقربه القرار الاخير بان يكون لكل من الفريقين حصة مقررة في كنيسة ارضاء لخاطر البطرك والمطران وارضاء لخاطر اصحاب الكنيسة كما سيأتي بيانه قريباً.

لخاطره فشكر احسانه . ثم افاده عن قرار رأي الوزير ورأيه وجعله يدع اهالي صيـدا تقبل به بدون مراجعة . وتعهَّد والدي بذلك واستحضر الصيادنة وافهمهم الكيفية . وثاني يوم حصل المجلس وصدر اعلام شرعي بالمصالحة على الوجه المشروع اي بقسمة الكنيسة بين الطرفين ومنع مداخلة طايفة الروم وتعرضها للطايفة الاخرى . وعلى موجبه صدر مرسوم من سليمان باشا لكي يحفظه الكاثوليك عندهم ويكون مرعياً ودستور العمل [1] .

---

(١) الصورة حكم القاضي المذكور بشكل مراسلة او خطاب الى سليمان باشا

انه حضر الى مجلس الشرع الشريف الراهب زخريا الشهير بطران عكار الوكيل عن البطريق سيرافيم الشهير بطران انطاكية وادعى ان حضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمان ناصباً بطريق على طايفة رعايا الذميين الروم الكاينين بانطاكية وطرابلس وتوابعها وصيدا البطريق المسفور بموجب برآءة سلطانية . ومدروج بالبرآءة ان جميع كنايس الذميين الروم وساير اوقافهم فهو تحت نظارة البطريق المسفور . واظهر صورة البرآءة الشريفة ممضية . ودعواه بان كنيسة الذميين الروم الكاينة بمحروسة صيدا فهي تحت تصرفه وان طايفة الكاثوليكية واضعين يدهم على الكنيسة المذكورة من غير مساغ شرعي ولا امر سلطاني . وطالب رفع يد الكاثوليكية عن الكنيسة المذكورة فلما سمعنا مدَّعاه احضرنا ابراهيم الزهار وابراهيم سركيس ويعقوب الزهار وقسطنطين عكاوي والياس كركجي وحنا دبانه وجبران بولاد وحنا زكار وكامل وجوه طايفة الكاثوليكية القاطنين بمحروسة صيدا وادعى عليهم بدعواه المذكورة بمجلس الشرع الشريف بالمواجهة . فاجابه الكاثوليكية بان الكنيسة المذكورة في الاصل كنيستان

واذ ذاك خرج المطران زخريا من عكا بغاية الخجالة والانكساف لكونه من بعد ذلك طلب من سليمان باشا جملة مطاليب بحق طايفة الكاثوليك وما مال له بها واذ كرر الطلب جاوبه ان يقنع بما تم مع

احداهما لطايفة الروم والثانية لطايفة السريان . وكان بينهما حايط قاطع . ومنذ اعوام رفعوه وصارت كنيسة واحدة والمحل الذي يخص طايفة السريان بعد انقراضهم وضعنا يدنا عليه . والان دعوى البطريق المذكور بالكنيستين فهو غير حق بل المحل الذي يخص الروم هو بايديهم الى تاريخه . والذي يخص السريان فهو بايدنا . فطلبنا منهم اثبات ذلك فاحضروا نقلة الشهادة عن ساوم الموراني القاطن في دير باسيم وحنا الموراني القاطن في صيدا لعجزهما عن الحضور لمجلس الشرع الشريف بسبب الهرم الحاصل لهما لعجزهما من الهرم . فالذان نقلا الشهادة عن ساوم المسفور الشيخ عبد القادر جمال والسيد حسن البزري . واللذان نقلا الشهادة عن حنا المسفور سعيد نصار والشيخ حسن جلال الدين . وصورة النقل ان الشيخ عبد القادر جمال والسيد حسن البزري فرعا ساوم قال كل واحد منهما اشهد بالله ان ساوم اشهدني على شهادته وقال لي اشهد على شهادتي اني اشهد بان الكنيسة التي في مدينة صيدا نصفها لطايفة الروم والنصف الاخر لطايفة السريان . وكذلك قال سعيد نصار والشيخ حسن جلال الدين فرعا حنا المسفور قال كل واحد منهما اشهد بالله ان الكنيسة التي في مدينة صيدا نصفها لطائفة الروم والنصف الاخر لطايفة السريان . فعلى مقتضى ذلك يلزم ان بطريق الروم يتسلم النصف الذي هو لكنيسة الروم السابق ذكرها امتثالا للامر السلطاني والنصف الاخر لطايفة السريان . وحيث انقطعت طايفة السريان من مدينة صيدا فيكون امر ما خصهم مفوض لراي دولتكم هذا الذي توقع العرض على مسامعكم الشريفة والامر لمن له الامر

الداعي لسعادتكم العلية السيد الحاج
محمد ابو الهدى
القاضي بمحروسة عكه
حالاً

غرة صفر الخير سنة ١٢٣٤

كونه بخلاف الطريقة وانه محال ان يخرب رعاياه لاجل هكذا تزويرات متقدمة للباب العالي ما لها صحة وهو اكبر شاهد على تزويرها ويعرف اصلها من قديم الزمان لما كان متسلم بصيدا من طرف الجزار واظهر

صورة المرسوم الشريف

قدوة النواب المتشرعين نايب محروسة صيدا حالاً السيد محمد سعيد افندي زيد فضله وافتخار العلماء الكرام المأذون بالافتاء افندي زيد علمه وفرع الشجرة الزكية قيمقام نقيب السادات الاشراف افندي زيد شرفه وقدوة الاماثل والاقران متسلمنا فيها حالاً الحاج سليمان افندي زيد قدره ·

بعد السلام التام المنهي اليكم قبل تاريخه حضر لطرفنا مطران الذميين القاطنين بناحية عكار بالوكالة عن قدوة الملة المسيحية البطريق سيرافيم بطريق طايفة الروم الانطاكي المقيم بدمشق الشام ختمت عواقبه بالخير وقرر على مسامعنا بان البطريق المرقوم منصوب بطريق من قبل الدولة العلية والسدة الخاقانية صانها رب البرية على طايفة الذميين الروم الكاينين بانطاكية وطرابلوس الشام والشام وصيدا وان ساير كنايس طايفة الروم واوقافها تحت نظارة المسفور بموجب برآءة سلطانية · واعرض لدينا صورة البرآءة ممضية · وادعى ان كنيسة الروم الكاينة في صيدا فهي تحت تصرفه وتحت نظارته · وان الذميين الكاثوليكيين المقيمين بصيدا واضعين يدهم على الكنيسة المذكورة فضولا من غير مساغ شرعي ولا امر سلطاني · والتمس استردادها ورفع يدهم عنها · فاقتضى ان احضرنا الذميين الكاثوليكيين القاطنين بصيدا وهم ابرهيم الزهار وابراهيم سركيس ويعقوب الزهار وقسطنطين عكاري والياس الكركجي وحنا دبانة وجبران بولاد وحنا زكار وساير وجوه طايفة الكاثوليكيين ورفعنا استماع دعواهم الى حاكم الشريعة الغراء قاضي محروسة عكا حالا افتخار القضاة والحكام السيد محمد ابو الهدى افندي التاجي زيد مجده بحضور جناب امير الامرآء كبير الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام كتخدانا ولدنا السيد عبد الله باشا دام اقباله · وصارت المرافعة بينهما وطلب المطران المسفور رفع يد الكاثوليكيين عن

له النفور . وحينئذ المطران لفلف حاله وخرج من عكا بحال الخجل والكدر والصيادنة توجهوا الى محلاتهم مسرورين مرتاحين .

الكنيسة المذكورة فاجابوا ان الكنيسة هذه بالاصل كنيستان احداهما الى طايفة الروم والثانية الى طايفة السريان الذميين . ومن بعد انقراض السريان من قديم الزمان رفعوا الحايط الذي كان بين الكنيستين لاجل التوسع وصارت الكنيسة واحدة . وان الحصة التي تخص طايفة الروم لم يزالوا الروم واضعين يدهم عليها . والذي تخص طايفة السريان الكاثوليكيين واضعين اليد عليها وهي بايديهم وان طلب البطريق المرقوم الى الكنيسة جميعها فهو بغير حق . فطلب منهم حاكم الشرع بينة على اثبات مدعاهم واحضروا بينتهم الى مجلس الشرع . وقبل تاريخه حضر لنا اعلام من الافندي المومى اليه بصورة المرافعة الذي حصلت بان نصف الكنيسة التي اصلها كنيسة الروم يقتضي تسليمها الى البطريق المرقوم حسب الامر السلطاني الذي بيده . والنصف الثاني اي كنيسة السريان يكون لهم . وحيث ان طايفة السريان الذميين انقرضت من محروسة صيدا فتبقى حصتهم امرها منوط الى راينا لكون ما لهم وارث . فاقتضى الآن ان نصدر لكم مرسومنا هذا من ديوان عكا المحمية مرسلين لكم الاعلام الذي حضر لنا من الافندي المومى اليه بهذا الخصوص لكي تطلعوا على كيفية المادة وتسجلوا مرسومنا هذا والاعلام الشرعي بالسجل المحفوظ . وتحضروا خوري طايفة الروم والرعايا الكاثوليكيين ان لا يقارشوا كنيسة الروم في حصتهم المصرف بنظارتها البطريق المسفور بموجب برآءة شريفة سلطانية . وتنبهوا على خوري الروم المسفور في اي وقت اراد يجري دينه لا احد يتعارضه فيه . وكذلك الحصة التي تخص السريان تبقى الان طايفة الكاثوليك يجروا دينهم فيها في الوقت الذي يريدوا اجرائه الى حين يصدر لكم مرسوم ثاني من طرفنا باعطاء رابطة هذه المادة مع الكاثوليكيين بوجه التفصيل حيث ان هذه الحصة المتعلقة بالسريان منوطة الى راينا . اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد

في ٥ صفر سنة ١٢٣٤ — الحاج سليمان

والي صيدا وطرابلس

حالاً

﴿ وصف كيفية اقامة سليمان باشا في يافا ﴾

ولنرجع الان الى شرح ما كان بعد دخول سليمان باشا الى يافا صباح الاحـد اذ بدات تتقدم الوجوه والعلماء والاعيان من ساير النواحي والامصار ويدخلوا العند الوزير ويسلموا عليه وهو يعطي لكل ذي حق حقه بالسلام والجلوس . ثم صارت تتقدم له التقادم منهم . وفي ذاك النهار تقدم له من متسلم سنجاق القدس راسين خيل حصان ومهرة عال معتبرة فانعم بالمهرة على المعلم حنا كاتب العربي وقد مدحوها كثيراً جداً وانها كانت مقدمة له من متسلم سنجاق نابلوس . ثم صار الوجوه والاهالي يدعوا للوزير بالنصر والتاييد اذ انقذهم من ظلم وعدوان ابو نبوت وابتدوا يقدموا الشكايات بحقه .

فاولاً قالو له انه كان ملزّم ساير البلاد من قرايا غزة والرملة يافا واللد في كل قرية وكل مزرعة ان يزرعوا شكارة باسمه بذارها حنطة وشعير من عندهم والارض بـلا ميري . وزراعتها عـلى بقرهم وحصيدتها ودراسها على بقرهم . وتتحمل على دوابهم وتورّد الى انباره الخاصة في يافا . وكل بلد شكارتها على قدرها من الكيل وصاعداً لحد الغرارة ونصف .

ثانياً عدا الشكاير له في البلاد بقر ماشية باسمه . نعم ان بذارها من عنده الا ان ارضها معاف واتعابها جميعها على الفلاحين .

ثالثاً بوقت قسمة جرون (بيدر) الميري يامر باحضار مكاييل يسميها امداد عبرة وكل مد منها مدين ونصف .

رابعاً لما يصير وقت الحصيدة يطلع بدائرته ويدور على القرايا وينزل على السهول ورآء الحصادين بحجة المحافظة على الزروع من الحريق مع ان ذلك كذب لان محلات كثيرة احترقت وما سال عنها. انما المقصود لكي ينظر الى النسا والبنات التي تنزل مع الحصادين. فكل امرأة نظرها واعجبته لازم تكون عنده بتلك الليلة[1].

وان أتباعه ووكلاه ودايرته جميعهم لهم فلاحات وشكاير يتجرموا المخلوقات بادارتها والناس باىامه جميعها كانت اتعابهم طول السنة تكفي لمعاشهم بالشحت والاغلب غرقوا في ديون للناس لكي يكفوا مطلوباته منهم بدون شفقة. وشكايات خلاف هذه نوعوها ثم اوردوا له المظالم التي اجراها بعضها للميري وبعضها له واعرضوها على الوزير فاصدر مراسيم بابطالها ووضع لعنة على من ارجعها الى يوم القيامة. ثم صار يأمر باعطآء انعامات من ذخاير وتلابيس وغروش نقدية الى العلمآء والمشايخ وابنآء الطرق في القدس وغير محلات واجرآء المراحم على من يستحقوا. وبعد كم يوم صارت وجوه النواحي واكابرهـا يستأذنوا منه وصار يأمر بتلبيسهم وارجاعهم مكرمين لمحلاتهم. وجميع الذين حضروا رجعوا لابسين مجبورين الخاطر. ثم اصدر مراسيم الى عربان بلاد غزة واستحضر كبارهم واكرمهم والبسهم واوصاهم بامر مشال حملة الحج والسلوك الحسن مع مصطفى بك وهم تعهدوا بكامل ما امرهم به.

---

(١) حذفنا من الاصل تتمة كلامه فيما لا يليق ذكره مفصلاً

﴿ مرض سليمان باشا الاخير ﴾

وبقي في يافا الى السابع والعشرين من شهر شعبان اذ احسَّ في جسمه برخاوة وضعف فامر بالقيام في تلك الليلة واصدر مرسوماً لمسعود الماضي بان يحضّر الذخاير في منزلتي ام خالد والطنطورة وتسيّير المرسوم مع سروجي مستعجل بعد الظهر وفي الليل الساعة خمسة ركب الوزير بكل دايرته وقام من يافا الى ناحية عكا وابقى كل العسكر من خيل وزلم في السناجق . ووصل الى عكا اخر ليلة من شعبان الساعة الثانية وبات على نهر النعمين قبال عكا . ورجال دايرته باتوا تحت السما بدون خيام وخرج عبدالله باشا لاستقباله . واذ سلم عليه اذن له بالرجوع الى عكا فدخل معه حييم ومخايل عوره فقط وما قبل ان يدخل اليها . وثاني يوم صباحاً دخل اليها . وكان ذاك النهار اول صوم رمضان . وما خرج من عند الحريم ذلك النهار .

وفي الليل طلع الى ديوانه في برج الخزينة وكان من عادته يجلس ايام رمضان في الليل في الايوان الشمالي بالبرج لانه كان رطباً ومهوياً . وكانوا يفرشونه له جيداً ويعلقون في صحن البرج جملة ثريات بقناديل زيت زيادة عن ثلاثماية قنديل وكان معلقاً في قنطرة الايوان المذكور قنديل ودع كبير افرنجي شي مفتخر قدره قدر البطيخة بوزن خمسة او ستة ارطال . وكان ضمنه قنديل ودع ايضاً بمحل معدود له يوضع فيه الزيت للضو واربعة خمسة فتايل وكان قماشه سميك جداً ضيانلي

وكان مع ذلك شفافاً جداً بهذا المقدار حتى ان النور كان ينفذ منه كانه من قنديل قزاز رقيق .

واذ كان الوزير جالساً في الليلة الثانية من رمضان في ذاك الايوان والثريات وساير القناديل والشموع مضوية وهذا القنديل مضوياً ايضاً والوزير جالساً بغاية الحظ والانبساط والانشراح ما وجدوا الا القنديل الكبير المذكور صاح بصوت قوي وسقط على الارض شقفاً شقفاً وانطرش زيته في ساير ارض الديوان دون ساير القناديل الموجودة ضمن الثريات وخارجها . وحالا تقدم الخدم ورفعوا قطع القنديل ومسحوا الزيت . وبعد مقدار ساعة زمانية حس الوزير في جسمه بالرخاوة وصار يتثاوب ويتجذب ثم نهض على غير استواء ودخل الى دار حريمه وبات . وثاني يوم بقي بالفراش وصار يعتل بالامراض .

وفي هذه السنة بعد حضور سليمان باشا من يافا فلاجل انه حصل له ثقلة كلية من المرور في نهر العوجاء لما توجه الى يافا بذهابه وايابه حتى انه في ذهابه كاد ان يغرق التختروان الذي كان راكباً فيه لما قطع النهر واحتمل من ذلك مشقة كلية وشاهد الثقلة العظيمة التي احتملها الخلق من المرور فيه لانه نهر قوي ومخيف . فبعد رجوعه الى عكا بمدة كم يوم اصدر مرسوماً الى مصطفى بك ابن اخيه متسلم سنجاق غزة ويافا وامره ان يبادر بالحال الى عمار جسر متين عريض على نهر العوجآء على قارعة الطريق السلطاني واكد عليه غاية التوكيد ان يعتني باتقانه . والمذكور باشر حالا بعماره حسبما أمر . فاستراح من ذاك الحين المخلوقات المارين والعابرين بمرورهم وعبورهم من رداوة النهر المذكور

فاتنا ان نذكر في سنة ١٢٣١ انه لما خربت الصاعقة منارة الجامع الكبير في عكا المعمرة من الجزار واعدمتها من ثلاث نواحي في وقت الطاعون سنة ١٢٢٨ كما قدمنا ذلك. فبعد تلاف وزوال الطاعون وحضور علي باشا من الخارج امر بهدمها ليلا تسقط من ذاتها وتخرب محلات كثيرة بالبلدة مع الجامع نفسه عدا اذية المخلوقات. وبعد هدمها انتركت الى الان في هذه السنة امر الوزير بعمارها كما كانت وحصلت المباشرة بتعميرها وتجديدها. وبكل تعب وعناء تعمرت كما كانت حسب رسمها الاول. وبعد تركيب الرصاص من ثلثها الثالث وصاعداً الى موضع الهلال فاحد البحرية الشطار اخذ الهلال لكي يركبه في راسها وتعايق بطلوعه على الحبال وفعل افعال البهلوان الى ان ابهت الناس وبعد ان ركب الهلال في محله وعزم ينزل بعياقة التفت عليه الحبال وضايقت انفاسه جداً حتى كادت تعدمه الحياة. واذ لم يقدر احد يساعده فبالجهد بعد اخر نفس تخلص ونزل فوجدت الحبال آكلة جلدة وجهه كلها حتى منخاره وشفتيه. وتعلل كثيراً الى ان شفي وبقي بدون منخار ولا شفاف بقية حياته وعدا هذا تسقط كل جسمه وبقي بحال التشويش المستطيل الى وفاته بمدة قريبة.

واما سليمان باشا فبقي طريح الفراش وصار الحكماء تعالجه ويوماً عن يوم يزيد المرض عليه ويبتعد عن الصحة. والاطباء الموجودين جعلوا التدجيل والكذب دأبهم وصاروا بدون معرفة يطمنوا كل ساعة تطمينة شكل. وهذا التطمين كان ظاهر لاعين الناس انه كاذب. وحييم ضيّع كل ادّعاه بالمعارف اولاً بتصديقه اكاذيب الحكماء مع معرفته

انهم جميعهم غشماء ولا يدركوا شيئاً من امور الطب ثانياً بتقاعده وسكوته عن التفتيش والسعي بجلب طبيب ماهر ثالثاً بمضادته الكلية لفرنسيسكو الطبيب الافرنجي الذي كان حكيم باشي عند سليمان باشا الذي عالجه لما تشوش التشويشة الاولى وشفي منها عن يده ولاجل انه تعالج مع حييم لما بلغه تشويش الوزير وما اخبره احد به كما قدمنا شرح ذلك بمحله فربى حييم بقلبه الضغينة اليهودية له وبعد مدة ابتدى ان ينا كفه ويعمل له الاسباب المكدرة له حتى التزم بان يستأذن من الوزير ويتوجه والوزير بدون ارادته اعطاه الاذن وهكذا الاطباء الموجودين صاروا يعللوا الوزير بالتحزير . ولسبب عدم معارفهم صاروا ينقلوه من مرض الى مرض حتى ادخلوه في درجة العدم .

وفي شهر رمضان حسب العادة كان عبدالله باشا وكل الدايرة يسهروا عنده لحد الساعة السابعة . والمعلم حييم بسبب تشويش الوزير صار ينام في اوضته كل الجمعة وليلة السبت ينزل الى بيته . وبعد رمضان بقي ينام في السراي والباشا بقي يسهر عنده لحد الساعة السادسة وينزل الى بيته . وبعد اربعين يوم من تشويشه ابتدأ يتغير حاله فكان يوماً يصبح مروّق بنوع ما وعشرة يتزايد عليه المرض وينتقل فيه من درجة الى درجة الاعلى بالمرض ويتقدم بالضعف ويتاخر بالعافية .

في اوائل شهر ذي العقدة سنة ١٢٣٤ اذ كان الوزير بحال التشويش الكلي حضر تاتار من الاستانة العلية ومن جملة التحريرات الواردة معه حضر فرمان ملوكي وخلاصته ان فلان الكونتي الانكليز من اعاظم مملكة الانكليز كان قد حضر مقدماً لاجل السياحة والتفرج بالممالك

المحروسة واعطي له فرمان عمومي بحمايته وصيانته ورعايته ورعاية كامل اتباعه ومن يلوذ به وعدم الثقلة عليهم وعدم تكليفه الى خراج ولا تكاليف ولا خلافه . وفي كل محل يجب ان يتقدم له كل ما يلزمه والمحلات المخيفة يرسل معه عسكر كفاية لمحافظته وعدم حصول ادنى ثقلة عليه ، وانه الان رجع للاستانة وقرّر بالباب العالي انه حضر الى الشام وبموجب الفرمان الشريف اخذ مرسوم من الوالي وتوجّه الى نابلوس وبوصوله اليها اعرضه مع الفرمان الذي بيده على متسلم نابلوس موسى بك طوقان فنفر فيه واهانه وشتمه و كدره ورمى الفرمان من يده على الارض وداسه برجله وطرده بكل اهانة . والرجل خرج من عنده على هذا الوجه ورجع للاستانة بدون ان يتمم قصده بالسياحة وان هذا امر كبير وقع من المتسلم المذكور باهانته الفرمان الشريف ويقتضي له لاجله التربية والتأديب وان يبادر سليمان باشا بتأديبه وعزله وتكديره بما يمكن من دون تأخير ولا تراخي .

وبوصول هذا الامر كان حاصل الالتباك الكلي لتزايد تشويش الوزير وحصوله في درجة العدم ومع هذا تحرّر مرسوم لموسى بك المذكور بشرح مضمون الفرمان الملوكي وتوبيخ فيه على مجاسرته هذه الفظيعة وتحذر غاية الحذر من التجاسر بعد الان على ارتكاب هكذا افعال قبيحة وارسله له صحبة تاتار . فحضر الجواب بتكذيب الواقع والاعتذار وبحضور الجواب ما كان احد متفرغاً لقراءته ولا للمداعاة عنه وانترك امره .

وصار الوزير يوماً عن يوم يتقدم بالتشويش والضعف ويومياً يدخل

لعنده عبد الله باشا والمعلم حيم مرتين في النهار يشرفوا عليه ويخرجوا .
وكل يوم يصبح بزيادة عن يوم الى عاشر من ذي القعدة اذ تحقق انه
دخل في درجة العدم .

فى هذاالنهار عند عشية بعد الغروب بساعتين ونصف قد اوصاني
انا محرره المعلم حيم بتحرير مرسوم من عبد الله باشا بمصلحة
لازمة لخزرته وصعدت لعنده لاختمه منه . فسألني عن حيم هل هو
قاعد ام نايم . فقلت له قاعد . فقال لي انزل قل له ان الباشا حاضر لعندك
فنزلت وقلت له فقال لي اهلاً وسهلاً . وقبل خروجي من الاوضة حضر
الباشا ودخل فنهض حيم واستقبله ثم جلس مكانه وجلس عبد الله باشا
الى جانبه على طراحة موضوعة هناك وفيما بينهما درابزون خشب وانا بقيت
واقف بالاوضة على ناحية . فاذ حضرت القهوة وشربوا امر الباشا
باخراج الخدم جميعهم من الاوضة فخرجوا وما بقي احد . واما انا فحضرت
لعند خادم حيم بناحية وجاق القهوة وجلست عنده خلف حاجز خشب
يمنع نظر الباشا لي . فبعد خروج الجميع من الاوضة قال الباشا الى حيم
يا معلم الرجل اي الوزير البابن حاله صار عدمان . فقال له بتأوه الله
تعالى يشفق علينا ويتحنن . فقال له آمين . وسكت حصة صغيرة ثم
راجعه الباشا بذلك . فرجع يقول الله تعالى يشفق علينا الله لا يكسر
لنا خاطر . الله لا يضيع لنا تعباً . فقال آمين . ثم قال له الباشا فهمنا ذلك
وانما انا اسأل جنابك يا ترى اذا لا سمح الله تعالى قدر الباري وصار شي .
فكيف رايك . فقال له الله تعالى يشفق ويتحنن ولا يضيع تعبنا واملنا
وحينئذ نهض عبد الله باشا ومد يده ومسك زنار حيم وقال له يا معلم

انت تعرف ما اوصاك والدي المرحوم بخصوصي وانا على كل حال ابنك وها يدي في زنارك . فلا تعمل مهاونة ولا اغضاء من نحوي . فحينئذٍ حييم صار يستغفر ويظهر البربعة . ثم جاس الباشا وبعد مقدار ساعتين قام توجه الى محله .

في اليوم الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٢٣٤ تغيَّر حال الوزير واستحال الى العدم والاطباء تلبكت احوالهم وتحيَّروا بامره . وثاني يوم في ١٣ الشهر دخل في الغيبوبة وما عاد قدر يتكلم الا ما قل فتحسَّن عند الحكماء ان يرموا له جراب حقنة لكي ينكسوا المادة الصاعدة الى راسه التي دوَّخته . فالوزير اعطى اشارة عدم القبول والحكماء صوَّبوا عمل ذلك وفي اثناء ذلك اذ كان عصرية ذاك النهار دخل الباشا على الوزير فوجد الحكماء عمال يحسّنوا للوزير امر الحقنة وهو يظهر اشارة عدم الرضا مطلقاً . فالباشا بدون توقف صرخ حالاً باعلى صوته ديروه وارموا له الحقنة ولا تسمعوا كلامه . فاذ سمع الوزير ذلك فتح عينيه ونظر الى الباشا واظهر مرارة نفسه ثم اظهر الطاعة للامر . فتقدموا وداروه ورموا له جراب الحقنة والباشا واقف وبعده طلع . والوزير من بعدها اخذته الغيبوبة وما عاد فتح عينيه ولا وعي على احد كلياً ولا فتح فمه كلياً لا لاكل ولا لشرب . وفي تلك الليلة دخلت الجملة واستولت الغموم على ساير الناس .

وفي نهار الاثنين الواقع في ١٤ ذي العقدة اصبح بحال النزاع وبقي بالمنازعة الى الساعة الثانية عشرة من النهار اذ فارقت روحه جسمه .

فحينئذ ارتفعت الاصوات والولاول من دار الحرم وكثرت الصرخات

الصرخات والضجات والبكا والنحيب من الرجال . وكنت ترى ساير الخدم من كبير وصغير وقريب وبعيد تترادف الدموع من عيونهم وينوحون ويبكون مثل النساء .

وحينئذ الباشا ارسل طلب القاضي وضباط العساكر محافظين عكا وجلس في الايوان الشمالي من برج الخزينة وقبل حضور المطلوبين ارسل طلب المعلم حيم واذ حضر نهض له واقفاً واجلسه جانبه وصار يقول له باشك صاغ اوس[1] وكرّرها مرتين . وذاك صار يبكي مثل النسا ويصرخ ويتأوّه . واذ هم هكذا حضر المطلوبون ونهض الباشا وحيم ونزلوا ومعهم المذكورين نختموا اولاً على باب دار الحريم الكبير والصغير بختم الباشا والقاضي بحضور الضباط . ثم صعدوا وختموا باب اوضة الخزينة التي تحت يد المختاراغاسي ورجع الباشا جلس بمكانه ثم امر الضباط بان يتوجّهوا الى محلاتهم ويجمعوا الانفار وينبهوا عليهم بالمحافظة واليقظة وفتحة العين وصار يسلّيهم بالكلام ونشّطهم واسمعهم القول الطيّب .

ثم امر باحضار ياطيك منامه الى برج الخزينة وبات تلك الليلة هناك وكذلك حيم نام في اوضته بالخزينة . واما الدايرة فالاغوات بعضهم من خاصة الباشا نام عنده والبقية توجّهوا الى بيوتهم حزينين القلوب والكتاب جميعهم نزلوا الى بيوتهم ثم استحضروا المشايخ القرآء ووضعوهم عند جثة الوزير ليقروا فوقها وبقوا هكذا طول الليل . وصباحاً

---

(١) عبارة تركية تقال بالتعازي ومعناها سلامة راسك .

قبل شروق الشمس مع طلوع الفجر كفّنوا الوزير حسب عادة الوزرآء بعد ان غسلوه على جادروان في الديوانخانه قبال القصر الذي توفي فيه ولفّوه في قياس وحملوه به ونزلوا به الى الجامع الكبير قبل ان تقوم الناس من منامها ودفنوه في القبر الذي فتحوه له في الجامع بجانب قبر الجزار .

وبعد طلوع الفجر استحضروا ديوان افنديسي وامروه بتحرير الاعراضات الى البـاب العالي بالتخبير عن وفاة الوزير والختم على دار حرمه وخزينته من طرف الباشا والقاضي بحضور ضباط العساكر محافظين القلعة واعرض الباشا للباب عن اهتمامه بالمحافظة التامة والحرص الكامل على راحة الرعايا . وفي ذاك النهار ديوان افنديسي كمل كتابة التحريرات وقبل الغروب انختمت وتسيّرت صحبة تاتار مخصوص لجانب الباب العالي .

في سنة ١٢٣٣ احمد حافظ افندي ديوان افنديسي سليمان باشا المنوّه عنه الذي كان قد اخذه سليمان باشا من راغب افندي طلب الاذن لكي يتوجّه لاسقاط فريضة الحج الشريف فأعطي له الاذن . وحينئذٍ صار يطلب لوازم السفر من الخزينة وينوّع الى حييم انواع البوليتيكا وصار حييم يعطيه بسخآء كلي . فأعطاه اولاً ٢٥ الف غرش نقدي . ثم اعطاه ١٠ الاف لاجل مشترى لوازم له . ثم اعطاه عشرة ارادب ارز وقنطارين سمن وقنطارين زيت ثم اعطاه ١٥ الف اخرى ثم اعطاه بوغجة جاشور (بقجة ثياب) مفتخرة واخيراً طلب قهوة وسكر . فأمرني انا محرره المعلم حييم بان احرر تذكرتين من الوزير باعطآء قنطارين سكر وقنطارين قهوة من عند انختاراغاسي ومن عند وكيل الخرج . فحرّرت

التذاكر واخذتها للوزير لاجل الختم . فسألني عنها فأخبرته وكان ساعتئذٍ في باب السراي . فاذ قلت له تخلّق وزعل وقال بعده ما شبع عطا . بده يعطيه كل خزبنتي حتى يرضيه . ما كفاه ما اعطاه . بدنا بقى يشبع . وكلام مثل هذا . ثم تناول القلم من يدي باظهار كل الكراهية وختم التذاكر وقال لي خذ واعطيه حتى يشبع . فاذ اخذتها الى حييم سألني ماذا قال لك فقلت له ماقال شيئاً . فقال انا شايف من هنا انه عمال يحكي معك . احكي لي ايش قال . حينئذ قلت له . وحالاً احمر وجهه واخذها ورفع ختمها واعطاني اياها وقال لا تحكي لاحد .

ثم توجه ديوان افنديـي للحج واخذ معه التحريرات اللازمة لوالي الشام والى الصره اميني واخذ معه نسوانه وخدمه وابنته التي كان متزوجها مصطفى عبد العال اخا سعيد عبد العال ابن احمد عبد العال وكيل نهر المفشوخ وساحل عكا لاجل بشاعة خلقتها ولاجل ذلك اخذه ورباه عنده وعلمه واخيراً البسه قاووق وزوّجه ابنته هذه . ولما رجع من الحج رجع معه وحضر الى عكا . فمن هذا المشوار وبما انه كان مريض بعلة حراقة الشخاخة عظم المرض عليه وبعد مدة انطرح بالفراش وباقرب مدة ترايد مرضه وتوفي . وفي مدة تشويشه استحضر كاتباً شاباً جميلاً من اسلامبول وصار يعلمه الرسوم . ولوقت وفاته تمهّر وصار به كفاية . وفي اواسط سنة ١٢٣٣ توفي ديوان افنديـي وبقى الافندي المذكور في الباب تحت تسميته مكتوبجي الى حين وفاة سليمان باشا .

﴿ صورة سليمان باشا واخلاقه وسلوكه مع خدمه ﴾

فاما سليمان باشا فقد كان اسمر اللون ممتلي الجسم مربوع القامة وطوله مايل للقصر اكثر من الطول . ذا لحية متشيبة طويلة عريضة تنفرد على ملء صدره . وبطنه عالي ومشيته جالسة قوية ومنخاره كبير وفمه صغير وعيونه وسط واصابعه غليظة . وصوته مايل للخشونة ووجهه ضاحك . وكان يميل الى الانشراح ويكره الجور والظلم والتعدي وكان جسوراً ذا قلب قوي لا يهاب شيئاً ولا يحسب حساب احد . ولا يحب ان يتكلم احد قدامه بحق احد . ولاجل قطع اسباب ذلك وقطعاً لالسنة المفسدين جعل في المحل الذي يجلس فيه خارج عن ديوانه بالاشغال باي محل جلس ان كان في النهار وان كان في السهره زكور اغا ناظر الاملاك الشامي يحكي له حكايات لاجل التسلية . وكل من حضر لعنده بعد ان يستقبله حسبما يستحق ويجلسه ويترحب فيه يلتفت بالاصغاء الى سماع الحكاية ولا يعطيه سبيل لان يتكلم بشيء لا كلي ولا جزئي . واذا تكلم بمصلحة فيجاوبه غدا تحضر لعندنا وننظرها . وبهذا الوجه انقطع لسان كاين من كان عن التكلم لا بدعاوي ولا بفساد ولا بحق الناس ولا بشيء

ومن اول يوم حكومته لحين نهايتها ما تغيّر عن ترتيبه وذلك انه كان يطلع من دار الحريم صباحاً مع اول شروق الشمس الى ديوانه في برج الخزينة . واذ يجلس يحضر له الجوبق والقهوة ويقف اغوات الدايرة بخدمته وبعد ساعة ونصف يقوم وينزل الى دار الحرم ويقضي حاجته

الطبيعية ويطلع الى موضعه. واذ ذاك يكون قد حضر الكتخدا والمعلم حييم فيدخلوا ويجلسوا في مكانهم. ثم ينادي بصوته على المعلم حنا كاتب العربي. واذ يدخل هذا يامر باخراج الناس وتصير الخلوة والجاويش يضع الجوكلان على الباب ويقروا له حينئذ التحريرات الواردة من الاطراف والاكناف ويتداولوا بامر اجوبتها وياخذ المعلم حنا اشارة بمضمون الاوامر عنها وعن الاوامر البديهية التي تلزم ويخرج الى محله يباشر كتابتها مع الكتّاب المرتبين تحت يده. وبعد خروجه تنفك الخلوة ويدخل كتّاب الدفتر ويجلسون بجانب المعلم حييم. ويبتدوا يشتغلوا بالدفاتر بمعرفة حييم ويدخل رجال الدايرة ويقفوا بالخدمة بالمناوبة. وكذلك اذا كان احد له دعوى يدخل يعرضها. واذا كان غريب من غير محل يدخل ويجلس بكل ترحيب ويتنادم مع الذي يحب المنادمة معه او من له شغل معه. وامام باب الديوان واقف اربعة قواصة وعصيهم بايديهم لاجل الاشغال اللازمة وفي كل نصف ساعة يتغيّروا. ولما يصير وقت الظهر يامر بحضور اليمك (الاكل) فيحضر في سفرتين عليهما نحو عشرين صحن كل صحن شكل. فيتغدى مع الكتخدا والغريب الذي هو معتاد ياكل معه. وبعد خلاص الاكل وشرب القهوة يكون كاتب العربي تمم تحرير المراسيم فيدخل لعنده يختمها. وحينئذ ينهض الوزير وينزل الى حريمه. وغالب الاحيان اذ ينهض بعد الاكل قبل ختم المراسيم مفتكراً انها متعوقة لسبب كثرتها فيرجعه كاتب العربي. وبعد ختمها ينهض وينام في دار الحريم مقدار ساعة ونصف او اكثر ثم يخرج وينزل يجلس اما بالقصر في الكمرك ام في باب السراي ام على باب

احد بوابات المدينة الى ما بعد العصر فيرجع الى دار الحريم . ولحد الغروب يتعشى داخلا . وبعد آذان المغرب يخرج والجوبق بيده ويجلس في قصر الديوانخانة ويصلي المغرب ويجلس للسهرة لحد الساعة الثالثة من الليل وزكّور عنده يحكي له حكاية . وبعده يدخل الى دار الحريم ينام . وبقي على هذا الترتيب ما غيّره الى حين وفاته .

اما خدمه ورجال دايرته فالذين تربوا عنده من اول حكومته ما تغيّروا ولا نزلوا عن وظايفهم الى حين وفاته .

وكذلك المتسلمون في المحلات ما تغيّروا الا ما قلّ منهم بالمتسلميات الصغار . اما الكبار نظير غزة وطرابلس وبلاد بشارة ما تغيّروا . وكذلك كتابه في عكا وخارج عكا والمتوظفين بالوظايف ما تغيّروا .

وكان من طبعه يحب ويميل الى عمل المعروف مع من له قدامه خدمة سابقة . ولذلك كم وكم من خدامه القدم لما كان في وقت الجزار يخدموه خدمهم واعطاهم وظايف ولو كانوا غير مستحقين لها نظراً لحالهم السابق معه نظير السلحدار وصهره قهوجي باشي وغيرهم والبقية الذين يعرفهم ومن يلزموا للخدمة رتّب لهم معاشات يومية وهم في بيوتهم نظير يعقوب قالوش وغيره كثيرين

واذا واحد من خدم بابه توفي ان كان مسلم او نصراني فان كان له ولد يضعه مكانه ويجري له تعيينه ، وان كان ما له ولد فيجري المعاش لعياله .

وجملة فقرآ من اهالي صيدا الذين يعرفوه لما كان متسلم في صيدا وقت الجزار حضروا لعنده ورتّب لهم زخرة سنوية لبعضهم حنطة ودراهم

ولبعضهم حنطة وارز وسمن وزيت ودراهم . وكانوا في كل سنة يحضروا ياخذوا المرسوم فيها .

واما خدم بابه فكل منهم كان يعطى له معاش بماهية يومية كفاية له في تلك الاوقات من الغرش الى حد العشرة اكبر ما يكون من ارباب الوظايف . وكان يعطيهم في السنة ثلاث انعامات من السبعماية وخمسين غرش الى الشخص لحد ماية غرش كل واحد كاستحقاقه ووظيفته عدا بعض منافع ينفع بها البعض من دايرته بخدم برانية .

واما عساكره فالكبار من ضباط الديوانه كان والهوارة والارناوود والسكبان داخل عكا وخارجها فابقاهم على حالهم والبعض منهم زاد بيارقه .

﴿ مرتبات الكتّاب وساير الموظفين ﴾

واما الكتّاب فكتّاب الخزينة كان مرتّباً لهم خروجة مع ماهية يومية للنفر غرشين والخرج اليومي نصف رطل لحم ونصف رطل ارز وثلاث اواق سمن ومثله زيت . وشهري اربعة اكيال حنطة . ومرتباً لهم عوايد على محلات الالتزامات في الايالة جميعها على كل ماية غرش خمسة غروش تندفع من كيس المتقدم وتتوزع عليهم في كل سنة ثلاث مرات . وكيفية توزيعها تقسم الماية على الاسماء فأولاً كاتبي العربي ياخذ من الماية ثمانية عشر وبعده باقي الكتّاب تتقسّم عليهم من اثني عشر بالماية ونازل على مقدار عددهم سواء ان كانوا كتّاب الدفتر او كانوا كتّاب العربي . كذلك لهم عوايد على علايف العساكر المعينة في الباب

داخلًا وخارجاً تندفع لهم ثلاث مرات في السنة على كل ماية غرش خمسة غروش تخصم عليهم في وقت الحساب وعند جمعها تتوزع عليهم كما ذكرنا. كذلك المعلم حييم من اصل عوايد العلايف المرتبة له يعطي منها الى الكتّاب. اما للمعلم حنا فالف وخمسماية غرش كل مرة ولباقي الكتّاب من السبعماية لحد المايتين غرش حسب استحسانه. وكاتب العربي له ماهية يومية خمسة غروش عدا الخرج الذي هو بمقدار خرج باقي الكتّاب مرة ونصف وعدا عوايد المهردارية كما قدمنا شرحها وعدا بعض منافع ينفعه الوزير بها وعدا الهدايا من الكتّاب بالخارج لما يحضروا الى المحاسبة وعدا اكراميات المتسلمين الكبار والصغار من نقدي وزخاير وشقق ودخان وغيره ولا سيما من الامير بشير الذي كان يعطيه سنوي الف وخمسماية غرش ونصف قنطار دخان وعدا اكرامه من الوزير له ولاولاده بانعامات خيل ونقود وغيرها. وعدا هذا فان حييم في كل سنة قبل عيد الفصح كان يرسل له بوغجة ضمنها شال كشمير وطاقتين جشكلي هندي ومثله حلبي وطاقتين قطني هندي ومثله صرتي هندي ومثلهم طاقات شامي فهذه البوغجة في كل سنة لا بد منها.

واما متسلم غزة فكانت مصاريفه ومصاريف مطبخه واكراميات وماهيات دايرته من مال السنجاق. وكتّابه لهم ماهيات من الميري وعوايد انعام في وقت المحاسبة.

ومتسلم طرابلس مصاريف مطبخه من مال السنجاق وله ولدايرته ماهيات وكاتبه له عوايد وخلعة ياخذها في وقت المحاسبة.

ومتسلم تبنين وهونين ومتسلمين الشقيف والشومر وجباع

مصاريفهم في كل اربعة شهور يعملوا بها دفتراً يرسلوه الى عكا ويوزعوها على القرايا وكان يصدر لهم مرسوم بجمعها بموجبه بدون زيادة . لكن كان المتسلم يجمعها اضعاف مضاعفة ويقسمها عليهم وعلى الكتّاب وكذلك متسلمين صفد وطبريا والناصرة ووكلا٠ قرايا بلاد صفد .

والمقاطعات فكانت مصاريفهم من ماهيات ومائدة كتّاب تتوزع على القرايا وفي كل شهر يرسلوا دفتر بها ويوزعوها على القرايا وبموجب التوزيع يصدر امر بجمعها . وكتاب بيروت وصيدا وصور وسائر المقاطعات كان مرتباً للواحد منهم يومي غرش وربع وللمتسلم يومي خمسة غروش فكانت كافية لهم مع المنافع الجسيمة التي تدخل لهم .

واما كتاب المصالح في عكا مثل الكلار والانبار والكمرك ومغلق القطن ومغلق المحلوج والورشة وغيرها فكان بعضهم له يومية غرشين وبعضهم غرش ونصف فمع منافعهم كانت كافية لهم .

واما نظار المصالح المرقومة فكان لبعضهم ثلاثة غروش وبعضهم خمسة غروش . فمع الانعامات والمنافع كانت كافية لهم .

واما عبدالله باشا فكان يصرف نظير وزير الايالة . ومصروفه ومصروف حرمه من الخزينة . وماهيات دايرته كذلك من الخزينة وياخذوا انعامات نظير دايرة الوزير . وكذلك مصاريف بساتينه وارزاقه تندفع من خزينة الوزير . واما ايراداتها فياخذها هو بدون ان تقارش الخزينة منها شي . وجميع ما يصرفه من انعامات وصدقات وحسنات كانت من الخزينة .

الى هنا انتهى معنا الكلام بامر حياة سليمان باشا وتصرفه وترتيب

احكامه وخدمه ودايرته . وقد استخلف (ترك) بحرمه اربع ستات المحظيات الكبار الاولى الست مريم والثانية الست خديجة والثالثة الست صالحة والرابعة الست آمنة . والست فاطمة ابنته عدا السرادي والجواري المرتبين لخدمتهم وخدمة المطبخ والحرم .

﴿ تركته المالية ﴾

واما ماليته ففي وقت وفاتـه كان موجوداً في الاوضة التي قبال اوضة ديوان الوزير تحت يد انختار اغاسي التي ختم عليهـا عبد الله باشا اثنـين وعشرين دعبولة ضمن كل دعبولة الف كيس ريال فرنسا عين (فرنك) ومحزومين بالحبال حزم اسلامبول على سعر الفرنسا اربعة غروش والابومدفـع باربعة غروش وربع عـدا الاموال الموجودة في الخزينة تحت يد حييم واخيه موسى التي ربما تنوف عن اثني عشر الف كيس غرش نقدي وعدا عن الديون المطلوبة لخزينته من تجار عكا مثل انطون كتفا كو وغيره ثمن غلال وقطن وزيت وخلافـه ومن تجـار بيروت وغيرهـا التي هي مبالغ وافرة وعـدا بقايا مطاليب الميري في ساير الايالات التي كانت تحت حكومته وعدا الجواهر والتحف العظيمة التي كانت في دار حرمه وخزينته وعدا ان كلاره وانباره كانوا يتدفقوا من الذخاير والغلال . وربما كان يوجد زيادة عن ستة الاف غرارة حنطة موضوعـة في الانبار عدا الباقية في البلاد واكثر منها شعير . وطويلته (طوالته) داخـل السراي وخارجهـا كانت مشحونة بالخيل الخاصة الكريمة والوسط والدون . وكان يوجد عنده

مقدار اربعماية بغل بطواقمها وبمقدارهـا حمير في الورشة وزيادة عن ثلاثماية جمل في الورشة . والجباخانـة مشحونة بالبارودات والمهمات الحربية .

واما الخيرات الموجودة ضمن حرمه فلا احد يعرف مقدارها لانها شي واهي جداً عدا الجوهرات المختصة بذاته من خناجر وسيوف وساعات مجوهرة ومن الاسلحة الكريمة المختصة فيه عدا الموجود عند مماليكه ودايرته من تحف واسلحة وخيل وغيرها . واستخلف ستة حرم اغاسية و كبيرهم عبد الله اغا ومرتب لخدمته اثني عشر ايجوسية ماهيتهم من الباب وعدا ما يتعلق بطاقم الوزارة من كسمايات ورخوتة الخيل وسيوف ودرقات وتروسة فضة مطلية بالذهب ومثلها ركابات وغير ذلك . والحاصل استخلف غنى عظيم شاسع واسع .

فعبدالله باشا وزّع بعد مماته ثلاثة الاف غرش حسنة عن روحه . وامر الكمركجي وغيره بان يوفوا عن ذمته الديون المطلوبة لاربابها ولا يدعوا شهر ذي القعدة ينتهي الا والديون جميعها من ماهيات وغيرها موفية لاربابها وهكذا تم . وفي اخر الشهر انوفت ساير المطاليب المطلوبة لاربابها حيث غالب الماهيات المطلوبة لبعض الكتاب وبعض رجال الدايرة وطوبجانية عكا كانت تتحول على الكمرك وكان الكمركجي ايوب سلامـه الاسلمي من رداوة طباعه يعوّق دفعها لهم قصداً .

﴿ نظرة اجمالية دقيقة ﴾

وحيث لا يوجد كاملًا سوى الله فقط فقد كان في سليمان باشا شايبة فيما يخص سياسته الرعية كان يلام لاجلها من كل ذي عقل عاقل . وهو انه ما كان يفتش بالتدقيق الكافي عن احوال الرعية كيف حالها ولا يفحص عن احوال واعمال خدمه ودايرته وعماله هل هي عادلة او ظالمة والرعايا هل مستريحة معها ام تعبانة . وكان من عادته كما قدمنا ان الانسان الذي يحبه وينصبه لا يعود يسال عنه ولو خرب الدنيا ولا يسمع عليه شكاية وباكثر من ذلك حتى لو نظر ذنب ذاك الشخص بعينه ولكونه مستحق القصاص عدلاً فلا يساله ولا يتكلم معه . والرعايا نظراً لما كانوا قد قاسوا من مظالم الجزار المريعة مدة تلك السنين فكانوا يحتملوا مهما اصابهم في ايامه ويروا انفسهم انهم مستريحين وانما بنفس الامر ما كانت الراحة كاملة .

ومن جملة ذلك كان عنده عبد اسمه سعيد اشتراه صغيراً ولما كبر وترجّل البسه قاووق وجعله اجوسي (خادم الدار) ورتب له معاشاً وانعام اجوسي وكان ياكل من المطبخ وياخذ بدلتين في السنة نظير باقي المماليك فهذا لسبب كون اصله خبيث لما كبر وصار اغا مطلوق الحرية واخذ ورقة عتاقة واستغنى بالمعاش ازداد شقاوة وطرح نفسه في ساير انواع الشقاوات والكباير من سكر وزنى وفسق وما شاكل ذلك في الليل والنهار واتفق مع اثنين ثلاثة نظيره على ارتكاب اعمال تغضب الله والعبيد وعدا ذلك استعمل التعدي والنصب على المخلوقات وكان

يحضر الى دكان الرجل وياخذ ما يريده منه ويتوجه ولما يطالبه بعد مدة صاحب المال بالرجا يشتمه ويضربه واذا راجعه فيؤذيه . والذي لا يعطيه ياخذ ما يلزمه غصباً عنه نظراً الى احواله هذه . واذا تعارضه يضربه اما بيده اما بالعصا اما بالسيف ويقول له اينما رحت روح . واخيراً لما الخلق ما عادت احتملت احواله قدم للوزير الشكاية مقدار خمسة عشر نفر من اصحاب الدكاكين المتسببين وفقراء الحال واعرضوا له الواقع بالتفصيل لساناً وكل منهم تكلم عن مظلمته منه فعوض ان ينفعهم الوزير ويؤدبه ويحصّل لهم حقوقهم نفر فيهم وقال لهم تخيبوا يا ارذال . انا ما لي سوى هذا العبد اما تستحوا تشتكوا عليه وصرفهم منكسرين الخاطر . وذاك لما سمع ازداد شراً وعتاوة وما استراحوا من شره الا لما الباري تعالى اماته بالطاعون .

وعدا ذلك كنت ترى في ايامه ليس حاكماً واحداً او اثنين او ثلاثة بل حكاماً كثيرين يفعلون كيفما شاؤا من دون معارضة .

فاولاً كان هو الوزير المعلوم من كل الناس .

وثانيه على التمام علي باشا كتخداه بل اعظم منه ويخيف الخلق اكثر من مخافة الوزير .

وثالثهم حييم اليهودي كان ماسك زمام الباب جميعه وكيفما يريد يفعل . ومن الذي يقول ان حكم رجل يهودي على الاسلام والنصارى والكبير والصغير والقريب والبعيد بحرية مطلقة امر هين ولا يصعب جداً على الطبيعة فكان هذا بحال تصرفه يفعل فصول غريبة عن المعقول .

ورابعهم عبد الله باشا ابن الكتخدا

وخامسهم حسن اغا الخزينة دار صهر عبد الله باشا المذكور

وسادسهم عبدالله اغا حرم اغاسي

وسابعهم سكبان باشي ضابط البلد (مامور الضابطة)

ثامنهم اوضه باشي المذكور لكونه نظيره .

تاسعهم حسن اغا قرنباس اوغلو الجوقدار . فهذا كان جاعل نفسه وزير ثاني قدام الخلق لاجل قطع القاطعيات من الشاردين والواردين للباب . والذي لا يرشيه او لا يهابه يوقعه في بلاء عظيم

عاشرهم الطوبجي باشي كان جاعلاً نفسه بسوية الوزير بل اعظم ومبسط نفسه الى انفاره بانه في كل وقت يقدر يعزل الوزير . فانظر من هذا كم مقدار عتاوة نفسه ونفوس المختصين به .

حادي عشر الاربعة ضباط البيلتلية[1] الذين كانوا مرتبين لمحافظة ابراج عكا . وهم عمر اغا كمشخانه لي وعمر اغا قاتلي وابراهيم اغا قاتلي وعلي اغا الجالق

وثاني عشر سليم اغا ابو سيف احد مماليك الجزار وكان مقيم في عكا وكان بالعنفوان وحال الجبر والكبريا لا نظير له . وكان يفعل كما يريد من دون معارضة

ثالث عشر زكور اغا المحتسب وناظر الاملاك . فهذا كان عكا بتمامها

---

(١) البيلتلية لفظة تركية معناها اصحاب الرمانات épaulette والمراد بها رؤساء الضباط اصحاب شارات الشرف

رابع عشر ايوب سلامي الكمركجي كان حاله عديم المثال بالسفاهة والتعدي والرداوة ومشهور بذلك

خامس عشر عبد الحليم شيخ الخزينة واولاده وهو ناظر مصالح الفلاحين فكان لا يشبهه احد بساير تصرفاته

سادس عشر مسعود الماضي وقد شرحنا بعض احواله من ميل علي باشا له

سابع عشر القاضي الذي كانت احواله غريبة . وما كان احد يستطيع ان يتكلم بحقه شي. لكونه اولاً قاضي ثانياً شيخ علي باشا ثالثاً استاذ عبد الله باشا . فهولاء كانوا مقيمين في نفس عكا وكان هذا حالهم .

واما خارج عكا فابو نبوت ودايرته في سنجاق غزة ويافا وقد شرحنا بعض مظالمه .

ومصطفى اغا بربر ودايرته في طرابلس والمذكور نعم انه ما كان ظالماً غاشماً عاتياً مثل ابو نبوت الا انه كان ذا اخلاق شرسة للغاية لا يخاف من احد ولا يفتكر بالوزير ولا في السلطان ايضاً .

وفي بيروت كان متسلم وامين كمرك اوزن علي اغا من مماليك الجزار . وكان رجلاً متكبراً متعجرفاً جداً . وكان يطلب دايماً ان يصير وزير ويامر الخلق ان تعتبره وزيراً ويقاصص من لا يعتبره كذلك . ويصرف مصاريف الوزراء . وجميع ذلك ياخذه من مال الخلق . ويبذره بغير طاعة الله وحاله معلوم نظير اولئك عند سليمان باشا . وفي صيدا كانت مماليك الجزار مقيمين هناك في بيوتهم ومرتب لهم معاش .

وكل واحد منهم كان ناظر روحه اكبر من الوزير واعظم

وفي مدينة صور كان واحد منهم متسلماً واسمه بكر اغا بوشناق من محسوبين الجزار . وكانت له منافس والعياذ بالله لا يتحمل ولا يطاق من باب ولا من طاقة . وكيفما اراد يفعل .

وفي مقاطعة جباع كان علي اغا الصوري من مماليك الجزار وكان نظيرهم بالعجرفة الا انه كان هادي الطبع بنوع ما عن البقية . انما بشراسة الاخلاق وعدم تمييز الظلم من العدل فالجميع كانوا متفقين على حد سوى . والذي كان يخطر في فكرهم بحسبما تعودوا كما تربوا عليه من مولاهم الجزار كانوا يفعلوه اللهم ما كانوا يقدروا يميتوا احد بامرهم كما كان يفعل سيدهم .

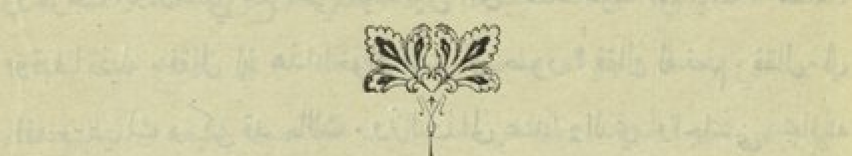
وكان متسلم الشقيف موسى اغا جركس وهذا كان متصف باطباع خشنة بنوع خصوصي عن البقية .

وفي بلاد بشارة كان ابرهيم اغا الكردي وهذا كان مائن مصرّف في البلاد ويفعل كما يريد . وكان مستعمل البلاد الموكلة له ولاولاده واخوته واولادهم ولساير الاكراد الموجودة في ايالة صيدا بل كانوا يقصدونه من كل محل ويخدموا عنده بالمنافع التي تحصل لهم من البلاد .

وهذا جميعه سليمان باشا كان ناظره وعارف به وما كان يسأل عنه ولا يعبأ به . وعدا نفوذ المذكورين ومنافعهم الخاصة التي كانوا يستفيدوها من البلاد لهم ولاتباعهم فمصاريفهم كانت تتوزع بامر الوزير على البلاد . ويعطيهم اوامر بجمعها . ولما يجمعوها بموجب الامر الذي يعطي لهم فلا يقنعوا بها . بل كانوا يضيفوا عليها اضعافها ويجمعوها

ويقسموها بينهم وبين الكتاب والاتباع . والرعايا لعلمهم الاكيد عدم قبول شكواهم وعدم امكانية عزل ذلك المتسلم او المأمور فيلتزموا ان يحتملوا اضامتهم بدون شكوى .

والحال من هكذا احوال كان يلام بنوع ما لكونه لو
اراد ان يلتفت ويدقق ويعتني بصالح رعيته لكانت
عمرت البلاد باضعاف مضاعفة عن حالها
مع وجود كل تلك المظالم التي اجراها
الجزار . وانما كما قدمنا
سبحان الكامل
الذي ما له
شبيه



تنبيه

من المؤلف

وبعـده فيقول الفقير اليه تعالى ابرهيم بن حنا بن ميخائيل بن ابرهيم عورة الكاثوليكي الملكي مذهباً انني بتاريخ سنة ١٢٢٩ هجرية كنت في صور اتعاطى التجارة واربح منها. وفي اواخر هـذه السنة حضر لي طلب عـن امر سليمان باشا من والدي حتماً يستحضرني. وبوصولي الى عكا بدون ان اعرف سبب طلبي اطلعني ثاني يوم صباحاً معه الى السراي بدون ان يخبرني بشي٠. وعند وصوله دخـل الى عند سليمان باشا وامرني ان افعل كما يفعل هو. فانا صرت ارتعد من وهمي. واذ دخل قبَّل اذيال سليمان باشا وامرني فتقدمت وفعلت كما فعل. فقال له الوزير هذا هو؟ فقال نعم. ثم قال ولماذا صار بهذا المقدار وهو هربان من خدمتي؟ خدِّمه مثل اخيه وعلِّمه. فتمنى والدي وانا كذلك وخرجنا. وارسلني مع اخي ميخائيل الى عند عبد الله باشا. فطامنا وقبلنا ذيله. فقال له هذا اخوك الذي في صور؟ فقال له نعم. فقال لي افتح عينك وكن قد حالك. ونزلت الى عند والدي واجلسني بجانبه بجانب اخي واستقمت بالخدمة وتسلمت دفتر القيودات. واذ ذاك كان عمري سبعة عشر سنة وداخل في الثمانية عشرة. واستقمت بالخدمة اتأوه على ايام اقامتي وراحتي وكيفيتي في صور.

فالذي حررته في هذا التاريخ من ابتدآء سنة ١٢١٩ لحد سنة ١٢٢٩ سنة دخولي بالخدمة بعضه سمعته من فم والدي بالتكرار مراراً وبعضه سمعته من فم الوزير حسبما حررت (همته في مراسيم سليمان باشا) وبعضه استفدته من مراجعتي تكرار قرآءة قيود (دفاتر) مراسيم سليمان باشا وعلي باشا . وبعضه من قيود دفاتر الجزار . و كنت اسأل والدي وخالي المرحوم ابرهيم النحاس عن كيفية وقوعها . وبعضها شاهدتها بالعيان والتدقيق الكافي . واما بعد استخدامي بالباب من سنة ١٢٣٠ وصاعداً فجميع ما حررته في هذا التاريخ فقد كان بمشاهدتي واطلاعي وعمليتي ايضاً .

وليكن معلوماً عند كل من يطلع على هذا المؤلف انني بنعمة الله تعالى ما حررت فيه زيادة عن الواقع شيئاً ولا شيئاً بنوع التلفيق ولا شيئاً كاذباً . بل يمكني اقول اني استعملت الاختصار بشرحي عن القضايا المدروجة فيه لاجل عدم الملل . ومعاذ الله تعالى ان يكون قد تداخله شيء من الكذب والزور . ولله تعالى مزيد الحمد والمنة الذي انعم علي بفضله وجوده واحسانه على اتمامه . وفي تاريخ سنة ١٢٦٩ في شهر ذي الحجة وباواخر هذا الشهر قد تمت تاليفه و كتابته هذه (تبيضاً) . وبعد مرور خمسين سنة من التاريخ المرقوم قد انعم علي الباري تعالى بنعمة الفطنة (الذاكرة) والتصور الحي (لكتابة) ساير المدروج به . وبعملي هذا قد تأكدت العناية الالهية معي لانني لما

ابتدي بكتابة قضية من المدروجات فتتوقد حالاً معي الفطنة (الذاكرة) بالتصور الحي كأن تلك القضية او الحادثة حاصلة الان قدامي بساير اطرافها ومواقعها على التمام وقد توفق معي تاليفه وتحريك الفطنة الى التفكر بذلك وكتابته في مدة خمسة عشر يوماً . وكانت نهاية تاليفه وكتابته يوم الجمعة المبارك الواقع في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٦٩ ختام السنة المرقومة الموافق ١٩ ايلول سنة ١٨٥٣ مسيحية .

فيرجو مؤلفه ممن يطالعه جر ذيل العفو عن القصور والغلط لان تاليفه وتحريره كان بمدة جزئية ولا يخلو الامر من خلل وقع ويصلحه بمعروفه لكي يصلح الله له زلاته .

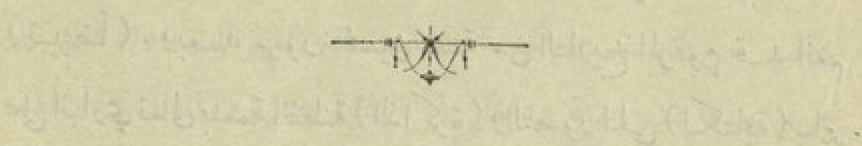
ان تجد عيباً فسدّ الخللا   جلّ من لا عيب فيه وعلا

والحمد لله تعالى المعين والساتر بالبداية والنهاية

الان وكل اوان والى

دهر الداهرين

آمين



ملحق

المعلم نعمة الله الغريب كاتب العربي الاول في سنجاق طرابلس واللاذقية ورد ذكره مراراً في هذا التاريخ . وقد اتحفنا احد احفاده سامي افندي الغريب بوثيقتين تختصان به من سليمان باشا . نرى من المفيد ان ننشرهما هنا تتمة للفائدة التي نتوخاها بخدمة تاريخ الوطن ورجاله .

الوثيقة الاولى

افتخار الاماجد والاعيان متسلمنا بمحروسة طرابلس الشام ولاذقية العرب حالاً بربر زاده السيد مصطفى آغا زيد مجده .

غب التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم والسؤآل عن خاطركم المنهي اليكم بخصوص العشرة آلاف غرش المطاوبة من كاتبكم المعلم نعمة مصروف برآءة العربي كاتبي العشرة آلاف سمحنا منها بالف غرش المراد ترسلوا التسعة آلاف غرش الباقية لهذا الطرف لاجل توجيهها لمحلها . هذا ما لزم اخباركم ودمتم .

الحاج سليمان

٩ شعبان سنة ١٢٢٧ والي صيدا وطرابلس حالاً

وثيقة ثانية

افتخار الاماجد والاعيان متسلمنا بمحروسة طرابلس الشام ولاذقية العرب حالاً بربر زاده السيد مصطفى آغا زيد مجده .

غب التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم والسؤآل عن خاطركم في كل خير المنهي اليكم التمستم بخصوص برآءة العربي كاتبي لكاتبكم المعلم نعمه فقبل تاريخه حضرت البرآءة المذكورة وهي واصلة عند خادمنا حنا . ومشروط البرآءة ان عليها مال ميرى سنوي لخزينة طرابلس ثلاثمائة غرش فالمراد تقيدوا ذلك عندكم في خزينة طرابلس وتلبسوا خلعة لكاتبكم المعلم نعمة المسفور . هذا ما لزم اخباركم ودمتم .

١٠ شوال سنة ١٢٢٧ الحاج سليمان

والي صيدا وطرابلس حالاً

جدول اصلاح اغلاط الطبع

صفحة	سطر	غلط	صواب
٦	٢٢	غن	عن
٧	١٦	١٧٦٩	١٧٩٠
١١	١٢	الحزار	الجزار
١٤	١٩	على	علي
٤٨	٥	الناصيف	الناصيف
٥٨	٥	ما له اسماء اصحاب	ما له اسماء (اصحاب)
٩٣	١٢	لمأموريته تتفق له	لمأمورية تتفق له نظير
		نظير مأمورية	مأموريته
١١٨	١٧	الوزبر	الوزير
١٣١	١٨	اغا وجق	اغا وجاق
١٨١	١٧	التيامنة	التياهنة
١٩٢	١	العنوان ناقص	ترميم برج الحديد
١٩٥	٨	فعلى باشا	فعلي باشا
١٩٥	١٧	سنه	سنة
٢٠٨	٤	سوا	سوى
٢٢٠	٣	ولبس	وليس
٢٣٢	١٩	دير المـلص	دير المخلص
٢٥٠	١٧	مسعود اغضبه	مسعود واغضبه
٢٦٤	١١	عـده افساد الوقفات	عنده افساد الوقفيات

صفحة	سطر	غلط	صواب
٢٧٠	١٧	استقامة	سقامة
٢٩١	٥	التياما	التياهنة
٢٩٧	١٢	بني الله	نبي
٣٠٢	١٧	عصاوة ومقاطعة	عصاوة مقاطعة
٤٠٨	١٢	ايالة صيد	ايالة صيدا
٣١١	٧	الانظار	الانتظار
٣١١	٢٠	ونتج منة	ونتج منه
٣١٢	١١	فالواجت	فالواجب
٣١٧	١٠	على الله	صلى الله
٣١٩	٢١	بالتجالف	بالتخالف
٣٣٤	١٢	جبهتة	جبهته
«	١٨	يداوية	يداويه
٣٦٧	١٥	الا	الامر
٤٠٥	٧	يدلىا	يدلنا
٤٠٦	٨	قلىا	قلنا
٤٢٥	١٠	الجبل (الخليل)	الجبل (جبل القدس)
٤٣٨	١٣	الفاهم	القاهم
٤٤٥	٧	الفاضي	القاضي

وبقي غيرها اغلاط لا يخفى صوابها على القارىء النبيه .

فهرس اول

لفصول الكتاب

صفحة

صفحه

صفحة

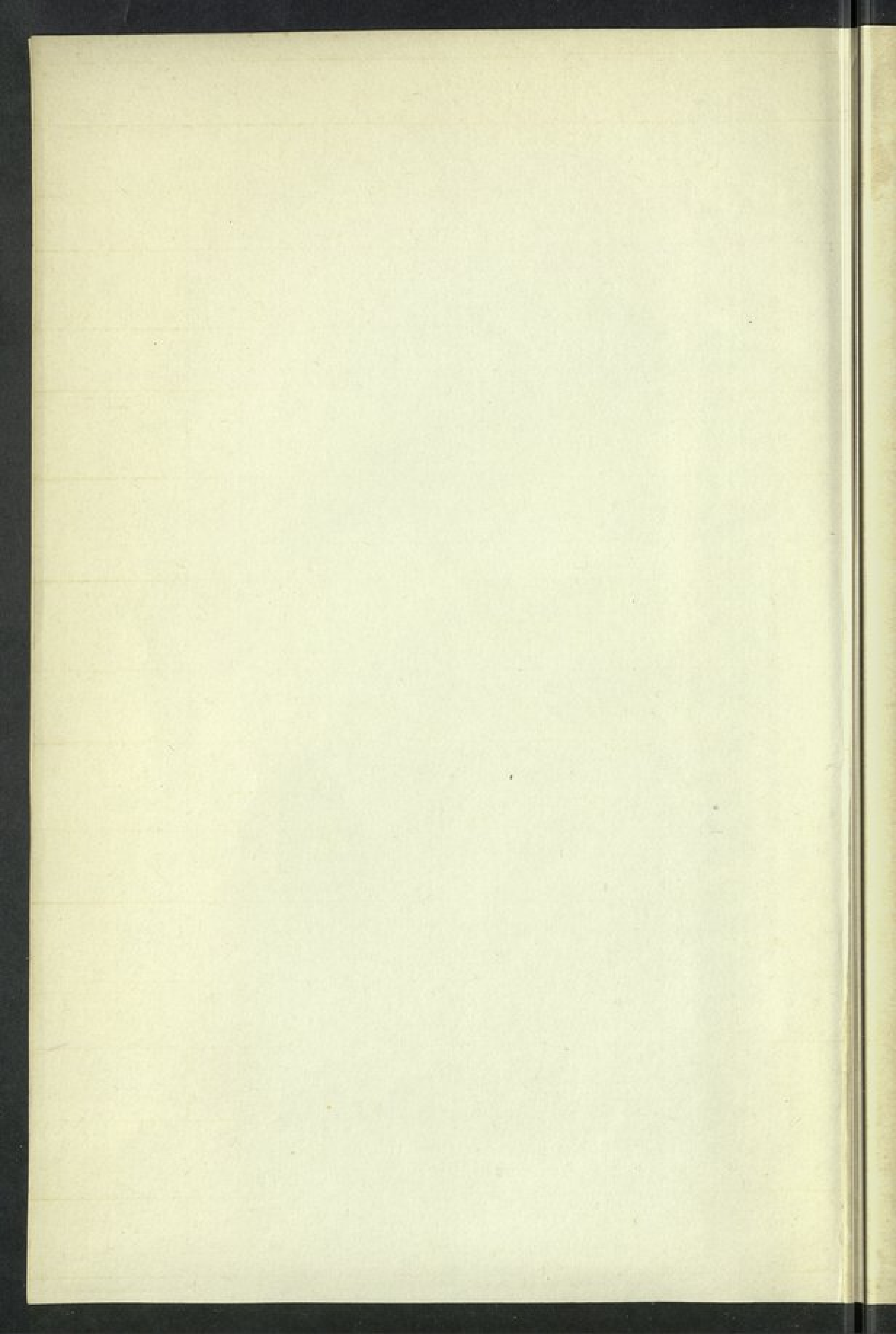
صفحة

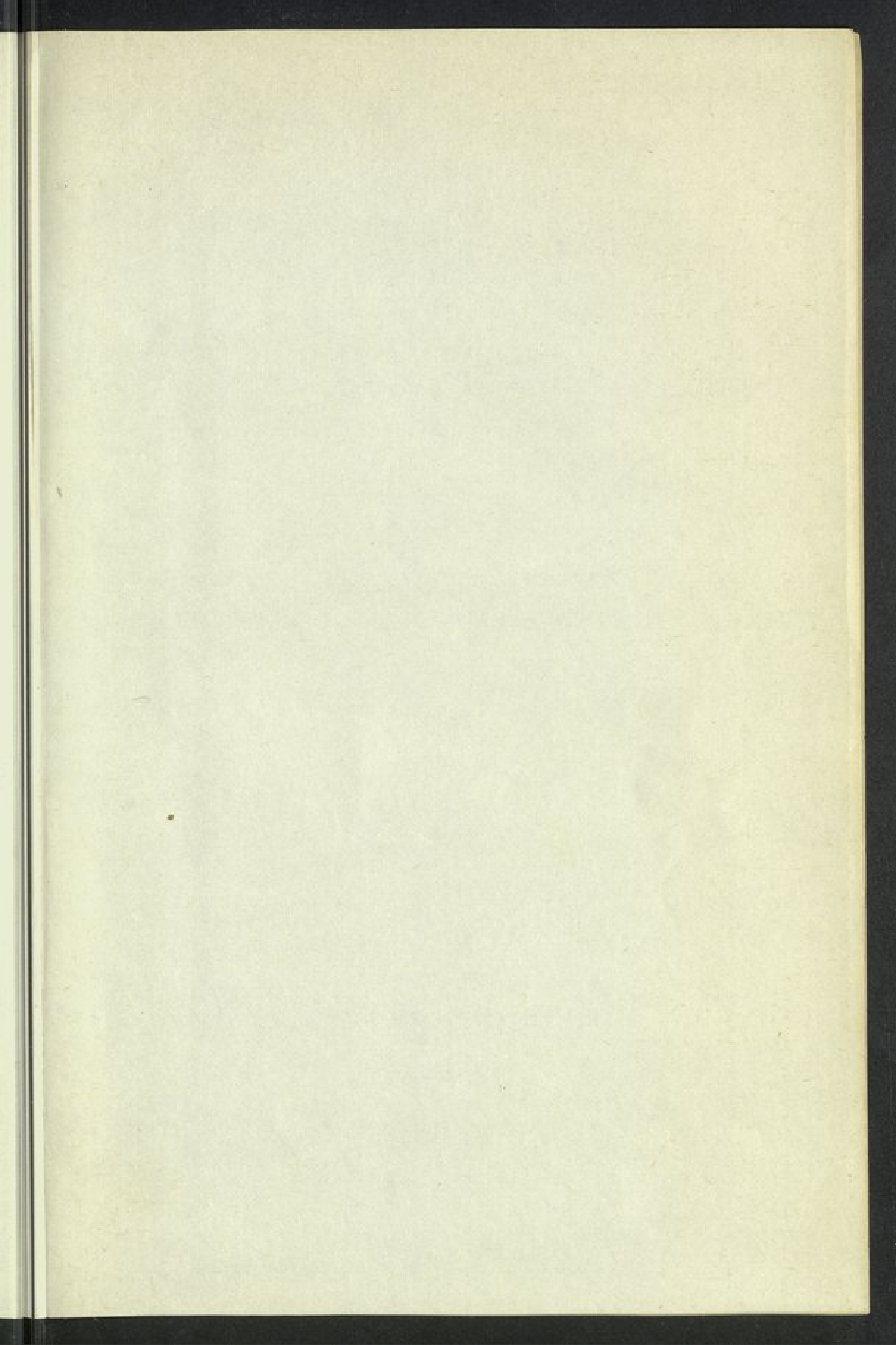
صفحة

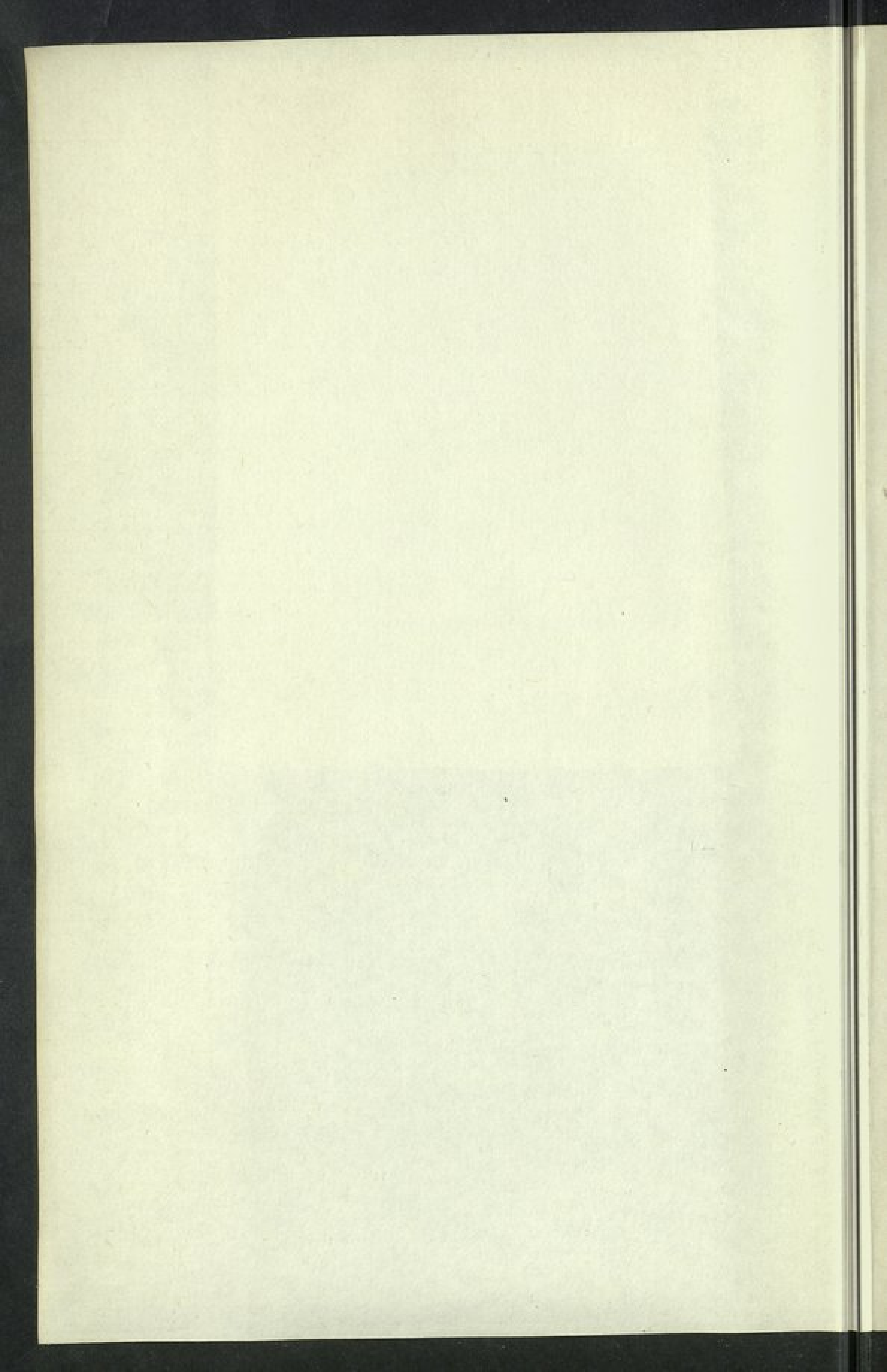
فهرس الاعلام المذكورة في هذا التاريخ

لم نذكر في هذا الفهرس اسم سليمان باشا لانه يكاد يكون في كل صفحة . وكذلك اهملنا ذكر اسم الجزار بعد صفحة ١٦٠ حيث لا فائدة بذكره. وقد جعلنا هذه العلامة – بين بعض الارقام بمعنى « الى » الدلالة على ان ذلك الاسم مذكور في كل صفحة بين الرقمين









DATE DUE

CLOSED AREA

CA:956.9:A961tA:c.1
الباشا ،قسطنطين
تاريخ ولاية سليمان باشا العادل
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01066322

CLOSED AREA
CA
956.9:A961tA
CLOSED AREA
c.1
العورة

CA.956.9
A961tA
c.1

